

صَدَقَ اللهُ بِمَا وَعَدَ
صَدَقَ اللهُ بِمَا وَعَدَ
صَدَقَ اللهُ بِمَا وَعَدَ

الجزء السادس

بَارِئُ الْبَغْيِ الْخَائِفِ

كِتَابٌ

صَنِيعُ الْأَسْبَةِ

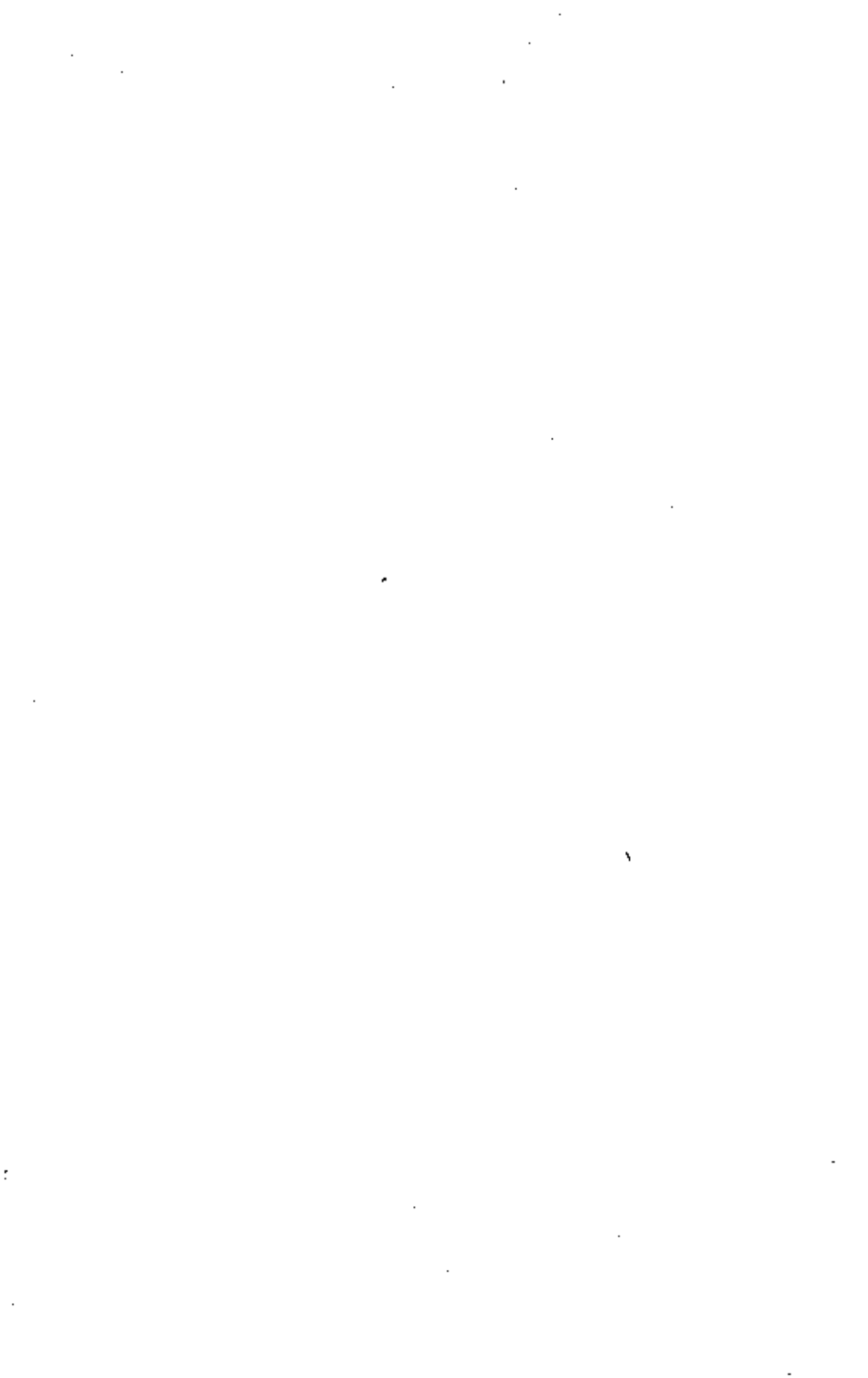
تَالِيفُ

الْشَيْخِ أَبِي الْغُبَّانِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنْدَكِيِّ

الجزء السادس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المهَيِّعُ الثَّانِي

في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتّاب الزمان، وبيان معانيها،
ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم
(وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المذكّرة، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة في اصطلاح الكتّاب باسم الألقاب)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم ليسهل استخراجها .

حرف الألف

(الأتانكي) وهو من ألقاب أمير الحبوش ومن في معناه، كالتائب الكافيل ونحوه،

وهو بالأتانك أخص. وقد تقدم معنى الأتانك في الكلام على ألقاب أرباب الوطائف،

وَأَنَّ أَسْلَمَهُ بِالطَّاءِ فَقَلْبَتِ تَاءً فِي الْأَسْتِمَالِ، وَأَنْ مَعْنَاهُ «الْأَبُ الْأَمِيرُ» وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ النِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِغَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتِ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الأنثى) من ألقاب ملوك المغرب التي يُكْتَبُ إليهم بها من الأبواب السلطانية، مضاهاة لما يُوجَدُ في مكاتبتهم من الألقاب . وهو أفعُلُ التفضيل من التثوى .

(الأيير) بالناء المثلثة من ألقاب أرباب الأقاليم : من القضاة والعلماء والكتّاب ونحوهم ؛ وربما استعمل في ألقاب الصلحاء أيضا . وأصله في اللغة المخالصة، وحينئذٍ فيصالح أن يكون لقباً لكل من نُسِبَ إلى المخالصة من أرباب السيوف والأقاليم جميعاً؛ والأييري نسبة إليه للبالغه .

(الأييل) بالثلثة أيضا من ألقاب أرباب الأقاليم كالأنير، ومعناه في اللغة الأصيل، ومنه قيل محمدٌ مؤيّلٌ وأنيلٌ أي أصيل . وحينئذٍ فيصالحُ أن يكون لقباً لكل ذي أصالة من أرباب السيوف والأقاليم؛ والأييلُ نسبةٌ إليه للبالغه .

(الأجل) يكون في الاصطلاح من ألقاب السلطان كما يقال السلطانُ السيدُ الأجلُ ويكون من ألقاب السامى بغيرياء فما دونه فيقال : «السامى الأميرُ الأجلُ» ونحو ذلك؛ وهو مما يُستَكْرَعُ على كُتُبِ الزمان : لاستعماله في الأعلیٰ والأدنىٰ على ماسياتي بيانه إن شاء الله تعالى . على أن هذا اللقب في الدولة الفاطمية كان هو أعلیٰ الألقاب وأرفعها قدراً، حتى قال ابن شيبان في «معالم الكتابة» : إنه محظورٌ على غير الوزير . وقد كانت الوزارة في زمانهم بمثابة السلطنة في زماننا، فصرت في الكُتُبِ حتى استعملوه في أدنى الرتب أيضا؛ والأجلُ نسبةٌ إليه للبالغه .

(الأخص) من ألقاب أرباب السُوف، والحُبابُ يستعملونه في أدنى الألقاب مما تَسْقُط فيه بآء النسب : من السابى غير ياء فسا دُونَه ، على أن معناه رَفِيع : لأخذه من الخُصُوصية : وهى الأنفرد بالشيء ، وكان الأحق أن يكون مختصاً بالأكزام المقربين دُونَ غيرهم ، والأخصى نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأخوى) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكاتب الإخوانية ، وربما وقعت في المكاتب الملوكية إذا كان قدر المالكين المتكاتبين متقارباً ، وهو نسبةٌ إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقةً .

(الأريب) من ألقاب أرباب الأقلام . وهو فى اللغة العاقل ، ومنه قيل للدَّهَاءُ أَرَبٌ بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنَّ الدَّهَاءَ من جملة العقول ، والأريبى نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأرقى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذٌ من الرُقَى : وهو الارتفاعُ والعلوُّ فى الدرَج .

(الأزكى) من ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو مأخوذٌ من الزكاة : وهى الزيادة ، كأنه نَسَبَه إلى الزيادة فى الرِّقعة ونحوها .

(الأسرى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذٌ من السَّرو وهو سَخَاءٌ فى مَرُوعَةٍ ، ومنه قيل لمن أشتمل على ذلك سَرَى ، وبه لُقِب من لُقِب «سَرَى الدِّين» .

(الأسقفهسلار) بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ، وكان فى الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة نجلي صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مقدم العسكر» وهو مركب من لفظين : فارسي ، وتُرْكِي- ، فأُسِّفَ بالفارسية بمعنى المقدم ، وسِلَّار بالتركية بمعنى العسكر ، والعامية تقول لبعض من يقف بباب السلطان من الأعوان : (أسپاسلار) بالباء الموحدة ، وكأنهم راعوا فيه معنى المتقدم في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ، ولذلك قالوا : أَصِيهَان وَأَصِفِهَان بالباء والفاء جميعا ، والأُسْفَهْسِلَارِي نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في بعض دساتيره أن هذا اللقب يختص بأمراء الطبَّخَانَاه ، على أنه قد تُرِك استعماله في زماننا ، وكأنهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أو لم يفهموا معناه فتركوه .

(الأسنى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السناء بالمد : وهو الرفعة ، ويجوز أن يكون من السنا بانقصر : وهو الضياء .

(الأشرف) من ألقاب المقام والمقر في مصطلح كُتَّاب الزمان على ما تقدم ذكره ، وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من الشرف بمعنى العلو .

(الأضعد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو أفعال التفضيل من الضعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب الأعلام غالبًا ، وربما وقع في ألقاب أرباب السيف إذا كان لصاحب اللقب عرَاقَةٌ نَسَب ، وهو فعيل من الأصيل بمعنى الحسب ، والأصيلي نسبةٌ إليه للبالغة . قال في «عرف التعريف» : ويخصُّ بمن له ثلاثة في الرياسة ، أبٌ عن أب عن جد .

(الأختم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الضخامة ؛ والمراد بها هنا العظمة . وهي في أصل اللغة الغلظ وأستعملت في العظمة تجوزاً .

(الأعز) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل في ألقاب من لم يثبت فيه بقاء النسب من السامى بغير بقاء فما دونه كالأخص : فيقال « الأعز الأخص » ونحو ذلك ؛ وهو أفعال التفضيل من العز .

(الأعظم) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع في ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو أفعال التفضيل من العظمة ؛ وهي الكبرياء .

(الأعلى) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من العلو ؛ وهو الارتفاع .

(الأعلم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من العلم الذى هو خلاف الجهل .

(الأفخم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعال التفضيل من الفخامة ؛ وهي العظمة والقوة .

(الأفضل) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب أيضاً وهو أفعال التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة في الفضيلة .

(الأكل) من ألقاب السلطان أيضاً ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب وفى الألقاب من لم يثبت فيه بقاء النسب من السامى بغير بقاء فما دونه ؛ والأكل نسبة إليه للبالغة .

(الإمام) من ألقاب الخلفاء كما يقال في المكاتبات عنهم « من عبد الله ووليه الإمام الفلانى » وقد تقدم أن أول من تلقب به « إبراهيم بن محمد » أول من بوسع له

بالخلافة من بنى العباس، ويقع أيضا في ألقاب أكابر العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقَدِّى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعيُّ، ومالكُ، وأبو حنيفةُ ، وأحمدُ . والإماميَّة نسبةٌ إليه للبالغة .

(الأمجد) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِب به للتجَّار ونحوهم في ألقاب الصُّدُر الأجلِّ . وهو أصلُ التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "عرف التعريف" :
 وَيُكْتَبُ بِهِ لِتَجَّارٍ وَإِنْ كَانُوا مِنْ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ . وَذَكَرَ فِي دُسْتُورِهِ
 آخِرَ أَنَّهُ يَكْتُبُ بِهِ لِتَقِيبِ الْأَشْرَافِ وَلَا يُكْتَبُ لَهُ الْقَضَائِيُّ أَصْلًا وَإِنْ كَانَ مِنْ
 أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ لِقَبِ الْأَمِيرِ مَجْرَدًا عَنْ بَاءِ النَّسْبِ وَأَصْلُهُ الْمَأْخُوذُ مِنْهُ
 فِي الْكَلَامِ عَلَى أَلْقَابِ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ فَأَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّهُمْ
 لَمْ يَسْتَعْمَلُوا فِيهِ النَّسْبَةَ لِنَفْسِ الْإِمْرَةِ فَلَمْ يَقُولُوا فِي النَّسْبَةِ إِلَيْهِ الْإِمْرِيُّ كَمَا قَالُوا
 فِي النَّسْبَةِ إِلَى الْقَضَاءِ الْقَضَائِيُّ .

(الأمين) من ألقاب التجَّار الخوارجية وألقاب الخُدَّام المعروفين في زماننا بالطَّوَّاشِيَّة ، حُصِّصُوا بِذَلِكَ لِأَتْمَانِ التَّجَّارِ عَلَى الْجَوَّارِي وَالْمَالِيكَ فِي حَالِ جَلْبِهِمْ إِلَى الْمُلُوكِ ، وَأَتْمَانِ الخُدَّامِ عَلَى الْحَرِيمِ وَالْمَالِيكَ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْأَمَانَةِ ضِدَّ الْخِيَانَةِ ؛ وَالْأَمِينِيُّ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأقلام لمن لا تثبت الياء في ألقابه من السامى بغير ياء فما دونه، وفيه ما تقدم في الكلام على

(١) يياض بالأصوك ولعله لتجار الأمراء ، أو الوزراء .

الأجل من الاعتراض على الكُتاب في جمعهم الأعلى والأدنى في لقب واحد؛
والأوحدى نسبة إليه للبالغة .

حرف الباء

(البارِعُ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو فاعلٌ من البراعة : وهي النهضة
بالشيء والتقدم فيه ؛ والبارِعُ نسبة إليه للبالغة .

(الْبليغُ) من ألقاب أرباب الأعلام ، وأحسنُ ما يقع في ألقاب ذوى البلاغة
من الكُتاب ونحوهم ، وهو فعيل من البلاغة : وهي ناديةٌ كُنهِ المراد بإيجاز لا يُخل ،
وإطناب لا يُئمل ؛ والْبليغُ نسبةٌ إليه للبالغة .

حرف الناء

(التقوى) من ألقاب ملوك المغرب يقال التقى الزكي ونحو ذلك ؛ وربما استعمل
بالديار المصرية في ألقاب أرباب الأعلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى
كما تقم في الأتقى .

حرف الجيم

(الجليل) من ألقاب من يُكتب له الحاج كقدي الدولة ونحوهم ، ويقال فيه :
«الحاجُّ الجليلُ» ونحو ذلك ؛ والجليلُ في أصل اللغة العظيمُ ، وكان مقتضى الوضع
أن يكون لأعلى من هذه الرتبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاجُّ) من ألقاب مقدي الدولة ومهتارية البيوت ومن في معناهم وإن لم
يكن قد حجَّ ، وإن كانت موضوعُ الحاج في العرف العام إنما هو لمن حج البيت
وإنما أصطبح لهم على ذلك حتى صار كالعلم عليهم .

(الحافظ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظ ضد النسيان ، وأختص بالمحدثين لأحتياجهم إلى كثرة الحفظ لتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظي نسبة إليه للبالغة .

(الحافل) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير التجمع ، أخذاً من قولهم وإِدِ حافل إذا كثر سبله .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهي حديدة مستديرة في اللجام تمنع الدابة من الجري والشباب ؛ سُمي بذلك لأنه يرذ الناس عن الظلم ؛ وأكثر ما يستعمله كتاب الزمان في عنوان المكاتبات في تعريف المكتوب إليهم ، وفي أثنائها في وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكمي نسبة إليه للبالغة .

(الحائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحيازة ؛ وهي الحياطة ، والمراد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء - وهو بفتح الحاء وكسرهما لغتان ، والذي اختاره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" الكسر ، وبه سُمي الحبر الذي يكتب به ، ولكن الجاري على ألسنة الناس الفتح ؛ والحبري نسبة إليه للبالغة .

(الحجتي) بضم الحاء وكسر الجيم المشتدة وفي الأعراب النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحججة بحذف تاء التانيث منه على قاعدة النسب ؛ كما تحذف من طلحة ونحوه على ما هو مقتدر في علم النحو ، وبعض جهلة الكتاب يثبت فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون الحجتي وهو خطأ ؛ ثم النسبة فيه

حقيقية لأن المنسوب إليه وهو الحجة غير من له اللقب، ويموز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب اللقب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ.

(الحسيب) من ألقاب الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها، أخذاً من الحسب؛ وهو ما يعبده الإنسان من مقانر آباءه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك آختص في الاصطلاح بالشرفاء، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مقانراً، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف، وعلياً هذا فلا يختص هذا اللقب بذوى الأنساب التي فيها عرفافة، والحسيبي نسبة إلى البالغة.

حرف الخفاء المعجمة

(الخاشع) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وربما استعمل في العلماء، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كان المكتوب له متصفاً بذلك، بل ربما استعمل في ألقاب بطارية النصارى من الباب وغيره، على ما سياتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. والخاشع في اللغة الخاضع والمتذل، والخاشعي نسبة إلى البالغة.

(الخواجج) من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم. وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد؛ والخواججي زيادة كافي نسبة إليه للبالغة، وكان الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب.

(الخيري) بفتح الخاء وتشديد الياء المثناة تحت، من ألقاب أهل الدين والصلاح. وهو في أصل اللغة خلاف الشرير، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير؛ والخيري نسبة إلى البالغة، وقيل أن يستعمله الكُتَّاب إلا بإثبات الياء في آخره.

حرف الذال المعجمة

(الذُّنْحَر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطلق على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذَنَرُ من النفائس ، وهو مصدر ذَنَرْتُ الشيءَ أَذَنَرُهُ ، وكثيرا ما يُنطَق فيه فيجعل بالذال المهملة . وممن وقع له الوهم في ذلك الشيخ جمال الدين الأسنوي في "طبقات الفقهاء" فأورد صاحب "الذخائر" في الدال المهملة ، والذُّنْحَرِي نسبةً إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الكُتَّاب كذلك .

حرف الراء المهملة

(الرَّبَائِي) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاح ، وربما لُقِّب به العالم فيقال « العالم الربائي » قال الجوهري ، وهو العتائلُ والعارف بالله تعالى . قال تعالى : ﴿ كُونُوا رَبَّائِينَ ﴾ .

(الرُّحَلَة) بضم الراء من ألقاب أكابر العلماء والمُحَدِّثِينَ ، والرُّحَلَة في اللغة ما يُرْحَلُ إليه ، لُقِّب بذلك لأنه في حَيِّزَاتٍ يُرْحَلُ إليه للأخذ عنه . أما الرُّحَلَة بالكسر فالأرتحال ، والرُّحَلِيّ - بالضم أيضا نسبةً إليه للبالغة .

(الرُّبَيْسِي) بالهمزة على وزن فَعِيلٍ من ألقاب عِدَّةِ النَّاسِ وأشرفهم ، ويقال : فيه رَيْسٌ على وزن قَيْمٍ قاله الجوهري . وأصله من الرِّبَاسَة وهي رِفْعَةُ القدرِ وَعُلُوُّ الرُّبِيَّةِ ، والرُّبَيْسِيُّ نسبةً إليه للبالغة ، وذالِب ما يستعمله الكُتَّاب كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأَقْلَامِ من العلماء والكُتَّاب .

حرف الزاي

(الزَاهِدُ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاح ، وهو في اللغة خلافُ الرَّاغِبِ ، والمراد هنا مَنْ أَعْرَضَ عن الدنيا فلم يَتَّقِضْ إليها ، والزَاهِدِيُّ نسبةً إليه للبالغة .

(الرَّعِيمِيُّ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كقُتُوب السلطنة ومَن في معناهم؛ وهو نسبة إلى الرَّعِيمِ بمعنى السيد والكافل وكأنه بولايته على القوم سادهم أو كفلهم وتولاهم ولم يستعملوا فيه الرعيم بغير ياء : لأنه إذا كان مختصاً بكار أرباب السيوف دون أديانهم ، وجب إثبات الياء للبالغة .

(الرُّكِّيُّ) من ألقاب المتدينين من أرباب الأقلام وغيرهم ، يقال التقي - التقي - الرُّكِّيُّ ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكي وهو الزائد وقد تقدم مثله في الأزكي في حرف الألف .

حرف السين المهمله

(السالك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو فاعل من السلوك ، والمراد سلوك سبيل الرشاد الموصل إلى الله تعالى ، والسالكي - نسبة إليه للبالغة .

(السامي) من ألقاب المجلس ، وقد تقدمت الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه ينقسم إلى السامي - بالياء والسامي بغير ياء فليراجع منه .

(السُّفَيْرِيُّ) قال في "عرف التعريف" : وهو من الألقاب انحصاراً بالدوادار ، على أني قدر أيتيه في بعض الدساتير الشامية قد كُتِبَ به لبعض التجار الخواجكية لِسْفَارَتِهِمْ بين الملوك وترددهم في الممالك بلُحَبِّ الممالك والجواري ونحو ذلك وهو منسوب إلى السفير : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبةً مبالغة ولم يستعمله الكاتب مجزداً عن الياء : لأنه إذا كان خاصاً بهدين ورتبتهما عليه لا يليق بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجزداً عنها .

(السلطاني) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه ، فيقال المقام الشريف العالی السلطاني ونحو ذلك ، وهو منسوب إلى السلطان وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ؛ ويقع في اللغة على المالك والرعي ونحوهما ؛ والسيد نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكية المختصة بالسلطان وأكبر الملوك . وهو لفظ فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهي عن التسمي به ؛ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : «إن أخنوع آسِم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا ملك الأملاك إلا الله» . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ؛ ولذلك يحذره المتديون من الكتاب من الألقاب السلطانية ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التثقيف" في مكتبة صاحب المغرب .

وأعلم أنه كان قد وقع في تفتيح الملوك بهذا اللقب نزاع بين العلماء في سلطنة السلطان «جلال الدولة» السلجوقي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما حكاه ابن الأثير في تاريخه «الكامل» وذلك أن السلطان جلال الدولة كان قد سأل أمير المؤمنين (القائم بأمر الله) الخليفة يومئذ في أن مخاطب بملك الملوك فامتنع ، فكتب فتوى للفقهاء في ذلك ؛ فكتب القاضي أبو الطيب الطبري ، والقاضي أبو عبد الله الصيمري ، والقاضي ابن البيضاوي ، وأبو القاسم الكرخي بجوازه ؛ ومنع منه أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي ، وجرى بينه وبين من أفتى بجوازه مراجعات ؛ وخطب لجلال الدولة ب«ملك الملوك» وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة ، وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما أفتى في ذلك بالمنع ، انقطع ولزم بيته خائفا ،

وأقام مقطعا من شهر رمضان إلى يوم النحر، فاستدناه جلال النبوة، فحضر خائفا فأدخله عليه وحده، وقال له: قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء، ألا وجأها وقربا منا وقد خالفتم فيها خالف دواي، ولم تفعل ذلك إلا لعدم المحابة منك وآتباع الحق، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجمعت إذنا الحاضرين إليك، ليتحققوا عودى إلى ما تحب. فشكره ودعا له وأذن لكل من حضر لتقديمه بالانصراف^(١).

(الشريف) من ألقاب العقتر والحناب، من حيث إنه يقال العقتر الشريف والحناب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه مختص بالأشراف أبناء فاطمة من علي رضي الله عنهما، وكأنه يريد في الألقاب المطلقة التي لا تلي المقتر والحناب وهو فعيل من الشرف وهو العلو والزنة، قال ابن السكيت: ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف بخلاف الحسب ومن هنا جعله الحناب أعلى رتبة من الكريم لأشتماله على قدر زائد لا يعتبر في الكريم من عمارة الأصل وشرف الحناب، والشريفة نسبة إليه للبالغة.

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علو قدره ورفقته.

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير، والشيخى نسبة إليه للبالغة.

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء. قال في "عرف التعريف": وهو مختص بأرباب الأنلام منهم دون أرباب البيوف. وهو في أصل اللغة أسم للصديق،

(١) أورد ابن الأثير هذه العبارة في تحفه الكامل (ج ٩ ص ١٧١).

وأول من نُقِبَ به من الوزراء كافي الكُفَاةَ إسماعيلُ بنُ عباد، وذلك أنه كان يصحب الأستاذَ ابنَ العميد، فكان يقال له بذلك «صاحبُ ابنِ العميد» ثم غلب عليه حتى استعمل فيه بالألف واللام، ثم صار لقباً على كل من ولي الوزارة بعده . على أن كُتِبَ الإنشاء بالمالك الشامية يلقبون العلماء من قضاة القضاة ومن في معناهم بذلك، وهم على ذلك إلى الآن ، بخلاف كُتِبَ الديار المصرية ، فإنهم يقصرونه على الوزراء دون غيرهم كما تقدمت الإشارةُ إليه . والصاحبي نسبةٌ إليه للبانة . وهو المستعمل عند كُتِبَ الإنشاء، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصلاح والصفوية يقال الشيخ الصالح ونحو ذلك . وهو مأخوذ من الصلاح ضد الفساد، ولم يستعملوه بأشياء ياء النسب فلم يقولوا الصالحين ، وكأنهم تركوا ذلك خوفاً من الالتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصدر) من ألقاب التجار ونحوهم . والمراد من يكون صدراً في المجلس؛ وصدراً كل شيء في اللغة أوله، وعبر عن صدر المجلس بأوله لأنه في الحقيقة أول المجلس وكل جانب من جانبيه يؤوله، والصدري نسبةٌ إليه للبانة .

حرف الطاء

(الظاهر) من ألقاب ملوك المغرب، والمراد المتتره عن الأندلس .

حرف الظاء

(الظهيرية) من ألقاب ياء أرباب الشيوف كأعيان الأمراء من نواب السلطنة وغيرهم ، وهو نسبةٌ إلى الظهير بمعنى العون للبانة، ومنه قوله تعالى :

(لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ولم يستعملوه مجزداً عن بابه النسب لاختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيف، وهو بغير الباء لا يقع إلا على الأدوان منهم .

حرف العين

(العائد) من ألقاب السوفية وأهل الصلاح . وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة . وربما استعمل في أرباب السيف والأقلام أيضاً : لاختصاص متصرف منهم بذلك أو وقوعه أولاً على متصرف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام ، حيث كُتب لبيد مر الحوارزمي في نيابته بذلك ، ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكافل على ما سيأتى ذكره في المكتوبات إن شاء الله تعالى .

(العادل) من ألقاب السلطان ، وهو خلاف الجائر ، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولاية الأمور : لأن العدل به تقع عمارة الممالك ، والعادى نسبة إليه للبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيف من الثواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح ، وهو خلاف الجاهل ، ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقدمها جهل والعلم لا يتقدمه جهل ، ولذلك لم يُطلق اسمُ العارف على الباري سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يُطلق عليه ، والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العاقد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو في أصل اللغة اسمٌ للمعين ، يقال عَصَدْتُهُ أَعْصَدْتُهُ إِذَا أَعْتَمْتَهُ .

(العالم) من ألقاب السلطان ، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العتساء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيماً ، إذ العلم كلُّ أحدٍ يزاحم على

الأنصاف به ، والعاملي نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالى) من الألقاب التي يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام ، ويوصف به المقام والمقر والحناب والمجاس في إحدى حالتيه ؛ وهو من العلاء بالمد وهو الشرف . يقال علي بكسر اللام يعلى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل في علي ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلو في المكان يقال فيه علا بفتح اللام يعلو علواً ؛ وسيأتي معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعنى في اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المجتهد في العمل المجتهد في العبادة ؛ والعاملي نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام كالعاملي .

(العريق) من ألقاب ذوي الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام ، والمراد من له عراقة في كرم الأصل ؛ والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزير) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزير» على ما سيأتي بيانه في المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه في الولد فقالوا الولد العزير ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب .

(العضد) من ألقاب أرباب السيوف ؛ وهو في الأصل اسمٌ للسعيد ؛ وهو ما بين المرقق والكتيف ، واستعمل في المعين والمساعد لقيامه في المساعدة مقام العضد الحقيقي من الإنسان ؛ ثم الأفصح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويجوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضاً وضم العين مع إسكان الضاد ؛ والعضدى نسبة إليه للبالغة .

(العَوْنُ) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظهيرُ على الأمرِ المعاونِ عليه . ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب لوقوع العَوْن على الواحد من أعوانِ صاحب الشرطة ونحوه .

(العلامة) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهري : وهو العالمُ للغاية ، وقُلْ أن يُستعملوه إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذف الهاء منه لغةً ، وليست بمستعملة بين الكتاب أصلاً ، والعلامة نسبة إلى العلام أو العلامة للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمعنى .

حرف الغين المعجمة

(الغازي) من ألقاب أرباب السيوف، وهو من الأسماء المتقوصة كالفاضي ونحوه، وقُلْ أن يُستعمل إلا في ألقاب السامي بغير ياء فإدونه .

(الغوث) بالياء المثلثة من ألقاب الصوفية، وهو عندهم لقب على القطب الذي هو رأس الأولياء، وأصله في اللغة من قول الرجل واغوثاه، وقُلْ أن تستعمله الكتاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغياتي) من ألقاب أرباب السيوف ، وأكثر ما يُستعمل في الملوك ، وهو في اللغة الأسم من استغاثني فأغثته ، وأصله الغواثي بالواو فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفتاح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفتح بمعنى النصر، والمراد فتح الأمصار وتملكها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأفلام ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، وربما وقع في ألقاب الكُتّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لقب القاضي الفاضل « عبد الرحيم البيهقي » الكاتب المشهور ، والفاضل نسبة إليه للبالغة .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعلٌ من الفوز بمعنى النجاة أو الظفر ، وقد يُسَاحَ في التلقب به فإن الفوز يطلق على الهلاك أيضا على ما هو مقرر في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجب اجتنابه لما فيه من الاشتراك بين الحمود والمذموم ، إلا أنه غلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الكُتّاب على استعماله .

(الفيء) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعلٍ من فَعَّه بضم الفاء إذا صار الفقه له سجيّة ، ككرم إذا صار الكرم له سجيّة . قال المسلي^(١) في «شرح مختصر ابن الحاجب» : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ، أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل الجاز . على أن الكُتّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهالة الكُتّاب وغيرهم يستصغرون التلقب به ويعُدونه نقصا ، وإنما يعظم به جدّ العظيم أهل المغرب ، والفيء نسبةٌ إليه للبالغة ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفریدی) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبةٌ إلى الفرید بمعنى المنفرد للبالغة ، والمراد المنفرد بما لم يُسَارِكْ فيه غيره ، ولم يستعملوه مجزئا عن ياء النسب .

(١) كذا بالاصول وادله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاضِي) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القاضي للبالغة ، ثم في الحقيقة كان يجب أن يختص بانقضاء الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم ، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل في غيرهم من ألقاب أرباب الأقاليم .

(القُدوة) بكسر القاف وضمة لغتها من ألقاب العلماء والصالحاء ، وهو بمعنى الأسوة . يقال : فلان قُدوة يُقتدى به ، والقُدوي نسبة إليه للبالغة ، وحذفت منه تاء التانيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة ، وكثيراً من جهلة الكتاب يُثبتون فيه تاء التانيث مع النسب فيقولون القُدوي ، وهو خطأ كما تقدم في الكلام على المحجة في حرف الهاء .

(القَضَائِي) من الألقاب التي يستعملها بعض الكتاب في القاف من أجمع له رئاسة السيف والقلم ، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيهاً بمذهب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعاً فيقول في النسبة إلى عبد شمس عَيْشِي ، وإلى عبد الدار عَدْرِي ، ونحو ذلك ، وهو مذهب مرجوح على ما تقدم بيانه في المقالة الأولى في الكلام على النحو ، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على انفراده ، فيقال القَضَائِي الأَمِيرِي ، أو الأَمِيرِي القَضَائِي ، وعلى العمل به فاللائق بعلو الرتبة أن يقال القاضِي الأَمِيرِي ليكون مرتباً من القاضِي والأَمِيرِي ، إذ كان القاضِي في المعنى أبلغ من القَضَائِي لما في القاضِي من البالغة على ما تقدم بيانه .

(القَضَائِي) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القضاء فلا بالغة فيه .

(القُطْب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو عندهم عبارة عن رأس الأولياء الذي عليه مدارهم كما تقدم في الثوث ، وقيل أن يستعمله الحجاب

ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كَوْتُبٌ بين الجَدَى والْفَرَقَدَيْنِ يدور عليه الفلّك فيما قاله الجوهري . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكَوْتُبِ على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيد القوم الذي عليه مدار أمرهم قُطْبُ بنى فُلَانٍ ، وَمِنْ هُنَا تَبَرَّأَ عَنْ مَدَارِ الْأَوْلِيَاءِ بِالْقُطْبِ . وَقُلَّ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْكُتَّابُ ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه .

(المقوامي) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبة إلى القوام وهو العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

حرف الكاف

(الكافل) من الألقاب المختصة بنايب السلطنة بالخصرة ، يقال فيه النائب الكافل ونحو ذلك ، والكافل في اللغة الذي يكفل الإنسان ويعوله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وتنب بذلك لأنه يكفل الرعية ويعولهم ، والكافل نسبة إليه للبالغة . قال في "عمرق التعريف" : وهو مختص بنايب سلطان أو وزير كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكبير) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل لخلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الرتبة ، والكبير نسبة إليه للبالغة .

(الكريم) من ألقاب المقرّ والجنّاب ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام ، والكريم خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال : الكرم نقيض اللؤم ، وحينئذ فيكون المراد بالكريم الخالص من اللؤم ، ومن ثم جعل دون الشريف

في الرتبة، إذ في الشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رفعة القدر، بل اعتبار ذلك في آبائه أيضا كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبية فعمله بعضهم على الصحبة النسب احتراماً بذلك عن بنت الرنا، وحمله آخرون على العرافة في النسب، والأقول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللوم، والشأن بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد؛ ثم هو فعيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سجيحة كما تقدم في النقيه .

(الكفيلي) من ألقاب أكابر ثواب السلطنة، وهو أدنى من الكافل، لأن صيغة قبيل أبلغ من صيغة فاعيل على ما هو مقرّر في علم النحو والتصريف .

حرف اللام

(الليبي) من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو فعيل من اللب وهو العتل؛ والليبي نسبة إليه للباغة .

(اللودعي) بالذال المعجمة من ألقاب أرباب الأقاليم، وهو الذكي القتب .

حرف الميم

(الماجدي) من ألقاب أرباب الأقاليم غالباً، وربما أطلق على غيرهم، وهو مخص بذوى الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء، والماجدي نسبة إليه للباغة .

(المالكي) من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيف والأقاليم . قال في "معرف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحمد، وهو نسبة إلى المالك الذي هو خلاف الملوك للباغة، ولم يستعملوه مجرداً عن باء النسب .

(الْمُتَاغِرُ) بالناء المثلثة من ألقاب السلطان، والمراد القائم بسد الثغور : وهى البلاد التى فى نحر العدو، أخذًا من الثغر وهو السن، لأنه كاسباب على الخلق الذى يمتنع الوصول إليه إلا منه، والمتاغرى نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كقُتُوب السلطنة ونحوهم .

(الْمُتَصَرِّفُ) من ألقاب الوزراء ومَنْ فى معانهم ، والمراد مَنْ ينفذ تصرفه فى الأمور، ولم يستعملوه مجزداً عن بابه النسب .

(المُجَاهِدُ) من الألقاب السلطانية ، والمراد المجاهد فى سبيل الله تعالى، وربما استعمل فى ألقاب السامى من غير بابه فأدونه كما تقدم فى الغازى ، والمجاهدى نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كقُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المُجْتَهِدُ) من ألقاب العلماء ، والمراد به فى الأصل مَنْ يَسْتَنْبِط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وقيل أن يستعمله الكتاب ، والمجتهدى نسبة إليه للبالغة . وأكثر استعماله كذلك .

(المُحْتَرَمُ) من ألقاب العامة ممن يلقب بالصدر الأجل . فيقال : «الصدر الأجل الكبير المحترم» ونحو ذلك .

(المُحَقِّقُ) من ألقاب العلماء ، وربما استعمل فى ألقاب الصوفية، والمراد أنه يأتى بالأشياء على حقائقها لحدة ذهنه وصحة حديثه ، والمحققى نسبة إليه للبالغة .

(المُخْتَارُ) من ألقاب أرباب السيوف غالباً ، ويختص بالسامى بنير بابه فما أدونه ، وهو اسم مفعول من الاختيار ، بمعنى أن الملوك وأرباب الأمور يختارونه ، على أن اسم الفاعل منه أيضاً المختار كلفظ المفعول على السواء وإنما تُرشد إليه القرائن .

(المخدوم) من الألقاب المختصة بالمكاتب، والمراد من هو في رتبة أن يكون مخدوماً لعلو رتبته وسُمِّيَ مَحَلَّةً ، والمخدومي نسبةً إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد .

(المدبري) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم ككُتَّاب السرِّ ونحوهم ، وهو نسبة إلى المدبر بكسر الباء الموحدة : وهو الذي ينظر في الأمر وما تقول إليه عاقبته ، ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(المدقق) من ألقاب العلماء ، وهو الذي ينعم النظر في المسائل ويدققه ، والمدقق نسبةً إليه للبالغة .

(المرايط) من الألقاب السلطانية ، وهو مقابِل من الرباط : وهو ملازمة تفر العدو ، والمرايطي نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، ككُتَّاب السلطنة ونحوهم .

(المريني) من ألقاب الصوفية ، والمراد من ربي المرينين ويسلكهم ويعرفهم الطريق إلى الله تعالى .

(المرتضى) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ، ويختص بالسامى بغير ياء فإدونه ، والمراد من رضاه ولأه الأمور ويختارونه .

(المرشد) من ألقاب ملوك المغرب ، وربما استعمل في ألقاب الصوفية ، والمراد من يرشد الناس إلى الحق ويهديهم السبيل ، والمرشدي نسبةً إليه للبالغة .

(المستدي) من ألقاب أرباب السيوف وألقاب الوزراء ومن في معانهم ، وهو بفتح الدال المشددة نسبةً إلى المسدد ، وهو اسم مفعول من السداد بالفتح : وهو

الصواب والقصد من القول والعمل . ويجوز أن يكون بالكسر على أنه اسم فاعل منه بمعنى أنه يُسَدَّد غيره ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب .

(المسلك) بتشديد اللام المكسورة من ألقاب الصوفية ، وهو اسم فاعل من تسليك الطريق وهو تعريفيها ، والمراد تعريف المريدين الطريق إلى الله تعالى ، وأصل التسليك إدخال الشيء في الشيء ، ومنه قيل للتخييط سلك ، لقب بذلك لإدخاله المريدين في الطريق ، والمسلك نسبة إليه للبالغة .

(المشيدى) بتشديد الياء المكسورة من ألقاب كبار أرباب السيوف ، كقواب السلطنة ونحوهم ، وهو نسبة إلى المشيد فاعل من التشيد وهو رفع البناء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَصِّرْ مِشِيدِي ﴾ أى صرّفع ، والمراد أنه يتّيد قواعد المملكة ويرفعها ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب إذ لا يليق بالأذنين .

(المشيرى) من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء ومن ضاهاهم ممن يؤخذ رأيه في الأمور . قال في "عرف التعريف" : ولا يُسَمَّحُ به لأحد من أرباب السيوف ما لم يكن مقدّم ألف ، وهو نسبة إلى المشير ، وهو الذى يؤخذ رأيه . وأختلف في أصله المأخوذ منه فقيل : من شُرْتُ العسل إذا استخرجته من كؤارة النحل ، لأن الرأى يُستخرج من المشير . وقيل من شُرْتُ الناقة إذا عرضتها على الحوض لأن المشير يعرض ما عنده على المشير ، ولم يستعملوه مجرداً عن ياء النسب لانتحاطه عن رتبة الأكارب .

(المظاهرة) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه المعاوين أخذاً من المظاهرة : وهى المعاونة .

(المظفر) من الألقاب السلطانية ، أخذاً من الظفر وهو النصر ، والمظفرى نسبة إليه للبالغة ، وهو من ألقاب كبار أرباب السيوف .

(المُعْرَق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرَقَ في الكَرَم . على أن المُعْرِقَ قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِقِ في اللُّوم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُجْتَنَب في التلقيب .

(المُعَزِّز) بزايين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو أَسْمُ مَفْعُول من العَزَّ خلاف الدَّلَّ، ومنه قراءة من قرأ (ويعزروه ويوقروه) بزايين معجمتين .

(المُعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو أَسْمُ مَفْعُول من العَظْمَة وهي الجلالة، وربما أَسْتَعْمَلَ في ألقاب بعض ملوك الكُفْر على ما سياتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(المُعْجَم) بفتح الجاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من الفَخَامَة وهي الضخامة .

(المُعْفَوَة) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلغَاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البليغ اللسن، والمُعْفَوِيّ نسبة إليه للباغة .

(المُعْفِيْد) من ألقاب العلماء، وهو أَسْمُ فاعِلٍ من الإفاضة وهي إنالة الشخص مالم يكن حاصلًا عنده، والمُعْفِيْدِيّ نسبة إليه للباغة .

(المُقَدَّمِيّ) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدمي الأتوف من الأمراء، والمراد أنه مُقَدَّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد، ولم يستعملوه مجزئا عن بابه النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخَوَاجِكَةِ، والمراد أنه مقربٌ عند الملوك وَمَنْ في معنهم ، وهو من القُرْب خلاف البُعد ، والمقربى نسبة إليه للباغية .

(المُكْرَم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من الكرامة .

(المَلِكِي) بفتح اللام من ألقاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء وَمَنْ في معنهم ، وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإِنَّمَا فُتِحَتْ لَامُهُ في النسب جَرِيًّا عَلَى قَاعِدَةِ النَسَبِ في تَمَرٍ فَإِنَّهُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ تَمَرِيٌّ بفتح الميم على ما هو مقررٌ في علم النحو . على أن كثيرا من كُتَّابِ الزمان يغلطون فيه فيكسرون لامة في النسب أيضا وهو خطأ . ثم النسبة إن كانت في حق المَلِك تَحْسِبُهُ كَقَوْلِهِمْ في ألقاب المَلِكِ المَلِكِي ، فالتسبة فيه للباغية ، وإن كانت في حق أحدٍ من أتباعه كَقَوْلِهِمْ في حق بعض الأمراء ونحوهم المَلِكِي الغلاني فالتسبة فيه على حقيقة النسب .

(المُعْجَد) بفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من التجدد وهو الشرف . وقد تقدم في الكلام على الماسجد بن ابن السكيت أنه يكون المعجَد للرجل وإن لم يتقدمه شرف آباء .

(المُهْدِي) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المَهْد : وهو الذي يمهّد الممالك ويُدَوِّخُهَا ، والنسبة فيه للباغية ، ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب .

(١) المنقول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن المعجَد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف نفسه هذا المعنى في غير هذا الموضع فكتبه .

(الْمُنْتَخَبُ) من ألقاب التجار الخَوَاجِكِيَّةِ : وهو المختار ؛ والمنتخَى نسبة إليه للبالغة .

(الْمُنْتَدِي) بكسر الفاء المشددة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معانهم نسبة إلى المنْتَد : وهو الذى له معرفة بتنفيذ الأمور ووضْع الأشياء في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(الْمُنْتَصِفِيُّ) من ألقاب الوزراء وولاة الأمور نسبة إلى الْمُتَصِف : وهو الذى يُنْصَف المظلوم من الظالم ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .
(الْمُنْصُورُ) من الألقاب السلطانية ، يقال منه «المؤيد المنصور» ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصوري نسبة إليه للبالغة ؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .

(المُؤْتَمَنُ) من ألقاب الخُدَّام والتجار الخَوَاجِكِيَّةِ ، والمراد أن الخُدَّام يُؤْتَمَنُونَ على الحرم والممالك في الحضر ، والتجار يُؤْتَمَنُونَ على المالك والحوارى في السفر ، أو يُؤْتَمَنُونَ على أخبار الممالك وأحوالها ، فلا يُخبرون عن مملكة بمملكة أخرى إلا بما فيه السداد .

(المَوْلَى) من ألقاب الكُتَّاب ، وأكثر ما يجرى ذلك في تعيين كاتب السر ونحوه . فيقال : «المولى فلان الدين» والمراد هنا السيد ، والمولوى نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام . قال في «عُرف التعريف» : ولا يُكْتَب به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظٌ مشترك يقع في اللغة على السيد كما تقدم ويعبر عنه بالمولى من أعلى ؛ ويقع على المملوك والعتيق ويعبر عنه بالمولى من أسفل ؛ ويقع على المنتظم إلى القبيلة من غير أنفسهم ، كما يقال في الإمام

لِلْبَحَارِيَّةِ « الْجُعْمِيَّةُ مَوْلَاهُمْ » بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صُلْبِ الْقَبِيلَةِ ؛ وَيُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَيْضًا . وَإِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْوَلِيِّ مِنْ أَعْلَى وَالْوَلِيِّ مِنْ أَسْفَلِ فَكَانَ الْأَحْسَنُ الْإِضْرَابَ عَنْهُ .

(المؤيد) بفتح الياء المشددة من الألقاب السلطانية، وبالكسر من ألقاب السامية بالياء فأدونه، والمراد أنه يؤيد الملك وينصره، وكلاهما مأخوذ من الأيد وهو القوة، والمراد أن الله تعالى يؤيده ويُدويه، ومنه قولهم في الدعاء: «أيد الله تعالى» أى قواه؛ والمؤيدى بالفتح من الألقاب الملوكية نسبةً إلى المؤيد بالفتح للباغية؛ وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبةً إلى المؤيد بالكسر للباغية.

(الملاذى) بالذال المعجمة من ألقاب الوزراء ومن في معانهم من ولاة الأور، وهو منسوب إلى الملاذ بمعنى الملجأ نسبةً مبالغة؛ ولم يستعملوه مجردا عن باء النسب.

حرف النون

(الناسك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، ومعناه العابد أخذًا من النُسك وهو العبادة؛ والناسك نسبةً إليه للباغية. وهو من ألقاب الصلحاء أيضا، وربما كُتِبَ به لأرباب السيوف والأقلام إذا كان فيهم من يُنسب إلى الصلاح.

(النوى) من ألقاب ديوان الخلافة وما في معناه من متعلقاتها، يقال فيه: «الديوان العزيز النوى» ونحو ذلك. ويقع أيضا في ألقاب ولاة الهدم بالخلافة؛ وربما وقع في ألقاب الأشراف. وهو نسبة إلى النبوة لانتساب الخلافة العباسية إلى العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وانتساب الأشراف إلى أخته فاطمة رضي الله عنها.

(النسيب) من ألقاب الشرفاء أبناء فاطمة من علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، والمراد العريق في النسب؛ لقبوا بذلك لأنهم أعرق الناس نسبا، لأنسابهم إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نسبة أولاد بناته إليه بخلاف غيره، علي ما هو مقرر في كتب الفقه. وقد أوضحت ذلك في كتابي المسمى «القبوت الطوامع»، في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع، في أوائل النكاح، والنسيب، نسبة إليه للبالغة.

(النصير) من ألقاب أرباب السيوف لاجلس السامى بالياء فن دوته. وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه، لأن صيغة قبيل أبلغ من صيغة فاعل على ما تقدم؛ والنصيرى نسبة إليه للبالغة في نصره.

(النظامين) من ألقاب الوزراء، ومن في معناتهم، وهو نسبة إلى النظام وهو صورة الاجتماع والائتلاف، ومنه نظم اللؤلؤ وغيره، والمراد أنه يكون به انتظام الأمور وألتأمها، وحينئذ يكون النسب فيه على حقيقته، لأنه نسبة إلى غير صاحب اللقب؛ ويجوز أن تكون النسبة فيه للبالغة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل عن النظام مجوزا، ولم يستعملوه مجزدا عن ياء النسب.

(النوين) بضم النون وفتح الواو وسكون الياء المشناة تحت ونون في الآخر من ألقاب كُفَّال الممالك بالملك القانية: كاتب السلطنة، وأمراء الأوس، والوزير وبحوم فيما كان عليه مملكة إيران إلى آخر مملكة أبي سعيد، والنويني نسبة إليه للبالغة. قال في «التتيف»: وهو بمثابة الكافلي في ألقاب التواب. قال: وهو نعمت يستعمل دائما لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافلي أصلا.

(١) أى أطلق عليه النظام.

حرف الهاء

(الهُمام) من ألقاب أرباب السُّيوف ، والمراد الشُّجاع ، والمُعَامِي نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوالدي) من ألقاب المُسنِّين من الأكابر ، وهو نسبة إلى الوالد . وكأنه جعله والدًا له فتكون النسبة إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قصد بذلك الوالد حقيقة ، وأكثر ما يقع هذا اللقب في المكتبات .

(الورع) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصلاح ، وربما لُقِّب به أربابُ السُّيوف والأقلام أيضا إذا آتصفوا بذلك ، والمراد من يتتره عن الوقوع في الشُّبهات . وهو في اللغة التقي ، يقال منه ورع ورع بكسر الراء فيهما ورعا فهو ورع ، والورعي نسبة إليه للبالغة .

(الوزيري) من الألقاب الخاصة بالوزراء من أرباب السُّيوف والأقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تقدم معناه وأشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الوالدي) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولداً له ، وربما وقع على الولد حقيقة ، وأكثر ما يقع في المكتبات كما تقدم في الوالدي .

(١) في الاصل نسب وهو تصحيف ظاهر .

حرف اللام ألف

(الأمعي) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهري : ومعناه الذكي المتوقد .

حرف الياء

(اليميني) من ألقاب الدوادار وكتاب السر والحاجب . قال في "عرف التعريف" ولا يقال لغيرهم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه بين السلطان الذي يتناول به الأشياء ، وإلا فجلس كاتب السر بدار العدل عن يسار السلطان ، والدوادار والحاجب قائمان أمامه .

الضرب الثاني

(المركبة المعبّر عنها في اصطلاح الكتّاب بالتعوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(أتابك العساكر) من تعوت الأمير الأتابك ومن في معناه كالنائب الكافل ومن في رتبته . وذكر في "عرف التعريف" أنه مما يختص بالنائب الكافل . وقد تقدم ذكر معنى الأتابك في الكلام على الألقاب الأصول ، والعساكر جمع عسكر وهو الجيش .

(إسكندر الزمان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليوناني ، وهو الذي يؤرخ بظهوره على الفرس وغلبته إياهم على ماسياتي في الكلام على التاريخ في أواخر هذه المقالة .

كَانَ مَلِكًا عَظِيمًا مَلِكَ الشَّامِ، وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسَّنْدَ، وَالهِندَ،
وَبِلَادَ الصِّينِ، وَالْتَّبَّتْ، وَخِرَاسَانَ، وَبِلَادَ التُّرْكِ، وَذَلَّتْ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ، وَهَادَاهُ أَهْلُ
الْقَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانَ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْبَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْبَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَانْدَرِ بَزْمَنٍ طَوِيلٍ .

(أَثِيرُ الْإِمَامِ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ الأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَثِيرٌ بِمَعْنَى مَأْتُورٌ، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤَثِّرُهُ عَلَى غَيْرِهِ فَيَقْدِمُهُ عَلَيْهِ .

(أَعْتَضَادُ صَنَائِدِ الزَّمَانِ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ. وَالْأَعْتَضَادُ الْإِسْتِعَانَةُ، يُقَالُ: أَعْتَضَدْتُ بِفُلَانٍ إِذَا أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ، وَالصَّنَائِدُ
جَمْعُ صَنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(أَكْرَمُ مُجَبَّاهِ الْأَبْنَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ الرُّؤَسَاءِ مِنْ أربَابِ الأَقْلَامِ، وَأَكْرَمُ
أَفْعَلُ التَّنْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ اللَّؤْمِ، وَالشُّجْبَاءُ جَمْعُ شَجِيبٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ .
(أَجْمَلُ الْبُلْغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ أربَابِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(الذَّابُّ عَنِ حَوْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِفَرْضِ الْجِهَادِ. وَالذَّابُّ الدَّافِعُ، وَالْحَوْزَةُ بَفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالزَّيْ
الْمَعْجَمَةُ النَّاحِيَةُ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَالِحِ الْمَسَامِينِ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ. ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتُبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ تُونِسَ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

(المجاهدُ عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى مُلوك آل ساسان ، وبقايا فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الأعاجم .
 وقد ذكره في " التعريف " في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 الماسي للأثر ، يقال عَفَّتْ الرِّيحُ كَذَا بالتشديد إذا درسته ومحت أثره ، وشُدَّ للبالغة .
 وآل ساسان ملوك الأكسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وانتزع الملك من أيديهم ، يُنسبون إلى جدتهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كبيستاسف من ملوك الطبقة الثانية
 فيهم ، على ما سياتي بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران ، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفراسياب بفاء في أوله ثم سين مهملة بعدها ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك ، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس ، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون ، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس ، وإن ابن عمه منوشهر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم ، وآتته به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بجاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كسرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه " الأوائل " حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(العواقف المقدسة) من ألقاب الخلفاء في مخاطبتهم في المكتبات ونحوها ،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة ، كُنِيَ بها عن الخليفة تنويها عن التصريح
 بذكره ، والمقدسة المطهرة ، والمراد طهارتها عن الأذناس المعنوية .

(إمام الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمام الأئمة في العالمين» .

(إمام البعثة) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتّاب ومن في معانهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أُلتيق لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سُمي بذلك لأنه لما وقع القولُ بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع كثر الكلام والخوض في ذلك فأُطلق على أصول الدين علم الكلام وبقي علماً عليه .

(أُوحدُ الأشراف) من ألقاب الشرفاء ، وربما قيل «أُوحدُ الأشراف في العالمين»

أو «أُوحدُ الأشرافِ الظاهرين» أو «أُوحدُ الأشرافِ المساجدين» ونحو ذلك .

(أُوحدُ الأصحاب) من ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معانهم ككاتب السر ونحوه وإن كان الصاحبُ يختصُّ بالوزير في عُرف [كُتّاب الديار المصرية^(١)] على ما تقدم .

(أُوحدُ الأكابر) من ألقاب التجار الخوارجية ، وربما كُتِب به لغيرهم من

الرؤساء ، وربما قيل «أُوحدُ الأكابر في العالمين» .

(أُوحدُ الأمة) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على غيرهم .

(أُوحدُ الأئمة في العالمين) من ألقاب الكُتّاب ، والأئمة جمع أميين وهو

خلاف الخائن .

(أُوحدُ الأئمة العلماء في العالمين) من ألقاب العلماء ، وربما اقتصر على أُوحد

العلماء .

(١) يياض بالأصول والتصحيح من لقب الصاحب المتقدم في الألقاب المفردة .

(أوحد البُلغَاء) من ألقاب أرباب الأَقلام، وربما قيل «أوحد البُلغَاء في العالمين» ونحو ذلك والبُلغَاء جمعُ بَلِيغ وقد تقدّم معناه .

(أوحد الرُؤسَاء) وربما قيل «أوحد الرُؤسَاء في العالمين» أو «أوحد الرُؤسَاء في الأَنَام» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أوحد الحُفَظَاء) من ألقاب المَحَدِّثِينَ، وربما قيل «أوحد الحُفَظَاء في العالمين» ونحو ذلك .

(أوحد الخُطَبَاء في العالمين) من ألقاب الخُطَبَاء .

(أوحد العلماء الأَعْلَام) من ألقاب العلماء، وربما قيل «أوحد العلماء في العالمين» .

(أوحد الفُضَلَاء) من ألقاب العلماء، وربما أُسْتَعْمِلَ في غيرهم من أرباب الأَقلام، وربما قيل «أوحد الفُضَلَاء المُفِيدِينَ» أو «أوحد الفُضَلَاءِ العَارِفِينَ» ونحو ذلك .

(أوحد الكُتُبَاء) من ألقاب التُّجَّار الخَوَاجِكِيَّة، ويموز أن يُسْتَعْمَلَ في غيرهم .

(أوحد الكُتَّاب) من ألقاب الكُتَّاب سواء كُتَّاب الإِنْسَاء وغيرهم .

(أوحد المتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاء وَمَنْ في معناهم .

(أوحد المُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السُّيُوف .

(أوحد المحقِّقِينَ) من ألقاب العلماء .

(أوحد المتكلمين) من ألقاب العلماء، وهو بعلماء المَعْقُول أَنَسَبُ .

(أوحد المُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء .

(أوحد المُلُوكِ والسلاطين) من الألقاب السلطانية .

(أوحد الوُعَظَاء) من ألقاب أهل التذكير والوَعَظ .

(أَوْحُدُ الْوَقْتُ) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وربما قيل « أَوْحُدُ الْوَقْتُ وَالْأَوَانُ » والوقت معروف ، والأوَانُ الحِينُ ، ويجمع على لَوَانَةٍ مثل زَمَانٍ وَأُزْمَنَةٍ .

حرف الباء

(بَرَكََةُ الْأَنَامِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسْتَعْمَلُ للعلماء أيضا .

(بَرَكََةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا ، وقد يقال « بَرَكََةُ الدَّوْلَةِ » على الجمع ، وربما كُتِبَ به لأرباب الأقاليم من العلماء وغيرهم . والمرادُ بالدولة المملكة القائمة ، وأصلها من الدَّوْلَةِ في الحرب وهي النَّصْرُ والغَلْبَةُ .

(بَرَكََةُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسْتَعْمَلُ لأهل العلم أيضا .

(بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب بقايا البيوتِ الرئسيةِ من أهل الأقاليم وغيرهم ، وربما قيل « بَقِيَّةُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ » .

(بَقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأشراف ، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزيدية باليمن .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصُّلَحَاءِ ، وربما قيل « بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ » أو « بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكِرَامِ » والمرادُ بالسَّلَفِ الآباءُ الْمُتَقَدِّمُونَ ، أخذًا من قولهم سَلَفَ إِذَا مَضَى ، وربما أُطْلِقَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف ، وقد يقال فيه بَقِيَّةُ السَّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ الرَّيْثِيَّةِ ، وربما أُطْلِقَ عَلَى غيرهم . وبذلك يُكْتَبُ لصاحبِ نُؤْسِ الْأَدْعَاءِ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسَّلَالَةُ فِي الْأَصْلِ مَا اسْتُلِّ مِنَ الشَّيْءِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا النُّطْفَةُ لِأَنَّهَا مُسْتَلَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(بقية الملوك والسلاطين) من ألقاب من له سلف في الملك، كصاحب حصن
كيفا من بقايا الملوك الأيوبية .

(بقية الأصحاب) من ألقاب الوزراء أرباب الأقاليم ومن في معانهم .

(بقية شجرة الفخار) من ألقاب ذوي الأصالة العربيين في النسب، وبه يكتب
لابن الأحمر صاحب الأندلس .

(بهاء الأعيان) من ألقاب أرباب الأقاليم، والبهاء الحسن، والأعيان جمع عين
تجمع على أعين وعيون وأعيان، والمراد هنا الخيار، إذ عين كل شيء خياره .

(بهاء الأنام) من ألقاب أرباب السيوف غالباً، وربما أطلق على غيرهم؛
والأنام الخلق .

(بهاء العصابة العلوية) من ألقاب الأشراف، وبه يكتب لأميرى مكة والمدينة
المشرفين، والعصابة بالكسر الجماعة من الناس وتجمع على عصاب . والعلوية
نسبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

حرف التاء المثناة من فوق

(تاج العلماء والحكام) من ألقاب القضاة، والتاج ما يوضع على الرأس
وهو معروف .

(تاج الأمان) من ألقاب التجار النجواجكية، ويصلح لكاتب الأموال أيضاً .

(تاج المتصرفين) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم .

(تاج الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقاليم . ورأيت في بعض الدساتير الشامية
« تاج الفضلاء المنشئين » وهو مناسب لمن هو في أول نشأته وأبتداء رياسته،
وحدانته سنة .

(تاجِ المِثْلَةِ) من الألقاب التي يَشْتَرِكُ فيها أربابُ الأقلامِ والسيوفِ والأقلامِ جميعاً .
والمِثْلَةُ في أصلِ اللغةِ الدينُ والشريعةُ ، والمرادُ هنا مِثْلَةُ الإسلامِ ، والألفُ واللامُ فيها
للعهدِ الذَّهْنِيّ .

حرف التاء المثلثة

(نِقْمَةُ السُّوْلِ) من ألقابِ التُّجَّارِ الخَوَاجِكِيَّةِ ، وربما قيل « نِقْمَةُ الدَّوْلَتَيْنِ » والنِّقْمَةُ
في اللغةِ الأَمِينُ وخصَّ ذلكَ بالتُّجَّارِ لتردِّدِهم في المَعَالِكِ ، ويحسُنُ أن يلقَّبَ به
المتردِّدون في الرسائلِ بين المُلُوكِ .

حرف الجيم

(جامعُ كَلِمَةِ الإِيْمَانِ) من الألقابِ السلطانيةِ .

(جامعُ طُرُقِ الوَاصِفِينَ) من ألقابِ الصُّوفِيَّةِ وأهلِ الصَّلَاحِ ، وربما قيل
« جامعُ الطُّرُقِ » ويصلحُ أن يكونَ من ألقابِ العلماءِ أيضاً .

(جمالُ الإسلامِ) من ألقابِ العلماءِ ، وربما قيل جمالُ الأكابرِ من ألقابِ التُّجَّارِ
الخَوَاجِكِيَّةِ ، وقد يستعملُ لأربابِ الأقلامِ ، والجمالُ في اللغةِ الحُسْنُ .

(جمالُ الذَّرِّيَّةِ) والمرادُ ذُرِّيَّةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لأنَّ الذَّرِّيَّةَ تشملُ أولادَ
البناتِ ، وقد عدَّ اللهُ تعالى عيسى عليه السلام [من ذُرِّيَّةِ إبراهيم عليه السلام]^(١)
وهو ابنُ بنته .

(جمالُ الصُّدُورِ) من ألقابِ أربابِ الأقلامِ ، والصُّدُورُ جمعُ صَدْرٍ ، والمرادُ
صُدُورُ المَجَالِسِ .

(١) الزيادة لتسمي الكلام وسقوطها سهو من الناسخ .

- (جمال الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمال الأئمة العارفين» .
- (جمال البارعين) من ألقاب أرباب الأقاليم، والبارعين جمع بارع وهو الناهض .
- (جمال البلغاء) من ألقاب كُتّاب الإنشاء ونحوهم .
- (جمال الطائفة الهاشمية) من ألقاب الشرفاء، والطائفة في أصل اللغة اسم للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتطلق على الواحد فما فوقه ، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء أيضا، وربما اقتصر على جمال العترة فقط . وعترة الرجل نسله وأهله الأذنون، والمراد عترة النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العصابة الفاطمية) من ألقاب الشرفاء أيضا، والعصابة بفتح العين والصاد واحدة العصابات ، وهي في أصل اللغة البنون والقراية للآب . قال الجوهري : سموا عصابة لأنهم عصبوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : فالأم طرفة، والآب طرف ، والم جانب ، والأخ جانيب . والمراد هنا أبناء فاطمة رضي الله عنها وهم أحد أفراد العصابة . ولا يجوز أن يقال العصابة بضم العين وإسكان الصاد : لأن المراد بذلك الرجال ما بين العشرة والأربعين كما قاله الجوهري . وبنو فاطمة رضي الله عنها فد أربوا عن العدد في الشرق والغرب .
- (جمال العلماء) من ألقاب أهل العلم .
- (جمال الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقاليم من العلماء والكتّاب، وربما قيل «جمال الفضلاء المقيدين» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .
- (جمال الكتّاب) من ألقاب كتّاب الإنشاء وغيرهم من الكتّاب .
- (جمال المملكة) من ألقاب الكتّاب .

(جَمَّالُ الْوَرَعِينَ) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلَاح .

(جمالُ أهل الإقناء) من ألقاب أكابر العلماء .

(جَلالُ الإسلام) من ألقاب أرباب الأعلام، ويضلع أن يكون لقباً لبعض

الملوك، وبه يُكْتَبُ لإمام الزَيْدِيَّةِ باليمن، وربما قيل «جَلالُ الإسلام والمسلمين» .

(جَلالُ الأنصحاب) من ألقاب الوُزراءِ ومَنْ في معناهم .

(جَلالُ الأكابر) من ألقاب أرباب الأعلام، وبه يُكْتَبُ لناظر الخالص .

(جَلالُ الحُكَّام) من ألقاب أكابر القضاة، والجَلالُ في اللغة العَظْمَة .

(جَلالُ العِترَةِ الطاهِرةِ) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَبُ لأميرِ مَكَّةَ والمدِينةِ

المشرفين .

(جَلالُ العلماءِ في العالمين) من ألقاب أهل العلم، وربما قيل «جلال العلماء

العالمين» ونحو ذلك .

(جَلالُ الكُبراءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام .

(جلالُ الأُسرةِ الزاهِرةِ) من ألقاب الأشراف . والأُسرةُ بضم الهمزة الرَّحطُ،

والمراد رَحطُ بنى هاشِمٍ، والزاهِرةُ المُضَيِّئةُ، وبه سُمِّيَ الكَوَكبُ المعروفُ بِالزُهْرَةِ .

(جَهيدُ الحُدَّاقِ) من ألقاب الكُتَّابِ، وربما قيل «جَهيدُ الحُدَّاقِ المنتَصِرينَ»

والجَهيدُ بفتح الجيم وإسكان الهاء وفتح الموحدة النَّقَادُ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، ولذلك

يقال للصيرفي جَهيدٌ، والمراد هنا أنه يَنْقُدُ الأمورَ فيستخرج جَيِّدَها من رديها كما

يفعل الصيرفي .

(١) ضبط في القاموس الفيروزبازي بالكسر ثم قال شارحه كورج .

حرف الحاء المهملة

(حائِمُ الحُكَّامِ) من ألقاب قُضاة القضاة .

(حائِمُ أمورِ ولاةِ الزمانِ) من ألقاب أرباب السُّيوفِ ، وربما كُتِبَ به بعض الملوك .

(حافِظُ الأسرارِ) من ألقاب كتّابِ السرِّ .

(حُجَّةُ الأُمَّةِ) من ألقاب قُضاة القضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البرهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمرادُ هنا أُمَّة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى أنه تقوم به الحجة لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الأئمةِ) من ألقاب أكابر العلماء ، والأئمةُ جمع إمام ، وقد تقدم أنه الذي يقتدى به .

(حُجَّةُ البُلغَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو بالكُتُبِ أمْسٌ .

(حُجَّةُ العَرَبِ) من ألقاب النحاة واللغويين ومن في معانهم ، كأنهم يَحْتَجُّونَ به لِقَتِّهِمْ .

(حُجَّةُ المَذاهِبِ) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ المَذَهَبِ » إذا أُريدَ مَذَهَبُهُ خاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ المُفتينِ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالمُفتين من هم أهلُ الفتوى في الأحكام الشرعية .

(حِرْزُ الْإِمَامِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ حَفَظَةِ الْأَمْوَالِ . وَالْحِرْزُ فِي اللُّغَةِ الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ ، وَالْمُرَادُ بِالْإِمَامِ السُّلْطَانُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب السيوف كقُتُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنُحُومِ . وَالْحُسَامُ مِنْ أَسْمَاءِ السُّيُوفِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ أَخْذًا مِنَ الْحَسْمِ وَهُوَ انْقِطَعُ .

(حَسَنَةُ الْأَيَّامِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَالْحَسَنَةُ خِلَافُ السُّيُوفِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَيَّامَ أَحْسَنَتْ بِالْإِمْتِنَانِ بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي «شَهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ» فِي بَعْضِ دَسَائِرِهِ أَنَّهُ يَصْلِحُ لِكُلِّ مَنْ لَهُ سَلْفٌ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ بَعِيدُ الْمَأْخِذِ .

(حَكْمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ) من ألقاب قُضَاةِ الْقُضَاةِ ، وَالْحَكْمُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ) من الألقاب السلطانية، والمراد حرم مكة المشرفة، والمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام .

(خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء، والخالصة في اللغة بمعنى الخالصة . يقال هذا لي خالصة يعني خاصة . ومنه قوله تعالى : (خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) وَعَلَيْهِ [حمل] قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُورَى بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) .

(خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام . قال في "عُرف التعريف" : وهو في حق من لم يكن حاكمًا في مقام حكم الملوك والسلاطين لمن هو حاكم .

(خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام .

(خالصة الإمام) من ألقاب الصوفية، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خالصة سلف الأنصار) من الألقاب التي يكتب بها لابن الأحرر صاحب الأندلس : لأنه يذكر أنه من ذرية « سعد بن عبادة » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصالح لكل من وافقه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خلاصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

(خطيب الخطباء) من ألقاب أكابر الخطباء، وربما كتب به لقضاة القضاة، إذا أضيف له خطابة جليية، كخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بدمشق .

(خلف الأولياء) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خليفة الأئمة) من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن .

(خليل أمير المؤمنين) من ألقاب أولاد السلطان، وربما كتب به لبعض الملوك، والخليل بمعنى الصديق .

(خالصة الخلافة المعظمة) من ألقاب بعض الملوك، والخالصة الذي خلص من القتل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بغير هاء .

(خالصة سلف القوم) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، والقوم يختص في اللغة بالرجال دون النساء قال تعالى : (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) ثم قال : (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "مُصْرَفِ التَّعْرِيفِ" :
ويصْلُحُ لأهل العلم أيضاً . وانجليزية الأسم من قولك آخَرُ فلانٌ فلاناً ، والمراد أنَّ
الإسلام آخَرُهُ .

حرف الدال المهملة

(دَلِيلُ الْمُرِيدِينَ إِلَى أَوْضِحِ الطَّرِيقِ) من ألقاب مشايخ الصُّوفِيَّةِ ، والمراد بِالْمُرِيدِينَ
طُلَّابُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(دَاعِي الدُّعَاةِ بِالْبُرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ إِلَى اسْتِعْلَامِ الْحَقَائِقِ) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُنُورُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسْلَمِينَ) من ألقاب المُلُوكِ ، وبه يُكْتَبُ لصاحب تُونِسَ
وملك التُّرْكُورِ . والذُّنُورُ في اللغة مصدر ذُنُرْتِ الشَّيْءَ أَذْنُرُهُ بِفَتْحِ الحَاءِ إِذَا جَعَلْتَهُ
ذَخِيرَةً .

(ذُنُورُ الْأُمَّةِ) من ألقاب أكبر أرباب السيوف كتُؤَابِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم .

(ذُنُورُ النَّوَلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاءِ
والعلماء .

(ذُنُورُ الْعُرَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف أيضاً .

(ذُنُورُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ والعلماء ، والمراد طَالِبُو الوُصُولِ إِلَى الْحَقِّ
أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

(ذُنُورُ الْمَسْلَمِينَ) من ألقاب المُلُوكِ ، وبه يُكْتَبُ لإمام الزَيْدِيَّةِ بِالْإِمْنِ فيما ذكره

في "التعريف" .

- (دُنُورِ الْمَلَّةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد تقدم معنى الْمَلَّةِ .
 (دُنُورِ الْمَمَالِكِ) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل دُنُورِ الْمَمْلُوكَةِ .
 (دُنُورِ الْمُؤَحَّدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه ،
 وجعله في "عرف التعريف" خاصاً بالكافل دُونَ غيره .
 (دُنُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب الملوك ، وهو دُونُ خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

حرف الراء المهملة

- (رَأْسُ الْبَغَاءِ) من ألقاب أكابر كُتَّابِ الْإِنْسَاءِ ككاتب السَّرِّ ومن يَجْرِي سَجْرَاهُ .
 (رَأْسُ الصُّدُورِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ في الجملة من أهل العلم
 وَالْكِتَابِ وَمَنْ يَجْرِي سَجْرَاهُمْ . والمراد رَأْسُ صُدُورِ الْمَجَالِسِ .
 (رَأْسُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأَقْلَامِ من العلماء وَالْوُزَرَاءِ وَمَنْ
 فِي مَعْنَاهُمْ ، ويصلح لكلِّ عَلَى الْقَدْرِ في الجملة ، وبه يُكْتَبُ إِلَى إِمَامِ الزُّيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ .
 (رُحْلَةُ الْحُقَاطِ) من ألقاب الْمُحَدِّثِينَ ، وقد تقدم أن الرُّحْلَةَ بضم الراء مأْرِحَلٌ
 إِلَيْهِ ، وَالْحُقَاطُ جمع حَافِظٍ ، والمراد حِفْظُ الْحَدِيثِ .
 (رُحْلَةُ الْقَاصِدِينَ) من ألقاب بَحَّارِ أرباب الأَقْلَامِ ، وهو باهل الكَرَمِ وَالجُودِ
 أَحْصَى ، والمراد مَنْ يُقْصَدُ بِالرُّحَالِ إِلَيْهِ .
 (رُحْلَةُ الْمُحْصِلِينَ) من ألقاب العلماء ، والمراد مَنْ يُرْحَلُ إِلَيْهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ
 بِالْأَخْذِ عَنْهُ .
 (رُحْلَةُ الْوَقْتِ) من ألقاب العلماء والمراد من آنفرد في الوقت بِالرَّحِيلِ إِلَيْهِ
 لِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ .

(رَضِيَ الدَوْلَة) من ألقاب المُكْتَاب، والمراد من رَضِيهِ أعيانُ الدَوْلَة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى عند أعيان أهل الدَوْلَة . ويجوز أن يكون
بفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا تجوزاً .

(رَضِيَ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأَقْلَام . والكلام فيه كاللّلام
في الذي قبله .

(رَكْنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للقائِم الكافل على ما هو مذكور في "التعريف" والرُّكْن واحد الأركان وهو معروف .
(ركن الأمة) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَب لملك التُّكْرور .

(ركن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوِكِيَّة وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . ونقل في "التعريف" أنه كُتِب به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بَدَلَه (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورد في ألقاب الصلحاء، وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكْن لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكْنُ الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويجوز
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأَقْلَام أيضاً على معنى أن المراد
أولياء الدَوْلَة .

(رئيس الكُجَرَاء) من ألقاب الوُزَرَاء من أرباب الأَقْلَام ومن في معناهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكابر أرباب الأَقْلَام من قضاة القضاة ونحوهم . وقد تقدم
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

(١) أي في حرف الضاد المهملة وهذه الجملة غير مناسبة لشرح هذا القاب .

حرف الزاى المعجمة

(زَعِيمُ الْجُنُودِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كالثائب الكافل ، والرَّعِيمُ الكَفِيل . والمراد هنا التَّكْفِيلُ بالجنود والقيامُ بأمرها . ويجوز أن يكون بمعنى السَّيِّد ، يُقال لسَيِّدِ القَوْمِ زَعِيمُهُمْ ، والأوَّلُ أَلْبَقُ بالمقام ، والجنُودُ جمعُ جُنْدٍ وهم الأعوان على ما تقدّم .

(زَعِيمُ الْجَبُوشِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كُتُوبِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم ، والجَبُوشُ جمعُ جيشٍ وهو العسكر .

(زَعِيمُ المَوْحِدِينَ) من ألقاب صاحبِ نُوسٍ على تَحْصِيصِ المَوْحِدِينَ ، والمراد بالمَوْحِدِينَ فِيهِ أَتْبَاعُ المَهْدِيِّ بْنِ تَوْمَرْتِ الذين من بقاياهم مُلُوكُ نُوسٍ ، كان المَهْدِيُّ المذكور قد سَمَّاهُم المَوْحِدِينَ تعريضا بَدَمَ من كان قبله ببلاد المَعْرِبِ ممن يدعى التَّجْسِيمُ على ما سياتى ذكره في الكلام على مَكاتِبَةِ صاحبِ نُوسٍ في المقالة الرَّابِعَةَ إن شاء اللهُ تَعَالَى . ويجوز أن يراد بالمَوْحِدِينَ هنا عَامَةٌ أَهْلِ الإِيْمَانِ ويكون المرادُ بالمَوْحِدِينَ جَمِيعَ المُؤْمِنِينَ . ويصح وقوعُ هذا اللَّقْبِ حينئذٍ على غير صاحبِ نُوسٍ (من المُلُوكِ ونحوهم ، ولذلك يُكْتَبُ به لِمَلِكِ التُّكْرُورِ على ما ذكره في "التعريف" .

(زَعِيمُ المُؤْمِنِينَ) من الألقاب التي يُكْتَبُ بها لإمامِ الزَيْدِيَّةِ بِإِيمَنٍ . ويصحُّ وَقُوعُهُ على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما في « زعيم الموحدين » إذا جعل عامًّا في حق كل موحدٍ على ما تقدّم بيَّناه .

(زَعِيمُ جُبُوشِ المَوْحِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف ، ككاتبِ السُّلْطَنَةِ بَحْلَبَ ، وبه يُكْتَبُ لصاحبِ حَضَنٍ كَيْفَا فَمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام ، والزَّيْنُ في اللغة تَقْبِصُ الشُّيْبِ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأعلام ، والأَعْيَانُ جمعُ عَيْنٍ ، وقد تقدم الكلام عليه .

(زَيْنُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب الثَّجَارِ الخَيْرِ أَحْكِيَّةٍ وَمَنْ في معناهم .

(زَيْنُ الْأَنْبِيَاءِ) من ألقاب صِفَارِ أرباب السيوف ، وربما كُتِبَ به لغيرهم .

(زَيْنُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب العلماء ، وربما قيل « زَيْنُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ » .

(زَيْنُ الْبَنَاءِ) من ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم .

(زَيْنُ الْحُكْمِ) من ألقاب القضاة .

(زَيْنُ الدُّوَابِ الْمَهَابَةِ) من ألقاب الشرفاء ، والدُّوَابُ بالذال المعجمة جمعُ

ذُوَابَةٍ بالهمز ؛ وهي ما يُرْتَضَى من الشَّعْرِ . قال الجوهري : وكانت الأَصْلُ ذَاتِبٌ

[لأنَّ الألف التي في ذُوَابَةٍ] كالألف التي في رسالة حَقَّهَا أَنْ تُبَدَّلَ مِنْهَا هَمْزَةٌ

فِي الْجَمْعِ ، وَلَكِنْهُمْ اسْتَنْقَلُوا أَنْ تَقَعُ أَلْفُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْأُولَى

وَأَوَى ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّ هَذَا اللَّقْبُ بِالشَّرَفَاءِ لِأَنَّهُمْ مِنْ صَحْبِ عَرَبِ الْحِجَازِ ، وَعَادَةُ

عَرَبِ الْحِجَازِ إِرْحَاءُ الرِّجَالِ الدُّوَابِ .

(زَيْنُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلَاحِ أَيْضًا .

(زَيْنُ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء ، وبه يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ .

وقد تقدم معنى العِتْرَةِ .

(زَيْنُ الْكُتَّابِ) من ألقاب كُتَّابِ الإنشاء وغيره .

(زَيْنُ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زَيْنُ الْأَمْراءِ الْمَجَاهِدِينَ » وربما كُتِبَ به لبعض صغار الملوك ، كما صاحب دُقْلَةَ ونحوه .
(زَيْنُ الْمُنْشِينَ) رأيتُه في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم ، وهو صالحُ الكلِّ حَدِيثِ مَتَرَّقٍ فِي الْعُلُوِّ .

حرف السين المهملة

(سِدَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب للوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها ، بمعنى أنه الذي قُتِبَ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِدَادِ الْقَارُورَةِ وهو ما يُسَدُّ به قَمَّهَا ، ومنه قول الشاعر :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ قَتَى أَضَاعُوا • لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ نَعْرِ

وَيُحْكِي أَنْتَ الْمَامُونُ نَطَقَ بِمِثْلِ ذَلِكَ بِفَتْحِ السِّينِ بِحَضْرَةِ النَّصْرِيِّنِ سُمِّيَ فَوَدَّ عَلَيْهِ فَأَحْرَلَهُ بِثَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فكان النَّصْرِيُّ يَفْتَخِرُ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : أَحْدَثْتُ بِإِفَادَةِ حَرْفٍ وَاحِدٍ ثَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

(سَفِيرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب الدُّوَادَارِ وَكَاتِبِ السَّرِّ ، وقد تقدم معنى السَّفِيرِ .

(سَفِيرُ الدَّوَلَةِ) من ألقاب المذكورين .

(سَفِيرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب من تقدم ، وربما قيل « سَفِيرُ الْمَلِكَةِ » .

(سَفِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) كذلك .

(سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(سُلْطَانُ الْأَوَانِ) من الألقاب السلطانية الجليلة .

(سُلْطَانِ الْبَيْطَةِ) من الألقاب السلطانية، والبَيْطَةُ الأرض أخذًا من البَيْطَةِ وهي السَّعَةِ ومنه قيل: تَبَسَّطَ فُلَانٌ فِي الْبِلَادِ إِذَا سَارَ فِيهَا طَوِيلًا وَعَرَضًا.

(سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْتُرْكِ) من الألقاب السلطانية أيضا. وهو غير محذّر الوضوح لأن الْعَجَمَ فِي اللُّغَةِ يَقَعُ عَلَى مَنْ عَدَا الْعَرَبَ فِي الْحَمَلَةِ وَلَا يَخْتَصُّ بِالْفُرْسِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَهُوَ مَقْصُودُهُمْ هُنَا، فَالْتُرْكُ مِنْ حَمَلَةِ الْعَجَمِ فَكَانَ يَكْتَبُ أَنْ يُقَالَ سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ زِيَادَةُ الْإِطْرَاءِ وَالْمَدْحِ.

(سَلِيلِ الْأَطْهَارِ) من ألقاب الشرفاء، والسَّلِيلُ الْوَلَدُ، وَالْمُرَادُ بِالْأَطْهَارِ الْمَبْرُؤُونَ عَنِ الْإِدْنِاسِ.

(سَلِيلِ الْأَكَابِرِ) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء.

(سَلِيلِ الطَّيِّبِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام من ذوى الأصالة.

(سَلِيلِ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ) من ألقاب أولاد الملوك ومن مضى له سلف في الملك.

(سَيِّدِ الْأَمْرَاءِ الْمَقْدُمِينَ) من ألقاب الأمراء مقدّمي الأوفى. في الرتبة المتوسطة.

(سَيِّدِ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كقُتُوبِ السُّلْطَانَةِ وَنَحْوِهِمْ، وَرَبَّمَا كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ.

(سَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أصحاب الأعلام ككاتب السرِّ ونحوه.

(سَيِّدِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب القضاة.

(سَيِّدِ الْكِبَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام كمنظر الخاضع ونحوه.

(سيد الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء ،
 (سيّدُ أمراء العالمين) من ألقاب الثّواب المتوسطين .
 (سيّف الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما يُكتب به
 لبعض الملوك .

(سيّف الحق) من ألقاب العلماء وأهل النّظر .
 (سيّف الخِلافة) من الألقاب المملوكية . وبه يُكتب لملك التّكوير .
 (سيّف المناظرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمناظرين أهل البحث
 والجدل ، أخذًا من النّظر وهو الفِكر المؤدّي إلى الدليل .
 (سيّف النّظر) بمعناه أيضا .

(سيّف أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كثّواب السلطنة ، وهو
 في الرتبة المتوسطة .

(سيّف جماعة الشاكرين) من الألقاب الخاصة بصاحب تونس ، وهذا اللقب
 رأته واردا في "التتقيف" ولم أعرف له معنى ، وسألت «قاضي القضاة ولي الدين
 آبن خلدون» هل يعرف لذلك معنى ؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

(شرف الأصفياء المقربين) من ألقاب كبار التجار الخواجكية .
 (شرف الدول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلح لغير الملوك أيضا .
 (شرف الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شرف
 الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شريفا ، أو شرف الأمراء العربان في العالمين

إذا كان غير أمير عرب ، وربما قيل «شرف الأُمراء المُقدِّمين» إذا كان مُقدِّم ألف ، وقد يُقتصر على شرف الأُمراء فقط .

(شرف الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم كوزير الشام ونحوه ، وربما اقتصر على «شرف الرؤساء» ويكون من ألقاب التجار الخوارجية ونحوهم .

(شرف الصالحاء في العالمين) من ألقاب أهل الصلاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم ، وربما قيل «شرف العلماء في العالمين» .

(شرف الكُتَّاب في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلاطين) من الألقاب المملوكية .

(شمس الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، وهو بالعلماء أئيق ، لأن بهم يحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يُقَّبل أنطبقُ السماء على الأرض بالنظر في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحية ومنه قيل للنواحي آفاق ، وإنما خصَّ الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة .

(شمس الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بالشريعة هنا شريعة الإسلام ، استعيرت الشمس لها لمشايتها لها في النور .

(شمس العصر) من ألقاب العلماء والصالحاء ونحوهم .

(شمس المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر ، والمذاهب جمع مذنب وهو ما يذهب إليه المصتد ، وأصله في اللغة لموضع الذهاب .

(شيخُ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح ، وربما قيل « شيخُ شيوخ الإسلام » .

(شيخُ الملوك والسلاطين) من ألقاب المُسنِّين من الملوك ، وهذا اللقب رأته في كتاب وَقَفَ عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعث به نجمُ الدين أيوبُ واللهُ السلطان صلاح الدين يوسف .

(شيخُ شيوخ العارفين) من ألقاب الصُّوفية وأهل الصَّلاح ، ومرادهم بالعارفين العارِفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالحُ الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصاغ لأهل الصَّلاح أيضا .

(صَدْرُ المدرِّسين) من ألقاب العلماء .

(صَدْرُ مِصرَ والشَّام) من ألقاب أكابر العلماء كقُضاة القضاة ونحوهم ، وإنما خَصَّ

هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما ، وربما قيل « صَدْرُ مِصرَ والعِراقِ والشَّامِ » وربما أَقْصِرَ على صَدْرِ الشَّامِ فقط إذا كان يرسم وظيفة في الشَّامِ ونحو ذلك .

(صَفْوَةُ الدَّولةِ) من ألقاب مَنْ في معنى الوزراء كاظنر الخاص ونحوه .

(صَفْوَةُ الصَّالحاءِ) من ألقاب أهل الصَّلاح .

(صَفْوَةُ الأتقياءِ) من ألقاب الصَّالحاءِ أيضا .

(صَفْوَةُ المُلوكِ والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كاظنر الشَّامِ ونحوه ،

وربما كتب به للتَّجار الخَوَاجِكِيَّةُ .

(صلاح الإسلام) من ألقاب الصُّوفية والعلماء .

(١) لعله كما ظنر الخاص أو ناظر الجيش .

(صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، كأوزراء ،
ومن في معانهم .

(صَلَاحُ السُّوْل) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَب لصاحب تُوُس .
ويصلح أيضا لأكابر أرباب الأقاليم من الوُزراء وغيرهم .
(صَلَاحُ المِلَّة) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

(ضياء الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ويرى ما قيل «ضياء الإسلام والمسلمين»
والضياء خلاف الظلام . وهو مخصوص بما كان مُضيئًا لِذَاتِهِ ، بخلاف النور فإنه يقع
على ما هو مكتسب النور ، ولذلك قال تعالى : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾
نقص الضياء بالشمس لأن نُورها لِذَاتِهَا ، والنور بالقمر لأن نُوره مكتسب من
الشمس ، على ما هو مقترن في علم الهيئة .

(ضياء الأنام) من ألقاب مَنْ تقدم ذكره .

حرف الطاء المهملة

(طِرَازُ العِصَابَةِ المَلَوِيَّةِ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرفين .
والطراز في أصل اللغة علم الثوب . قال الجوهري : وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، كان
صاحب اللقب يُجِعلُ علمًا لتلك الطائفة كما يُجِعلُ الطراز علمًا للثوب .

حرف الظاء المعجمة

(ظِلُّ اللهِ فِي أرضه) من الألقاب السلطانية ، والظل ما يحصل عن الشاخص
في ضوء الشمس ، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حرِّ الجُور كما يستظلُّ

المستظِلُّ بِظَلِّ الشَّجَرَةِ ونحوها من حَرَ الشَّمْسِ . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظلُّ البَرُّ ومنه قولهم : أنا في ظِلِّكَ أي في سِتْرِكَ . ثم أمَّ الظلُّ مخصوصٌ بما قبل الزوال ؛ أما بعد الزوال فإنه يسْمَى فينا لأنه يَرْجِعُ من جهة الغرب إلى جهة الشرق أخذًا من قولهم فَأَءَ إذا رجع .

(ظهيرُ الملوك والسلاطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كتُواب السلطنة .

(ظهيرُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضا . وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .

(ظهير الإمامة) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى صاحب التُّكْرور .

حرف العين المهملة

(عاقِدُ البُنود) من ألقاب النائب الكافل ونحوه ، والمعاقِدُ فاعل من العَقَدَ تقيض الحَلِّ ، والبُنود جمع بُنْدٍ - بفتح الباء وإسكان النون - وهو العَلَمُ الكبير قال الجوهري وهو فارسيٌّ معربٌ .

(عِزُّ الإسلام) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى ملك التُّكْرور .

(عِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرِّبَّة الوَسْطَى من تُواب السلطنة ومن في معابهم ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(عُدَّة الدنيا والدين) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحب تُوُسٍ . والعُدَّة بالضم في اللغة ما أعدده لحوادث الدهر من المال والسلاح ونحو ذلك وهو المراد هنا ، وربما أُطْلِقَ على نَقْصِ الاستعداد .

(عُدَّة الملوك والسلاطين) من ألقاب أصاغير أرباب السيوف .

(عَضُدُ الْمَلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسطى أرباب السيوف ، وقد تقدّم أن أصل العَضُد لما بين الساعد والكَنيف .

(عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من نواب السلطنة وضيهم ، وربما كتبت به إنى بعض الملوك كملك التُّكُور .

(عَلَمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء ومَن في معناهم . وقد تقدّم معنى العَلَمِ ومعنى الدَّوْلَةِ .

(عَلَمُ الزَّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ ، وقد تقدّم أن المراد بالعلم الزَّايَةُ وبالزَّهْدُ الإِقْلَاعُ عَنِ الدُّنْيَا .

(عَلَمُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل «عَلَمُ الْمُقَسِّرِينَ» أو «عَلَمُ النُّحَاةِ» ونحو ذلك .

(عَلَمُ الْهُدَاةِ) من ألقاب إمام الزَيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ ، وَيَصْلُحُ لِأَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ . وَالْهُدَاةُ جَمْعُ هَادٍ وَهُوَ الْمُرْشِدُ .

(عَلَمُ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، وَيَصْلُحُ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ أَيْضًا .

(عِمَادُ الْحُكْمِ) من ألقاب أكابر القضاة ، وربما قيل «عِمَادُ الْحُكْمِ الْبَارِعِينَ» أو «عِمَادُ الْحُكْمِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك . وَأَصْلُ الْعِمَادِ فِي اللُّغَةِ الْأَبْنِيَّةِ الرَّفِيعَةُ وَاحِدُهَا عِمَادَةٌ ، وَمِنْهُ قِيلَ فَلَانٌ طَوِيلٌ الْعِمَادِ كَأَنَّ بِنَاءَهُ بِالْأَرْتِفَاعِ صَارَ عَلَمًا لِزَائِرِيهِ .

(عِمَادُ الْعَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان ، كَأَمِيرِ الْفَضْلِ وَنَحْوِهِ .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عماد الملة) كذلك .

(عماد المملكة) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عماد المُحدّثين) من ألقاب علماء الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبه يُكتب لقضاء القضاة ومن في مناهم .

(عمدة الملوك والسلاطين) من ألقاب صفار أرباب السيوف ، وهو دُونَ عُدّة الملوك والسلاطين والعمدة في اللغة ما يُعتمد عليه .

(عَوْنُ العساكر) من ألقاب ناظر الجيش ونحوه ، والعَوْنُ في اللغة الظهير والمعاونة .

(عَوْنُ جيوش الموحّدين) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكتب لملك التُكُور ، ويصلح ل كبار أرباب السيوف من أهل المملكة أيضا .

(علاء الإسلام والمسلمين) من ألقاب العلماء والصالحاء ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

والعلاء بالفتح والمذ مصدر علا في الشرف ونحوه يعلى بفتح اللام .^{١١١}

(عين المملكة) من ألقاب أرباب الأقلام ونحوهم .

(عين الأعيان) نحوه .

حرف الغين المعجمة

(عُرّة الزمان) من ألقاب أرباب الأقلام ، والعُرّة في أصل اللغة بياض في جهة الفرس فوق الدرهم ، شبه بالعُرّة في وجه الفرس لظهورها وتحسين الفرس بها .

(عَوْتُ الأنام) من ألقاب كبار أرباب السيوف كالنائب الكافل ونحوه . وقد تقدم معنى العَوْتُ .

(١) قوله بفتح اللام أي فيها وهي لغة في حل يعلى من باب تعب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنْبَاءِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تقدم معنى الغِيَاثِ .

(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) نحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَقْطَارِ) من الألقاب السلطانية، والفاثُ فاعِلٌ من الفتح وهو معروف، والأقْطَارُ جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجانب، والمراد نواحي الممالك .

(فَارِسُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، ذكره ابن شيث من كتّاب الدولة الأيوبية في "معالم الكتابة" .

(نَخْرُ الْأَنْبَاءِ) من ألقاب أرباب الأقلام، ويحوز أن يكون من ألقاب أرباب السيوف أيضا .

(نَخْرُ الْأُسْرَةِ الرَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرفين، وأسرة الرجل بضم الهمزة رهطه .

(نَخْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التجّار الخوارجية، ويصلح لقبهم من الرؤساء أيضا .
(نَخْرُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التجّار الخوارجية .

(نَخْرُ السَّلَاةِ الرَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، كأميرى مكة والمدينة المشرفين، والسَّلَاةُ الرَّاهِرَةُ تقدم الكلام على معناها .

(نَخْرُ الصُّدُورِ) من ألقاب أرباب الأقلام، وربما كتبت به للتجّار الخوارجية .
(نَخْرُ الصَّلَمَاءِ) من ألقاب الصوفية واهل الصّلاح .

- فَخْرُ الْعَبَادِ) من ألقاب أهل الصِّلاح أيضا .
- فَخْرُ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .
- فَخْرُ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب أصحاب الحديث .
- فَخْرُ الْمُدْرِسِينَ) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَبُ لِقَضَاءِ الْقَضَاءِ وَنَحْوِهِمْ .
- فَخْرُ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء أيضا .
- فَخْرُ الْمُلُوكِ وَالْمَسْلُطِينَ) من ألقاب بعض الملوك .
- فَخْرُ الشَّجَرَةِ الزَّيْتِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء، والمراد شجرة تُسَمَّى الشَّجَرَةُ الشَّرِيفِ .
- فَخْرُ النَّسَبِ الْعَلِيِّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَبُ لِإِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْحَمَنِ .
- فَرْدُ السَّالِكِينَ) من ألقاب أهل الصِّلاح .
- فَرْدُ الزَّمَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- فَرْدُ الْوُجُودِ) من ألقاب العلماء وأهل الصِّلاح .
- فَرْعُ الشَّجَرَةِ الزَّيْتِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

(قَامِعُ الْبِدْعَةِ) من ألقاب أكابر العلماء، وربما قيل « قَامِعُ الْبِدْعِ » وقد يقال « قَامِعُ الْبِدْعِ وَنَحْوِي أَهْلِهَا » والقامع فاعلٌ من قَمَعَهُ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْمِقْمَعَةِ : وَهِيَ مِجْنَنٌ مِنْ حَدِيدٍ يُضْرَبُ بِهِ عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ، وَالْبِدْعَةُ وَاحِدَةُ الْبِدْعِ : وَهِيَ خِلَافُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ .

(قُدْوَةُ الْأَوْلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو بالكُتَابِ أليق . والبارِعُ الماهر .

(قُدْوَةُ الْبُلَغَاءِ) من ألقاب أرباب الأعلام . وهو بِيَكْتَابِ الْإِنْسَاءِ وَمَنْ

في معانهم أخص .

(قُدْوَةُ الْخَلْفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح . والخَلْفُ في اللغة الذي يَحْيِي

بعد غيره ويقوم مقامه . والمراد خَلْفُ مَنْ سَلَفَ من علماء الأمة أو صالحها .

(قُدْوَةُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح . وربما قيل «قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ»

أو نحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم . وربما قيل «قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ»

ونحو ذلك .

(قُدْوَةُ الْفِرَقِ) من ألقاب العلماء . والمراد فِرْقُ أَهْلِ الْحَقِّ من أرباب المذاهب

والمعانيد الصحيحة . والفِرْقُ جمع فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَّلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء . والْفُضَّلَاءُ جمع فاضل وهو خلافُ

الناقص .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كَالْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَعْلَامِ

وَمَنْ فِي مَعَانِهِمْ مِنْ كَاتِبِ السِّرِّ وَنَحْوِهِ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء . وقد تقدم في الألقاب أنَّ الاجتهادَ

عبارة عن استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء . وقد تقدم معنى التحقيق .

(قُدوةُ المُسَلِّكِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصَّلَاحِ ، والمراد بالمسَلِّكِينَ المعزوفون الطريقَ إلى الله تعالى كما تقدّم بيانه .

(قُدوةُ المُشْتَغَلِينَ) من ألقاب أهل العلم ، والمرادُ الأشتغالُ بالعلم .

(قُدوةُ المُوَحِّدِينَ) من الألقاب الخاصة بصاحب تُوُسِّس : لوقوع المُوَحِّدِينَ في اصطلاحهم على أتباع المهديِّ بن تُوَمَرْت ؛ وصاحب تُوُسِّس الآن من بقاياهم كما تقدّم .

(قَسِيمُ أمير المؤمنين) من الألقاب السلطانية ، وهو قَيْبٌ بمعنى فاعِلٍ فيكون معناه يُقَاسِمُ أمير المؤمنين ، والمراد مقاسمته الأمر .

(قُطْبُ الزُّهَادِ) من ألقاب أهل الصلاح ؛ والقُطْبُ تقدّم معناه .

(قُطْبُ الأَوْلِيَاءِ) من القابهم أيضا ، والأولياءُ جمع وَلِيٍّ وهو خلاف العَدُوِّ ، والمرادُ أولياء الله تعالى .

(قَوَامُ الأُمَّةِ) من ألقاب الوزراء ومَنْ في معناهم ، والقَوَامُ بالكسر نظام الشيء وعمادُه وِبلَاكُه ، يقال فلانٌ قَوَامٌ أهل بيته ، ومنه قَوَامُ الأمر بمعنى نظامه .

(قَوَامُ الجُتْهُورِ) قال في "عريف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء ؛ والجُتْهُورُ من الناس جُلُهم ، أخذًا من الجُتْهُورِ وهي الرملة المجتمعة المشرفة على ما حوتها .

(قَوَامُ الدُّوَلَةِ) من ألقاب الكُتَّابِ وهو بالكسر أيضا .

(قَوَامُ المَصَالِحِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ من الوزراء ومَنْ في معناهم ، وهو بالكسر أيضا ، والمصالح جمع مَصْلَحَةٍ وهي خلاف المَقْسَدَةِ .

(قَوَامُ الإِسْلَامِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصلاح ، وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب بَنَارِ التُّوَابِ كُتَّابِ دِمَشْقَ ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقابِ أربابِ الوظائف .

(كافِلُ المَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ) من ألقابِ النَّائِبِ الكافل : ودو النَّائِبُ بحضرة السلطان .

(كَافِي البُوَلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، والكافي اسمُ فاعِلٍ من الكفاية .

(كَثْرُ التَّقِي) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والكثرة في أصل اللغة المائل المدفُوعُ ، استعير لصاحب الألقاب لأنه كالشيء المكنوز لذلك الباب .
(كَثْرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(كَثْرُ العُلَمَاءِ) من ألقاب أهل العلم وروى ما قيل « كَثْرُ المُفَسِّرِينَ » أو « كَثْرُ المَتَفَقِّهِينَ » ونحو ذلك .

(كَثْرُ المُسَلِّكِينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح .

(كَهْفُ الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء ، والكهفُ المَلْجَأُ ، ومنه قولهم : فُلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيتُ المنقور في الجبل ويجمع على كُهُوفٌ ؛ وقد تقدّم الكلام على الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ .

(كَهْفُ الكُتَّابِ) من ألقاب أ كابر الكُتَّابِ كالوزير من أرباب الأقسام وكتاب السرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(كَتَوَّفِ الْمَلَّةَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كتُواب السلطنة ونحوهم .

(تَكْوَكِبُ الْأَسْرَةَ الزَاهِرَةَ) من ألقاب الأشراف كأَمِيرِي مَكَّةَ والمدينة المشرفين
والتَّكْوَكِبُ واحد الكواكب وهو يَقَعُ على النُّجُومِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ .

(تَكْوَكِبُ الذَّرِّيَّةِ) من ألقاب الشرفاء أيضاً، والمراد الذَّرِّيَّةُ الْعَلَوِيَّةُ .

حرف اللام

(لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللَّسَانُ هنا جارحةُ الكلام ، والحَقِيقَةُ
خلافُ الْمَجَازِ، وهي في الأصل عَيْنُ الْحَقِّ، والمراد هنا معرفةُ الأمرِ على ما هو عليه .

(لِسَانُ الْحِفَاظِ) من ألقاب المحدثين وَالْوَعَاظِ، والمراد المتكلم عنهم ، يقال فلان
لسانُ القوم إذا كان متكلماً عنهم ؛ ويجوز أن يكون المراد اللسان الذي هو جارحة
الكلام ويكون المعنى أَنَّهُمْ لِلْكَلامِ كما أن اللسان آلةُ الكلامِ لِتَكَلُّمِهِ ، ويجوز أن يكون
من اللسان بمعنى اللُغَةِ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾
ويكون المعنى أَنَّهُ الْمُتَرَجِّمُ عنهم والمتكلم بلغاتهم المختلفة .

(لِسَانُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب كاتب السَّرِّ وَمَنْ فِي معناه ، واللَّسَانُ فيه يحتمل

المعنيين .

(لِسَانُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب كاتب السَّرِّ .

(لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، والمتكلمون يجوز أن يراد بهم كلُّ متكلم
في الجملة تعميماً للدخ ؛ ويجوز أن يراد العلماءُ بِعِلْمِ الكلامِ وهو أصول الدين ،
لأن أصحابه هم أرباب النظر الدقيق والبحث لدقَّةِ متعلِّقه ، وهو الظاهر .

(لِسَانُ الْمَلِكِ) من ألقاب كُتَّابِ السِّرِّ، والممَّاكُ جمعُ مَمْلُوكَةٍ وهو موضعُ الْمَلِكِ، والمعنى أنه يتكلم بلسانِ مُلُوكِ الْمَلِكِ .
 (لِسَانُ مُلُوكِ الْأَمْصَارِ) من ألقاب كَاتِبِ السِّرِّ .

حرف الميم

(مَالِكُ زِمَامِ الْأَدَبِ) من ألقاب الْبُلَغَاءِ مِنَ الْكُتَّابِ وَنَحْوِهِمْ، وَيُصَلِّحُ لِكَاتِبِ السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .

(مَانِحُ الْمَمَالِكِ وَالْأَقَالِمِ وَالْأَمْصَارِ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَالْمَانِحُ الْمُعْطِي، وَالْمَمَالِكُ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، وَالْأَقَالِمُ جمعُ أَقْلِيمٍ، وَلَهُ مَعْنَيَانِ أَحَدُهُمَا وَاحِدُ الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ الَّتِي تُسَمِّيهَا الْحِكْمَاءُ، مَمْتَدَّةٌ فِي طُولِ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ . وَالثَّانِي الْوَاحِدُ مِنَ الْأَقَالِمِ الْعُرْفِيَّةِ : كَمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِيهِمَا .

(مَتَعَمِّدُ الْمَصَالِحِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالْمَتَعَمِّدِ الْمُتَقَصِّدِ .

(مَجْدُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب صغَارِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ .

(مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب متوسطيهم .

(مَجْدُ الْأَمْرَاءِ) من ألقاب أَصَاغِرِ أَرْبَابِ السِّيُوفِ كَأَمْرَاءِ الْعِشْرِينَ وَنَحْوِهِمْ .

(مَجْدُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب الثُّجَّارِ الْخَوَاجِكِيِّةِ .

(مَجَلُّ الْعِيَاهِبِ) من ألقاب أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالْمَجَلُّ بِالتَّشْدِيدِ الْكَاشِفُ، يُقَالُ: جَلَّ الْأَمْرَ إِذَا أَوْضَحَهُ وَكَشَفَهُ، وَمِنْهُ جَلَّوْتُ السَّيْفَ وَنَحْوَهُ إِذَا كَشَفْتَهُ مِنَ الصَّدَأِ، وَالْعِيَاهِبُ جمعُ غَيْبٍ وَهُوَ الظُّلْمَةُ الشَّدِيدَةُ، يُقَالُ: فَرَسَ أَدْعَمُ غَيْبًا إِذَا أَشْتَدَّ سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُورِ) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكَةِ .

(مُجَمَّلُ الأَمْصَارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، والمَجَمَّلُ فاعلُ الجَمَالِ ،
والأَمْصَارُ جمعُ مَصِيرٍ وهو الإقليم .

(مُجَهِّدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمرادُ به]
المُعَمِّلُ نَفْسَهُ لِلغَايَةِ . يقال : أَحْجَهْدُ جَهْدَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَيْ أَبْلِغُ غَايَتَكَ ، والمرادُ
بِالمَوْلَى هُنَا الخَالِقُ سبحانه وتعالى .

(مُحْيِي السَّنَةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي العَدْلِ فِي العَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .

(مُدَبِّرُ المَمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعلُ
التدبيرِ ، وقد تقدّم معناه في الكلام على المُدَبِّرِيِّ في جملة الألقاب المفردة .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب الوزراء وكُتِّبَ السِّرُّ وغيرهم .

(مُذَكِّرُ القُلُوبِ) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُذَكِّرُ فاعلُ التذكير وهو الأخذُ
بِالذِّكْرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُؤَيِّدُ البِدْعَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُؤَيِّدُ قَبِيضُ المَعِزِّ .

(مُؤَيِّدُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفةُ ،
وحِزْبُ الرَّجُلِ أصحابُه .

(مُؤَيِّدُ العُرَيْدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَبِ الْجُيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدَّوْلَةِ) من ألقاب الكُتَّابِ، والمُرْتَضَى بمعنى المرَضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى المُلُوكِ والسُّلْطَانِ) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعا .
- (مُسْتَخْدِمُ أربابِ العُذْلِ والعَلَمِ) من ألقاب النَّائبِ الكافِلِ ونحوه .
- (مُشِيدُ المَالِكِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، والمُشِيدُ فاعِلُ التَّشِيدِ وهو رَفَعَ البِنَاءَ .
- (مُشِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، والمُشِيرُ الَّذِي يُشِيرُ عَلَى غَيْرِهِ بِالرَّأْيِ .
- (مُشِيرُ السُّلْطَنَةِ) مثله .
- (مُشِيرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِ) مثله .
- (مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، وهو بضم الميم وإسكان الظاء على أنه فاعِلٌ مِنَ الظُّهُورِ، والأنباء جمع نَبَأٍ وهو الخَبْرُ، والمراد أنه يُظْهِرُ أَخْبَارَ الشَّرِيعَةِ وَيُدْبِهَا، ويحوز أن يكون بفتح الميم على أنه هو نفس المَظْهِرِ وهو أبلغ .
- (مُعِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ) من ألقاب النَّائبِ الكافِلِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .
- (مُعِزُّ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء، والسُّنَّةُ خلافُ البِدْعَةِ .
- (مُعِينُ الحَقِّ ونَاصِرُهُ) من ألقاب الحُكَّامِ من أرباب السيوف وغيرهم .
- (مُقْتِي المَسْلَمِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُقِيدُ البُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وغيرهم .

(مُفِيد الطالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيد المَنَاجِحِ) من ألقاب الوزراء ، والمَنَاجِحِ جمع مَنَجَح أخذنا من النَّجَاح وهو الظَّفَرُ بالحوائج .

(مُفِيد أهل مِصْرَ والعِراقِ والشَّامِ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَامِحِ) من ألقابهم أيضا .

(مُقَرَّبُ الحَضْرَتَيْنِ) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكِيِّةِ إذا كان مترددا بين مملكتين .

(مُقَرَّبُ الدُّوَلِ) من ألقاب التُّجَّارِ الخَوَاجِكِيِّةِ ، وهو أعمُّ من الأوَّلِ .

(مَلِجًا الفُقَرَاءَ والمَسَاكِينَ) من ألقاب النَّائِبِ الكَافِلِ ونَائِبِ الشَّامِ على ما استقر

عليه الحالُّ آخِرا .

(مَلِجًا المُرِيدِينَ) من ألقاب الصَّوْقِيَّةِ وأهل الصِّلاحِ .

(مَلِكُ البَحْرَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، والمرادُ ببحرِ الرُّومِ وِبحرِ القُلُومِ : لأنهما

يتقاربان بين مِصْرَ والشَّامِ على القُرْبِ من العَرِيشِ .

(مَلِكُ البَلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الكُتَّابِ وغيرهم .

(مُمْلِكُ المَمَالِكِ والتُّخُوتِ والتَّيجَانِ) من الألقاب السلطانية أيضا ، والمرادُ

بالتُّخُوتِ هنا نُخُوتُ المُلْكِ ، يريد أنه مُلْكُ المملوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .

(مُمَهَّدُ الدُّوَلِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السلطنة ونحوهم ،

وربما كُتِبَ به لبعض الملوك أيضا ، وقد تَقَدَّمَ الكلام على التمهيد عند الكلام

على المَهْدَى في جملة الألقاب المفردة .

(مَنْبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوعاظ، والمنبّه الموقظ، والخواطر

جمع خاطير .

(مُنْجِد الملوِك والسلاطين) من ألقاب النائب الكافل، وبه يُكْتَب لإمام

الزيدية بايمن . والمُنْجِد الميعين أحدًا من قولهم آسْتَجِدُنِي فَلَنْتُ فأنجذته أى

آسَمَانِ بِى فَأَعْتَهُ .

(مُنْتَشَى العلماء والمفتين) من ألقاب أكابر العلماء .

(مُنْصِف المظلومين من الظالمين) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجود) من ألقاب الكرماء .

(مُوَصِّل السالكين) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مُوَضِّح الطَّرِيقَة) من ألقاب الصوفية والصلحاء أيضا، وربما قيل

«مُوَضِّح الطَّرِيقِ» وقد تقدم أن المراد الطريقُ إلى الله تعالى .

(مُوَلِّى الإحسان) من الألقاب السلطانية، والمراد بالمولى المُنْبِل .

(مُوَمِّن الأرض المحيطة) من الألقاب السلطانية أيضا، وكأنهم يريدون الأرض

المحيطة لا تساعها، ويكون المراد أرض المملكة، وإلا فالأرض محوطة من حيث

استدارة الماء عليها لا محيطةً بغيرها .

(مَلَأْدُ الطالبيين) من ألقاب العلماء والصلحاء، والمراد الملتجأ .

(مَلَأْدُ العباد) من ألقاب الصلحاء، وفيه نظر لأن العباد لا يلوذون إلا بالله تعالى

ولا يَلْجِئُونَ إلا إليه .

(مَلَأْدُ الكُتَّاب) من ألقاب أكابر الكُتَّاب، ككاتب السر ونحوه .

(مؤيد الحق) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمؤيد الحقوى أخذاً من الأيد وهو القوة .

(مؤيد الملة) من ألقاب العلماء .

(مؤيد أمور الدين) كذلك . وبه يُكتب لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(ناصر الملوك والسلطين) من ألقاب التجار الخوارجية .

(ناصر السنة) من ألقاب العلماء .

(ناصر الغزاة والمجاهدين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالتائب الكافل

ونحوه، وربما كتب به لبعض الملوك كملك التكرور ونحوه .

(ناصر الشريعة) من ألقاب العلماء، والشريعة ما شرعه الله تعالى من الدين .

يقال شرع لهم شرعاً، وأصله من الشريعة التي هي مورد الماء .

(ناشر لواء العدل والإحسان) من الألقاب السلطانية .

(نجل السلطنة) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه وُلد في السلطنة .

(نجل الأكابر) من ألقاب ذوى الأصلة ، والنجل النسل . يقال نجله أبوه

إذا ولده .

(نسيب الإمام) من ألقاب الشرفاء كاميرى مكة والمدينة المشرفين ، والنسيب

القريب . يقال فلان نسيب فلان أى قريبه ، وذلك أن سرجع بنى العباس

والعلويين إلى نبي هاشم .

(نسيب أمير المؤمنين) مثله .

(نَصْرُ الْعَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كَتَوَابِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم ، وهو عندهم [فَوْقَ] نَصِيرِ الْعَزَاةِ .

(نَصِيرِ الْعَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) كذلك ، وهو عندهم دُونَ الْأَوَّلِ وفَوْقَ الثَّانِي ، وفيه كلامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف والكُتَّابِ ، وقد تقدم الكلامُ على النَّظَامِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَكُتَّابِ السِّرِّ ونحوهم .

(نِظَامُ الْمَنَاجِحِ) من ألقابهم أيضا .

(نُورُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هُمَّامُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف وقد تقدم في الكلام على الألقاب المفردة أن الهمَّامَ بمعنى الشجاع .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمُلْكِ) من الألقاب السلطانية .

(وَلِيٌّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب التي يَشْتَرِكُ فِيهَا أربابُ السيوف والأقلام : كالوزراء وقضاة القضاة وكاتب السِّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ خِلافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لَا يُسُّ تَوْبِ الْقَخَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام .

(لَا فِتَّ الْغَوَاةَ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوعاظ، واللافِتُّ

الصارف، يقال لَفَّتْ وَجْهَهُ عَنِي إِذَا صَرَفَهُ ، وَأَصْلُ اللَّفَّتِ اللَّيْ ، وَالغَوَاةُ جَمْعُ غَاوٍ وَهُوَ الضَّالُّ ، يُقَالُ غَوَى يَغْوِي غَيًّا إِذَا ضَلَّ فَهُوَ غَاوٍ .

حرف الياء

(يَمِينُ الْمَلُوكِ وَالسُّلْطَانِ) قال في "عريف التعريف" : يَخْتَصُّ بِالذُّوَادَارِ

وَكاتِبِ السَّرِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْيَمِينِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ ، وَأَنَّ الْمُرَادَ يَمِينُ السُّلْطَانِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ بِهَا ، وَالْأَمْبِجِلِسُ كَاتِبُ السَّرِّ عَنِ يَسَارِ السُّلْطَانِ وَالذُّوَادَارُ وَقَفٌّ أَمَامَهُ .

(يَمِينُ الْمَلِكَةِ) مثله .

(يَمِينُ السُّوَلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ، ولنا فيها سببان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكرة المفردة أو المركبة، فننقل من التذكير إلى

التأنيث ، فإنَّ الْجَمْعَ كُلُّهَا مُؤنَّثَةٌ عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي عِلْمِ النُّحُو . وَيَتَأَنَّى ذَلِكَ

في المطلقات، مثل أنت يجمع في صدر المطلق بين المعز الكريم والجناب الكريم والجناب العالی والمجلس العالی؛ ثم يتبعها بالألقاب التي تليق بها مما يأتي ذكره، فيأتي بتلك الألقاب مجموعة بلفظ التانيث مفردة ومركبة . مثل أن يكتب إلى المقز والجناب المكرمين، والجنابات العالوية، والمجالس العالی الأميرية، الكبيرة، العالوية العادلية، المؤيدية، الزعيمية، العونية، الغياثية، المتأخرية، المرابطة، المهديية، المشيدية، الظهيرية، الكافية، الفلانية، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء في العالمين، أنصار الفزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدمي العساكر، ممهدي الدول، مشيدي المسالك، عمادات الملّة، أعراب الأئمة، ظهيري الملوك والسلاطين، سيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وأعلم أن هذه الألقاب كلها من جملة الألقاب المفردة والمركبة المتقدم ذكرها، فيستغنى عن بيان مشكلها وتعريف أحوالها هنا آكتفاء بما تقدم، إلا أن من الألقاب المجموعة ما يقوم لفظ الأفراد مقامه بأن يكون اللقب اسم جنس، مثل عَضُدٌ ومجد ونحو ذلك مما لا يجوز جمعه لأنه يقصد به الجنس . فيجوز للكتاب حينئذ أن يأتي بذلك بلفظ الجمع ولفظ الأفراد الذي معناه الجمع . وقد أشار إلى ذلك القاضي شهاب الدين بن فضل الله في "التعريف" في الكلام على المطلقات . فقال عند ذكره أعضاد الملوك والسلاطين : ويجوز فيه أعضاد الملوك وعَضُدُ الملوك، إطلاقاً للأفراد على الجمع .

السبب الثاني

(تأنيث اللقب الأصيل الذي تنفرع عليه الألقاب القروع . وله حالتان)
 الحالة الأولى - أن يكون اللقب الأصيل لمؤنث غير حقيق كالخضرة واليد
 والباسطة . فتأني الألقاب المفترعة عليها مؤنثة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف
 في تذكيره وتأنيثه ، على ما هو مقترن في علم النحو . أما نعوت الخضرة فمثل أنث
 يقال : «الخضرة الشريفة ، العليّة ، السنّة ، العالمة ، العالمة ، العالمة ، العالمة ، الأوحديّة ،
 المؤيديّة ، المجاهديّة ، المرابطيّة ، المتأخريّة ، المظفرية ، المنصورية ، وما أشبه ذلك»
 وأما نعوت الباسطة فمثل أنث يقال : «الباسطة الشريفة ، العالمة ، العالمة ، العالمة ،
 الأميريّة ، الكبرى ، العالمة ، العالمة ، المؤيديّة ، المحسنيّة ، السنيّة ، المالكيّة ،
 الفلانية » وفي معناها نعوت اليد . وألقاب هذه الحالة كلّها في معنى ما تقدم من
 الألقاب المذكورة لا تختلف الحال فيها إلا في التذكير والتأنيث ، وأنه ليس فيها ألقاب
 مركبة ، فيستغنى بما تقدم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية - أن يكون اللقب الأصيل لمؤنث حقيق ، كالدار والستارة
 والجهة إذا كُنِيَ بها عن المرأة في الكتابة إليها مثل أن يقال : «الدار الكريمة»
 و «الستارة الرفيعة» و «الجهة المصونة» ونحو ذلك ، فتتبعها الألقاب المنزعة
 عليها أيضا في التأنيث إلا أن لها معاني تخصها . وهي على ضربين : مفردة ومركبة
 كما تقدم في المذكورة ، وإن لم تتابع شأوها في الكثرة . فأما المفردة فكالشريفة ،
 والكبرى ، والعالمة ، والمعظمة ، والمكرمة ، والمجبة ، والمصونة ، والخاتونية ،
 والحدود . ودر بما قيل الوالدية إذا كانت والدة حقيقة أو في مقامها ، والوالدية إذا كانت
 بنتا حقيقة أو قائمة مقامها ، والحاجية إذا كانت حاجّة ونحو ذلك .

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجردة عن باء النسب ، كالألقاب المتقدم ذكرها ؛ وقد تلحقها باء النسب للبالغة في التعظيم فيها تدخل فيه باء النسب في المذكر ، مثل أن يقال : المعظمية والمكرمية ، والمُحجَّية ، وما أشبه ذلك . وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر ، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها ؛ وفيها ألقاب لم يتقدم ذكر مثلها في المذكر كالمُحجَّية ، وهو مأخوذ من الحجاب كأنها محجوبةٌ عن أن يراها الناس ؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة ، وهي جعل الشيء في الصَّوَانِ وقايةً له عن مثل النظر والمسّ ونحو ذلك ؛ ومنها الخائون ، وهو لفظ تركي معناه السيدة ؛ ومنها الخونء ، وهي لفظة معجبة بمعنى السيادة أيضا .

وأما المركبة فمثل جلال النساء ، وسيدة الخواتين في العالمين ، وشرف الخواتين ، وجميلة المحجبات ، وجميلة المصونات ، وقريينة الملوك والسلاطين ، وسليمة الملوك والسلاطين ، إذا كانت بنتاً لسلطان أو في معناها ، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان . ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة .

الصنف الثاني^(١)

(من الألقاب المفترعة على الأصول ألقاب من يُكْتَبُ إليه)

من أهل الكُفْر ، مما أصطلح عليها لمكاتباتهم)

وأعلم أنه لم يكن ملكٌ من ملوك الكفر ممن يُكْتَبُ له عن الأبواب السلطانية غير النصاري ؛ لأنه لم يكن لغيرهم من أهل الملل بالقرب من هذه المملكة مملكةٌ نائمة ، بل اليهود ليس لهم مملكةٌ نائمةٌ في قطر من الأقطار بعد غلبة الإسلام ، إنما يُؤدُّون الجزية حيث حلُّوا ، إذ يقول تعالى في حقهم : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَمَا يُلْفُونَ إِلَّا لِمَنْ يَاجِبُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

(١) لعل الصواب "النوع الثاني" وبالمجمل فالأرجح كثيرا ما يقع فيها السهو إما من الناسخ أو المؤلف فنهى .

ثم مَنْ يلقَّب من أهل الكفر في المكاتب إن كان من متدينتهم كالسبَّ
والبطرك، ناسبه من الألقاب ما فيه معنى التذسُّك والتعبد؛ وإن كان من الملوك
ناسبه ما فيه معنى الشجاعة والرئاسة والقيام بأمر دينه وتحمُّله أعباء رعيته
وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب
إلى هرقل : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ “ وفي كتب السيرة أنه
صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى : ” مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ “
وأنه كتب إلى المقوقس : ” مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْفِصْطَ “ فعبَّر
عن كلِّ من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .

وبالحيلة فالألقاب التي تُكْتَبُ إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الألقاب المدخَّرة ، وهي تَمَطَّن)

الفِصْطَ الأول

(المفردة)

وأكثر ما تُبْنَى على صفات الشجاعة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على
حروف المعجم أيضا ، مَقْفَاةً عليها .

حرف الألف

(الأَسَدُ) من الألقاب التي أصطلح عليها معنى الشجاعة ، وهو في الأصل للحيوان
المفترس ، ثم استعمل في الرجل الشجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشجاعة .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم أيضا، وقد تقدم في الكلام على الألقاب الإسلامية قولا عن "عرف التعريف" أنه يختص بكل من له ثلاثة آباء في الرياسة، وحينئذ فيكون هنا مختصا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يقفون مع ذلك بل يرعون من له أدنى نسب .

(الأنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة ، وإنما كُتِبَ إليهم بذلك مضاهاةً للكُتِبَ الواردة عنهم ، ولعل الكاتب لم يعلم معنى ذلك ، وكذلك غيرها من الألفاظ التي في معناها .

حرف الباء

(البالوغس) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوغس ، ومعناها «الكلمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، ومعنى الجليل في اللغة العظيم ، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتبات لملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم ، لاسميا وهو أسم من أسمائه تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لتدنيتهم : كالباي والبطرك . وقد تقدم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصلحاء والصوفية ، وأن معنى الخاشع المتدلل .

(الخطير) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والخطير في اللغة الكبير الجليل القدر ، ومنه قولهم : أمر له خطر أي مقدار كبير .

حرف الدال المهملة

(الدوقس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم . وقد يقال (الضوقس) بالضاد بدل الدال ، وهي لفظة يونانية أصلها دقستين ، ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الروحاني) من الألقاب التي أصطلح عليها للتدنيين منهم ، وهو بضم الراء نسبة إلى الروح التي بها منأط الحياة للملوك ، ومنه نُسب إلى الملائكة والجن روحاني ، وبالفتح نسبة إلى الروح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأول أقرب إلى مراد الكتاب .

حرف السين

(السَمِيدَع) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم . قال الجوهري : وهو بضم السين وقال في "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكان المراد سيده قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضَرغام) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهو من أسماء الأسد ، لُقّب به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الغَصْنَفَرُ) بفتح الغين والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أصطَلَحَ الكُتَّابُ عَلَى تَلْقِيهِمْ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشَّجَاعَةِ كَالْأَسَدِ وَالضَّرْغَامِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ يُطَاقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الرَّجُلِ الْغَالِيظِ كَمَا حَكَاهُ الْجَوْهَرِيُّ . وَلَا بَأْسَ بِاسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي لَهَا كَامِلٌ نَارِلُهُ فِي الْمَكَاتِبَاتِ إِلَى الْكُفَّارِ .^(١)

حرف القاف

(الْقَدِّيسُ) بكسر القاف من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُنْدَبَتِهِمْ مِنَ الْبَابِ وَالْبَطْرِيرُكَ وَنَحْوَهُمَا، وَأَصْلُهُ مِنَ التَّقْدِيسِ وَهُوَ التَّنْزِيهِ .

حرف الكاف

(الكَرَّارُ) بتشديد الراء من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَالكَرَّارُ صِبْغَةٌ مِبَالِنَةٌ مِنَ الْكَرِّ خِلَافِ الْفَرِّ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَرْجِعُ فِي الْمَحَارِبَةِ عَلَى قِرْنِهِ الْمِرَّةَ بَعْدَ الْمِرَّةِ وَلَا يَنْهَزِمُ عَنْهُ .

(الْكَيْنِيُوسُ) من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ، وَهُوَ لَفْظٌ رُومِيٌّ مَعْنَاهُ
.....^(٢)

حرف الميم

(الْمَتَبَلُّلُ) من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُنْدَبَتِهِمْ، وَمَعْنَاهُ الْمَتَقَطِّعُ عَنِ الدُّنْيَا .
(الْمَتَحَخَّتْ) بفتح الخاء المعجمة المشددة من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ،
وَالْمُرَادُ أَنَّهُ مِمَّنْ يَجْلِسُ مِثْلَهُ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .
(الْمَتَوَجُّجُ) بفتح الواو المشددة من الألقاب التي أصطَلَحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ
مِمَّنْ يَلْبَسُ التَّاجَ لِاسْتِحْقَاقِهِ لَهُ .

(١) كذا في الأصول بالاممال مع إشارة التوقف والمراد الألفاظ التي تحمل من الصغائر وغيره .

(٢) بيض له في الأصول وأوردته في الضوء ولم يفسره .

(الْمُحْتَسِم) من الألقاب التي أصطلح عليها لتُتجار الروم والفرنج ، والمراد بالاحتسِم هنا الرئيس الذي له حَسَمٌ وهم خَوْلُهُ وَخَدَمُهُ . وأصل الحِسْمَةُ في اللغة الغَضَبُ ، وسمى خَوْلُ الرجل وَخَدَمَهُ حَسَمًا لأنهم يَفَضُّون له ، وبعضهم يُطلق المحتسِم على المستحبي وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره ابن قتيبة وغيره حتى قال النحاس إنه لا يُعرَفُ أَحَدٌم إلا بمعنى غَضِبَ وإن كان الجوهري قد حكاه .

(الْمُعَزَّز) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم [وهو اسم مفعول من العز] خلاف الذل .

(المجد) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم [وهو مُفَعَّلٌ من المجد] وقد تقدّم الكلام عليه في الألقاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهام) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدّم في الألقاب الإسلامية ان معناه الشجاع .

التمط الثاني

(من الألقاب التي يُكْتَبُ بها لملوك الكفر الألقاب المرَكَّبَة)

وهذه جملة منها مرتبَةً على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آنرملوك اليونان) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهي تصلح لكل ملك ينسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أُمَّةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرق من الخليج القُسْطَنْطِينِي المعروف الآن ببلاد

(١) الزيادة يقتضيا الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الروم ثم ملكوا بعدها العراق، وأترك، والهند، وبلاد أرمينية، والشام، ومصر، والإسكندرية. ومنهم أكثر الحكماء والفلاسفة. وكانت دولتهم من أعظم الدول، وأختلف في نسبهم: فنقل ابن سعيد عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولد أفريقش بن يونان، بن علجان، بن يافث، بن نوح عليه السلام. والمنقول عن التوراة أن يونان هو ابن يافث أصله، وأسمه فيها ياقان بقاء تقرب في اللفظ من الواو فعزبت يونان. وخالف كثير من المؤرخين فنسبوا يونان إلى عابر بن قانع، فجعله أخا لقحطان جد العرب العاربة، وأنه خرج من اليمن مغاضبا لأخيه قحطان فنزل ما بين الأفرنجية والروم وأختلط نسبه بنسبهم. وقيل: بل اليونان من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام.

(أسوة الملوك والسلاطين) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمها بمعنى القدوة ومنه قولهم: لي في فلان إسوة يعني قنوة، وكانهم جعلوه إسوة للملوك الكفريقتدون به وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لدخول ملوك الإسلام فيهم.

(العادل في مئته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والمثلة في الكلام على الألقاب الإسلامية.

(العادل في مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة في الأصل موضع الملك ثم أطلقت على الرعية مجازا.

(الريد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم عن ملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر في "الروض المعطار" بلاد أرغون، وقال: هو آسم بلاد عرسية بن شايحة، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر في أي حيز هي

ولا في أي قُطر . وقد رأيت هذا اللقب في " التعريف " : لفقّر الشهابي بن فضل الله في ألقاب صاحب القسطنطينية وفي " التنقيف " لابن ناظر الجبش ، في ألقاب الأذقوش صاحب طليطلة من الأندلس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرّيد في لغتهم بمعنى الملك كما تقدم في الكلام على ريد أفونس في ألقاب الملوك .

(المنصيف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، والرعية من يسوسه الملك ، سُموا بذلك تشبيها لهم بالعمّ وله بالراعي .

(أوحدُ الملوك العيسويّة) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، ويصلح للملكانية والعقوبية جميعا : لأنه لم يقيد بمذهب من مذاهب النصارى .

(أوحد ملوك العقبويّة) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوك الحبشة : لأن ملكها من طائفة العقبويّة .

حرف الباء

(بطلُ النصارانية) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهو صالح لكل واحد منهم ، ومعنى البطل في اللغة الشجاع ، سُمي بذلك لأنه يبطل حركة قرنه .

(بقة أبناء الثخوت والتيجان) من الألقاب التي أصطلح عليها ملوكهم ، وهي تصلح لكل منهم أيضا من الملكانية واليعاقبة جميعا .

(بقة الملوك الأغرقيّة) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض الملوك من بقايا طائفة الأغرقيّة من اليونان ، وهم طائفة من اليونان تنسب إلى أغريقش بن يونان المقدم ذكره ، وهم اليونان الأول . وقد ذكره في " التعريف " في ألقاب ملك الكرج ، ولعله أُطلع على أنه من بقايا هذه الطائفة ، وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بِقِيَّةِ سَلَفِ قَيْصَرَ) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم من أنسب إلى القياصرة ملوك الروم أو قام مقامهم . وقَيْصَرُ اسْمٌ قَدِيمٌ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ الرُّومَ ، وَأَصْلُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي اللُّغَةِ الرُّومِيَّةِ جَانِثَرِيْمٌ وَشِينٌ مَعْجَمَةٌ فَعَرَّبَتْ قَيْصَرَ ، وَلَهَا عِنْدَهُمْ مَعْنَايَانِ : أَحَدُهُمَا الشَّيْءُ الْمَشْقُوقُ عَنْهُ ، وَالثَّانِي الشَّعْرُ ، وَاتَّخَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ لُقِّبَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ قَيْصَرَ : أَغَانِيُوشُ قَيْصَرَ ، أَوَّلُ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَلُوكِ الرُّومِ : مَاتَ أْتَهُ وَهُوَ حَمَلٌ فَشَقَّ بَطْنَهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الشَّقِّ عَلَيْهِ ، وَقِيلَ يُولِيُوشُ قَيْصَرَ ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ أَغَانِيُوشِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، وَقِيلَ أَغَشْطَشُ قَيْصَرَ وَهُوَ الَّذِي وُلِدَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَانِهِ ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الَّذِي مَاتَ أَنَّهُ وَهُوَ حَمَلٌ فَشَقَّ جَوْفَهَا وَأَخْرَجَ فَسَمَّى بِذَلِكَ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ وُلِدَ لَهُ شَعْرٌ تَامٌ فَسَمِيَ قَيْصَرَ لِوَجُودِ الشَّعْرِ فِيهِ حِينَئِذٍ .

حرف الجسيم

(جَامِعُ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ) مِنْ الْأَلْقَابِ الَّتِي تَصْلُحُ لِكُلِّ مَلِكٍ [مَمْلُوكَةٍ] مُتَّسِعَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كصاحب القُسطنطينية ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حَافِظُ الْبِلَادِ الْجَنُوبِيَّةِ) مِنْ الْأَلْقَابِ الَّتِي أُصْطَلِحَ عَلَيْهَا لِمَلِكِ الْحَبَشَةِ مِنَ النَّصَارَى . عَلَى أَنَّهُ يَصْلُحُ لغيره من ملوك السودان أيضا من أخذ في الجنوب من المسلمين وغيرهم .

(حَامِلُ رَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ) مِنْ الْأَلْقَابِ الَّتِي أُصْطَلِحَ عَلَيْهَا لِمُلُوكِهِمْ ، وَهِيَ تَصْنَعُ لِكُلِّ مَلِكٍ كَبِيرٍ مِنْ مَلُوكِ النَّصَارَى ، وَالْمُرَادُ بِالْمَسِيحِيَّةِ الْمَلَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ ، فَخُذَفَ

الموصوف وأقيمت الصفه مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وأخْتِيفَ في [سبب] تسميته بالمسيح : فقيل لأنه كان ممسوح القدمين بمعنى أنه لا أخص
له . وقيل لأنه مسح الأرض بالسيّاحه ، وقيل غير ذلك . أما تسمية الدجال بالمسيح
فلأنه ممسوح العين لأنه أعور . وقيل لأنه يمسح الأرض بالسير فيها .

(حايي البحار والخُلجان) من الألقاب التي تصلح لكل من مملكته منهم على
البحر ، واليبحار جمع بحر ، وأصله في اللغة الشق ، ومنه سُميت البحيرة المذكورة
في القرآن : وهي الناقة التي تُسَّقُ أذنّها فترسل فلا تعارض ؛ والخُلجان جمع خَلِج
وهو الجنول الصغير ، والمراد ما يتشعب من البحر تَكْلِيج القُسطنطينية وجون
البنادقة ونحوهما .

(حايي حمة بني الأصفر) من الألقاب التي تصلح لملوك الروم والفرنج بالممالك
العظام : كصاحب القُسطنطينية وغيره ، والمراد ببني الأصفر الروم فإنهم من ولد
صوفر بن العيص ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم عليه السلام ، والمؤرخون يعبرون عن
صوفر بالأصفر . وإنما خصّه بحماية الحمة تفخيماً له فإنه إذا حمى الحمة كان بحماية
غيرهم أجدر .

حرف انحاء المعجمة

(خالصة الأصدقاء) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد بالخالصة
هنا من ليس في صداقته شائبة .

(خلاصة ملوك الشريان) من الألقاب التي تصلح لكل من يُنسب إلى بقايا
الشريانيين من الملوك . والشريان أقدم الأمم في الخليقة ، وكانوا يدينون بدين
الصائبة ، وينسبون إلى صابئ بن إدريس عليه السلام . قال ابن حزم : ودينهم

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدار مذاهبهم على تعظيم الروحانيات والكواكب، وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذُئِرَ ملوك البحار والخُلُج) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل البحر، وقد تقدم معنى الذئير والبخار، والخُلُج هي الخُلجان؛ وقد تقدم معناها .

(ذُئِرَ الأمة النصرانية) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من الملكانية واليعاقبة، وقد تقدم معنى الذئير والأمة في الكلام على الألقاب الإسلامية .

حرف الزاء المهملة

(رَضِيَ الباب باباً رومية) يجوز أن يكون بفتح الزاء وكسر الضاد بمعنى صُرِيَّ الباب، ويجوز أن يكون بكسر الزاء وفتح الضاد بمعنى أنه يُعْمَلُ نفسِ رِضا الباب وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم؛ وقد تقدم في الألقاب الأصول معنى البآب، ورومية اسم لرومية التي بها الباب مقيم، إضافة إليها لإقامته بها، وقد مر القول عليها في الكلام على المسالك وأمالك في المقالة الثانية، وتأتي الإشارة إليها في الكلام على مكتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(رُكِنُ الأمة الميسوية) من الألقاب التي أصطلح عليها ليكبار ملوكهم كملك الحبشة ونحوه، ويصلح للملكانية واليعاقبة جميعاً .

حرف الشين المعجمة

(شَيْبُهُ مَرِيحًا مَعْمَدَانِ) من الألقاب التي أصْلَحَ لِكِبَارِ مَلُوكِهِمْ ، وَمَرِيحًا بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبعدها حاء مهملة ونون . ومعنى 'مَرِ السَّيْدُ ، وَيُحَيُّ بِالغَنَمِ يَحْيُ' ، والمراد شَيْبَةُ السَّيْدِ يَحْيُ ، وَالْمَعْمَدَانُ بِمِيمَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيْنَهُمَا عَيْنٌ مهملة صفة عندهم لِحَيِّهِمْ فَيَحْيُونَ أَن مَرِيحِمْ عَلَيْهَا السَّلَامُ نَحَرَجَتْ بِعَيْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ ابْنُ أَنْتَقَى عَشْرَةَ سَنَةً ، فَتَقَاءَ يَحْيُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ ، فَعَمَسَهُ فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِّ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَصْلُ مَاءِ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّذِي لَا يَصِحُّ عِنْدَهُمْ تَصَرُّفُ نِسْرَانِيٍّ إِلَّا بِهِ فَاطْلُقُوا عَلَى يَحْيُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْمَدَانِ لِمَعْنَى ذَلِكَ ، وَكَأَنَّهُ شَبَّهَ بِهِ مَنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَصْلُ الْمَعْمُودِيَّةِ بِرَعْمِهِمْ .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمَلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التي أصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِلْمُلُوكِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ فِيهِ صِدَاقَةً وَوُدًّا لِلْمُلُوكِ الْإِسْلَامِيِّينَ وَسَلَاطِينِهِمْ .

حرف الضاد المعجمة

(ضَابِطُ الْمَمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التي أصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِصَاحِبِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَهُوَ نَظِيرُ حَافِظِ الْبِلَادِ الْخَنْزِيرِيَّةِ لِمَلِكِ الْخَبَشَةِ .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَابًا رُومِيَّةً) من الألقاب التي أصْطَلَحَ عَلَيْهَا لِلْمُلُوكِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْبَابِ وَالْبَابَاءِ .

حرف العين المهملة

(عِرُّ الْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم .

(عمادُ نبي المعمودية) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم ، والعماد في اللغة الأبيَّة الرفيعة ، يذَّكَّرُ وَيؤنَّثُ . وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاوراً للبر والبحر من الملوك كأصحاب الجزائر ، وقد يصلح لغيرهم أيضاً .

(فَخْرُ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وتصلح للإكاثية والبياقية منهم .

حرف الميم

(مُتَبِعُ الْحَوَارِيِّينَ وَالْأَحْبَارِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْبَطَّارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب عظام ملوكهم ، والمراد بالحواريين أصحاب عيسى عليه السلام الذين بعثهم إلى أقطار الأرض للإبشارة به وللدعاية إلى الله تعالى ، وعنهم أخبر تعالى بقوله : ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وهم اثنا عشر نفساً أسماؤهم يونانية .

أحدُهم — بَطْرُسُ ، ويقال له سَمْعُونُ الصَّفَا ، وهو الذي بَشَّرَ بِالْقُدْسِ وَأَنْطَاكِيَّةَ وَمَا حَوْلَهَا .

والثاني — أَنْدَرَاوَسُ . وهو الذي بَشَّرَ بِلَادَ الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانَ .

والثالث — يَعْقُوبُ بْنُ زَبْرِي . وهو الذي بَشَّرَ بِمَدِينَةِ ... (١)

(١) بيان في الأصول .

- والرابع - يُوْحَنَّا الإِنْجِيلِيّ . وهو الذي بَشَّرَ ببلاد أُنْسُس وما معها .
 والخامس - فِيلِيس . ولم أقف على موضع بشارته .
 والسادس - برتُلُوما . وهو الذي بشر في الواحات والبربر .
 والسابع - تُوْمَا ويعرف بِتُوْمَا الرسول . وهو الذي بَشَّرَ في السِّند والهند .
 والثامن - مَتَّى . وهو الذي بَشَّرَ بِأَرْضِ فِلَسْطِينِ ، وصور ، وصَيْدَا ،
 ومصر ، وقرطاجنة من بلاد المغرب .
 والتاسع - يَعْقُوبُ بن حَلْفَا . وهو ممن بَشَّرَ ببلاد الهند أيضا .
 والعاشر - سِمْعَانَ ويقال شَعْمُونَ الصَّفَا . وهو الذي بشر بِسِمْشَاطٍ وَحَلَبَ
 وَمَنْبِجٍ وَبَرْزَنْطِيَّةَ : وهي القُسْطَنْطِينِيَّةُ .
 والحادي عشر - بُولُسُ ويقال له تداوس ، وهو الذي بَشَّرَ بِدِمَشْقَ وبالقدس
 أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .
 والثاني عشر - يَهُوذَا الأَنْطَحْرِيُوطِيّ : وهو الذي نخرج عن طاعة الْمَسِيحِ ودلَّ
 عليه اليهود لِيَقْتُلُوهُ فالقِيَ اللهُ تَعَالَى شَبَهَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ فامسكه اليهود وقتلوه وصأبوه
 ورفع الله تَعَالَى الْمَسِيحَ إِلَيْهِ . وليس هذا من المراد بالحواريين هنا : لأنه قد نرجع عن
 دائرتهم . فلفظ الحواريين مأخوذ من الحَوْر وهو شدة البياض . سُمُّوا بِذَلِكَ لِصَفَائِهِمْ
 وَتَفَانِيهِمْ فِي اتِّبَاعِ الْمَسِيحِ عَنِ الدُّخْلِ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْأَوَّلِ قَصَّارِينَ يَدْبِضُونَ
 الثِّيَابَ .
 والأخبار جمع حَبْر - بفتح الحاء وكسرها وهو العالم .
 والرَّبَّانِيُّونَ جمع رَبَّانِيّ وقد تقدّم معناه في الألقاب الإسلامية .
 والبَطَّارِكَةُ جمع بَطْرِكٍ وقد تقدّم الكلام عليه في الألقاب الأصول وأن أصله
 بَطْرِيْرِكٌ ، وأنه يقال فيه فَطْرِكٌ بالفاء بدل الباء ، وكان لهم نعمة كراسي - كراسي برومية ،

وهو الذي قعد فيه الباب ، وكُرسى الإسكندرية : وهو الذي استقر لبطرك اليمقوبية الآن ، وكُرسى بيزنطية وهي القسطنطينية ، وكُرسى أنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية ، وكُرسى بالقدس وهو أصغرهما عندهم .

(مَجْمَعِي طُرُق الفلاسفة والحكماء) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته متبع حكام اليونان وفلاسفتهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهي لفظ يوناني مركب من مضاف ومضاف إليه ، معناه محب الحكمة ، فلفظ فيل بمعنى محب ، وسوف بمعنى الحكمة ، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهي : الهيئة والهندسة والحساب واللحون وغيرها . والحكماء جمع حكيم ، وهو من يُحسن دقائق الصناعات ويُثقفها أو من يتعاطى الحكمة ، وهي معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم ، وأوّل ما صارت الحكمة فيهم في زمن مجتصر ، ثم اشتهرت فيهم بعد ذلك ، ولذلك عبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أوّل زمن الحكماء .

(مَحْوَلُ التُّخُوتِ وَالتَّيجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظم مملكته في القديم والحديث ، والمَحْوَلُ المَمْلُوكُ ، والتُّخُوتُ جمع تَخَتَ وهو كُرسى المَلِكِ الذي يجلس عليه المَلِكُ في مجلسه العام ، والتَّيجَانُ جمع تاج وهو الذي يُوضَع على رأس المَلِكِ إذا جلس على تَخَتِهِ ، والمعنى أنه يُعطى المملوك المالك من تحت يده لِسَمَةِ مملكته وعظمتها ، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة القرنج وقوة شوكتهم مُلكاً عظيماً .

(مَسِيحُ الأَبْطَالِ المَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم كصاحب القسطنطينية . أضاف المَسِيحَ إلى الأبطال ثم وصفها به جمعاً له بين رتبتي الشجاعة والتدين بدينه .

(مُصَافِي الْمُسْلِمِينَ) من الألقاب التي أصطلح عليها لمُلوكتهم ، والمُصَافِي مفاعل من الصَّفَاء ، والمراد أنه صافى النية للمسلمين والمسلمون صافوا النية له .

(مُعِزَّ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملوكهم ، والمراد بالنصرانية ملة النصرانية ، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ، والنصرانية في الأصل منسوبة إلى الناصرة وهي القرية التي نزلها المسيح وأمه عليهما السلام من بلاد القدس عند عودهما إلى مصر ، وقيل مأخوذة من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ .

(معظم البيت المقدس) من الألقاب التي أصطلح عليها لمُلوكتهم ، وربما زيد فيها لقبيل «معظم البيت المقدس بعقد النية» لموافقة الروى في السجعة التي تقارنهما ، ويصلح لكل ملك من ملوكهم لأن جميعهم يعتقدون تعظيم البيت المقدس ، والبيت المقدس معروف ، والتقدیس التزيه والتطهير .

(معظم كنيسة صهيون) من الألقاب المختصة بملك الحبشة لأنه يعقوبى ، وكنيسة صهيون بالإسكندرية ، وهي كنيسة بطرك اليعاقبة الآن . ومعتقدهم أنه لا يصح ولاية ملك منهم الا باتصال من هذا البطرک ، على أنه في ابتداء البطرکية في زمن الخواريين لم يكن بكرسى الإسكندرية أحد من الخواريين ، إنما كان بها مرقص الإنجيلي تلميذ بطرس الخوارى صاحب كرسى رومية ، والنصارى يؤمنون على طريقة واحدة قبل ظهور الملكية واليعقوبية ، فلما افترق دين النصرانية إلى الملكية واليعاقبة وغيرهم ، كانت بطرکية الإسكندرية يتداولها الملكية واليعقوبية تارة وتارة بحسب انتحال الملوك والميل إلى كل من المذهبين . ثم استقرت آخرى في بطرك اليعاقبة إلى زماننا ، وتبعه ملوك الحبشة لانتظام مذهب اليعاقبة ، كجتماع الروم والفرنجية الباب

برومية : لانتحالم منذهب المَلِكانيّة، وسيأتي الكلام على طَرَف من ذلك في الكلام على مكتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مُلُوكِ السُّرِيَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظّمته عندهم ، وقد تقدّم ذكر السُّرِيَانِ فيما قبل .

(مُؤَادُ الْمَسَامِينِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وهو بتشديد الهمزة أخذًا من المَوَدّة .

(مُؤَيِّدُ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمُؤَيِّدُ المَقْوِيُّ ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية كما تقدّم بيانه ، وربما قيل «مُؤَيِّدُ الْعَيْسَوِيَّةِ» : والأمر فيهما كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لأكابر ملونهم ، وقد تقدّم معنى هذه الألقاب في مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم . وقد تقدّم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه أنتقل إليه الملكُ وراثته من آباءه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فِي الْأَيْسَرَةِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لمن يكون عريقًا في الملك ، وهو قريب من اللَّقْبِ الذي قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصِرَةِ الْعُظْمَاءِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية التي هي قاعدة القياصرة ، وقد تقدّم أوّل مَنْ سُمِّيَ قَيْصَرًا فيما سَأَف من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون اللقب الأصل مؤنثاً
فتبعه الألقاب الفروع في التأنيث. ولها حالتان)

الحالة الأولى - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيق كالحضرة مثلاً ،
فترد ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التأنيث في اللقب الأول ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الحضرة العالمة أو السامية أو العلية ، حضرة
الملك الجليل » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى للحضرة بلقبين
فاكثر طلباً للتفخيم ، ثم يعدل إلى الألقاب المذكورة ، مثل « الحضرة العالمة المكرمة »
ثم يقال « حضرة الملك الجليل » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية - أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيق - بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت ملكة في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعاجم في إسناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيكتب مثلاً « الملكة الجليلة المكرمة المبجلة
الموقرة المفخمة المعززة فلانة العادلة في مملكتها ، كبيرة دين النصرانية ، نصررة الأمة
العیسویة ، حامية الثغور ، صديقة الملوك والسلاطين » وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنته "التعريف بالمصطلح الشريف" للقر الشهابي بن فضل الله ،
و"عرف التعريف" في الإخوانيات له ، و"تتقيف التعريف" للقاضي تقي الدين
ابن ناظر الجيوش إلا ما شرد عنه القلم ، مع ما تضمنته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الديارات المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والثامية جارياً على عُرفهم مما استعمله أهل الزمان ومن قاربه ؛ والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف طُرُقها، اخترع ماشاء من الألقاب والنعوت ؛ والضابط في وضع الألقاب أن يراعى فيها أحوال المكتوب له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر أوصاف المدح اللائقة به ؛ فيؤتى لصاحب السيف بالألقاب المقتضية للشجاعة واليسالة : مثل المجاهدى والمناغرى والمرابطى وما أشبه ذلك . وربما أضيف له بعض الألقاب المقتضية للعلم والصلاح ، كالعالمى والعاملى ونحو ذلك ، لاشتراك الناس في المدح بمثل ذلك . ويؤتى للعالم والقاضى ونحوهما بالألقاب المقتضية للعلم كالعالمى والمحقق والمدقق ونحو ذلك . وربما أضيف إليها الألقاب المقتضية للصلاح بمدح العلماء به . ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب المقتضية للصلاح والتعبد كالعابدى والزاهدى ونحوهما . ويؤتى لكُتَّاب الإنشاء بالألقاب المقتضية للبلاغة كالبلّغ والمفوهى ونحوهما ، ويؤتى للنساء بالألقاب المقتضية للصيانة والعفة كالمصونة والمحجبة وما أشبههما . ويؤتى لأهل الكُفْر من الملوك ونحوهم بما لا حرج فيه على الكاتب : كالشجاعة وما في معناها، والتقدم على ملوك طائفته وأهل ملته وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخص واحد أوصاف متعددة من المدح جُمعت له ، على أن أكثر ما يستعمله الكُتَّاب من الألقاب غير موجودة في صاحبها، وإنما هي ألقاب حَفَظُوهَا لَرَبِّ مَعِينَةٍ لَا يَسْمَعُهُمُ الْإِحْلَالُ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذِبًا مَحْضًا ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ . وقد كان في القديم قاعدة مستقرّة : وهو أنه لَا يَلْقَبُ أَحَدٌ بِلِقَبٍ وَلَا يُكْنَى بِكُنْيَةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ هُوَ الَّذِي يَلْقَبُ بِذَلِكَ أَوْ يَكْنَى .

الجملة السابعة

(في تفاوت الألقاب في المراتب ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوت فيه بالصعود والمُهبوط ، وهو نوعان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوت فيه بحسب القسلة والكثرة ، وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون المكتوب إليه من أتباع المكتوب عنه ، كقواب السلطنة فيما يُكتب عن الأبواب السلطانية من مكاتبات وولايات ، فزيادة الألقاب وكثرتها في هذه الحالة علوٌ وشرفٌ في حق المكتوب إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شك أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أعلى من قلة ، ولذلك يقع الإطالة في ألقاب كبار الثواب والاختصار في صغارهم ، وتأتي في غاية الاختصار في نحو ولاية النواحي ومن في معناهم .

الحالة الثانية — أن يكون المكتوب له أجنبياً عن المكتوب عنه ، كالملوك الذين تُكتب إليهم المكاتبات عن السلطان ، فقلة الألقاب في حقه أرفع لأن الإكثار من ذلك يُرى أنه من باب الملق المذموم بين الأكارب في المكاتبات فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة الدعاء ، ولذلك يقع الاختصار في الألقاب فيما يُكتب لهم عن السلطان إجلالاً لقدرهم عن رتبة رعاياه الذين يُكثر من ألقابهم .

النوع الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ

أو ما وقع الأصلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(الألقاب المفردة . وهي على أربعة أعماط)

النمط الأول

(التواضع)

وهي التي تلي الألقاب الأصول كالتي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيلي المقام لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ العالی ، فالمقام يقال فيه « المقام الأشرف العالی » و « المقام الشريف العالی » و « المقام العالی » . ويلى المقر لفظ الأشرف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « المقر الأشرف العالی » و « المقر الشريف العالی » و « المقر الكريم العالی » و « المقر العالی » . ويلى الجناب لفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « الجناب الكريم العالی » و « الجناب العالی » . ويلى المجلس لفظ العالی والسامى ، فيقال « المجلس العالی » و « المجلس السامى » . والألقاظ التي تتبع وهي الأشرف والشريف والكريم والعالی والسامى بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشرف أرفع من الشريف ، لأن أشرف أفضل تفضيل يقتضى الترجيح على غيره كما هو مقرر في علم النحو ، والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تقدم عن ابن السكيت أن الكرم يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والشرف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك ترجيح الشريف على الكريم لأفضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه ، بخلاف

الكرم ، ولذلك آخبر الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها دون الكرم . والكرم
أرفع رتبة من العالى ، لأن الكرم يحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف اللؤم
ويحتمل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل وكلاهما مقطوع بأنه صفة
مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الكتاب المعنى الأول . والعالى يحتمل أن يكون
من على بكسر اللام يعلى بفتحها علاء بفتح العين والمد إذا شرف ؛ ويحتمل أن
يكون من علا يعلو علوا إذا أرفع في المكان ، وليس العلو في المكان مما يدل على
صفة المدح إلا أن يستعار للارتفاع في الشرف فيكون صفة مدح حينئذ على
سبيل المجاز وإن كان مراد الكتاب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح
من الجانبين أعلى مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب دون جانب . وقد
أصطلحوا على أن جعلوا العالى أرفع رتبة من السامى ، وهو مما أنكر على واضعه ،
إذ لا فرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السمو بمعنى العلو . والذي يظهر أن الواضع
لم يجهل ذلك ولعله إنما جعل العالى أرفع رتبة من السامى وإن كان بمعناه لأن
العالى لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فيكون المدح به أتم باعتبار من
يفهمه ، بخلاف السامى فإنه لا يفهم معنى العلو منه إلا الخاصة ، فيكون المدح به
أخص لاقتصار الخاصة على معرفته دون العامة .

الفصل الثاني

(ما يقع التفاوت فيه بحسب الخوق بآء النسب وتجرده منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به بآء النسب ومنها ما يتجرده عنها ،
وأن الذى تلحقه بآء النسب منها ما هو منسوب إلى شيء خارج عن صاحب
اللقب كالقضائى فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فيكون النسب

فيه على باه ، ومنه ما هو منسوبٌ إلى صاحب اللقب نفسه كالأُميرى فإنه نسبةٌ إلى الأُمير وهو عينُ صاحبِ اللقب فدخلت فيه بآءِ النسب للمبالغة ، كما في قولهم لشديد الحُرّة أحرى على ما تقدّم بيانه .

وبالحال فقد أصطلحوا على أن يكون ما لحقت به بآءِ النسب أرفع رتبةً مما تجرد عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الأُميرى أعلى رتبةً من الأُمير ، والقضائى أرفع رتبةً من القاضى ؛ ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبةً من المنسوب إلى شيءٍ خارج عنه ؛ ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبةً من القضائى . أما كون ما لحقت به بآءِ النسب أرفع رتبةً من المجرد عنها فظاهرٌ ؛ لأن المبالغة تقتضى الرفعة ضرورةً ، وأما كون المنسوب إلى شيءٍ آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفعة وإن لم يكن فيه مبالغةٌ ، فلإلحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، لئلا يلتبس الحال في النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوبٌ إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذلك . على أنهم لم يَقِفُوا مع الحكم في كون ما دخلت عليه بآءِ النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه في الألقاب السلطانية التى هى أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطانُ الأجلُ العالمُ العادلُ» إلى آخر ألقابه المفردة من غير إلحاق بآءِ النسب بها ، ثم استعملوا مثل ذلك في ألقاب السامى بغير بآءِ فما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبةً . وكانهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفعة عن المبالغة في ألقابه بإلحاق بآءِ النسب ، من حيث إن المعروف لا يحتاج إلى تعريف .

(١) أى الرى للمبالغة كما يفيد التعليل بعد .

المقطع الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غيرية النسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكفيل - فإنه أرفع رتبةً من الكافل ، لأن صيغة فعيل أبلغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث إن فعيلًا لا يصاغ إلا من فعل بضم العين إذا صار ذلك الفعل له سجيّة ، كما يقال كرم فهو كريم وعظم فهو عظيم وحلم فهو حلیم ، بخلاف فاعل ، ومن أجل ذلك كان لفظ فقيه أبلغ من لفظ فاقه لأن فاقه يُصاغ من فقه بكسر القاف إذا فهم ، ومن فقه بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وقفيه إنما يُصاغ من فقه بضمها إذا صار الفقه له سجيّة كما مر القول عليه في الكلام على الفقيه والفقيهي في الألقاب الإسلامية المفردة .

المقطع الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء

التشريف لعلو متعلقه ورفعه)

كالمشهديّ والمشيديّ ، فإن المراد بمهد الدول ومشيّد الممالك على ما مر في الألقاب المرگية ، فإن من يتبى في الرتبة إلى تمهيد الدول وتشيد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يجرى هذا الجرى كالمديريّ بالنسبة إلى الوزراء ومن في معنهم ، والحقق بالنسبة إلى العلماء ، والأصليّ بالنسبة إلى العريق في كرم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الألقاب المركبة، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعرضه على بعض لقباً بعد لقب، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك في رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام وغيرهم،

وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يضاف إلى الإسلام، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول - أن يكون ذلك في ألقاب أرباب السيوف . وقد أصطلح المقر الشهابي بن فضل الله على أن جعل أعلاها ركن الإسلام والمسلمين فذكر ذلك في المكتبة إلى النائب الكافل، ومكاتبته يومئذ بالجناب الكريم، ثم أبدل الكتاب ذلك بعده بغير الإسلام والمسلمين، وجعلوه مع المكتبة إليه بالمقر الكريم على ما استقر عليه الحال آخر في المكتبة إلى النائب الكافل ونائب الشام، وجعلوا دون ذلك عن الإسلام والمسلمين فأوردوه مع الجناب الكريم والجناب العالي على ما استقر عليه مصطلحهم في السلطانيات . وجعل في "عرف التعريف" في الإخوانيات عن الإسلام والمسلمين أعلى الألقاب فأورده في ألقاب المقر الشريف، ثم طرده فيما بعد ذلك من المقر الكريم والمقر العالي ولم يعده إلى ما بعد؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس العالى مُطلقاً مع الدعاء وصَدَرَتْ ، ثم جعل دُونََ ذلك مجد الإسلام فقط من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده في المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَسُدَّهُ إلى مجلس الأمير بل أعضاه بمجد الأمراء على ما سياتى ذكره ، وتابعه على ذلك في التثنيف .

الحال الثانى - أن يكون ذلك في ألقاب الوزراء من أرباب الأقاليم ومن في معانهم ككتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخصاص فمن دُونَهُم من الكُتَّاب . وقد ذكر المقتز الشهابى بن فضل الله في بعض دساتيره السامية أن أعلاها لهم ركنُ الإسلام والمسلمين ، وجعل في "عرف التعريف" أعلاها للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، ولمن في معنى الوزراء عن الإسلام والمسلمين ، أوجلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المَقْتَر الشريف وما بعده : من المَقْتَر الكريم ، والمَقْتَر العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونََ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء ، وعن الإسلام والمسلمين ووجلال الإسلام والمسلمين بمن في معانهم فلأن الصلاح فيه معنى السداد والقصد ، والعز والجلال فهما معنى العظمة والهيبه ، ولاشك أن وظيفة الوزارة التى مَنَاطُهَا تدير المُلْك بالصلاح أجدر ؛ على أنه إذا حصل الصلاح تبعته العظمة والهيبه ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مَرين أحدهما أن الجلال بمعنى العظمة والمجد بمعنى الشرف والعظمة أبلغ من الشرف لما في العظمة من نفاذ الكلمة . والثانى أن الإضافة في جلال الإسلام والمسلمين في المعنى إلى شيتين وفي مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث - أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها حُجَّة الإسلام أوصياء الإسلام، فأوردهما مع الجَنَاب الشريف الذي هو عنده أعلى الرُتَب لهذه الطائفة ، وجعل دُونَ ذلك بهاء الإسلام فأورده مع الجَنَاب الكريم ، وجعل دُونَهُ مَجْد الإسلام فأورده مع المجلس العالی والسامی بالياء وبغير ياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة في اللغة بمعنى البرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تنقصر قواعد الإسلام ومبانيه ؛ والضياء في أصل اللغة خلاف الظلمة ؛ ثم استعير للهداية وما في معناها ، ولاشك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذي هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع - أن يكون في ألقاب الصلحاء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها صَلَاح الإسلام وأورده مع الحَضْرَة ، ومع الجَنَاب الشَّريف ، والجَنَاب الكريم ، وجعل دُونَهُ جَلَال الإسلام وأورده مع الجَنَاب العالی ، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالی ، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامی بالياء فأدُونَهُ .

أما كون صَلَاح الإسلام والمسلمين أعلى من جَلَال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيانه . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأن الجَلَال معناه العظيمة وهي أعلى من الضياء على ما فيه من التعسف .

الفصل الثاني

(من الألقاب المركبة ما يُضَافُ إلى الأُمراء والوُزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السُّنِّيَّة ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضَافُ إلى الإسلام)

الحال الأول — أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في "عُرف التعريف" أعلاها سيِّد الأُمراء في العالمين ، وأورده مع المَقَرَّ الشريف ،
والمَقَرَّ الكريم ، والمَقَرَّ العالى . وجعل دُونَهُ سيِّد الأُمراء المقدمين ، وأورده
مع الجَنَاب الشريف ، والجَنَاب الكريم ، والجَنَاب العالى . ودُونَهُ شَرَف الأُمراء
المقدمين ، وأورده مع المجلس العالى والدُّعاء . ودُونَهُ شَرَف الأُمراء في الأَمام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودُونَهُ زَيْن الأُمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بغير ياء . ودُونَهُ مَجْد الأُمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى في "التتقيف" بعد سيِّد الأُمراء في العالمين سيِّد أمراء العالمين ، وأورده مع
الجَنَاب العالى . ودونه شرف الأُمراء في العالمين ، وأورده مع المجلس العالى والدُّعاء .
ودونه شرف الأُمراء المقدمين ، وأورده مع صدرت العالى . ودونه شرف الأُمراء
فقط ، وأورده مع السامى بالياء . ودونه نخر الأُمراء ، وأورده مع السامى بغير ياء .
ودونه مجد الأُمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يخفى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع في أن الترتيب الذى
في التتقيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تقدم من التوجيه في النمط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثانى — أن يكون في ألقاب الوُزراء ومن في معناهم . فقد ذكر
في "عُرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيِّد الوُزراء في العالمين ، ولمن في معناهم

من كاتب السُر ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ، والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالى ، والجَنَابَ الشريف ، والجَنَابَ الكريم ، والجَنَابَ العالى ، وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتَّاب نغز الأنام ، وأورده في المجلس العالى والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث - أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في "عُرف التعريف" : أعلاها شرف الأنام . وأورده مع الجَنَابَ الشريف الذى جعله أعلى المكاتبات لهم ، ومع الجَنَابَ الكريم والجَنَابَ العالى وجعل دونه نغز الأنام ، فأورده مع المجلس العالى بالدعاء . ودونه بهاء الأنام ، وأورده مع صَدْرَتِ العالى ، ومع السامى بالياء والسامى بغير ياء .

الحال الرابع - أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها خالصة الأنام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التى جعلها أكبر رتبهم ، ومع الجَنَابَ الشريف ، والجَنَابَ الكريم ، والجَنَابَ العالى ، وجعل دونه شرف الأنام وأورده مع المجلس العالى . ودونه زين الأنام ، وأورده مع السامى بالياء وبغير ياء .

النَّمَطُ الثالث

(من الألقاب المركبة ما يُضاف لملك الملوك والسلاطين ،

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة المذكور)

الحال الأول - أن يكون من ألقاب أرباب السُيوف . وقد ذكر في "عُرف التعريف" أن أعلاها ظهير الملوك والسلاطين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالى ، والجَنَابَ الشريف ، والجَنَابَ الكريم ، والجَنَابَ العالى ؛

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالى والمجلس السامى بالياء . ودُونَهُ عُمْدَةَ الملوك والسلاطين ، وجعله مع مجلس الأمير . والذى في "التشريف" إيراد ظهير الملوك والسلاطين مع المقتر الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ، وجعل عَضُدَ الملوك والسلاطين مع السامى بالياء ، وعُمْدَةَ الملوك والسلاطين مع السامى بغير ياء ، وعُدَّةَ الملوك والسلاطين مع مجلس الأمير .

والحاصل أنه في "التشريف" زاد رُتبتين في ظهير الملوك والسلاطين ، فجعله في المجلس السامى مع الدعاء ومع صدرت ، على أن التحقيق أن عَضُدَ الملوك والسلاطين أعلى في الحقيقة من ظهير الملوك والسلاطين ، لأن العَضُدَ عَضُو من أعضاء الإنسان : وهو ما بين المرفق والكف ، والظهير خارج عنه ، وما كان من نفس الإنسان كيف يُجعل ما هو خارج عنه أرفع منه بالنسبة إلى ذلك الشخص ؟ .

الحال الثانى — أن يكون من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معناهم . وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها ظهير الملوك والسلاطين أيضا ، وأورده مع المقتر الشريف ، والمقتر الكريم ، والمقتر العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالى ، وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده مع المجلس العالى فما دُونَهُ .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها للقضاة حَكَمَ الملوك والسلاطين ، ولغيرهم من العلماء خالصة الملوك والسلاطين ، وهو عنده للجناب الشريف فما فوقه . ودُونَهُ بركة الملوك والسلاطين ، وأورده مع الجناب الكريم ، والجناب العالى ، والمجلس العالى ، مع الدعاء . وجعل دُونَهُ صَفْوَةَ الملوك والسلاطين ، وأورده في صدرت والعالى فما دُونَ ذلك .

الحال الرابع - أن يكون في ألقاب الصلحاء . ولم يزد في "عريف التعريف" على أنه يُكتَب لهم بركة الملوك والسلاطين ، وحينئذ فيقتصر عليها لجميعهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المرَّكبة ما يضاف لأمير المؤمنين ، وهو على الأحوال

(١) الأربعة المتقدم ذكرها)

الحال الأول - أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلها قسيم أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان كما تقدم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يُكتَب لتُؤاب السلطنة عن الأبواب السلطانية ، وجعله في "عريف التعريف" مع المعتر الشريف خاصة . ودونه سيف أمير المؤمنين ، وأورده مع المعتر الكريم والمعتر العالی ، ودونه حسام أمير المؤمنين ، وجعله في "عريف التعريف" مع الجناب الشريف والجناب الكريم والجناب العالی ، ولم يُورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التنقيف فجعله مع المعتر الكريم والمعتر العالی . ودونه حسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالی والدعاء ، ولم يُورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين . والحاصل أنه في "عريف التعريف" زاد رتبة فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهي حسام أمير المؤمنين .

(١) كذا في الاصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصلحاء فتأمل .

الحال الثاني - أن يكون من القاب الوزراء ومن في معناهم . ولم يزد في "عُرف التعريف" على وليّ أمير المؤمنين ، وأورده مع المقرّ الشريف ، والمقرّ الكريم ، والمقرّ العالی والجناب الشريف ؛ ويحسن أن يبيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالی صفی أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، ولا يضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالی فإدونه شيء من الألقاب آكتفاءً بما يضاف إلى الملوك والسلاطين كما تقدم في أرباب السيوف .

الحال الثالث - أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها وليّ أمير المؤمنين ، وجعله مع الجناب الشريف فما فوقه ، ويحسن أن يبيء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين ، ومع الجناب العالی صفی أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين ، كما تقدم في الوزراء ومن في معناهم ومن دونهم من الكُتاب .

الاعتبار الثاني

(في الألقاب المرتبة أن يختص الترتيب في الألقاب بنوع من

المكتوب لهم ، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختص بأرباب السيوف ، وله حالان)

الحال الأول - أن تقع الإضافة فيه إلى الغزاة والمجاهدين . وقد جعل المقرّ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" ناصر الغزاة والمجاهدين أعلاها ، فأورده في المكتبة إلى نائب الشام ، والمكتبة إليه يومئذ دون المكتبة إلى النائب الكافل ؛

وهو خلاف مقتضى تركيب لغة العرب لما تقدم من أن صيغة فعيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكنيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . وحينئذ فيكون نصير الغزاة والمجاهدين أعلى من ناصر الغزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "عُرف التعريف" فإنه أعرض عن ذكر الألقاب المضافة إلى الغزاة والمجاهدين مع المَقَرِّ الشريف الذى هو أعلى الألقاب لأرباب السيوف من التواب ومن في معناهم ، وأتى بعده مع المَقَرِّ الكريم بنصير الغزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الجَنَابِ الشريف إلى آخر المجلس العالى بنصرة الغزاة والمجاهدين ، فجعل نصير الغزاة أبلغ من نُصرة الغزاة : لما فى نصير من لفظ التذكير وفى نُصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ، ثم أتى مع السامى بالياء بدُخر الغزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بغير ياء بزَيْن الأسماء المجاهدين على وُصف الأسماء بالمجاهدين دون عطف المجاهدين على الأسماء ، ثم مع تجلس الأمير بزَيْن المجاهدين .

وجعل في "التنقيب" أعلاها ناصر الغزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المَقَرِّ الكريم ، ودونه نُصرة الغزاة والمجاهدين ، وأورده مع الجَنَابِ الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ، ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بغير ياء ومجلس الأمير بزَيْن المجاهدين ، والحال فى ذلك قريب .

الحال الثانى - أن يكون اللقب مضافاً إلى الجيوش . وقد جعل في "التعريف" أعلاها أتابك الجيوش ، وأورده فى ألقاب النائب الكافل ، وجعل دونه زعيم الجيوش وأورده فى ألقاب نائب الشام ، وهو يومئذ دون النائب الكافل ، ثم جعل دونه زعيم جيوش الموحدين ، وأورده فى ألقاب نائب حلب . وعلى نحو من ذلك جرى فى "عُرف التعريف" فجعل أعلاها زعيم الجيوش وأورده مع المَقَرِّ الشريف ،

والمَقَرَّ الكَرِيمَ والمَقَرَّ العَالِيَّ ؛ وِدُونَهُ زَعِيمَ جُيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، وأورده مع الجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِيَّ ؛ ولم يُورِدْ شيئاً في هذا المعنى فيما بعد ذلك ، وعلى نحو ذلك جرى في التثقيف .

الخط الثاني

(ما يختص بالوزراء ومن في معانهم : من كاتِبِ السِّرِّ ونحوه

فَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ)

وقد ذكر في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولن في معانهم سيّد الكُتَّابِ في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرَّ الشَرِيفِ والمَقَرَّ الكَرِيمِ والمَقَرَّ العَالِيَّ والجَنَابِ الشَرِيفِ والجَنَابِ الكَرِيمِ والجَنَابِ العَالِيَّ ؛ وجعل دُونَهُ لَمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الكُتَّابِ شَرَفَ الرُّؤَسَاءِ ، وأورده مع المجلس العَالِيَّ ؛ ولا شك أنه يجيء بعده أَوْحَدُ الكُتَّابِ أو شَرَفُ الكُتَّابِ مع المجلس السامِيَّ بالياء ، ثم جَمَالَ الكُتَّابِ للسامِيَّ بغير الياء فإ دُونَهُ .

الخط الثالث

(ما يختص بالقضاة والعلماء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها سيّد العلماء والحُكَّامِ ، ولغيرهم أَوْحَدُ العلماء الأعلام ، وجعله للجَنَابِ الشَرِيفِ فإ قَوْقَهُ ، ثم للجَنَابِ الكَرِيمِ ، والجَنَابِ العَالِيَّ ؛ وجعل دُونَهُ تاج العلماء والحُكَّامِ ، أو شَرَفَ العلماء والحُكَّامِ ، وأورده مع المجلس العَالِيَّ ؛ ودُونَهُ جَمَالَ العلماء أَوْحَدَ القُضَلَاءِ ، وأورده مع السامِيَّ بالياء ؛ ودُونَهُ جَمَالَ الأعيان مع السامِيَّ بغير ياء فإ دُونَهُ .

المسقط الرابع

(ما يختص بالصلحاء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لهم شيخ شيوخ العارفين، وأورده مع الحضرة الطاهرة، وجعل دون ذلك أوحد المحققين، فأورده مع الحناب الكريم، ودونه أوحد الناسكين، فأورده مع الحناب العالی .

قلت : وليس وضع هذه الألقاب على الترتيب في العلو والهبوط راجعاً إلى مجرد التسمي من غير تقصُّ لعلو أو هبوط يدلُّ عليه جوهر اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتقدم كل لقب منها على الآخر ورفيعته عليه في الرتبة سبب يقتضيه اللفظ وتوجبه دلالة الظاهرة أو الخفية . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضع لذلك ، أو وقوعه من بعض المدعين الظانين أن القلم في ذلك مطلق العنان، يتصرف في وضعه كيف شاء من غير نظير إلى ما يوجب تقدماً ولا تأخيراً . ومما يوضح ذلك ويبينه أنك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكر في أرباب السيوف مثلاً ، رأيت أعلاها ركن الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذكور في "التعريف" وغيره من سائر دساتير المعقر الشهابي بن فضل الله ، وأعلاها على ما ذكره في "التتيف" معز الإسلام والمسلمين ، ودون ذلك في الرتبة عز الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام فقط من غير عطف ، على ما تقدم ذكره .

أما كون ركن الإسلام والمسلمين أعلى من عز الإسلام والمسلمين ، فلأن ركن الشيء في اللغة جانبُه الأقوى ، وقد قال الأصوليون : إن الركن ما كان داخل المساهية ، وحينئذ فيكون ركن الشيء بعضاً منه بخلاف العز فإنه معنى من المعاني خارج عنه ، وما كان بعضاً للشيء كان أحص به مما هو خارج عنه .

وأما وجه إبداهم ركن الإسلام والمسلمين بمعز الإسلام والمسلمين فلأن
 في الركن معنى العِزِّ والقُوَّة ، وقد فسره قوله تعالى حكايةً عن لوط عليه السلام :
 ﴿ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ بالعِزِّ والمنعة ، فجعل المعز لهذا الاعتبار في الألقاب قائماً
 مقام الركن .

وأما كون عز الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام والمسلمين ، فلأن العِزَّ
 أجدى في النفع من التجدد ، فقد تقدم أن ابن السكيت قال : إن التجدد لا يكون
 إلا بشرف الآباء ، ولا نزاع في أن العِزَّ في تعارف الملوك أكثر جدوى وأوفر نفعاً
 في تحصيل المقاصد . وقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أن الكتاب
 في الزمن القديم كانوا يعملون الدعاء بالعِزِّ عقب الدعاء بطول البقاء ، فإنه يكون بالعِزَّ
 مصوناً عالياً آمناً غنياً .

وأما كون مجد الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلأن الشيء كلما تعدى
 فعله إلى غيره كان أرفع رتبةً ، ومجد الإسلام والمسلمين يتعدى إلى شيتين : وهما
 الإسلام والمسلمين ، ومجد الإسلام لا يتعدى إلا إلى شيء واحد : وهو الإسلام .
 لذلك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رأيت أعلاها في أرباب
 السيف قسيم أمير المؤمنين ، ودونه خليل أمير المؤمنين ، ودونه عضد أمير المؤمنين
 ودونه سيف أمير المؤمنين ، ودونه حسام أمير المؤمنين .

أما كون قسيم أمير المؤمنين أعلى من خليل أمير المؤمنين ، فلأن القسيم بمعنى
 المقاسم ، والمراد أنه قاسم أمير المؤمنين الملك وسأهمه في الأمر فصاروا فيه مشتركين ،
 و خليل أمير المؤمنين مأخوذ من الخلة بضم الخاء وهي الصداقة ، وفرق بين من يقاسم

(١) كذا في الأصول والأظهر وكذلك إذا اعتبرت الخ عطفاً على أنك إذا اعتبرت الخ المقدم

الخليفة فيصير عديبه في الامر، وبين من يكون خليله وصاحبه . على انه قد تقدم
أن الملك قد أربت بأنفسها عن هذا اللقب لاستبدادهم بالملك واستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلأن العضد ليس
المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتف والمرفق ، وإنما استعير للناصر وكأنه
ينصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للرتب ، بخلاف
الخليل والصدیق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تنحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلأن العضد وإن
قصد به الناصر فإنه مقول عن العضو للناصر كما تقدم وعضو الإنسان عنده
في العزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حسام أمير المؤمنين - وإن كان الحسام
متضمنًا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ
من الحسم : وهو القطع - فلأن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به
الشيخ "جمال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى
الإهلاك أبلغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن
الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبيه له فإنه ربما توهم أن الحسام أبلغ من السيف
لتضمن وصف القطع كما تقدم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك
يؤدى إلى الإسهاب والملل . والقول الجامع في ذلك أنه ينظر إلى الألفاظ الواقعة
في الألقاب وما تقتضيه من أصناف المدح ، وما تنهى إليه رتبها فيه من أعلى

(١) لعله رأيت بأنفسها أى ترفعت أو زمت بأنفسها أى خفت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب ، ويوجَّهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجدُ الجلال أعلى رتبةً ؛ لأن معنى الجلال العظمة ، ومعنى الجمال الحسن ، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعاً من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء ، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه الثور الذاتي وهو متعدى النفع عام الفضيحة ، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشادُ إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(مما تتفاوت فيه مراتب الانقلاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم

والتاخير ، وهو نوعان)

النوع الأول

(الانقلاب المفردة ، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الانقلاب التي تلى الألقاب الأصول)

وهي التي تلى المقام والمقر والجناب والمجلس : كالأشرف والشريف والكريم والعالي والسامي : فالأشرف على المقام والمقر ، فيقال : المقام الأشرف ، والمقر الأشرف ، والشريف على المقام والمقر والجناب ، فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف ، والكريم على المقر والجناب ، فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم . والعالي على المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيقال : المقام العالی ، والمقر

العالي ، والجناب العالي ، والمجلس العالي . والسامي على المجلس خاصة ، فيقال :
المجلس السامي . والعالي على الأشراف والشريف والكريم ، فيقال : الأشراف العالي ،
والشريف العالي ، والكريم العالي .

التمط الثاني

(ما يلي العالي أو السامي من الألقاب)

وهو اللقب الذي يميّز نوع المكتوب له ، كالأمريري لأرباب السيوف ،
والصاحبي للوزراء من أرباب الأقلام ، والقضائي والقاضي لسائر أرباب الأقلام ،
والشيعي للصوفية وأهل الصلاح ، والصدري للتجار ومن في معناهم . مثل أن
يقال : المَقَرُّ الكَرِيمُ العالي [الأمريري] والجناب العالي الصاحب ، أو الجناب العالي
القاضي ، أو المجلس العالي ، أو المجلس السامي الشيعي ، أو المجلس السامي
الصدري . وما أشبه ذلك . والمعنى في وضع هذه الألقاب في هذا الموضع أن يدلُّ
أول لقب يُذكر بعد اللقب الأصل وتابيه على الوظيفة كما تكُلُّ براعة الاستهلال
على صورة الحال في المكاتب أو الولاية أو غيرها ، وربما كان المحلُّ مما يقتضى
التلقيب بالمولوي فيقدم لقب المولوي على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المَقَرُّ
الشريف العالي المولوي الأمريري ، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضي أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر ، قام المضاف إليه مقام لقب
الوظيفة ، فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأمريري ، والقاضي من مجلس القاضي

(١) الزيادة متبينة وقد أخذناها من الضمير للولف .

مقام القضاة، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخ، والصدر من مجلس الصدر مقام الصدر. ثم لا يُنعت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل، ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب.

التمط الثالث

(ما يلي لقب الوظيفة)

وهو الكبير أو الكبيرى، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال : المقر العالى الأميرى الكبيرى، أو الجناب العالى القضاة الكبيرى، أو المجلس السامى الكبيرى إذا كان بالياء، أو الكبير إذا كان بغير الياء.

التمط الرابع

(ما يقع قبل لقب التعريف الذى هو القلانى أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة، كالكافى والكفيل للتواب، والوزيرى للوزراء، والحاكى للقضاة. فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل القلانى الكافى أو الكفيل بحسب ما يقتضيه الحال، وإن كان حاكماً كتب الحاكى. قال فى "التتيف" : وإن كان وزيراً كتب فى آخر ألقابه الوزيرى. والذى ذكره فى "عُرف التعريف" أن الوزيرى يلى لقب الوظيفة، فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب الأميرى الوزيرى، وإن كان من أرباب الأقلام كتب الصاحبى الوزيرى. وما ذكره فى "التتيف" متجه فيما إذا كان الوزير صاحب قلم، فإن التعريف فى الوظيفة يُعرف أولاً من قوله الصاحبى.

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزيرُ من أرباب السيوف، فإنه يتعين تقديمُ الوزيرِ فيذكر بعد الأميرِ ليبدل من الابتداء على الوظيفة، إذ مطلق الإمرة لا يدلُّ على وزارة ولا عدها، فلو أُتْر إلى آخر الألقاب لما عُرف أنها ألقابُ وزيرٍ إلى حين ذكر هذا اللقب، وإنما رُتّب هذا الترتيب ليبدل باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العال أو السامي على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الأقلام أو غير ذلك، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

التمط الخامس

(ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والمركبة)

وهو لقب التعريف كالمُلاّنى وقُلاّن الدين ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

التمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوصٌ من الألقاب المفردة)

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأميرِ ونحوه، وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمى والمادى ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثاني

(مما تتفاوتُ فيه مراتبُ الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة
المعبر عنها بالثَمُوت ، وهي على ثلاثة أعماط)

النمط الاول

(ما على لقب التعريف الذي هو الفلاني أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل ركن الإسلام والمسلمين وعمر الإسلام
والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصطلحوا على أن يكون ذلك أول الألقاب
المركبة ، وتوجيهه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف
عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يكتب له المجلس
السامي بغير ياء فما دونه جعل آخر الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ،
مثل أن يقال : صفوة الملوك والسلاطين ، أو اختيار الملوك والسلاطين وما أشبه
ذلك . وإن كان ممن يكتب له السامى بالياء فما فوقه جعل آخر الألقاب فيه
ما يضاف إلى أمير المؤمنين : مثل عضد أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وخاصة
أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه وثبة المكتوب له . والمعنى فيه أن
حسّن الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني وثبة الخلافة .

النمط الثالث

(ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء جنسه . مثل : سيّد الأمراء في العالمين ، وسيّد العلماء والحكّام في العالمين ، وما أشبه ذلك ؛ ثم في حقّ كل أحد من أرباب الألقاب والسيوف بحسب ما يقتضيه حاله على نحو ما تقدّم في الكلام على ما انتفاوت رتبته بالعلوّ والهبط .

الجملة الثامنة

(في بيان محلّ اللَّقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاصّ به)

الواقع بتلوّ القب الملوّى ، مثل المَلِكِيّ الناصريّ الزينبيّ

وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الأولى — أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد والمعاشير ونحوهما . فهو ضعه بعد رُسم بالأمر الشريف ، أو تخرج الأمر الشريف ، مثل أن يُكتَب رُسم بالأمر الشريف العالی المولويّ السلطانيّ المَلِكِيّ الناصريّ الزينبيّ ، أو — فلذلك رُسم بالأمر الشريف الفلانيّ الفلانيّ ، أو تخرج الأمر الشريف العالی المولويّ السلطانيّ المَلِكِيّ الفلانيّ الفلانيّ ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ، كما لو كتبت في تقليد أو نحوه . ومحلّه بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ، مثل أن يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهريّ أو الناصريّ ونحو ذلك ، ولا يقال له المَلِكِيّ حينئذ .

الحالة الثالثة — أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أوّل المُكْتَبَاتِ
 المَلِكِيُّ الفُلَانِي، وقد أَصْطَلَحُوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جَرَّةِ البَسْمَلَةِ على مَاسِيَاتِي
 بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يكون في السُّلْطَانِيَّاتِ ، وتارة يكون
 في الإخْوَانِيَّاتِ وما يُكْتَب عن الثَّوَاب . وقد كانوا في الأيام الناصرية
 « محمد بن قلاوون » يستعملون في الإخْوَانِيَّاتِ وما يُكْتَب عن الثَّوَاب الثَّوَابَ
 المرتبة كما في السُّلْطَانِيَّاتِ ، لا يفرق بينهما إلا ما في الإخْوَانِيَّاتِ وما في معناها من
 الألقاب التي لا تصلح للسلطانيات ، كالمولوي والسبيدي والمخدومي ونحوها .
 أما الآن فقد وقع الاختصار فيها على المفردات دون المركبات، وصارت المركبات
 مختصة بالسلطانيات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروع المرتبة على الألقاب الأصول على سبعة
 أضرب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلتحقُ بها، ومبناها على الاختصار،
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء، وهي صنفان)

الصنف الأول — أن تكون لِنفس الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبدُ الله فلانُ أميرُ المؤمنين » [فإن كان اسمُ الخليفة عبدَ الله كالمؤمن كُرِّر الاسمُ
مرتين : مرةً للاِسْم العَلَم ومرةً للقبِ الخِلافة ، فيقال : « عبدُ الله عبدُ الله
أميرُ المؤمنين »] ثم زيد فيها الكنية بعد ذلك ، فقيل « عبدُ الله فلانُ أبو فلان
أميرُ المؤمنين » ثم زيدَ لفظُ الإمام فقيل « عبدُ الله فلانُ أبو فلان [الإمام]
الفلاني — بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه — أمير المؤمنين » ثم زيدَ ووليه
بعد عبدِ الله ، فقيل : « عبدُ الله ووليه فلانُ أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
وهو ما استقرَّ عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني — أن تكون الألقاب للدِّوان في مكتبةٍ أو غيرها . والذي
أصطلح عليه أن يقال « الدِّوانُ العزيزُ المولويُّ السيديُّ النبويُّ الإماميُّ
الفلاني » بلقب الخلافة .

النوع الثاني

(ألقابُ ولاةِ العهد بالخلافة)

وهي « الجنايبُ الشريفُ ، المولويُّ ، السيديُّ ، النبويُّ ، الفلانيُّ » بلقبه المنسوب إلى الخلافة . وربما قيل فيه الجنايب بدل الجنايب ، وبقية الألقاب على ما تقدم .

النوع الثالث

(القابُ لإمام الزيدية باليمن)

وهي « الجنايبُ الكريم ، العالی ، السيديُّ ، الإماميُّ ، الشريفيُّ ، النسيبيُّ ، الحسيبيُّ ، الفلانيُّ » بلقب التعريف « سليل الأَطهار ، جلال الإسلام ، سيف الإمام ، بقية البيت النبويُّ ، نحر الحسب العلويُّ ، مؤيدُ أمور الدين ، خليفة الأئمة ، رأس العلياء ، صالح الأولياء ، علم الهداة ، زعيم المؤمنين ، دُخر المسلمين ، مُجدد الملوك والسلاطين » .

الضرب الثاني

(الألقابُ الملوكية ، وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقابُ التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحالُ مستقر

عليه ، وقد ذكر فيها في التعريف مذهبين)

المنهَبُ الأول — أن يقال « السُّلطانُ السيِّدُ الأَجَلُ المَلِكُ الفلانيُّ العالمُ العادلُ المجاهدُ المراجئُ المتاعرُ المؤيدُ المظفرُ المنصورُ الشاهنشاهُ فلانُ الدنيا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والأسرة والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، ميسد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبطين، جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان، سيّد ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان .

أما في "التثقيف" فإنه ذكر ذلك بزيادة وتغيير، وتقديم وتأخير - فقال :
«السلطان الأعظم، المسالك الملك الأشرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المتأغر المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فاتح الأقطار، مانح الممالك والأمصار، إسكندر الزمان، مؤيد الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلك سبل القبطين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان .» . وذكر أن الغالب أن مُحَدِّف الشاهنشاه، لأن معناها ملك الأملاك، وقد تقدم النهي عن التسمي بذلك.
ثم قال : والواجب أن يكون بدل ولي أمير المؤمنين، قسيم أمير المؤمنين .

المنهب الثاني - أن يُكْتَبَ المقام الشريف أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما، ويُقتصر على المفردة دون المركبة . مثل أن يُكْتَبَ «المقام الشريف العالی» ،

المُولَوِيّ، السُلْطَانِيّ، المَلِكِيّ، الفُلَانِيّ، ابو فُلَانٍ فُلَانٍ . قال في "التعريف" :
وإلى هذا ذهب المتأخرون من الكُتّاب ؛ ثم قال : وأنا على الأول أعمل .

النوع الثاني

(الألقاب التي يُكْتَبُ بها عن السلطان لغيره من الملوك ،
وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(ألقابُ ولاة العهد بالسلطنة)

« وهي المَقَامُ العَالِي ، العَالِمِيّ ، العَادِلِيّ ، المَلِكِيّ ، الفُلَانِيّ ، الفُلَانِيّ - بلقبِ
الملك واللقبِ المتعارف » . قال في "التتيف" : فإن كان أَخًا للسلطان زيد فيه
الأخَوِيّ ، أو ولدا زيد فيه الوَلَدِيّ .

الصنف الثاني

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحب حماة في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وكان يُكْتَبُ له :
«المَقَامُ الشريف العَالِي السُلْطَانِيّ المَلِكِيّ الفُلَانِيّ ، بلقبِ المَلِكِ» . وربما كُتِبَ
له قبل لقب الملك «الأصِليّ» لعراقته في المُلْكِ .

الصنف الثالث

(ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نبطان)

النمط الأول

(ما يُصدَّر بالألقاب المذكورة. وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — ما يُصدَّر بالمقام. وأعلىها «المقام الأشرف» كألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالي المولوي السلطاني الأعظمي الشاهنشاهي العاليي العادل المجاهدي المتأخري المظفري المؤيدي المنصوري إسكندر الزمان، سلطان الأوان، متبع الكرم والإحسان، المعنى آل ساسان، وبقايا فراسياب وخاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غيآث الأنام، أوجد الملوك والسلاطين» .

ودونه «المقام الشريف» كألقاب الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد كان، وهي: «المقام الشريف العالي الكبير السلطاني العاليي العادل المجاهدي المؤيدي المرابطي المنصوري الملكي الفلاني الفلاني — بلقي الملك والتعارف» .

ودونه «المقام العالي» كألقاب القان ببلاد أذربك فيما ذكره في «التنقيف» وهي: «المقام العالي السلطاني الكبير الملكي الأتومي الفلاني — بلقب التعريف — فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين» . وكألقاب صاحب المغرب فيما ذكره في «التعريف» وهي: «المقام العالي السلطاني السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المتأخري المؤيد المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجهز الغزاة والمجاهدين، مجند الجنود، عاقد البؤود، مالى صُدور البرارى والبحار،

مُرْعِيْنَ عِيسَى ابْنَةَ الْكُفَّارِ ، مُؤَيَّدِ السَّنَةِ ، مُعْرَ الْمَلَّةِ ، شَرُفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، بَقِيَّةِ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّسَبِ الصَّيِّمِ ، رَبِيبِ الْمُلْكَ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٍ .

الطبقة الثانية - مَا يُصَدَّرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيهَا رَأَيْتُ «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ» كَألقَابِ صَاحِبِ هَرَاةٍ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهى : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي الْعَالِمِيّ- الْعَادِلِيّ الْمَجَاهِدِيّ الْمُؤَيَّدِيّ الْمُرَابِطِيّ الْمُنَافِرِيّ الْأَوْحَدِيّ الْفُلَانِيّ» ، شَرَفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَكَألقَابِ صَاحِبِ كَرْمِينَانَ [من بلاد الروم] ^(١) فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التتقيف" وهى : «الْمَقَرَّ الْكَرِيمِ الْعَالِي الْمَلِكِيّ الْأَجَلِّيّ الْعَالِمِيّ [الْعَادِلِيّ] ^(١) الْمَجَاهِدِيّ الْمُؤَيَّدِيّ الْمُرَابِطِيّ الْمُنَافِرِيّ الْمُنَظَّرِيّ الْمُنْصَوْرِيّ الْفُلَانِيّ» ، عِزِّ الْإِسْلَامِ وَالْمَسَامِينِ ، نَفْرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، نَصِيرِ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ الْجِيُوشِ مَقْدَمِ الْعَسَاكِرِ ظَهِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وِدُونِهِ «الْمَقَرَّ الْعَالِي» كَألقَابِ صَاحِبِ مَالِيٍّ مِنْ بِلَادِ التُّكْرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التعريف" وهى : «الْمَقَرَّ الْعَالِي السَّلْطَانِيّ الْجَلِيلِ الْكَبِيرِ الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيَّدِ الْأَوْحَدِ» ، عِزِّ الْإِسْلَامِ ، شَرُفِ مَلُوكِ الْأَنْامِ ، نَاصِرِ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ جِيُوشِ الْمُؤَحَّدِينَ ، بَحَالِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، سَيْفِ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرِ الْإِمَامَةِ ، عَضُدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

الطبقة الثالثة - مَا يُصَدَّرُ بِالْجَنَابِ . وَأَعْلَاهَا «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ» كَألقَابِ مَلِكِ التُّكْرُورِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي "التتقيف" أَنَّهُ اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ ، وهى : «الْجَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْمَلِكِ الْجَلِيلِ الْعَالِمِ الْعَادِلِ الْمَجَاهِدِ الْمُؤَيَّدِ الْمُنَافِرِ الْمُرَابِطِ الْعَادِلِ الْخَاشِعِ النَّاسِكِ الْأَوْحَدِ فُلَانٍ» ، دُخْرِ الْإِسْلَامِ . وَكَألقَابِ مَلِكِي الْبَرْتُو وَالكَانَمِ فِيمَا ذَكَرَهُ

في "التعريف" وهي: «الجناب الكريم العالی الملك الجليل الكبير العالم العادل الغازي المجاهد الهمام الأوحد المظفر المنصور عز الإسلام». ثم بقية الألقاب من نسبة ألقاب ملك التكرور .

الطبقة الرابعة - ألقاب المجلس . وأعلاها « المجلس العالی » كالألقاب صاحب حصن كبقا فيما ذكره في "التعريف" وهو : « المجلس العالی المملکی الفلانی الأجلّ العالی العادل المجاهدی المؤیدی الماریطی المناصری الأوحدی الأصیلی الفلانی - بلقب التعريف - عز الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلاطين ، نصير الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، ترف الدول ، ذخر الممالك ، خليل أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين » على مخالفة فيه فيما أورده في "التعريف" تأتي في المكتبة إليه .

ودونه المجلس السامی بالياء - كالألقاب صاحب أرزن ، وهي « المجلس السامی المملکی الفلانی - بلقب المملک - الأصیلی - الكبيری - العالی - المجاهدی المؤیدی الماریطی الأوحدی - الفلانی - بلقب التعريف - عز الإسلام ، شرف الملوك في الأنام ، بقية السلاطين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، ولي أمير المؤمنين » .

ودونه المجلس بغير ياء في ألقابه كالألقاب صاحب دقسهلة إذا كان مسلما ، فيما ذكره في "التعريف" وهي : « المجلس الكبير الغازي المجاهد المؤيد الأوحد العضد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نجر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين » ولم يذكر فيه السامی ولا لقباً مضافاً إلى المملک ، وهو المملکی إلا أنهم أوردهوه في عدة الملوك .

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالملكى الفلانى ، وإما في المركبة مثل « بقية الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، لتدل على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أتى فيها بالألقاب الإمارية دون الملوكية لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يكتب في ألقاب صاحب تونس « أمير المؤمنين » لادعائه للخلافة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أتباعا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك خضوعاً عن أن يتلقب بأمير المؤمنين ، لاختصاصه بالخلافة كما سأتى الكلام عليه في المكتبة إليه إن شاء الله تعالى .

الخط الثانى

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهى الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالقاب القان بملكة إيران على ما كان عليه الحال فى أيام السلطان أبى سعيد وما قبله « الحضرة ، الشرفه ، العالیه ، السلطانيه ، الأعظميه ، الشاهنشاهيه ، الأوحديه ، القانيه ، الفلانيه » . قال فى « التعريف » ولا يخط فيها الملكيه لخوانها لديهم وإن كان صاحب « التنقيف » قد أثبت فيها الملكيه أيضا على ما سأتى فى الكلام على المكتبة إليه فى موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره فى « التنقيف » « الحضرة ، العلية ، السنيه ، السريه ، المظفرية ، الميمونه ، المنصوره ، المنصونه ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكوره .

الضربُ الثالثُ

(من الألقاب الإسلامية الألقابُ العامَّةُ لساير الطوائف مما يُكتَبُ به
عن الأبواب [السلطانية^(١)] ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقابُ أربابِ السيوف من أهل المملكة وغيرهم : من الأُمراء والعُرَبان
والأكراد والقرجانيين . وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَرِّ ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَرِّ الشريف . وهو مختصُّ في عُرف الزمان
بما يُكتَبُ عن نواب السلطنة .

وصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المَقَرِّ الشريف ، العالى ،
المولوى ، الأميرى ، الكبرى ، العالى ، العادلى ، المهدي ، المشيدى ، الزعيمى ،
المقدمى ، العونى ، العيانى ، المرابطى ، المناغرى ، الظهيرى ، المالىكى ، المخدومى ،
الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأُمراء فى العالمين ، زعيمُ الجيوش ، مُقدمُ
العساكر ، عونُ الأمة ، عيَّاتِ الملة ، مُمهدُ الدُول ، مشيدُ المحالك ، ظهيرُ الملوك
والسلاطين ، عَضُدُ أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَرِّ الكريم . وهي مستعملة فى السُلطانيات وما يُكتَبُ
عن الثَّواب .

(١) الزيادة من النص . ص ٣٧٢ .

فأما في السُّلْطَانِيَّاتِ فصورتها على ما أورده في "التثقيف" في الألقاب المستقرّة
 للنسب الكافِلِ ونائب الشام : «المَقْرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ،
 العَالِي ، العَادِلِي ، المؤَيَّدِي ، الرَّعِيمِي ، القَوْنِي ، الغِيَاثِي ، المُتَأَغْرِي ، المُرَابِطِي ،
 المَهْدِي ، المَشِيدِي ، الظُّهَيْرِي ، العَابِدِي ، النَّاسِكِي ، الأَمَانِي ، الكَفِيلِي ،
 القَلَانِي ، مُعِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ أَمْرَاءِ العَالَمِينَ ، نَاصِرُ العُرَاةِ والمُجَاهِدِينَ ،
 زَعِيمُ جُيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، مَهْمَدُ الدُّوَلِ ، مَشِيدُ المَمَالِكِ ، عِمَادُ المِلَّةِ ، عَوْنُ الأُمَّةِ ،
 ظَهِيرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِينَ ، عَضُدُ أميرِ المُؤْمِنِينَ » .



وأما فيما يكتب عن التُّوَابِ فقد ذكر في "التعريف" أن ألقابها من نسبة
 ما تقدم في ألقاب المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
 «المَقْرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِيُّ ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِي ، العَادِلِي ، المؤَيَّدِي ،
 المَهْدِي ، القَوْنِي ، المَقْدَمِي ، الذُّنْحَرِي ، الغِيَاثِي ، القَلَانِي ، عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ،
 سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، زَعِيمُ جُيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، مَقْدَمُ العَسَاكِرِ المُجَاهِدِينَ ، دُنْحَرُ الدَّوْلَةِ
 بِهَاءِ المِلَّةِ ، مَهْمَدُ المَمْلَكَةِ ، ظَهِيرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِينَ ، عَضُدُ أميرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفْدِي فِي دُستوره عن نائب الشام أيضا :
 «المَقْرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِيُّ ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِي ، العَادِلِي ،
 المؤَيَّدِي ، المُجَاهِدِي ، الذُّنْحَرِي ، العَضُدِي ، النَّصِيرِي ، المَقْدَمِي ، القَوْنِي ،
 الغِيَاثِي ، القَلَانِي ، رُكْنُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نُصْرَةُ
 العُرَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، عِيَاثُ المِلَّةِ ، كَهْفُ الأُمَّةِ ، دُنْحَرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

ثم قال : وإن كان المكتوبُ إليه نائبَ سلطنة زيد في ألقابه « المَهْدِيّ » ،
المَشِيدِيّ ، الرِّعِمِيّ ، المَدْبَرِيّ ، الكَافِيّ ، الفَلاَنِيّ » .

وصورتها على ما أورده غيره : « المَقَرّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ،
الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَالِيّ ، العَوْتِيّ ، العِبَانِيّ ، الذُّنْحَرِيّ ، الرِّعِمِيّ ، الفَلاَنِيّ ،
عِزُّ الإِسْلَام والمُساوِين ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، بَهْمَالُ الدَّوْلَةِ ، ذُنْحَرُ المَلَّةِ ، زَيْنُ
المُلْكَةِ ، عَيْنُ السُّلْطَنَةِ ، سَفِيرُ الأُمَّةِ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِ ، عَضُدُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض النُسخات عن نائب حَلَبَ : « المَقَرّ الكَرِيم ، العَالِي ،
المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَالِيّ ، المَوَالِدِيّ ، المَوَالِدِيّ ، الذُّنْحَرِيّ ، المُشِيدِيّ ،
الرِّعِمِيّ ، الظَّاهِرِيّ ، الفَلاَنِيّ ، عِزُّ الإِسْلَام والمُساوِين ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ،
نَاصِرُ الفِرْزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ الجِيُوشِ ، مَقْدُمُ العَسَاكِرِ ، عَوْنُ الأُمَّةِ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ
وَالسُّلْطَانِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَقَرّ العَالِي . وقد ذكر في "عرف التعريف" أن
ألقابها من نسبة ما تقدم في المَقَرّ الشريف . وذكر الصَّلاح الصَّفْدِيّ في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما تقدم له في ألقاب المَقَرّ الكَرِيم ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذُّنْحَرِيّ .

وصورتها على ما رأيتُه في توقيع نقيب الأشراف بحلب عن النائب بها : « المَقَرّ
العَالِي ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، النُّقْبِيّ ، الشَّرِيفِيّ ، الحَسَبِيّ ، النُّسَبِيّ ، العَرِيفِيّ ،
الأَصِيلِيّ ، الفَاضِلِيّ ، العَلَامِيّ ، الحُجِّيّ ، القُدْوِيّ ، النَاسِكِيّ ، الزَاهِدِيّ ، العَايِدِيّ ،
الفَلاَنِيّ ، عِزُّ الإِسْلَام والمُساوِين ، جَلالُ العُلَمَاءِ العَامِلِينَ ، بَهْمَالُ المُفَضَّلَاءِ البَارِعِينَ ،
مُجْمَعُ الأَمْرَاءِ الحَاكِمِينَ ، زَيْنُ العِرَّةِ الطَّاهِرَةِ ، شَرَفُ الأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ ، مُجْمَعُ العِصَابَةِ

الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نُجبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
نقيب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكْتَب عن الثَّوَاب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجَنَاب الشريف العالِي،
المَعْلُوِي، المجَاهِدِي، المؤيَّدِي، المَهْدِي، الذُّخْرِي، الأَوْحِدِي، العَوْنِي،
الظَّهِيرِي، الفلاني، عِرُّ الإسلام والمسلمين، سيدُ الأُمراء المقدمين، نُصرة العُرَاة
والمجاهدين، عمادُ الملة، عونُ الأمة، ذُخر المِلَّة، ظهير الملوك والسلاطين، سيفُ
أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مستعملة في السلطانيات
وما يُكْتَب عن الثَّوَاب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب النائب
الكافل في الزمن المتقدم : «الجَنَاب الكريم العالِي، الأُميرِي، الأَجَلِي، الكَبِيرِي،
العالِي، العادِلِي، المؤيَّدِي، المَهْدِي، المشيَّدِي، الزَّعِيمِي، الذُّخْرِي، المقْدَمِي،
العَوْنِي، العِيَانِي، المرَابِطِي، المَثَابِغِرِي، المظْفَرِي، المنصوري، الأتابكي، رُكْنُ
الإسلام والمسلمين، سيد الأُمراء في العالمين، أتاك الحَيُوش، مقدمُ العساكر،
زعيم الجنود، عاقدُ البُنود، ذُخر الموحدين، ناصرُ العُرَاة والمجاهدين، نِيَابُ الأُمَّة،

عون الملة ، مشيد الدول ، كافل المالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : « الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، الأَمِيرِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ، المؤَيَّدِيُّ ، الرَّعِيْمِيُّ ، العَوْنِيُّ ، العِيَاثِيُّ ، المُتَنَاعِرِيُّ ، العُرَابِيُّ ، الممهَّدي ، المشيَّدِي ، الظَّهيري ، الكافلي ، الفلاني ، مؤيد الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، مهَّد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافل السلطنة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : « الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، الأَمِيرِيُّ ، الأَجَلِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ، المؤَيَّدِيُّ ، الممهَّدي ، المشيَّدِي ، العَوْنِيُّ ، العِيَاثِيُّ ، الذَّنْحِيُّ ، الرَّعِيْمِيُّ ، المقدمي ، الظَّهيري ، الكافلي ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، مهَّد الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في المكاتبه لنائب الشام على ما كان عليه الحال أيضا : « الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، الأَمِيرِيُّ ، الكَبِيرِيُّ ، العَالِمِيُّ ، العَادِلِيُّ ، المؤَيَّدِيُّ ، الرَّعِيْمِيُّ ، العَوْنِيُّ ، العِيَاثِيُّ ، المُتَنَاعِرِيُّ ، المُرَابِطِيُّ ، الممهَّدي ، المشيَّدِي ، الظَّهيري ، الكافلي ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نُصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ،

ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التنقيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الأتوس بمملكة إيران في دولة السلطان أبي سعيد : «الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الزعيمى ، العونى ، العيانى ، المتأغبرى ، المرابطى ، المهدي ، المشيدى ، الثوبى ، الفلانى ؛ عونُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، ناصرُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، ممهّد الدول ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، كافي الدولة القانية ، كافل المملكة الشرقية ، أمير التوامين ، أمير الأتوس ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، عضدُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التنقيف" في ألقاب ابن المظفر اليزدى : «الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ، المهدي ، المشيدى ، الظهيرى ، العيسانى ، المتأغبرى ، المرابطى ، الثوبى ، الفلانى ؛ عز الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، ناصرُ الغزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، مقدمُ العساكر ، ممهّد الدول ، مشيّد الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، حاكمُ أمور ولاة الزمان ، موثّق قوانين العدل والإحسان ، اعتضادُ صناديد الأوان ، مستنيرُ ملوك العجم ، مستخدمُ أرباب الطبل والعلم ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، سيفُ أمير المؤمنين .



وأما فيما يكتب عن التواب وما كان يكتب به فى الإخوانيات فى الزمن المتقدم ، فقد ذكر فى "عرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدم فى ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده القاضي شهاب الدين الفارقي في دُستوره عن نائب الشام :
 « الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلَى ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ،
 العَضُدِي ، النَّصِيرِي ، المُوَيْدِي ، المَقْدَمِي ، الذُّخْرِي ، الفَلَانِي ؛ تَجِدُ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِينَ ،
 شَرَفُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نُصْرَةُ العُرَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصفدي في دُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
 الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْتَوِي ، الأَمِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، العَوْنِي ، الغِيَاثِي ،
 الظَّهْرِي ، المَقْدَمِي ، الفَلَانِي ؛ عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ،
 نَاصِرُ العُرَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهْرُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي ، وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب
 عن النواب وما كان في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدِّعَاءِ بِمُضَاعَفَةِ النِّعْمَةِ .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
 عليه أولاً : « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِي ، الأَجَلِّي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ،
 المَهْدِي ، المَشِيدِي ، العَوْنِي ، الذُّخْرِي ، الرَّعِي ، المَقْدَمِي ، الظَّهْرِي ، المُرَابِطِي ،
 المُنْتَغَرِي ، الفَلَانِي ؛ عِزُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيْدُ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نَاصِرُ العُرَاةِ
 والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، عِمَادُ الأُمَّةِ ، دُنْحَرُ الدَّوْلَةِ ، ظَهْرُ المُلُوكِ
 والسُّلْطَانِينَ ، سَيْفُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده في " التتيف " في ألقاب نائب طَرَابُلسَ وَمَنْ فِي رُتْبَتِهِ :
 « الجَنَابُ العَالِي ، الأَمِيرِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، المُوَيْدِي ، العَوْنِي ،

الزيعمي، الممهدي، المشيدي، الظهيري، الكافلي، الفلاني، عز الإسلام
والمسلمين، سيد أمراء العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين
مقدم العساكر، محمد النول، مشيد الملك، عماد الأمة، عون الأمة، ظهير الملوك
والسلاطين، سيف أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد امراء الأوس
بلاد أذربك : «الجناب العالي، الأميري، الكبيرى، العالمى، العادى، المؤيدى،
العونى، الزيعمى، الممهدى، المشيدي، الظهيري، النويى، الفلاني، عز الإسلام
والمسلمين، سيد الأمراء في العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم
العساكر، كهف الملة، دُخر الدولة، ظهير الملوك والسلاطين، سيف أمير المؤمنين» .
الرتبة الثانية — مع الدعاء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب مقدم العسكر بغزة وهن في رتبته :
«الجناب العالي، الأميري، الكبيرى، العالمى، العادى، المؤيدى، الأوحدي،
النصيري، العونى، الهامى، المقدمى، الظهيري، الفلاني، عز الإسلام والمسلمين،
سيد الأمراء في العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، كهف الملة،
دُخر الدولة، عماد المملكة، ظهير الملوك والسلاطين، حُسام أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب ممالى : أحد الحكام ببلاد أذربك كان :
«الجناب العالي، الأميري، الكبيرى، العالمى، المُجاهدى، المؤيدى، الذُخري،
النصيري، الهامى، المقدمى، النويى، الفلاني، عز الإسلام والمسلمين،
سيد الأمراء في العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، مقدم العساكر، دُخر الدولة،
عُضد الملوك والسلاطين، حُسام أمير المؤمنين» .



وأما ما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً ، فقد ذكر في "عريف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما تقدم في ألقاب الجُنّاب الشريف .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّقديّ في دُستوره عن نائب الشام في الرتبة الأولى منها : « الجُنّابُ العالی ، الأمیری ، الأجلی ، الكبیری ، المؤیدي ، المجاهدی ، العوّی ، المقدّمی ، الاسفَهَسَلاری ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء المقدّمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، عَضُدُ الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الأمدية" عن نائب الشام أيضاً في الرتبة الثانية من هذه المرتبة : « الجُنّابُ العالی ، الأمیری ، الكبیری ، العَضُدی ، الذّخري ، النّصيري ، المؤیدي ، المقدّمی ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأمراء في العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العالی)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى - مع الدعاء للجلس .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب نائب الكرك : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المقدمى ، الأوحدي ، النصيرى ، الهمامى ، الظهيرى ، الفلاقى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، كهف الملة ، دُخر الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" أيضا فى ألقاب وزير القان بيلاد أوزبك : « المجلس العالى الأميرى ، الكيرى ، الذخري ، الأوحدي ، الاتكلى ، المنتصرفى ، العونى ، الوزيرى ، الفلاقى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء والوزراء فى العالمين ، بحال المنتصرين ، أوحداً الأولياء المقربين ، دُخر الدولة ، مشير الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده فى "التتقيف" أيضا فى ألقاب حافظ أئى على باشاه : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الأوحدي ، النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الثونى ، الفلاقى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، كهف الملة ، عماد الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى "التتقيف" فى ألقاب أمير مكة المشرفة : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكيرى ، الشريفي ، الحسينى ، النسيبى ، العالمى ، المجاهدى ،

المُقَدِّمِي ، الأُوْحَدِي ، النَّصِيرِي ، العَوْنِي ، الهَمَامِي ، الظَّهيري ، الأَصِيلِي ،
العَرِيْقِي ، الشَّهَابِي ؛ عِزَّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ الأَشْرَافِ فِي العَالَمِينَ ،
نُصْرَةُ العِزَّةِ والمجاهدين ، كَهْفُ المِلَّةِ ، عَوْنُ الأُمَّةِ ، نَحْرُ السَّلَالَةِ الزَاهِرَةِ ، زَيْنُ العِتْرَةِ
الطَاهِرَةِ ، بَهَاءُ العِصَابَةِ العَلَوِيَّةِ ، جَمَالُ الطَّائِفَةِ الهَاشِمِيَّةِ ، ظَهيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ،
سَيِّبُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في " التتقيف " في ألقاب أمير آل فضل من عرب
الشام : « المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ،
الأوحدى ، النصيرى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيري ، الأصيلى ، الفلانى ؛
عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء العربان فى العالمين ، نصرة العزة والمجاهدين ،
مقدم العساكر ، كهف الملة ، ذخر الدولة ، عماد العرب ، ظهير الملوك والسلاطين ،
حسام أمير المؤمنين . »

الرتبة الثانية - المجلس العالى مع صدرت .

وصورتها على ما أورده في " التتقيف " في ألقاب نائب الرُحْبَةِ وَمَنْ فِي رُتْبَتِهِ :
« المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العُضْدِي ، الذُّخْرِي ، النَّصِيرِي ، الأُوْحَدِي ،
المؤيدى ، العونى ، الهمامى ، المقدمى ، الظهيري ، الفلانى ؛ مجد الإسلام والمسلمين ،
شرف الأمراء المقدمين ، نصرة العزة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، ذخر الدولة ،
كهف الملة ، ظهير الملوك والسلاطين . »



وأما فيما يكتب عن الثَّوَابِ وما كان يُكْتَبُ فِي الإِخْوَانِيَّاتِ أَوَّلًا ، فَصُورَتُهَا عَلَى
مَا أوردته في " عُرْفُ التعريف " : « المجلس العالى ، الأميرى ، الاسفهلارى ،

الأجلى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، النصيرى ، الظهيرى ، الفلانى ،
مجد الإسلام والمسلمين ، زينُ الأُمراءِ المقدّمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده الصلّاحُ الصّقديّ في دُسُتوره عن نائب الشام " المجلس
العالى ، الأميرى ، الأجلى ، الكبيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الاسفَهسَلارى ،
العونى ، الظهيرى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأُمراءِ المقدّمين
نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، عَضُدُ الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام : « المجلس العالى ،
الأميرى ، الكبيرى ، العَضُدى ، النصيرى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الذُخرى ،
مجد الإسلام والمسلمين ، شرفُ الأُمراءِ المقدّمين ، ذُخْرُ الغزاة والمجاهدين ،
عَضُدُ الملوك والسلاطين .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء) .

وهو مستعمل في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المقرّ الشهابى بن فضل الله في بعض
دساتيره في توقيع نقيب الأشراف : « المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ،
العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الشريفى ، الحَسَبى ، النَّسَبى ، الذُخرى ،
النصيرى ، الأوحديّ ، الأصبلى ، عز الإسلام ، زينُ الأنام ، تسيب الإمام ،
شرفُ الأُمراءِ ، نقيبُ النُقباء ، جمالُ العترة الطاهرة ، جلالُ الأسرة الزاهرة ، ذُخْرُ
الغزاة والمجاهدين ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ، ولى أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب الكُشَاف بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، الذئخرى ، النصيرى ، الأوحدي ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمرء ، أوجدُ المجاهدين ، عضدُ الملوك والسلطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض المراسيم لأمير آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العضدى ، الذئخرى ، النصيرى ، الأوحدي ، الأصيلى ، العريقى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمرء ، زينُ القبائل ، نجر العشائر ، ملاذُ العرب ، عضدُ الملوك والسلطين » .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس ببغداد : « المجلس السامي ، الأجلّى ، الكبيرى ، الأوحدي ، المقدمى ، المنتخبي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوجدُ الأعيان ، صفوة الملوك والسلطين » .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبيرى ، الذئخرى ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زينُ القبائل ، نجر العشائر ، عمادُ الملوك والسلطين » .



وأما فيما يُكتَب عن الثَّواب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المجلس السامي ، الأميري ، الأجلّى ، الكبيرى ، المؤيدي ، العضدى ، النصيرى ،

الأوحدى، اللهمائى، الفلانى؛ مجد الإسلام، زينُ الأمراء فى الأنام، دُثرُ الغزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهابُ الدين الفارقى فى دُسُوره عن نائب الشام :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، العَضُدَى، النَّصِيرى، المؤيِّدى،
الفلانى؛ مجدُ الإسلام، جمالُ الأمراء، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفدى فى دُسُوره عن نائب الشام أيضا :
«المجلس السامى، الأميرى، الأجلّى، الكبيرى، المؤيِّدى، المجاهدى، العَضُدَى،
النَّصِيرى، اللهمائى، الفلانى؛ مجدُ الإسلام، شرفُ الأمراء، نُصرةُ الغزاة،
عمدَةُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بغير ياء)

وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فنصورتها على ما أورده فى "التشريف" فى القاب الولاة
الطَّبليخاناه بالوجهين القبلى والبحرى : المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،
الغازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى؛ فلان الدين، مجدُ الإسلام،
بهاء الأنام، نقرُ الأمراء، زينُ المجاهدين، عمدةُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت فى بعض نُسخ التواقيع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي : «المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الحسيب، النسيب،

الطاهر، الكامل، العالم، العامل، الفاضل، الزاهد، الورع، الزكي، التقى،
فلان الدين، جلال الإسلام، شرف السادة الأشراف، نحر العترة الطاهرة،
زين السلالة الزاهرة، تقب نقباء الشرفاء، مجد العصبة العلوية، جمال العصبة الفاطمية،
صدر الأئمة العظام، مجتبي الدولة، بهاء الملّة، خالصة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما في ألقاب النائب بالينبع : « المجلس السامي، الأمير، الأجل،
المجاهد، المؤيد، الشريف، الحسيب، النسيب، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين العترة، نحر الأشراف، جمال الدرّية، نحر الشجرة الزكية، عمدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
عرب الشام: « المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازی، المجاهد، المؤيد،
الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر القبائل،
زين العشار، عماد الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يكتب عن الثواب ومن في معانهم، فصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" : « المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، الغازی،
المجاهد، المؤيد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأمراء، نحر الأنام، دُثر الغزاة
والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمديّة" عن نائب الشام: « المجلس السامي،
الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، العضد، النصير، فلان الدين، مجد الأمراء،
شرف الخواص، زين الغزاة، عمدة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التنقيف" في ألقاب الولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري: « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيد، الأوحى، المرتضى، فلان الدين، مجد الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب ومن في معنهم، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف": « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الغازي، المجاهد، المرتضى، فلان الدين، فخر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .
 وصورتها على ما أورده الفارقي في دُستوره عن نائب الشام: « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، الأخص، الأكل، الغازي، المجاهد، المرتضى، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "الذكرة الآمدية": « مجلس الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، الأعز، الأخص، الأكل، المجتبي، المختار، فلان الدين، مجد الأمراء، زين الغزاة، عمدة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجزدا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَبُ بسببه كتابٌ وما أشبه ذلك .
 وصورتها في السلطانيات : « الأميرُ الأجلُّ » وربما زيد على ذلك فقيل :
 « الكبيرُ الغازي » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في " التذكرة الآميدية " : « الأميرُ ،
 الأجلُّ ، الأخصُّ ، الأكلُّ » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقابُ الديوانية . وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَرَّ)

وليست مستعملةً في السلطانيات بحالةٍ لأنه لا يُكْتَبُ لأحدٍ من هذا النوع
 عن السلطان بالمَقَرَّ، وهي مستعملةٌ فيما يكتب عن التَّوَابِ وَمَنْ في معانهم ،
 ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى - مرتبة المَقَرَّ الشريف . وصورتها على ما أورده
 في "عريف التعريف" في ألقاب الوزراء من أرباب الأعلام : « المَقَرَّ الشريف ،
 العالى ، المولوى ، المصاحى ، الوزيرى ، المتفدى ، العالمى ، المهدى ، المشيدى ،

العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْذُومِيّ، الفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ،
سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، قِيَامُ الأَمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، مَدِيرُ الدَوْلَةِ،
ذُنُورُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِ، وَوَلِيّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" أيضا في ألقاب غير الوزراء
من الكُتَّابِ : «المَعْتَرُ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، المَقْضَايِيّ، السَّيِّدِيّ،
العَالِيّ، العَادِلِيّ، المَهْدِيّ، المَشِيدِيّ، العَوْنِيّ، الغِيَاثِيّ، المَالِكِيّ، المَخْذُومِيّ،
الفَلَانِيّ؛ صَلَاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ،
قِيَامُ الأُمَّةِ، نِظَامُ المِلَّةِ، زِينُ النُّوَلَةِ، ذُنُورُ المَمَالِكِ، ظَهِيرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِ،
وَوَلِيّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض النسخ عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتَّابِ
الْمَمَرِ العُلَمَاءِ : «المَعْتَرُ الشَّرِيفُ، العَالِي، المَوْلَوِيّ، القَاضِيّ، الكَيَّرِيّ، العَالِيّ،
العَالِيّ، العَالِيّ، الأَكْثَمِيّ، الأَفْضَلِيّ، المُفِيدِيّ، الفَرِيدِيّ، القُدْرِيّ، المَحْقَقِيّ،
المُسَلِّكِيّ، الأَصِيلِيّ، العَرِيقِيّ، المَدْرِيّ، المُشِيرِيّ، الِيبِيّ، السَّغِيرِيّ، المَالِكِيّ،
المَخْذُومِيّ، الشَّيْخِيّ، العَالِيّ؛ ضِيَاءُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ والرُّؤَسَاءِ
والمَشَائِخِ فِي العَالَمِينَ، رَئِيسُ الأَصْحَابِ، نَجْمُ الكُتَّابِ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ
الكَرَامِ، صَدْرُ مَصْرَ والشَّامِ، لِسَانُ السُّلْطَنَةِ، سَفِيرُ المَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُيُوخِ العَارِفِينَ،
جَامِعُ طُرُقِ الوَاصِفِينَ، صَدْرُ المُدْرَسِينَ، مَشِيرُ المَمْلُوكِ والسُّلْطَانِ، وَوَلِيّ أَمِيرِ
المُؤْمِنِينَ .

المرتبة الثانية — مرتبة المعتر الكريم . قال في "عرف التعريف" : والألقاب
فيها من نسبة ما تقدم في ألقاب المعتر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلاحُ الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام :
« المَقَرُّ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، القَضَائِي ، العَالِمِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، المَدْبَرِي ،
المُسَيَّرِي ، المَعَادِي ، الفَلَانِي ، جَلالُ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأَكابرِ في العالمين ،
عَوْنُ الأُمَّة ، دُخْرُ المِسلَّة ، مَدْرُ الدُّوَل ، حَمَلُ المَمالِك ، حَسَنَةُ الوجود ، خالِصَةُ
المملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرِّ العَالِي . وقد جعلها في " عرف التعريف " من
نسبة ما تقدم من ألقاب المقر الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ عن نائب الشام فيما كُتِبَ به للقاضي
شرف الدين عبد الوهاب بن أبي المطيب كاتب السر بالشام : « المَقَرُّ العَالِي ،
المَوْلَوِي ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، الفاضِلِي ، الكَامِلِي ، البَارِعِي ، الأَوْحِدِي ،
المَسْجِدِي ، القَوَامِي ، النَّظَامِي ، المُفَوِّهِ ، الرَّبِيسِي ، الأَمِيرِي ، الأَيْمَلِي ، الأَصِيلِي ،
العَرِيقِي ، الفَلَانِي ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الرؤساء في العالمين ، أَوْحُدُ
الفضلاء الماجدين ، حُجَّةُ المُنتَشِئين ، صدرُ الرؤساء ، رأسُ الصدور ، عَيْنُ الأعيان ،
خالِصَةُ المملوك والسلاطين » .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الجَنَابِ الشَّرِيفِ . وهي مستعملة^(١) في غير السلطان دون
السُّلْطَانِيَّات . قال في " عرف التعريف " : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
في المَقَرِّ الشَّرِيفِ .

(١) عبارة الضوء ج ١ ص ١٨٠ « وهي مخصصة بما يكتب عن التواب دون السُّلْطَانِيَّات » وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنابِ الكَرِيمِ . وجعلها في "عرف التعريف" من نسبة ماتقدم في المقتر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفِيدِيّ في دُسُتوره عن نائب الشام: «الجَنابِ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلَوِيّ ، القَضَائِيّ ، العَالِمِيّ ، الأُوْحِدِيّ ، الرِّئِيسِيّ ، الأَجَلِّيّ ، الأَثِيرِيّ ، البَارِعِيّ ، المَاجِدِيّ ، الفَلَانِيّ ، مُجِدُّ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، شَرُفُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ ، جَمَالُ الأَكْبَارِ ، نَفَرُ الأَعْيَانِ ، أُوْحَدُ الكُتَّابِ ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ» .

وصورتها على ما رأيتها في بعض الدُّسَاتِيرِ عن نائب الشام في توقيع باسمِ شهابِ الدِّينِ أبنِ أبي الطَّيِّبِ بِيكْتَابَةِ الدُّسْتِ بِالشَّامِ : « الجَنَابِ الكَرِيمِ ، العَالِي ، المَوْلَوِيّ ، القَضَائِيّ ، الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَامِلِيّ ، البَارِعِيّ ، الكَامِلِيّ ، المَاجِدِيّ ، القَوَامِيّ ، النِّظَامِيّ ، الرِّئِيسِيّ ، الأَصِيلِيّ ، العَرِيفِيّ ، الأُوْحِدِيّ ، الفَلَانِيّ ، جَلالُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، أُوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ ، نَاجِ الفُضَلَاءِ المُنْقِشِينَ ، جِهِيذُ الحُدُودِ المُتَصَرِّفِينَ ، سُلَالَةُ الأَتْقِيَاءِ العَارِفِينَ ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجَنابِ العَالِيّ ، وهي مستعملةٌ في السُّلْطَانِيَّاتِ وغيرها .

فأما في السُّلْطَانِيَّاتِ ، فصورتها على ما أورده في "التشريف" في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابِ العَالِيّ ، الصَّاحِبِيّ ، الكَبِيرِيّ ، العَالِمِيّ ، العَادِلِيّ ، الأُوْحِدِيّ ، الأَكْثَلِيّ ، القَوَامِيّ ، النِّظَامِيّ ، الأَثِيرِيّ ، البَلْبِنِيّ ، المُنْقِذِيّ ، المَسْتَدِيدِيّ ، المُتَصَرِّفِيّ ، المَعْهَدِيّ ، العَوْنِيّ ، المَدْبُرِيّ ، المُسِيرِيّ ، الوَزِيرِيّ ، الفَلَانِيّ ، صَلاحُ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِينَ ، سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، رَئِيسُ الشُّكْرَاءِ ، كَبِيرُ الرُّؤَسَاءِ ، أُوْحَدُ الأَصْحَابِ ، مَلَأَدُ الكُتَّابِ ، قَوَامُ الدُّوَلِ ، نِظَامُ المُلْكَ ، مُفِيدُ

المَنَاجِح ، معتمدُ المَصَالِح ، مرَّبُّ الجُيُوش ، عمادُ المِلَّة ، عونُ الأُمَّة ، مُشِيرُ المُلُوك
والسلاطين ، ولىّ أمير المؤمنين .»



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيتُه في بعض الدساتير عن نائب الشام
في ألقاب كاتب دَسْت بالشام : « الجنابُ العالى ، القَضَائى ، الكبيرى ، العالمى ،
الفاضلى ، الأَكلى ، البارعى ، الأوحدى ، القَوَامى ، النظامى ، المُقَوِّهى ، الرئيسى ،
الماجدى ، الفلانى ، مجدُ الإسلام والمسلمين ، شرفُ الرؤساء في العالمين ،
أرحمُ الفضلاء الماجدين ، قُدوةُ البلغاء ، جمالُ الكُتَّاب ، زينُ المنتشين ، خالصةُ
الملوك والسلاطين .»

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبةُ المجلس العالى ، وهى مستعملةٌ في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التنقيف" في ألقاب كاتب السرِّ
بالأبواب السلطانية : « المجلسُ العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
العالمى ، الأفضلى ، الأَكلى ، البليغى ، المسددى ، المنفدى ، المشيدى ، العونى ،
المشيرى ، اليمينى ، السفيرى ، الأصلى ، العريقى ، الفلانى ، صلاحُ الإسلام
والمسلمين ، سيدُ الرؤساء في العالمين ، قُدوةُ العلماء العالمين ، جمالُ البلغاء ،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكُتَّاب ، بين المملكة ، لسان السلطنة ،
سفير الأمة ، سليل الأَكابر ، مشيرُ الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ناظر الخواص الشريفة :
« المجلس العالی ، القاضوی ، الکبیری ، العالی ، الفاضلی ، الأوحدي ، الأکلی ،
الرئيسی ، البیني ، البارعی ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأمیری ، المنقذی ،
المستدی ، المتصرفی ، الفلانی ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء في العالمين ،
قوام المصالح ، نظام المساجح ، جلال الأَكابر ، قُدوة الكُتَّاب ، رئيس الأصحاب ،
عماد الملة ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة : « المجلس
العالی ، الصاحبي ، الوزيري ، الأصلي ، الکبیری ، العالی ، العادلي ، المؤيدي ،
الأوحدي ، القوامی ، النظامی ، الماجدی ، الأنيري ، المشيري ، الفلانی ،
صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء في العالمين ، رئيس الكبراء ، كبير الرؤساء ،
بيعة الأصحاب ، ملاذ الكُتَّاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك والسلاطين ،
خالصة أمير المؤمنين . »

وصورتها على ما أورده في ألقابه إذا لم يصرح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظار
بالمملكة الشامية : « المجلس العالی ، القضايی ، الکبیری ، العالی ، العاملي ،
الأوحدي ، الرئيسی ، الأنيري ، القوامی ، النظامی ، المنقذی ، المتصرفی ، الفلانی ،
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ، أوحد الفضلاء ، جلال الكبراء ،
حجة الكُتَّاب ، صفوة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين . »



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابي بن فضل الله بكتابة الدست بالشام: «المجلس العالى، القضاة، الأجلّ، الكبيرى، الرئيسى، العالمى، العالمى، البارعى، الأوحدي، المساجدى، الأثيرى، الأصيلى، الأفضلى، الأصيلى، الفلانى، مجد الإسلام، بهاء الأنام، شرف الرؤساء، أوجد الكبراء، صدر الأعيان، جمال الكُتاب، جلال الحُساب، صفوة الدولة، خالصة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر صورتها في "التنقيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض المداشير: «المجلس السامى، القضاة، الأجلّ، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الكافى، الرئيسى، الأوحدي، الأصيلى، الأثيرى، البليغى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، نحر الأنام، زين البغاء، جمال الفضلاء، أوجد الكُتاب، نحر الحُساب، صفوة الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الآمدية" في توقيع بكتابة الدرّج عن نائب الشام: «المجلس السامى، القضاة، الأجلّ، الكبيرى، العالمى، الفاضل، الكاملى، البليغى، الأصيلى، الرئيسى، الفلانى، مجد الإسلام، شرف الرؤساء، أوجد الكُتاب، جمال البغاء، مرتضى الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير ياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التتقيف" أيضا .

وصورتها على ما رأيت في "التذكرة الأمدية" في توقيع شريف بكتابة الدرّج :
المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحّد، البارّع،
الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأمام،
شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحّد الفضلاء، زين الكُتاب، صفوة الملوك
والسلاطين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الأمدية" في توقيع
كريم عن نائب الشام بكتابة الدرّج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
«المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارّع، الكامل، الأوحّد،
الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصُدور، أوحّد الفضلاء،
زين الكُتاب، جمال الحساب، صفوة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التتقيف" أيضا صورة .

وصورتها على ما يقتضيه عرف الديوان : «مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
الفاضل، الأوحّد، الأثير، الرئيس، البليغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
مجد الإسلام، بهاء الأمام، شرف الرؤساء» .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(١) درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات (وغيرها)

وصورتها فيهما: «القاضي الأجل» وربما زيد في تعظيمه فقيل «الكبير الصدر الرئيس» ونحو ذلك.

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية لقاب أرباب الوظائف الدينية،

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المَعْتَر)

وهي مخصصة لغير السلطانيات، لأنه لا يُكْتَب لأحد من أهل هذا النوع عن السلطان بالمَعْتَر أيضا، بل قال في «عرف التعريف»: إنه لا يُكْتَب به لأحد من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا وليكن رأيه مستعملا فيما يكتب عن الثواب بالملك. وهي على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى — مرتبة المَعْتَر الشريف.

وصورتها على ما رأته في بعض الدساتير في توقيع عن نائب الشام للقاضي جمال الدين إبراهيم بن العديم ببعض الأنظار والتداريس بالشام: «المَعْتَر الشريف، العالى، المولوى، القاضوى، الكبيرى، العالمى، العادى، الأصيلى، العريقى، القوامى، النظامى، الإمامى، العلمى، القدوى، المفيدى، الشيعى، الصاحبى،

الحاكمي، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الفضلاء العالمين،
 قدوة العلماء في العالمين، لسان المتكلمين، برهان المناظرين، صدر المدرسين،
 جلال الطالبين، بقية السلف الكرام الدارجين، بركة الملوك والسلاطين، خالصة
 أمير المؤمنين .

المرتبة الثانية — مرتبة المعتر الكريم .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب الشام في توقيع بعض الوظائف
 الدنيئة بدمشق : « المعتر الكريم العالی، المولوي، القضائي، الصحابي، الإمامي،
 العالمي، العائلي، العلوي، المفيد، الفريدي، البليغي، الأوحدي، المحقق،
 القوامي، النظامي، العريفي، الحاكم، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام
 والمسلمين، جلال العلماء العالمين، أوجد المتكلمين، أكل البلغاء في العالمين، قدوة
 المحققين، بركة الملوك والسلاطين .

المرتبة الثالثة — مرتبة المعتر العالی .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير عن نائب حلب بتدريس بها : « المعتر
 العالی، المولوي، الشيخي، الكبير، الإمامي، العالمي، العلوي، المفيد،
 القدوي، الفريدي، المحقق، القوامي، النظامي، الحاكم، الفلاني، علاء الإسلام
 والمسلمين، أوجد الفضلاء العارفين، رحمة الطالبين، تحية المحققين، جمال العلماء
 في العالمين، خالصة الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
 وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَابُ الشريفُ العالِ ،
 المولوي ، القضائي ، السيدي ، الإمامي ، العالمي ، العاملي ، العلامي ، الكاملي ،
 الأصيلي ، الأوحدي ، المفيد ، القُدوي ، الفريدي ، الحُجّي ، المجتهد ، الفلاني ،
 حُجّة الإسلام (أَوْضِيَاءُ الإسلام) شرف الأنام ، أمير الإمام ، صدر الشام ، سيد العلماء
 والحكام ، أو أُوْحِدُ العلماء الأعلام ، بَقِيَّةُ السلف الكرام ، شيخ المذاهب ، حُجّي
 القِيَاهب ، قُدوة الفِرَق ، رئيس الأصحاب ، مَفِي السُنَّة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ،
 سيفُ النَّظَر ، مفيد الطالبين ، لسان المتكلمين ، ولي أمير المؤمنين » .

فإن كان حاكما قيل قبل الفلاني « الحاكمي » وقبل ولي أمير المؤمنين « حاكم
 الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
 وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية في توقيع القاضي جمال الدين
 ابن أبي جرادة الحنفي ببعض الوظائف الدينية : « الجَنَابُ الكريمُ العالِ ، المولوي ،
 القضائي ، الكبير ، الصاحبي ، الإمامي ، العالمي ، الفاضلي ، الكاملي ، الأريبي ،
 الملبيني ، الأصيلي ، العريفي ، القوامي ، النظامي ، الفلاني ، جمال الإسلام والمسلمين ،
 أوحد الفضلاء في العالمين ، أكمل نُجَبَاءِ الأبناء العالمين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما استقر عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة
الشافعى بالديار المصرية : « الجَنَابِ العالى ، القاضى ، الشيخى ، الكبيرى ،
العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكمل ، الأوحدى ، البليغى ، الفريدى ، المقيدى ،
النجيدى ، القنودى ، المحجى ، المحققى ، الورعى ، الخاشع ، الناسكى ، الإمامى ،
العلمى ، الأصلى ، العريق ، الحاكى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المقيدين ، قدوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة
المحققين ، نخر المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلال الحكام ، بركة الدولة صدر مصر
والشام ، معز السنة ، مؤيد الملة ، شمس الشريعة ، رئيس الأصحاب ، لسان المتكلمين ،
حكَم الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما رأيت فى بعض الدساتير فى توقيع عن
نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجَنَابِ العالى ، الشيخى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الكامل ، الأوحدى ، الماجدى ، القوامى ، النظامى ،
الفلانى ، ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الفضلاء العارفين ، جلال الأئمة
فى العالمين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التنقيف" فى ألقاب القضاة
الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعى : « المجلس العالى ، القاضوى ، الكبرى ،
العالمى ، العالمى ، الأفضلى ، الأكلى ، الأوحدي ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
التجيدى ، القدوى ، المحجى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ، العريق ، الحاكى ،
الفلايى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ،
قُدوة البلاء ، حجة الأمة ، محمدة المحذنين ، نحر المدرسين ، مفتي المسلمين ، جلال
الحكام ، حاكم الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عرف التعريف" : « المجلس
العالى ، القضاى ، الأجلى ، الإمامى ، الصدرى ، الرئيسى ، الفقيهى ، العالمى ،
العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدي ، الفلايى ، مجد الإسلام ، نحر الأنام ،
تاج العلماء والحكام (أو شرف العلماء والحكام) جمال الأئمة ، أوجد الأئمة ، صدر
المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغیرها .

فأما فى السلطانيات ، فلم يذكر لها فى "التنقيف" صورة .

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القضاى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الرئيسى ، المفيدى ، المينى ، القدوى ،
الانبرى ، مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العالمين ، أوجد الفضلاء ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيت في بعض تواقيع بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاى ،
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
الخطيبى ، القلانى ، ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الخطباء فى العالمين ، جمال الأئمة
القصاصاء البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عُرف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاى ، الأجلى ، الإمامى ، الصدى ، الفقيهى ، العالمى ،
الكاملى ، الفاضلى ، القلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، جمال العلماء ، أوجد
الفضلاء ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيراء ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغيرها .

فأما فى السلطانيات فلم يذكر لها صورة فى "التثيف" .

وصورتها على ما رأيت فى بعض التواقيع : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ،
الكبرى ، الصدى ، الرئيس ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، فلان الدين ، مجد الصدور ،
زين الأعيان ، مرضى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
« المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوجد ،
الأثير ، البارح ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نجر الصدر ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفوة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التتيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع : « مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوجد ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نجر الصدر ، مرتضى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « القاضي ، الأجل » وربما زيد في التعظيم نحو « الكبير الصدر
الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،

وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَعْرَ ، وليس لها استعمالٌ في السلطانيّات ؛ وفي غير السلطانيّات

لها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَعْرَ الشَّريف .

وصورتها : « المَعْرَ الشَّريف ، العالِي ، المَوْلَوِي ، الشَّيْخِي ، السَّيْدِي ، الإِمَامِي ،

العالِي ، العامِلِي ، الكافِي ، الفاضِلِي ، الوَرَعِي ، الزَاهِدِي ، العابِدِي ، النَّاسِكِي ،

السَّالِكِي ، الخاشِعِي ، المُسَلِّكِي ، المحقِّقِي ، المدقِّقِي ، الفلاني ؛ صلاحُ الإسلام

والمسلمين ، جمالُ الأصفياء العاملين ، خالصةُ الأنام ، صفوةُ الأتقياء ، قُطبُ العباد ،

المَلِكُ على الحقيقه ، والمسالِك لأزيمة الطريقه ، بَقِيَّةُ السَّنَفِ ، قُدْوَةُ الخَلْفِ ،

مفيدُ الطالبين ، أوحدُ المحققين ، رُكنُ الملوك والسلاطين ، وليُّ أمير المؤمنين » .

وقد تقدم أن الأحسن في اللقب المضاف إلى السلاطين هنا « بركةُ الملوك

والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المَعْرَ الكَرِيم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَعْرَ العالِي ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(دَرَجَةُ الْجَنَابِ ، وفيها ثلاثُ مراتبِ)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الجنابِ الشريفِ . وهي مختصةٌ بغيرِ السلطانياتِ .

وصورتها : «الجنابُ الشريفُ، العالى، المولوى، الشيخى، الإمامى، العالمى،
العالمى، الكافلى، الفاضلى، الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، الورعى،
جلالُ الإسلامِ، سيفُ الإمامِ، قُطبُ الزَّهَادِ، عَلمُ العُبادِ، أُوحدُ الناسِكينِ،
قُدُّ السالِكينِ، بركةُ الملوكِ والسلاطينِ» .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجنابِ الكَرِيمِ . وهي مختصةٌ بغيرِ السلطانياتِ أيضا .

وصورتها على ما رأيتُه في بعضِ التواقيعِ عن نائبِ الشامِ : «الجنابُ الكَرِيمِ،
العالى، الشيخى، العالمى، العالمى، العلامى، الأوحدي، القُدوى، العابدى،
الناسكى، الخاشعى، المسلكى، المرقى، الربانى، الأصيلى، الفلافى، مجدُ الإسلامِ،
حسنَةُ الأيامِ، قُدوةُ الزَّهَادِ، مَلَأَ العُبادِ، جمالُ الورعِينِ، مرقىُ المریدينِ،
أُوحدُ المسلكينِ، حَلَفَ الأولياءِ، بركةُ الملوكِ والسلاطينِ» .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجنابِ العالى . وهي مختصةٌ بغيرِ السلطانياتِ .

وصورتها على ما رأيتُه في بعضِ التواقيعِ عن نائبِ الشامِ : «الجنابُ العالى،
الشيخى، العالمى، العالمى، الأوحدي، العابدى، الناسكى، الورعى، الزاهدى،
الخاشعى، المسلكى، الأصيلى، الفلافى، مجدُ الإسلامِ، بهاءُ الأنامِ، قُدوةُ العُبادِ،
جمالُ الزَّهَادِ، أُوحدُ المسلكينِ، بركةُ الملوكِ والسلاطينِ» .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .
فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب شيخ
الشيوخ بختاقله سرباقوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبرى ، العالمى ،
العالمى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدي ، العايدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
المفيدى ، القديوى ، الإمامى ، النظامى ، الملاذى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
شرف الصلحاء في العالمين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوجد العلماء في الأنام ،
قنوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجل ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، الزاهدي ، العايدى ،
الورعى ، الخاشعى ، الناسكى ، القديوى ، الفلانى ، خيرة الإسلام ، شرف الأنام ،
زين العباد ، نور الزهاد ، دثر الطالبين ، كثر التقى ، ملجأ المريدين ، بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية - مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .
أما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوطى ممن كان يكتب إليه قديماً : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجل ، العالمى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدي ، الورعى ، العايدى ،
الخاشعى ، الناسكى ، القديوى ، الأوحدي ، الفلانى ، مجد الإسلام ، ضياء الأنام ،

بِقِيَّةِ السَّلَفِ الْكِرَامِ ، نَحْرِ الصَّلْحَاءِ ، أَوْحُدُ الْكُبْرَاءِ ، زَيْنِ الزُّهَادِ ، عِمَادِ الْعِبَادِ ،
قُدْوَةِ الْمُتَوَرِّعِينَ ، ذُنُرِ الدُّوَكِ ، رَكْنِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الكبيرى ، الأوحدي ، الأكلبي ، العابدي ، الخاشعي ، الناسكي ، جمال الإسلام ،
زين الأمام ، صفوة الصلحاء ، نحر العباد ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المَقَرَّ الشَّهَابِيُّ بِرَبِّ فَضْلِ اللَّهِ
في بعض التواقيع عن نائب الشام : « المجلس السامى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الخاشعى ، الورعى ، الناسكى ، السالكى ، العارفى ، القُدْوَى ، البليخى ، الأصيلى ،
الشيخى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف العمام ، قُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ ، نَحْرِ الصَّلْحَاءِ ،
جمال النَّسَّاكِ ، قُدْوَةُ السَّلَّاكِ ، أَوْحُدُ الْعَارِفِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير ياء ، وهى مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يُورد لها صورةٌ في "التحقيق" .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخ ،
الصلح ، الزاهد ، العابد ، الورع ، الخاشع ، الناسك ، السالك ، فلان الدين ،
مجد الصلحاء ، زين المشايخ ، قُدْوَةُ السَّاكِينِ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على نحو من ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التتقيف" ، وصورتها على ما في بعض المصنفات: «مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد، العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخوارجية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجَنَاب)

ولم أرفها غير مرتبة الجَنَاب العالی فیما عدا السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض المصنفات الشامية فيما كتب به لبعض الخوارجية: «الجَنَابُ العالی، الصَّدری، الكبیری، المحترمی، المؤمنی، الأوحیدی، الأکلی، الرئیسی، العارفی، المقربی، الخوارجی، الفلانی، مجد الإسلام والمسلمين،

شرف الأَكابر في العالمين ، أُوحدُ الأَمناء المقربين ، صدرُ الرؤساء ، رأسُ الصُدُور ، عينُ الأعيان ، كبيرُ الخَوَاجِكِيَّة ، نِقَّةُ الدُولَةِ ، مؤتمِنُ الملوك والسلاطين . . فإن أُنقذ أن يُكْتَبَ لاحد من الخَوَاجِكِيَّة بأعلى من الجَنابِ العالى ، كُتِبَ له من نظير هذه الألقاب وأعلى منها .

الدرجة الثانية

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى ، وهي مخصصة بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية : « المجلس العالى ، الصُدْرِيّ ، الرئيسى ، الكبيرى ، المحترمى ، المؤتمنى ، الأُوحدى ، الأَكلى ، المقربى ، الخَوَاجِكِيّ ، الفلانى ، مجدُ الإسلام ، شرفُ الأَكابر ، أُوحدُ الأَمناء ، صدرُ الرؤساء ، زينُ الأعيان ، نِقَّةُ الدُولَةِ ، مؤتمِنُ الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب خَوَاجَا عَسَافِ بنِ مُسَافِر ، ونظام الدين الإسعردى : « المجلس السامى ، الصُدْرِيّ ، الكبيرى ، الكاملى ، الماجدى ، الأُوحدى ، المقربى ، المنتخى ، الأَمِينى ، الأَمِيرى ، الخَوَاجِكِيّ ، الفلانى ، مجدُ الإسلام ، زينُ الأَمناء ، شرفُ الرؤساء ، أُوحدُ الكُبراء ، تابعُ الأَمناء ، نحرُ الأعيان ، مقربُ الحضرتين ، مؤتمِنُ الدُوك ، صفوةُ الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة - مرتبة المجلس السامي بغيرياء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التشيف" في ألقاب بعض الخوارجية: «المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحى، المقرب، المنتخب، الأمين، الأثير، الخوارج، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكار، مجد الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صنوة الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فصورتها على ما ذكره في "التشيف": «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحى، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أشار إليه في "التتيف" : « الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحُد، فلان الدين » .



وأما في غير السلطانيات، فلا تبعُدُ من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية القاب أرباب الصناعات الرئيسية،

كرئاسة الطب، ورئاسة الكهّالين، ورئاسة الجراحية،

ونحو ذلك، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - مرتبة المجلس العالي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها،

فأما في السلطانيات، فكألقاب رئيس الأطباء، وهي «المجلس العالي» [القَضَائِي^(١)،

العالمى، الفاضلى، الكاملى، الأوحدي، الفلانى، جمال الإسلام والمسلمين،

سيد الرؤساء في العالمين، أوحد الفضلاء المقربين، خاصة الملوك والسلاطين» [أ^(١).

(١) يرض لفظه الصابة في الأصول، فنقلناها من ضوء الصحح للزلف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، القلائى » .



وأما فى غير السلطانيات فعلى نحو منه .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغير باء ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدر ، الأجل ، الكبير ، الرئيس ، المحترم » .



وأما فى غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها)

وصورتها فهى : « الصدر الأجلّ » فإن زيد فى تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كـمَهتارِيَّة البيوت ،
ومُهَنْدِس العائر ، ورئيس الحَرَاقَة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصُّدْر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في " التتقيف " في ألقاب المهندس
والرئيس : « مجلس الصُّدْر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مهتارية البيوت : من مهتار الشراب خاناه ، والطشت خاناه ، والفراش
خاناه ، وإخوان سلار ونحوهم : « مجلس الصُّدْر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصُّدْر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصُّدْرُ الأجل » فإل زِيد في رِطايته قيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النوع ثامن

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — مرتبة الجهة الشريفة ، وصورتها على ما ذكره في "التنقيف"^(١) في ألقاب إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن والدتها : «الجهة الشريفة ، العالية المحجبة ، المصونة ، الولدية ، العضية ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف الخواتين ، سيلة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التنقيف" أيضا في المكاتب إلى أم آتوك : زوجة السلطان الملك الناصر عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المعظمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في المكاتب إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه : «الجهة الشريفة ، العالية ، المكرمة ، المحجبة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ، جلال النساء في العالمين ، بحيلة المحجبات ، جليلة المصونات ، كريمة الملوك والسلاطين» .

(١) سقط لفظ إلى من الضم. وهي أوضح .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الستِّ حَذَقَ : «الجهة الشريفة، العالية،
الكبرى، المحجبة، المصونة، الحاجية، الوالدية؛ جلالُ النساء في العالمين، بركة
الدولة، والدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب والدة الأشراف شعبان
ابن حسين : «الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة، المحجبة، المضمي،
الخاتوني؛ جلالُ النساء في العالمين، سيِّدة الخواتين، جميلة المحجبات، جليَّة
المصونات، والدة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية - مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير
بيغداد : الجهة الكريمة، المحجبة، المصونة، العصبية، الخاتونية، المعظمة، سيِّدة
الخواتين، زينة النساء في العالمين، جميلة المحجبات، جليَّة المصونات، قرينة نون
الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة الدار. وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجة الستارة وهي لا تكادُ تخرج عما تقدم من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثاني

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفْر ، وهي على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متدينتهم ، وهي نوعان)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصارى)

وصورتها على ما أورده في "التنقيف" في ألقاب الباب رُومِيَّة : «الباب، الجليل، القديس، الروحاني، الخاشع، العامل، باباً رُومِيَّة، عظيم الملة المسيحية، قُدوة الطوائف العيسوية، مملك ملوك النصرانية، حافظ الجار والخلجان، ملاذُ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان، تالي الإنجيل، معرف طائفته التحريم والتحليل، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التنقيف" في ألقاب البَطْرِيرْك بالديار المصرية : «البَطْرِيرْك الجليل، القديس، الخاشع، قُدوة النصرانية» . ثم قال : ومن نسبة ذلك . وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع له : «الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الكافي، المعزز، المفخر، القديس، شمس الرياسة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية، اختيار الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية عن نائب الشام للبَطْرِيرْك بها : «البَطْرِيرْك، المحترم، المبجل، العارف، الحبر، فلان، العالم بأمور دينه، المعلم لأهل ملته، دُخر الملة المسيحية، كثر الطائفة العيسوية، المشكور ببقائه عند الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي
محي الدين الزكي في سنة ست وعشرين وستمائة : «الرئيس، الأوحُد، الأعز،
الأخص، الكبير، شرف الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ملوكهم وتخص بالنصارى ، وهو نمطان)

النمط الأول

(الألقاب المذكرة، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يُصَدَّرُ بالألف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الحضرة العالية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب ملك الحبشة : « الحضرة
العالية، حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الضرعام ، الأسد ، الغضنقر ، الخطير ،
الباصل ، السميذع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المنصف لرعيته ، المتبع لما
يحب في أفضيته . عز الأمة النصرانية . ناصر الملة المسيحية ، ركن الأمة العيسوية .
عماد بن المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، متبع الحواريين ، والأخبار السريانيين ،

والبطارقة القديسين، معظم كنيسة صهيون، أوحده ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والسلاطين .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
 « الحضرة العلية ، المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ،
 الغضنفر ، الباسل ، الضرغام ، المعرق ، الأصيل ، المجدد ، الأيل ، البلاوس ،
 الريدأرغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القداماء ،
 محي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه ، العادل في ممالكه ، معز النصرانية ،
 مؤيد المسيحية ، أوحده ملوك العيسوية ، تحول الثخوت والتيجان ، حامى البحار
 والخنجان ، ملك ملوك الشريان ، عماد بني المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة
 الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلاطين فلان » .

المرتبة الثانية — مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : « الحضرة العلية ،
 حضرة الملك الجليل ، الهمام ، الباسل ، الضرغام ، السميدع ، الكرار ، الغضنفر ،
 المتخت ، المتوج ، العالم في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الاغريقية ، سلطان
 الكرج ، دخر ملوك البحار والخلج ، حامى حمى القرمات ، وارث آبائه في الأسرة
 والتيجان ، سياج بلاد الروم ويران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك الشريان ،
 بقية أبناء الثخوت والتيجان ، معز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
 معظم البيت المقدس بعقد النية ، عماد بني المعمودية ، ظهر الباب بابا رومية ،
 مواد المسلمين ، خالصه الاصدقاء المقربين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في القاب الأدفونش صاحب طليطلة وإشبيلية من الأندلس : «الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهمام ، الأسد ، الباسل ، الضرغام ، الفضنقر ، بقيّة سلف قيصر ، حامي حماة بنى الأصفر ، المنعم السلوك ، وارث لذريق وذرايرى الملوك ، فارس البر والبحر ، ملك طليطلة ومايلها من البلاد الأندلسية ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المسيحية ، وارث التيجان ، شبه مريخنا المعمدان ، محب المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الرابعة — مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير الشامية في القاب صاحب قبرس : «الحضرة المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الهمام ، السميدع الضرغام ، الفضنقر ، القمقام ، مؤيد الملة المسيحية ، عماد بنى المعمودية ، ذنر الملة النصرانية ، حامي الجزائر القبرسية ، مؤاذ المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة — مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في "التنقيف" في القاب الأدفونش المقدم ذكره : «الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرغام ، الريذارغون ، نصر النصرانية ، نجر الأمة العيسوية ، ذنر الملة المسيحية ، حامي الثفور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهر بابا رومية ، ملاذ الفرسان ، جمال التخت والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصَدَّرُ بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التشريف" في ألقاب صاحب القسطنطينية :
«حضرة الملك، الجليل، المكرم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهمام،
الضرم، فلان، العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، عز الأمة المسيحية، كثر
الطائفة الصليبية، بحمل بنى المعمودية، صمصام الملوك اليونانية، حسام الملكة
المسأوصية، صاحب أمصار الروس والعلان، معز اعتقاد الكرخ والسريان، وارث
الأسرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان، المدوقس الانجالوس
الكينوس البالوغس، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التشريف" في ألقاب ملك الكرخ : «حضرة الملك
الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، القمقام، القديس، الروحاني، فلان، عز الأمة
المسيحية، كثر الطائفة الصليبية، نحر دين النصرانية، ملك الجبال والكرج والخرجان،
صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساتير في ألقاب ملك الكرخ أيضا : «حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوج من الله فلان، سيد ملوك
النصرانية، أكبر زعماء الملة المسيحية، ضابط الممالك الكرجية، خليل^(١)
الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التعريف" في ألقاب مملك سيمس قبل فتحها :
«حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهمام، السميع الضرم، الفضنفر

(١) يباخر بالاصول بقدر كلمة .

فلان، فخر الملة المسيحية، دُحر الأمة النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" في ألقاب ممتلك سيس المذكور أيضا :
 «حضره الملك الجليل، المكرم، المبجل، المعزز، الهام، الباسل، فلان، عز دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .
 وصورتها على ما ذكره في "التثقيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
 «حضره التوك الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، الموقر، المفخم، فلان، فخر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقيّة والمانسية، فلان، زين بنى المعمودية، صديق الملوك والسلطين» .

وصورتها على ما أورده في "التثقيف" في ألقاب ملك السرب والبغار : «حضره الملك الجليل، المكرم، المبجل، الهمام، الضغام، الباسل، الدوقس، الأنجالوس، الكينوس، فلان، عماد النصرانية، مالك السرب والبغار، فخر الأمة العيسوية، دُحر الملة المسيحية، فارس البُحور، حامى الحصون والثغور» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك موفراد : «حضره الملك الجليل، المكرم، البطل، الهام، الأسد، الضغام، فلان، مجد النصرانية، فخر العيسوية، عماد بنى المعمودية، جمال الطائفتين الرومية والفرنجية، ملك مفراد، وارث التاج، مُعز الباب» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لدوك البندقيّة غير ما تقدم : «حضره المحشم، الجليل، المبجل، الموقر، المكرم، المفخم، الباسل، الضغام، فلان، عز الملة المسيحية، جمال الطائفة العيسوية، دُحر الملة الصليبية، صديق الملوك والسلطين» .

النوع الثالثُ

(ما يُصَدَّرُ بِالْمَلِكِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ)

وصورته على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب ملك الحبشة : «الملك الجليل ،
المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرعام ، الباسل ، فلان ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ،
حطى ملك أحمرا ، أكبر ملوك الحبشان ، نجاشي عصره ، سدد الملة المسيحية ،
عضد دين النصرانية ، عماد بن المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكر في "التتقيف" في ألقاب دوك البندقية غير ما تقدم : «الدوك
الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، البطل ، الهام ، الضرعام ، الغضنفر ، الخطير ،
مجد الملة النصرانية ، نجر العيسوية ، عماد بن المعمودية ، معز يابا رومية ، صديق
الملوك والسلاطين فلان» .

النمط الثاني

(من ألقاب ملوك الكُفْر [الألقاب المؤنثة])

وصورتها على ما أورده في "التتقيف" في ألقاب صاحبة بابل : «الملكة الجليلة ،
المكرمة ، المبجلة ، الموقرة ، المفخمة ، المعززة ، فلانة ، العالمة في ملتها ، العادلة
في مملكتها ، كبيرة دين النصرانية ، نصيرة الملة العيسوية ، حامية الثغور ، صديقة
الملوك والسلاطين» .

الضرب الثالث

(ألقاب نواب ملولهم وتكاسلتهم ومن في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النُواب)

وصورتها على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، القديس ، الروحاني» ، والتعوت من نسبة ألقاب متملك سبب .

وصورتها على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب صاحب دُنُقلة : «النائب الجليل ، المبجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ، مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكنايسة)

وصورتها على ما ذكره في "التتقيف" في ألقاب الكُنُصُل بالكفا كألقاب متملك سبب المنقولة عن التتقيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في "التتقيف" في ألقاب المُطْران نائب الباب بالامنة : وهي قُبُرس نحو ما تقدم في ألقاب البَطْرِك بالديار المصرية . قال : ويزاد عليه «المُطْران فلان» ويقال في نعوته «ناصر الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيت في بعض الدساتير الشامية وألقاب إبراهيم كرى : أحد كتّاب الفرنج عن نائب دمشق : «المُحْتَسِم ، الكبير ، المخول ، الأسد ، المعام ، القضاة» .

مواد المسلمين، متبع الحواريين، جمال العيسوية، أوحده بنى المعمودية، صاحب الملوك والسلاطين» .

قلت : قد تبين بما تقدم من الألقاب والتعوت الإسلامية وألقاب أهل الكفر وتعوتهم أنها ليست وافقة عند حد، بل هي راجعة إلى اصطلاح الكتاب واختيارهم في زيادة الألقاب وتقصها، والإتيان بلقب دون لقب، مع رعاية المناسبة لكل مقام وما يحتمله من الألقاب، إلا أن لذلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يوقف عندها، إذا اعتمدها الكاتب وشئ على نهجها وتسج على منوالها، أصاب سواء الثغرة من الصناعة، وطبق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمئة صد، ومتى أهملها وفرط في مراعاتها ضل سواء السبيل، ونخرج عن جادة الصواب : (ومن يضل الله فإله من هادي) .

الأصل الأول - أن يقف على ما رتبته اللغاة من أرباب الصناعة من الألقاب والتعوت لكل صنف من ذوى الألقاب والتعوت : لأهل الإسلام وأهل الكفر . ويحجرى ذلك منه مجرى الحفظ والاستحضار، ليسهل عليه إيرادُه في موضعه، ولا يند عنه شيء منها عند الاحتياج إليه . وقد تقدم من ذلك جملة مستكثرة يهتدى بتجملها، ويستضاء في ظلمة اللبس بضوئها .

الأصل الثانى - أن يعرف ماهو من الألقاب والتعوت حقيقى لصاحب اللقب الذى يستعمله فيه : كالعالمى - لأهل العلم، والعايدى - لأهل الصلاح، والعايدى للحكام من أرباب السيوف وغيرهم، وما هو منها مجازى : كالعالمى - لأرباب السيوف والكتاب حيث لا أنصاف لصاحب اللقب بالعلم، والأصيلى لمن ليس له آباء في الرياسة ولا عرافة في النسب، ونحو ذلك مما يحجرى هذا المجرى .

الأصل الثالث - أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض دون بعض، كالشريفى، والحسينى، والنسبى، للأشراف أولاد فاطمة رضى الله عنها، والكافى - لنائب

السلطنة أو وزير كبير، والتونجي لأئمة التوأمين بالشرق، والمدبري للوزير ونحوه من ناظر الخصاص ومن في معناه، والمشير لمن يؤخذ رأيه من أكابر أرباب السيوف والأقلام، والسفير للحاجب والدوادار وكاتب السر، واليميني للدوادار وكاتب السر، والعريقي لذي العراقة في النسب، والأصيلي لمن له ثلاثة آباء في الرياسة .

وكذلك النعوت كوالد الملوك والسلاطين لمن يكون له أولاد من الملوك، وولد الملوك والسلاطين لأولاد الملوك، وعضد الملوك والسلاطين للأمرء ونحوهم، وكافل الممالك للنائب الكافل، وسفير الدولة ولسان الملكة للدوادار وكاتب السر، ويمين الملوك والسلاطين لها أيضا، ووالدة الملوك والسلاطين لمن يكون من أولادها ملك، وكريمة الملوك والسلاطين لمن يكون من إخوتها سلطان، وقريينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديق الملوك والسلاطين، أو مواد الملوك والسلاطين لملوك الكفر، وقريين الملوك والسلاطين لنوآبهم، ونحو ذلك مما يجري هذا الجري : فيوقع كل لقب اوعيت منها في موضعه ولا يجاوزه إلى غيره . وأنت إذا تأملت ما سلف من ترتيب الألقاب والنعوت على الأصول المتقدمة، ظهر لك منها ما تستعين به على ترتيبها وإيقاعها مواقعها .

الأصل الرابع — أن يعرف الألقاب والنعوت الرفيعة المقدار، فيلحقها بما يناسبها من الألقاب الأصول، كالحاق العالي والعالية ومهد الدول ومُشيد الممالك وما شاكل ذلك بالمقر والجناب الكريم ونحو ذلك . ويعرف الألقاب النازلة، فيخرج منها ما يجرد عن الياء ويلحقه بالسامي بنير الياء فما دونه كالعضد والذخروما أشبه ذلك .

الأصل الخامس — أن يعرف مراتب الألقاب في التقديم والتأخير، مثل أن يعلم أن الشريف والكريم يليان المقر والجناب، والعالي يليهما، ثم العالي يلي المقر

والجناب والمجلس ، والسامى على المجلس حيث لا يليه العالى . وأن النعت المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عَضُد أمير المؤمنين ، وسيف أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، يكون آخر التبعوت . وأن المضاف إلى الملوك والسلاطين مثل عَضُد الملوك والسلاطين ، وظهير الملوك والسلاطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان في رتبة يثبت فيها ما يُضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلاطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التعريف : وهو الفُلَانِي أو فُلَانُ الدين يكون واسطةً بين الألقاب والتبعوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكافِي والحَاكِمِي وما أشبههما يكون قبل لقب التعريف غالباً على ما تقدم بيانه ، فيضع هذه الألقاب في مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والتبعوت .

الجملة العاشرة

(في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت في عُرف
الكتاب . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجرى من ذلك تجرى التفاؤل ، ويختلف باختلاف الأحوال
والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجُيُوش والعساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال في الجيوش والعساكر : «الجُيُوش المنصورة» ، والعساكر المنصورة» ويقال في القلاع المنصورة «وقلعة دمشق المنصورة وقلعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تَفَاؤُلاً بمحصول النَصْر لها، ويقال في البريد: « البريد المنصور » على ما اصطَلَح عليه كُتَّابُ الزمان. على أن في وصف البريد بالمنصور نظراً: لأنه إنما وُضِعَ ليُوصَلَ الأخبارَ ونحو ذلك، وكان الأحسنُ أن يوصف بالسعيد ونحوه اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبرُ النصر على العدو، وهو من أهم المهمات، وكانه وُصِفَ بأشرف متعلقاته.

النوع الثاني

(ما يوصف بالحِرَاسَة، كالمُدُنِ والثغُورِ)

فيقال في المُدُنِ «مِصرُ المحروسة» و«القاهرةُ المحروسة» و«دمشقُ المحروسة» و«حلبُ المحروسة» ونحو ذلك، ويقال في الثغُورِ «الثغرُ المحروس» و«ثغرُ الإسكندريةِ المحروس» و«ثغرُ رشيدِ المحروس» و«ثغرُ دميَّاطِ المحروس» و«ثغرُ أسوانِ المحروس» ونحو ذلك تَفَاؤُلاً بوقوعِ الحِرَاسَة فيها. على أنه لو وُصِفَت القلاعُ أيضاً بالحِرَاسَة فتُقال «الثقلَةُ المحروسة» و«القلاعُ المحروسة» ونحو ذلك لكان له وَجْهٌ ظاهرٌ. وبكل حال فكلُّ ما كان محلَّ خوفٍ مما ينبغي حِرَاسَتَهُ والأحتفاظَ به، حَسُنَ وصفه بالحِرَاسَة. وقد رأيتُ مَنْ يذكُرُ ضابطاً لذلك في البلاد: وهو أن كلَّ مدينةٍ مُسَوَّرةٍ يُقال فيها محروسة وإلا فلا، وهو بعيد، والظاهر ما قدّمنا ذكره.

النوع الثالث

(ما يُوصف بالعمارة ، كالداووين)

وهي المواضع التي يجلس فيها الكُتَّاب على ما تقدم بيانه في مقدمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : «الديوان المعمور» و«الداووين المعمورة» تفاؤلا بأنها لا تزال معمورة بالكتاب ، أو بدوام عز صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يوصف بالسعادة ، كالداووين أيضا)

فيقال : «الديوان السعيد» و«الداووين السعيدة» تفاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يوصف بالقبول)

كالضحايا المقبولة تفاؤلا بأن الله تعالى يتقبلها ، وهو في الحقيقة بمعنى الدعاء ، كأنه يقال تقبلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يوصف بالبر ، كالصدقة والأحباس)

فيقال في الأحباس : «الأحباس المبرورة» وفي الصدقة «الصدقة المبرورة» تفاؤلا بأنها تكون جارية تجرى البر الذي يلحق به الثواب . وكتاب الجيش ونحوهم يستعملون ذلك في وصف الرزقة أيضا : وهي القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرباط أو الشخص المعين . فيقولون : «الرزقة المبرورة» بجرانها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالجدلان ، كالعَدُو ونحوه)

فيقال : « العَدُوُّ المَخْدُولُ » على الإجمال و « فلانُ المَخْدُولُ » بالتصريح باسمه
« وأهل الكُفْرِ المَخْدُولُونَ » ونحو ذلك تفأؤلا بأن الله تعالى يُوقع بالعَدُوَّ الجِدْلانَ
ويرييه به .

الضرب الثاني

(ما يجري من ذلك مجرى التَّشْرِيفِ ، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال ، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يوصف بالعزِّ ، كالكتاب بمعنى القران)

فيقال فيه : « الكتابُ العزِيزُ » ومن ثمَّ يقولون في قارئِ القرآن : « من حَمَلَهُ
 كتابُ الله العزِيزُ » وربما وُصِفَ بذلك الديوان أيضا ، كما يقال في ديوان الخلافة :
 « الديوانُ العزِيزُ » على ما تقدم ذكره في الكلام على الألقاب .

النوع الثاني

(ما يوصف بالتشريف ، كالمُصْحَفِ والعِلمِ)

فيقال في المُصْحَفِ : « المُصْحَفُ الشَّرِيفُ » وفي العِلمِ « العِلمُ الشَّرِيفُ » ولذلك
 يقولون « فلانٌ من طَلَبَةِ العِلمِ الشَّرِيفِ » ونحو ذلك ، وكذا في الأماكنِ الرُفِيعَةِ ،

مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ النَّبَوِيَّةَ وَالْقُدْسَ . فيقال : «مَكَّةُ الْمَشْرِفَةُ» و «الْمَدِينَةُ الشَّرِيفَةُ» و «الْقُدْسُ الشَّرِيفُ» وَالْحَرَمُ الشَّرِيفُ تَارَةً لِحَرَمِ مَكَّةَ وَتَارَةً لِحَرَمِ الْمَدِينَةِ . فإذا جمعا قيل : «الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ» وربما أُطْلِقَ فِي عُرْفِ الْكُتَّابِ الْحَرَمَانِ عَلَيِ الْقُدْسِ الشَّرِيفِ وَمَقَامِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ مَرَادُ الْمَقَرِّ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ «التَّعْرِيفُ» فِي قِسْمِ الْمَوْصَايَا بِنَاطِرِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ دُونَ حَرَمِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ الْمَشْرِفَتَيْنِ . وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَيَّ أَنْ وَصَفُوا أَكْثَرَ مَا يُضَافُ إِلَى السُّلْطَانِ بِالشَّرِيفِ ، فيقولون فيما يصدُرُ عَنِ السُّلْطَانِ مِنْ عَهْدٍ وَتَقْلِيدٍ وَتَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ وَتَذَكُّرَةٍ : «عَهْدٌ شَرِيفٌ» وَ«تَقْلِيدٌ شَرِيفٌ» وَ«تَوْقِيعٌ شَرِيفٌ» وَ«مَرْسُومٌ شَرِيفٌ» وَ«مِثَالٌ شَرِيفٌ» وَ«تَذَكُّرَةٌ شَرِيفَةٌ» وَنَحْوِ ذَلِكَ .

النوع الثالث

(ما يُوصَفُ بِالكَرِيمِ ، كَالْقُرْآنِ)

فيقال : «الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ» وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ وَقَدْ أَصْطَلَحَ كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَيَّ أَنْ جَعَلُوهُ دُونَ الشَّرِيفِ فِي الْوَصْفِ ، فَوَصَفُوا بِهِ مَا يصدُرُ عَمَّنْ دُونَ السُّلْطَانِ مِنْ أَكْبَارِ الدَّوْلَةِ مِنَ التُّوَابِ وَالْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ : مِنْ تَوْقِيعٍ وَمَرْسُومٍ وَمِثَالٍ وَتَذَكُّرَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فيقولون : «تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ» وَ«مَرْسُومٌ كَرِيمٌ» وَ«مِثَالٌ كَرِيمٌ» وَ«تَذَكُّرَةٌ كَرِيمَةٌ» . وَقَدْ تُوصَفُ بِهِ الْمَكْتَابَةُ أَيْضًا فيقال : «إِنَّ مَكَاتِبَهُ الْكَرِيمَةَ وَرَدَّتْ» وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّنْزِيلِ : ﴿ إِنِّي أَلْقِيَهُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ عَلَيَّ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَرْفَعُ رُتْبَةً مِنَ الشَّرِيفِ لَوُرُودِ التَّنْزِيلِ بِوَصْفِ الْقُرْآنِ بِهِ .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ ، وهو في معنى الكَرَمِ في اصطلاحهم)

فيقال : « تَوْفِيعٌ حَالٍ » و « مَرَسُومٌ عَالٍ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ الْعَالِي » وقد يُوصَفُ به أَمْرُ السُّلْطَانِ أَيْضًا مِنْ ذِي الرَّتْبَةِ الرَّفِيعَةِ ،
مثل كِتَابَةِ الْوَزِيرِ عَلَى الْمَرَامِيمِ الشَّرِيفَةِ ونحوها « أَمْتِئِلُ الْأَمْرِ الْعَالِي » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بِالسَّعَادَةِ)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيدُ » و « الْأَرَاءِ السَّعِيدَةِ » وربما وصف بذلك الدِّيوانَ قَبِيلَ
« الدِّيوانِ السَّعِيدِ » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بِالْبَرَكَةِ ، كَالكُتْمِ)

فيقال : « كُتْمٌ مُبَارَكٌ » وقد يُوصَفُ به الْمُتَزَلُّ فيقال : « مُتَزَلٌّ مُبَارَكٌ »
وقد يوصف به الأَمْرُ لِمَنْ دُونَ الْعَالِي ، فيقال : « يَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْمُبَارَكُ » وكذلك
المَكْتَابَةُ ، فيقال : « إِنْ مَكَّابَتَهُ الْمُبَارَكَةُ وَرَدَّتْ » ونحو ذلك .

الباب الثاني

من المقالة الثالثة

(في مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ،
ومقادير البياض في أول الدرَج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور
في الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقادير قطع الورق في الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" أن الخلفاء لم تنزل تستعمل
القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان . وذلك أنه يكتب
الخلفاء في قِرطاس من ثلثي طومار ، وإلى الأمرء من نصف طومار ، وإلى العَمَّال
والكُتَّاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من رُبع ، وإلى الحُساب والمُسَاح من
سُدس . فهذه مقاديرُ لقطع الورق في القديم : وهي الثُلثان والنصف والثلث والرُبع
والسُدس ، ومنها استُخْرِجَت المقاديرُ الآتية ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة
الكاملة ، وهي المعبر عنها في زماننا بالفرسخة ؛ والظاهر أنه أراد القطع البغدادي
لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي ، لاسيما وبغداد إذ ذلك دار الخليفة ،
فلا يحسن أن يقدر بغير ورقها مع اشتماله على كمال الحسن . وقد تقدم في الكلام
على آلات الكتابة في المقالة الأولى بيان الخلاف في أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قَطْع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث جملي)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية

بالديار المصرية، وهي تسعة مقادير)

المقدار الأول — قَطْع البَغْدَادِيّ الكامل . وَعَرَضُ دَرَجِه عَرْضُ البَغْدَادِيّ
بِكَلِمَة : وهو ذراعٌ واحد بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ ، ووطولُ كُلِّ وَصَلٍ مِنَ الدَّرَجِ
المذكور ذراعٌ ونصفُ بالذراع المذكور . وفيه كان تُكْتَبُ عَهودُ الخلفاء وبيعتهم .
وفيه تُكْتَبُ الآنُ عَهودُ أكابر الملوك ، والمكاتبُ إلى الطبقة العُلْيَا من الملوك ،
كأكابر القاناتِ من ملوك الشرق .

المقدار الثاني — قَطْع البَغْدَادِيّ الناقص . وَعَرَضُ دَرَجِه دون عَرْضِ
البَغْدَادِيّ الكاملِ بأربعة أصابعٍ مطبوقَةٍ . وفيه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من الملوك ،
وربما كُتِبَ فيه [للطبقة العُلْيَا] لإِعْوَاذِ البَغْدَادِيّ الكاملِ .

المقدار الثالث — قَطْع الثلثين من الورق المِصْرِيّ . والمراد به ثُلثا الطُّومارِ
من كامل المنصوريّ ، وَعَرَضُ دَرَجِه ثُلثا ذراعِ بذراع القَمَاشِ المِصْرِيّ أيضا .
وفيه تُكْتَبُ مناشيرُ الأمراءِ المقدمين ، وفتايدُ التُّوَابِ الكِبَارِ والوزراءِ وأكابر القضاةِ
ومن في معناهم . ولم تجر العادةُ بكتابة مكاتبة عن الأبواب السلطانية فيه .

المقدار الرابع - قطع النصف . والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري ؛ وعرضُ درجه نصف ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ الامراءِ الطيلخانا ، ومراسيمُ الطبقة الثانية من التواب ، والمكاتباتُ إلى الطبقة الثانية من الملوك .

المقدار الخامس - قطع الثلث . والمراد به ثلثُ القطع المنصوري ؛ وعرضُ درجه ثلثُ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ امراءِ العشرات ، ومراسيمُ صفار التواب ، والمكاتباتُ إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

المقدار السادس - القطع المعروف بالمنصوري . وعرضه تقديراً ربعُ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ الممالك السلطانية ومقدمي الخاتمة ، ومناشيرُ عشرات الترتجان ببعض الممالك الشامية ، وبعضُ التواقيع وما في معنى ذلك .

المقدار السابع - القطع الصغير ، ويقال فيه قطع العادة . وعرضُ درجه تقدير سُدسُ ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ عامةُ المكاتبات لأهل المملكة وحكامها ، وبعضُ التواقيع والمراسيم الصغار ، والمكاتباتُ إلى حُكام البلاد بالممالك ، وما يجرى هذا الجُرى . وقد كان هذا القطعُ والذي قبله في أول الدولة التركية طُولُ كلِّ وصل منه شبران وأربعة أصابع مطبوقةً فما حوَّل ذلك .

المقدار الثامن - قطع الشامي الكامل . وعرضُ درجه عرضُ الطومار الشامي في طوله ، وهو قليلُ الاتمهال بالديوان ، إلا أنه ربما كُتِبَ فيه بعضُ المكاتبات ، كما كتبت فيه عن الأشرف شعبان بن حُسين لوالدته حين سافرت إلى الحجاز الشريف .

المقدار التاسع — القَطْع الصغير . وهو في عَرْض ثلاثة أصابع مطبوعة من الورق المعروف بورق الطَّيْر، وهو صِنْف من الورق الشامي رقيقٌ للنفاية . وفيه تُكْتَب ملطقات الكُتُب وبطائق الحمام .

الجملة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية :

دِشْق ، وحبّ ، وطرابُلس ، وحمأة ، وصَفْدَا ، والكرك .

في المكاتبات والولايات الصادرة عن التواب بالممالك ،

وهي لاتخرج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عَرْضُه عَرْض الطومار الشامي الكامل في طوله على ما تقدم فيه . وفيه يُكْتَب عن التواب لأعلى الطبقات من أبواب التواقيع والمراسيم ليس إلا .

المقدار الثاني — قطع نصف الحموي . وعَرْض دَرَجُه عَرْض نصف الطومار الحموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكْتَب للطبقة الثانية من أبواب التواقيع والمراسيم الصادرة عن التواب .

المقدار الثالث — قطع العادة من الشامي . وعَرْض دَرَجُه سدس ذراع بذراع القماش المصري في طول الطومار أو دُونَه . وفيه يُكْتَب للطبقة الثالثة من أبواب التواقيع والمراسيم الصادرة عن التواب وعامة المكاتبات الصادرة

عن التَّوَابِ إِلَى السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَّا أَنْ تَأْتِيَ الشَّامَ وَتَأْتِيَ الْكُرْكُ قَدْ جَرَتْ عَادَتُهُمَا بِصُدُورِ الْمَكْتَابَاتِ عَنْهُمَا فِي الْوَرَقِ الْأَحْمَرِ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنَ التَّوَابِ .

المقدار الرابع - قَطْعُ وَرَقِ الطَّيْرِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي آخِرِ الْمَقَادِيرِ الْمُسْتَعْمَلَةِ بِالْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ . وَفِيهِ تُكْتَبُ الْمَلَطَّفَاتُ وَالْبَطَائِقُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

قلت : هذه مقادير قَطْعِ الْوَرَقِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ . أَمَا غَيْرُ مَمْلَكَةِ الْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ مِنَ الْمَمَالِكِ ، فَالْحَالُ فِيهَا يَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِ الْوَرَقِ الْمُسْتَعْمَلِ بِدَوَائِبِهَا . فَأَمَّا بِلَادُ الْمَشْرِقِ فَعَلَى نَحْوِ الْمَقَادِيرِ الْمَتَقَدِّمَةِ . وَأَمَّا بِلَادُ الْمَغْرِبِ وَالسُّودَانَ وَبِلَادُ الْقَرْشِ ، فَعَادَةُ كِتَابَتِهِمْ فِي طُومَارٍ وَاحِدٍ ، يَزِيدُ طَوْلَهُ عَلَى عَرْضِهِ قَلِيلًا ، مَا يَبِينُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْمَكْتُوبِ .

الجملة الثالثة

(فِي مَقَادِيرِ قَطْعِ الْوَرَقِ الَّذِي تَجْرَى فِيهِ مَكْتَابَاتُ أَعْيَانِ الدَّوَلَةِ)

مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ

وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ)

وهو قَطْعُ الْعَادَةِ مِنَ الْبَلَدِيَّةِ بِالْأَبْوَابِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَمِنَ الشَّامِيَّةِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثالثة

(في بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
من الأقلام ، ومقادير البياض الواقع في أعلى الدرّج وحاشيته ،
وبعد ما بين السطور في الكتابة . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما يناسب كل مقدار منها من قطع الورق من الأقلام)

قد ذكر المقرّ الشّهائي بن فضل الله في كتابه " التعريف " في آخر القسم الثاني ما يناسب كل مقدار من مقادير الورق المستعملة بدوان الإنشاء بالديار المصرية من أقلام الخَطّ المنسوب فقال : إن لقطع البندادي قلم مختصر الطومار ، ولقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، واقطع النصف قلم الثلث الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة قلم الرقاع . ومن ذلك يُعلم ما يناسب كل قطع من مقادير القطع المستعملة بدواوين الإنشاء بالممالك الشامية . فيناسب الشامي الكامل قلم التوقيعات : لأنه في مقدار قطع الثلث البسدئي أو قريب منه ، ويناسب نصف الجوى والعادة من الشامي قلم الرقاع ، لأنهما في معنى القطع المنصوري والعادة بالديار المصرية . أما قلم الجناح لكتابة بطائق الحجام به . وأما ما كان يكتب به الخلفاء

(١) عبارة الصوة مؤلف ج ١ ص ٤١٥ و ٤١٦ " ويناسب قطع الجوى والعادة من الشامي قلم الرقاع

لانهما في معنى العادة ، ويناسب ورق العلي الذي يكتب فيه البطائق والمظنقات قلم الحجام ولذلك يسميه بعض

الكتاب قلم الجناح الخ " وهي واضحة .

أسماءهم في الزمن القديم وبه يكتب الملوك أسماءهم الآن ، فقلم الطومار : وهو القلم الجليل الذي لا قلم فوقه . وقد تقدم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه الكاتب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرّج ، وحاشيته

وعدد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ، فكما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البغدادى يُترك فيه ستة أوصال بياضا ، وتكتب البسملة في أول السابع ، وقطع الثلثين يُترك فيه خمسة أوصال ، وقطع النصف يُترك فيه أربعة أوصال ، وقطع الثلث يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وقطع المنصوري والعادة تارة يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يُترك فيه وصلان ، بحسب ما تقتضيه الحال . وقطع الشامى الكامل في معنى قطع الثلث ، وقطع نصف الخوى والعادة من الشامى في معنى القطع المنصوري والعادة في البلدى . وربما اجتهد الكاتب في زيادة بعض الأوصال وتقصانها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكاتب الصادرة عن سائر أرباب الدولة مصرّا وشامّا يُترك في جميعها قبل البسملة وصل واحد فقط . وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى يُترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فيحسب اجتهد الكاتب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت بعض الكُتاب المعتبرين يقدر حاشية الكتاب بالربيع من عرض الدرّج ، وهو اعتبار حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بُعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق : ففي السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسملة في أول الفصل بعد ما يترك من أوصال البياض في أعلى الدرج بحسب ما تقتضيه الحال ؛ ثم يكتب تحت البسملة سطرًا ملاصقًا لها بحسب ما يقتضيه وضع القلم المكتوب به في القرب والبعد ، بحسب الدقة والغاظة ؛ ثم يكتب السطر الثاني في آخر الوصل الذي كُتبت البسملة في أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوعة أو نحوها في القطع الكبير ، وقدر إصبعين في القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحب «مواد البيان» البياض الباقي بين السطر الأول والثاني أيضا . وهذا إنما يقارب في القطع الكبير . وقد ذكر ابن شيث في «معالم الكتابة» - وكان في آخر الدولة الأيوبية فيما أظن - أن مقدار ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع . والذي جرت به عادة الكُتاب في زماننا أنه يكون في قطع العادة والمنصورية في كل وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفيما عداه سطران . وربما وقع التناوت في القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون في التواقع التي على ظهور القصاص ونحوها بين كل سطرين بعد بيت العلامة قدر إصبعين ، وربما توصلت الأسطر كما في الملطفات ونحوها .

أما ما يكتب عن الثواب من الولايات والمكاتب من سائر أعيان الدولة ، فدون السلطانيات في مقدار خلو موضع العلامة ، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوعة ونحوها ، وقدر [بعد] السطور فيما بعد بيت العلامة من قدر إصبعين إلى مادونهما .

(١) عبارة الضو، نقلا عن مواد البيان "بين السطر الأول والثاني بقدر شير".

(٢) لعله من أوصاله أي العادة أو المنصورية . انظر الضو، ص ٤١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثالثة

(في بيان المستندات، وكتابة المآخضات، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص ومايجرى مجراه،

وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السُلْطَانِيَات ، وهي صفقات)

الصنف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات الثواب والقضاء وغيرهما

من أرباب الوظائف ، والتواقيع التي تُكْتَبُ في المُسَامِحَات

والإطلاقات ، ومكاتب البريد الخاصة بالأشغال السلطانية ،

وأوراق الطريق وما يجرى مجرى ذلك)

وبحيمها معدومة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فما كان منها جليل الخطر

كولايات الثواب والقضاء وأكبر أرباب الوظائف والمكاتب المتعلقة بمهمات

السلطنة ، فلا بُدَّ من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها وافتتاح ما يبرز به أمره .

وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه أستقلَّ فيه بما يقتضيه رأيه .

ثم من ذلك ما يكتب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه ويُعَيَّنُ على الكاتب

الذي يكتبها وتُدْفَعُ إليه لتُخَلَّدَ عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمكتّبات المتعلقة بأمور المملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يبرز به أمر صاحب الديوان مشافهة فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا درك فيها على الكاتب ، كتقاليد التواب وبعض المكتّبات ، إذ لا تُهمّة تلحق كاتب الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو قاضٍ حفيظ : لأن مثل ذلك لا ينبغي على السلطان ، فأشبهه خطاب صاحب الديوان فيها الكاتب خطاب السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهد عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يلحق كاتبها الدرك ، فإنه لا بُد في كتابتها من تخليد شاهد . وكان الواجب أن لا يكتب حفيظ ولا جليل إلا بشاهد من صاحب الديوان ، فإن الأمور تراكم وتكثر ، والإنسان معرض للنسيان ، وربما عرض إنكار بسبب ما يكتبه الكاتب ونسيه صاحب الديوان فيكون الكاتب قد عرض نفسه لأمرٍ عظيم . ولا يقاس الكاتب على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقة ، والسلطان وكلّ جميع أمور المملكة إليه ، فلا يُتهم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في "تذكرة" أن المكتوب من الديوان إن كان مكتبة فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولى الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخ بخطه ليدل على أنه وقف على المكتوب وأمضى حكمه ورضيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة اسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرسم بالعراق - وفيه الكتاب الأفاضل - أن يكتب الكتاب ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلان بن فلان » باسم متولى ديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" إلا أنه قد جعل بدل اسم متولى الديوان اسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه . وقد رأيت نسختاً عدة من سجلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير على النهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهاد في آخر كل كتاب باسم كاتبه الذي يكتبه ليُعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثُر كُتَّاب الإنشاء في زماننا وخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتَّاب النبي صلى الله
عليه وسلم إذا سجَّلوا عنه سجلاً أو نحو كُتِب الكتاب في آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم تميم الداري بإقطاع
قُرَى من قُرَى الشام موجودة بأيدي التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وإنما عدلوا عن أسم الكتاب نفسه إلى أسم
متولى الديوان أو الوزير استصغاراً للكتاب أن يُستشهد للكتاب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : وقد قالوا إن أول
من كتب في آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبي بن كعب رضي الله عنه .

الصِّنف الثاني

(ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأموال التي يكتب بها من

الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتُلمَس الكُتُب من

ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكتبات الخاصة بتعلقات

شيء من الدواوين المذكورة ، وبعض التواقيع

التي أصلها من ديوان الوزارة)

ويُحصَر ذلك في أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً ، وأجلها قدراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كُتَابٍ من ديوان الإنشاء يتعلّق بديوان الوزارة أن تُكْتَبَ به قائمة من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : «رُسم بالأمر الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يُكْتَبَ مثلاً شريف إلى فلان الفلاني بكذا وكذا» . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها، وآخره «شرفه الله تعالى وعظمه» وبينه وبين السطر الثاني قدرُ إصبعين معترِضين بياضاً، وباقي السطور مسترسلةً متقاربةً بقلم الرقاع؛ ويكْتَبُ الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث ماثله : «يُكْتَبُ» . ويوجه بالقائمة إلى ديوان الإنشاء حجة مدير من ديوان الوزارة أو غيره، فيكْتَبُ على حاشيتها يُكْتَبُ بذلك، ويُعَيَّنُها على بعض كُتَابِ الإنشاء فيكتب مثلاً بما فيها، ويخلّد القائمة عنده شاهداً له؛ وربما خلّدت بديوان الإنشاء في جملة ما يخلّد في الأضابير شاهداً لديوان الإنشاء، والأوّل هو الأليق .

وإن كان الذي يُكْتَبُ من ديوان الوزارة توقيعاً باطلاً أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه ما مثاله «يكتب بذلك، أو يوقع بذلك» وتبعت إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالترتين . ثم إن كان التوقيع ملصقاً بقصة فذاك، وإلا خلّد الكاتب القصة شاهداً عنده على ذلك؛ وربما كُتِبَ بالإطلاقات من ديوان الوزارة مرّياتٌ بخط مستوفٍ الصّحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخالص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على مامر من كتابة القائمة ليخرج الثناء على نظيرها، على ما تقدم في ديوان الوزارة . فنكتب القائمة على الحكم المتقدم من غير فرق،

ويكتب ناظر الخالص عليها نظير كتابة الوزير السابقة ، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالتعيين كما تقدم ، ويخلد الكاتبُ القائمةَ عنده شاهداً له ، أو يُخلدُ بديوان الإنشاء على ما تقدم في ديوان الوزارة . ولا يُكتب من ديوان الخالصُ توابعُ بإطلاقات ونحوها بل تُكتبُ بها مراسيمُ مرعبة في ورقٍ شامئٍ بخط مباشرٍ ديوان الخالص .

الديوان الثالث - ديوان الإستدارية :

وحكمه في ذلك حكمُ ديوان الخالص من غير فرق ، ويكتب الإستدَار عليها كما يكتبُ الوزير وناظر الخالص ، ويبعث بها إلى ديوان الإنشاء ، فيجرى الحكمُ فيها على ما تقدم في الديوانين المذكورين .

الديوان الرابع - ديوان الجَيْش :

والذي يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التي تُكتب بالإقطاعات تُخرجُ المناشيرُ على نظيرها .

وصورتها أن يُكتب في نصف فرجة مكسورة في القطع البلدي بعد البسملة الشريفة مأمثاله « المرسوم بالأمر العالي ، المولوي ، السلطاني ، الملكي ، الفلاني ، الفلاني ، أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه ، أو أعلاه الله تعالى وأسماءه ، وشرفه وأمضاه ، أن يُقطع باسم فلان الفلاني - أحد الأمراء المقدمين ، أو الطبليخانات ، أو العشرات ، أو النخسات - بالمكان الفلاني ، أو أحد أماليك السلطانية ، أو مقدمي الخففة ، أو أجناد الخففة ، بالمكان الفلاني المرسوم استقرأره في أمراء العشرات ، أو الطبليخانات ، أو المقدمين ، أو نحو ذلك - وأرسم له به الآن من الإقطاع » . فإن كان أميراً قبل بعد ذلك : « لخاصته ولن يستخدمه من الأجناد الجياد للخدمة الشريفة ، والبرك التام ، والمدة الكاملة ، بمقتضى المشال الشريف ، أو الخطَّ

العالي الكافلي؛ أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخطِّ الشريف، أو بالخطِّ الكافلي على نظير ما تقدم « أو بمقتضى المربعة المكتتة من الملكة الفلانية المشمولة بالخطِّ الشريف » إن كان أصله مربعةً من بعض المالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميراً ذُكرت عِدته على ما سياتى فى الكلام على المناشير فى المقالة الخامسة . ثم يقال : « حَسْبُ الأَمْرِ الشَّرِيفِ » ويكمل التاريخ « والحمد لله ، والصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم » ويُبعث بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان بالعيين على بعض كُتَّاب الإنشاء ، فيكتبها ويختم المربعة شاهداً عنده .

الضرب الثانى

(ما يتعلق بالكُتُب فى المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلق بالقِصص)

وهى تُرفع إلى ولاة الأمور بحكاية صورة الحال المتعلقة بتلك الحاجة ، وتُسمَّى قصصاً على سبيل المجاز، من حيث إن القِصة أسم للحُكْمَى فى الورقة لالفس الورقة . وربما سُمِّيت فى الزمن القديم رقاعاً ليصغر حجمها ، أخذاً من الرقعة فى الثوب .

ثم الذى يجب فى هذه القِصص الإيجاز والاختصار مع تبليغ الغرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت خارجة عن الحدِّ فى الطول ، أدت إلى الإحجار والسامة المنفرين للرؤساء . وربما كان فى ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استغلالاً ، وإما لعدم فهم المقصود منها لطولها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلغة للغرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار المُجِيفِ والتعقيد، نَبأ عنها فهم الرئيس ومَجْمَعُهَا :
 فلما أن يُعْرَضُ عنها فَيُؤَوَّتَ على صاحبها المطلوبُ، وإما أن يسأل غيره عن معناها
 فيكون سبباً لتزله عن عزِّ الرياسة إلى ذلِّ السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يُخَوَّلَى من أوَّل الورقة قليلاً ، ويجعل لها هامش
 بحسبِ عَرَضِهَا ، وينتدأ فيها بالبسملة ثم يُكْتَبُ تحت أوَّل البسملة : « المملوكُ
 فلانٌ يَقْبَلُ الأَرْضَ ، وَيُنْهَى كَذَا وَكَذَا » إلى آخر إنهائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
 وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصدقات الشريفة كذا وكذا »
 وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العميمة كذا وكذا » .
 ثم إن كان المسؤل كتابياً : فإن كان عن السلطان قال : وسؤاله مثلاً شريفٌ بكذا
 وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثلاً كريمٌ بكذا وكذا » ثم يقول إن شاء
 الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسبُ . وربما
 كتب « المملوك فلان » بحاشية القصة ، خارجاً عن سبب البسملة . وربما أبدل
 لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يَقْبَلُ الأَرْضَ »
 « يَتَمَسَّكُ إِلَى الله تعالى بالأذعية الصالحة » أو « يواصل بالأذعية الصالحة »
 ونحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة الفِصِّصِ أن صاحبها إن كان أميراً ونحوه كتب تحت
 البسملة « المملوكي الفلاني » بلقب سلطانه ، غلباً بياضاً من جانبها . على أنه قد
 تصدَّى لكتابة الفصص من لا يفرق بين حسنها وقبيحها ، ولا ينظر في دلالتها ،
 ولا يُراعى مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القِصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القِصة يقطع قليلاً من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى، مستعيناً في ذلك إلى كراهة الترتيب .

(١)

ومن غريب ما يُحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوماً يجلس
وأنا وليتُ الوزارة ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة - فقال له بعض جلسائه : إن تغاليت أنت به فقد نظيرنا نحنُ به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالترتيب في القرآن الشجومي، ولا يُعول عليه . وقد وردت حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على الترتيب ، ولولا أن الترتيب أحسن الأشكال لما وُضع عليه حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القصاص ،

وما ينشأ عنها من المساءلات وغيرها)

وهو أمرٌ مهمٌ ، به يقع إنصافُ المظلوم من الظالم ، وخلاصُ المحق من المبتطل ، ونصرةُ الضعيف على القوي ، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد نبه أبو الفضل الصوري في "تذكرته" على جلالة هذا القدر وخطره ، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمتقطعات

(١) بياض في الأصول بقدر كلمتين .

والأيتام والصماليك ، وكل من يقد منهم معتقداً أنه يصير إلى من ينصره ويكشف
 ظلامته ويهديه على خصمه . فيجب أن يتلقى كل منهم بالترحاب واللطف ،
 ويُنسب لهم من يحفظ رِقَاعَهُمَ وَيَتَجَزَّ التوقيع فيها من غير التماس رشوة ولا فائدة
 منهم ، وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها ، مستوعبة لكشف ظلاماتهم ،
 مؤذنة بإنجاح طلباتهم .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه " الأوائل " : كان المهديُّ يجلس للظالم
 وتُدخل القِصصُ إليه ، فارتضى بعض أصحابه بتقديم بعضها ، فاتخذ بيتاً له شباك
 حديد على الطريق تُطرح فيه القِصصُ ، وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من
 القِصصِ أولاً فاولاً فينظر فيه لئلا يُقدم بعضها على بعض .

قال : وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفه الفرج حتى غشي عليه ، فلما أفاق
 قال : ما حسبت أرى أعيش حتى أرى هذا العدل فلما رأته داخلني من السرور
 ما زال معه عَقلي - فقال له المهدي : كان الواجب أن تُصِفَكَ في بلدك ، وكان
 قد صرَّف في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بخمسين ديناراً وتخلل منه .

قال أبو الفضل الصوري : ومهما كان من الرِقَاعِ يحتاج إلى العرَضِ على السلطان ،
 عرضه عليه ، وأحسن السَّفارة والتلطف فيه ، ووقع بما يؤمر به ، فقد تحدث
 في هذه الرِقَاعِ الأمور المهمة التي تنفع بها الدولة ، وتستصير بتأخير النظر فيها ،
 ويفهم من طوى هذه الرِقَاعِ من جور بعض الوُلاةِ والمستخدمين ما توجب السياسةُ
 صرفهم عمَّا ولَّوه منها . ومهما كان منها مما يسكُّ السلطان في صحته ، تدب من يثق به
 للكشف مع رافعه ، فإن صحَّ قوله أنصف من خصمه ، وإن بان تمُّله قوبل بما

يردع أمثاله عن الكذب والتهمد؛ ويعلم الولاء والمشارفون وسائر المستخدمين أن السلطان متفرغ للنظر في قصص الناس وشكاويهم ، وقد نصب لذلك من يتفرغ له ويطلعه بالمهم منه فيكتب أيديهم عن الظلم ، ويحذرون سوء عاقبة فعلهم ، ويقبل المتظالمون قولاً واحداً ، وتحسن سمعة الدولة بذلك فيكون لها به الجمال الكبير .

قلت : والذي يُرفع من القصص في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في أعاد الأيام)

وقد جرت العادة فيه أن يقرأ على السلطان : فما أمضاه منه كتب على ظهر القصة ما مثاله « يكتب » ثم تحمل إلى كاتب السر فيعينا على بعض كتاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويحفظها عنده شاهداً له .

النوع الثاني

(ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادة في ذلك أن رافع القصة والمحتاج إلى الأمثلة الشريفة السلطانية في مهماته ومثاقباته إن كان من الأعيان والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المهالك السلطانية وأكابر أرباب الأقلام ، بعت بقصته لديوان الإنشاء ، فيف عليها صاحب ديوان الإنشاء ويتأملها وينظر ما تضمنته ، فإن كان مما يحتاج فيه إلى مخاطبة السلطان ومؤامراته ، أخذها ليقرأها عليه عند حضوره بين يديه ، ويمثل

ما يأمر به فيها ، فيكتب بمقتضاه ، سواء طابق سؤال السائل أم لا ، ويعيّن على كاتب من كتّاب الإنشاء ، فيكتب بمقتضاها ويخلّد القصة شاهداً عنده . وهذه المثالات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني . وإن كان رافع القصة من غير المعتبرين كأحد الناس ، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامة له ، ويجمع كل مدير مامعه من القصص ، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فما كان منها غير سائق للكتابة عليه قطعته أو رده ، وما كان منها سائفاً كتب عليه وعينه . وربما استشكل بعضها فأثره ليقراء على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيعيّمه . وإذا عيّن على كاتب من كتّاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلّد القصة عنده شاهداً .

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواكب)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتب مجلس السلطان على ما تقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُفترق على كاتب السرّ ومن حضر من كتّاب الدست ، فيقرأ كاتب السرّ منها ما عن له قراءته ، ثم يقرأ الذي يليه من كتّاب الدست ، ثم الذي يليه إلى آخرهم ، ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها ، فيكتب كاتب السرّ أو كاتب الدست على تلك القصة بما فيه خلاص قلمه ، ثم تُحمل إلى ديوان الإنشاء فيعيّن على من يشاء من كتّاب الإنشاء فيكتبها ، ويخلّد تلك القصص عنده شاهداً .

النوع الرابع

(ما يُرْفَعُ مِنْهَا لِلنَّائِبِ الْكَافِلِ ، إِذَا كَانَ تَمَّ نَائِبٌ)

وقد جرت العادة أن النائب يكون عنده كتاب من كتاب الدست يجلس بين يديه لقراءة القصاص عليه ، وتنفيذ ما يكتبُ عنه . فإذا رُفِعَت القصةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ الدست وأمثل أمره فيها ، وأصلح في القصة ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضربُ عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ؛ ثم تُدْفَعُ القصةُ إلى النائب الكافل ، فيكتبُ على حاشيتها في الوسط أخذاً من جهة أسفلها إلى جهة أعلاها بقلمٍ مختصر الطول ، مارامثاله «يكتب» ثم تحملُ بعد ذلك إلى كاتب السرفيعينها على بعض كتاب الإنشاء فيكتبها .

النوع الخامس

(ما يُرْفَعُ مِنَ الْقِصَصِ إِلَى الْأَنْبَاكِ ، إِذَا كَانَ فِي الْمَوْلَةِ)

أَنْبَاكِ عَسْكَرٍ : وَهُوَ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ)

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلاً أو نحو ذلك . وقد جرت العادة أن يكون عند الأنابك كاتبٌ من كتاب الدست أيضاً ، فإذا رُفِعَت القصةُ إلى الأنابك : فإن كان الأمرُ فيها واضحاً تخلص حق أو نحوه ، كتب كاتبُ الدست على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها على الأنابك . وإن كان الأمرُ فيها غير واضح كما إذا كان الأمرُ راجعاً إلى مُنَازَعَةٍ خَصْبِينَ ونحو ذلك ، قرأها على الأنابك وأمثل أمره فيها ، وكتب عليها ما برز به مرسومه . وفي كنا الحالين جرت العادة في زماننا [أنه يعمد] إلى أشهر حرف في أسم الأنابك فيرقمه في آخر ما يكتبه أو تحته ؛ كما كان يكتب عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن إيمش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرْفَعُ مِنْهَا لِلدُّوَادَارِ لَتَعْلُقَ عَنْهُ الرِّسَالَةُ عَنِ السُّلْطَانِ بِهِ)

وأعلم أن العادة كانت جارية في الزمن المتقدم أن السلطان إذا أمر بكتابة شيء على لسان أحد من الدوادارية ، حمل بريدي من البريدية الرسالة لذلك عن ذلك الدوادار إلى كاتب السر فيسمع كلام البريدي ويكتب على القصة إن كانت أو ورقة مفردة مأماله : « حضرت رسالة على لسان فلان البريدي بكذا وكذا » ويعينه على من يكتبه من كتاب الإنشاء . ولم يزل الأمر على ذلك إلى الدولة الناصرية « محمد بن فلاوون » فأفرد المقر الشهابي بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء كاتباً من كتاب الإنشاء لتعليق الرسالة ، فصار يكتب ما كان كاتب السر يكتبه من ذلك على القصص أو الورقة المفردة ثم تُرْفَعُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِكَاتِبَتِهَا ، وَيَعِينُهَا عَلَى مَنْ يَكْتُبُ بِمَقْتَضَاهَا ، وَتُحْلَدُ الْقِصَّةُ أَوْ الْوَرَقَةُ الَّتِي عُلِّقَتْ فِيهَا الرِّسَالَةُ عِنْدَهُ شَاهِدًا لَهُ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى مُبَاشَرَةِ الْغَاضِي فَتَجَّحَّ الدِّينُ بْنُ شَاسٍ أَحَدَ كُتَّابِ الدِّسْتِ عِنْدَ الدُّوَادَارِ ، وَالدُّوَادَارُ يَوْمَئِذٍ الْأَمِيرُ بُونَسُ التُّورُوزِي ، فَادْبَحَ لَهُ كَاتِبُ السَّرِّ فِي تَعْلِيقِ الرِّسَالَةِ عَنِ الْأَمِيرِ بُونَسِ الدُّوَادَارِ عَلَى ظُهُورِ الْقِصَصِ وَغَيْرِهَا ففعل . وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى حَوَاشِي الْقِصَصِ فِي وَسْطِ الْقِصَّةِ أَخْذًا مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى جِهَةِ الْبَسَارِ بِمِثْلَةِ إِلَى الْأَعْلَى بِقَلَمٍ دَقِيقٍ مُتَلَاصِقِ الْأَسْطُرِّ مِثْلَهُ : « رُسِمَ بِرِسَالَةِ الْخَنَابِ الْعَالِي الْأَمِيرِيِّ الْكَبِيرِيِّ الشَّرْفِيِّ بُونَسِ الدُّوَادَارِ الظَّاهِرِيِّ - ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ - أَنْ يُكْتُبَ مِثْلَ شَرِيفٍ بِكَذَا أَوْ تَوْقِيعَ شَرِيفٍ بِكَذَا » وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ ، وَيُؤْرَخُهُ بِيَوْمِ الْكِتَابَةِ ، ثُمَّ تَحْمَلُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ ، وَيَعِينُهَا

على كاتب من كُتاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويحلدها شاهداً عنده . وجرى الأمر على ذلك بعده إلى آخر وقت .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتب مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة، يسمي صاحب القلم الدقيق، يعلق ما تبرز به أوامر الخليفة في الرقاع وحواشي القصص . وتحمّل إلى ديوان الوزارة، فيعتمدها الوزير، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتبارها وكتابة ما فيها، على ما تقدم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في التعمين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرقاع)

والقصص، وتعيينها على كُتاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . فإما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتاب الدُّست ، كتب له كاتب السر في التعمين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » وربما رَفَع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، القاضي ، فلان الدين ، أعزّه الله تعالى » . وإن كان من كُتاب الدرّج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتاب الدُّست أو كُتاب الدرّج للتقدم بالفضل فيكتب له : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » تارة مع الدعاء وتارة دونه .



وأما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذي يعين، فإنه إن كان قصةً بظاهاً خط السلطان «يُكْتَب» فوضع كتابة التعيين تحت خط السلطان بظاهاً القصة، ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رُفْعَةً جميعها بخط كاتب السر، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا» ثم يكتب التعيين بأول ذيلها .

وإن كان قصةً رفعت إلى كاتب السر، فإنه يكتب على حاشيتها في اعلاها أخذاً من جهة أسفل القصة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكْتَب بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» ثم يكتب التعيين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُبَيْلاً للكتابة إلى جهة الأعلى قليلاً .

وإن كان قصةً عليها خطُ النائب الكافل، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا، وموضع التعيين فيها بحاشية القصة أسفل خط النائب .

وإن كان قصةً قد كتبت بهامشها مرسومُ الأتابك أو عُلقَ بحاشيتها رسالةُ الدوادار، كُتِبَ في جهة أعلى القصة : «يكتب بذلك» وعلى القُرب منه التعيين . وإنما يُكْتَب هنا في جهة أعلى القصة وفيها عليه خطُ النائب الكافل في جهة أسفلها لأن التعليق الذي على الهامش فيما عُلق عن مرسوم الأتابك أو رسالة الدوادار بخط كاتب الدست الذي في خدمته، بخلاف ما عليه خطُ النائب بنفسه .

وإن كان الذي يقع فيه التعيين قاعةً من ديوان الوزارة، أو ديوان الخصاص أو ديوان الإستاندار، كتب بهامش القائمة من أعلاها مقابل كتابة المتحدث على ذلك الديوان ما مثاله : «يُكْتَب بذلك» ثم يكتب التعيين تحته على القُرب منه .

وإن كان الذي يقع فيه التعمين مربعة إقطاع من ديوان الجيش، كُتِبَ بالتعيين في آخرها مقابل التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك.

قلت: وقد جرت عادة كُتَاب السِّرِّ في زماننا أنه يُكْتَبُ على التخصيص ونحوها، "يُكْتَبُ بذلك" أو "يُكْتَبُ بكذا وكذا" على ما تقدم بيانه بغير لام في أوله. وكذلك الوزير وناظر الخاص والإستدار يكتبون بغير لام في الأول. أما القضاة في الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "لِيُكْتَبَ" بأثبات اللام في أوله، وهذه اللام تسمى لام الأمر وقد صرح الإمام أبو جعفر النحاس في "صناعة الكُتَاب" أنه لا يجوز حذفها. وعلى ذلك ورد لفظ القراءان الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَقْتَهُمْ وَيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَيُطَوِّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾. وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ فليَنْظُرَ هلْ يَدْهِنُ كَيْفَهُ مَا يَبيْظُ﴾ ونحو ذلك. وحكى جمال الدين ابن هشام في المعنى [جواز حذفها في الشعر كقوله:

فَلَا تَسْتَطِلُّ مِنِّي بِقَائِي وَمُدَّتِي * وَلَكِنْ يَكُنْ لِلخَيْرِ مِنكَ نَصِيبُ!

وقوله:

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلَّ نَفْسٍ * إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا! (٢)

الطَّرَفُ الثَّانِي (٢)

(في كتابة الملتخصات والإجابية عنها من الدواوين السلطانية)

قد تقدم في الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يصيب زمنه عن استيعاب حال الكُتُب الواردة من المملكة لوفورها وأنشاع

(١) يصر في الأصول لهذه الجملة، وقد نقلها من المعنى (ج ١ ص ٣٢٢) والشاعر يناطح ابنه لما عني موته.

(٢) لم يتقدم له تقسيم بالأطراف في هذا الباب ولم يذكر الأول حتى يكون هذا تائيدا له نعم قال في عنوان

الباب انه يتكلم فيه على كتابة الملتخصات فهو مما وعد به وجل من لا يسبر.

العولة وكثرة المكائين ، ناسب أن يُتخذ كتاباً يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ،
ويُلخّص مقاصدها ، قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : والرسم في ذلك
أن الكاتب الذي يُقيمه صاحب الديوان يتسلم الكتب الواردة ويُخرج معانيها
على ظهورها ، ملخصاً الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، غير مخلّ بشيء من المعنى
ولا محزّف له ، مُسقطاً فضول القول وحشوه ، كالدعاء والتصدير والألفاظ المترددة ،
قال : ويُخرج أيضاً ما يخصّ بديوان الخراج ، من الأمور التي تردّ ضمن الكتب
في معنى الخراج في أوراق يُعين فيها الكتب التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي
وردت منها ، ويُصفا على هبتها ، ويوجهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ،
ويستدعى من متولّي ديوان الخراج الجواب عنها ، ثم يعرض جميع ذلك على الملك ،
ويستخرج أمره بإمضاء المكتّبة به أو بغيره . فإن كان بخط مخالف للعربي :
كالرومي والقرنجي والأرميني وغيرها ، أحضر من يعرف ذلك الخط ممن يُوثق به
ليترجمه في ظهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحسن الخط العربي ، كتب بخطه في ظهر
الكتاب ما مثاله « يقول فلان : إني حضرتُ إلى ديوان الإنشاء وتسلمتُ الرقعة
أو الكتاب الذي هذا الخط بظاهره ، وسُئلتُ عن تسميته فذكرتُ أنه كذا وكذا »
ويُسردُه إلى آخره « وبذلك أشهدتُ على نفسي » ويشهدُ عليه شاهدان : « هذا الذي
ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كاتب الكتاب مشحوناً بالكلام بطناً وظهراً ، نقله بخطه بالفلم الذي
هو مكتوب به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربي . وإن لم يحسن الكتابة بالعربي ،
كتب عنه الكاتبُ بحضور من الشاهدين وأشهد عليه ليهاب أو يُحجم فيما يقول ،
أو بغيره أو يتقصه لأن أكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط ، فربما كتم
عنه أوداجاً فيه . فإذا خُوف بالإشهاد عليه وخشي أن غيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذي أشهد به على نفسه ربما أدنى الأمانة فيه . فإذا نُحِصَتِ المَكاتِبُ بِظَاهِرِهَا ، سُلِّمَتْ إِلَى مَتَوَلَّى الدِّيوانِ لِيقَابِلَ ظَاهِرَها بِباطِنِها : فإنَّ وَجدهَ أَحَلَّ فِيها بَشْيَءَ ، أَضافَهُ بِحُطهَ وَأَنكَرَ عَلَيْهِ إِهْمالَهُ لِتَبَيُّنِ فِي المَسْتَقْبَلِ . فإنَّ لَمْ يَكُنْ فِيها خَللٌ عَرَضَهُ عَلَى المَلِكِ وَأَعْتَمَدَ أَمْرَهُ فِيهِ ، وَكُتِبَ تَحْتَهُ كَلَّ فَصَلَّ مِنْها ما يَجِبُ أَنْ يَكُونَ جِواباً عَنْهُ عَلَى أَحْسَنِ الوُجُوهِ وَأَفْضَلِها ؛ ثُمَّ يَسَلِّمُها إِلَى مَنْ يَكْتُبُ الجِوابَ عَنْها مَنْ يَعْرِفُ أَضْطِلاعَهُ بِذَلِكَ ؛ ثُمَّ يَقابِلُ الجِوابَ بِالتَّخْرِيجِ وما وَقَعَ بِهِ تَحْتَهُ : فإنَّ وَجَدَ فِيها خِلالاً سَدَّهُ ، أَوْ مُهْمَلاً ذَكَرَهُ ، أَوْ سَهَواً أَصْلَحَهُ . وَإِنْ رَأاهَا قَدْ كُنِيتِ عَلَى أَفْضَلِ الوُجُوهِ وَأَسَدَّها ، لَمْ يَفُوتْ فِيها مَعْنَى وَلَمْ يَزِدْ إِلَّا لَفْظاً يُمْتَقُّ بِهِ كِتابَهُ وَيُؤَكِّدُ بِهِ قَوْلَهُ ، عَرَضَها عَلَى المَلِكِ حِينَئِذٍ لِيَعْلَمَ ؛ ثُمَّ اسْتَدْعَى مَنْ يَتَوَلَّى الإِلصاقَ فَالْصَقَها بِحَضْرَتِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى كَلِّ مِنْها بِطاقَةً يُنْسِرُ فِيها إِلَى مَضْمُونِها : لِئَلَّا يُسْأَلَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ إِلصاقِها فَلَا يَعْلَمُ ما هُوَ ، ثُمَّ يَسَلِّمُها إِلَى مَنْ يَتَوَلَّى تَفْهِيمَها إِلَى حَيْثُ أَهْلَتْ لَهُ ؛ وَتَسَلَّمَ النِّسخَ المُلخَّصَةَ إِلَى مَنْ يُؤَهِّلُهُ لِحِفْظِها وَتَرْبِيعِها .

قلت : قد تبيّن بما تقدّم من كلام أبي الفضل الصوري [ما كان عليه الحال في زمنه] والذي عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكُتُبَ الواردة إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الممالك يتلقاها أكبر الدوادارية : وهو مقدّم أليف على ما تقدّم ذكره في الكلام على ترتيب الديار المصرية ؛ ويحضر القاصد المحض للكاتب من بریدی أو غيره ، ثم يناوله للسلطان فيفرض ختامه ، وكاتب السرّ جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرؤه عليه ويستصحبه معه إلى الديوان : فإن كان الكاتب عربياً دفعه كاتب السرّ إلى نائيه أو من يخصه بذلك ليخصّص معناه : فينمّ النظر فيه ، ويستوفى فصوله ، ويلخص مقاصدها ،

(١) في الاصول ثم عرضها ولكن زيادة ثم في الكلام تنقصه والظاهر أنها زيادة من قلم النسخ تأمل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتعلقة به في ورقة مفردة، ليجاوب عليها متوفى ذلك الديوان بما رسم له من الجواب عنها .

وأعلم أن الذي كتبت له الملخصات في زماننا من الدواوين السلطانية خمسة دواوين . وهي : ديوان الإنشاء ، وديوان الوزارة ، وديوان الجيش ، وديوان الخالص ، وديوان الإستدارية : وهو الديوان المفرد .

والطريق إلى كتابة الملخصات أن تحذف ما في صدر الكتاب من الحشو على ما تقدم في كلام أبي الفضل الصوري ، ثم يعيد إلى مقاصد الكتاب فيستوفى فصوله ويتصورها بذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ، ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في فصل واحد أو أكثر ، بحسب ما تقتضيه قلة الكلام وكثرته .

وكيفية كتابته أن يترك من رأس الوصل قدر ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم قدر إصبعين بياضاً عن يمينه ، وقدر إصبعين بياضاً عن يساره ، ويكتب في صدره ما مثاله : « ذكر فلان في مكاتبه الواردة على يد فلان المؤرخة بكذا وكذا » يمد لفظ « ذكر » بين جانبي الوصل ، ويكتب باقي الكلام تحتها من أول الوصل إلى آخره في العرض من غير خلل بياض « أنه أتفق من الأمر ما هو كذا وكذا » أو « أنه سأل في كذا وكذا » . ثم يخل بياضاً قدر أربعة أصابع مثلاً ويكتب في وسط الدرج بخلو بياض من الجانبين ، « وذكر » على نحو ما تقدم ، ثم يكتب باقي الكلام من أول الوصل إلى آخره ، ويفعل ذلك بكل فصل في الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك الملخص ، ويكتب في آخر كل فصل « وقد عرض على المسمع الشريفة » و« مهما برزت به المراسيم الشريفة كان العمل بمقتضاها » ونحو ذلك .

ثم إن كان الملخص لديوان الإنشاء، كُتِبَ بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثاله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجيش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجيش». وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كتبت الملخصات، وقف عليها كاتب السر: فما كان منها متعلقاً بديوان الإنشاء عرضه على السلطان وأستقظر جوابه عنه، فيكتب مقابله في الملخص «يُكْتَبَ بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رُسم بذلك» أو «رُسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقاً بديوان الوزارة بعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الجيش بعث به إلى ناظر الجيش؛ وما كان منها متعلقاً بديوان الخاص بعث به إلى ناظر الخاص؛ ليقرا كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كتب به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في الملخص «أمضى ذلك» أو «لم يمض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المغلية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يوثق به من إخصاء الدولة: من الأمراء أو الخاصية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وتكتب ملخصه وقري على السلطان والجيش جوابه؛ وكتب كاتب السر على الملخص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في الفَوَاحِشِ وَالنَّوَاتِحِ وَاللَّوَاخِجِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الفَوَاحِشِ ، وفيه ستة أطراف)

الطَّرْفُ الْأَوَّلُ

(في البِسْمَلَةِ ، وفيه ثلاث جُمَل)

الجملة الأولى

(في أصل الاقتراح بها)

كانت قريش قبل البعثة تكُتِبُ في أول كُتُبِها « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ » والسبب في كتابتهم ذلك ما ذكره المسعودي في « مَرُوجِ الذَّهَبِ » عن جماعة من أهل المعرفة بأيام الناس وأخبار من سلف : كان دأب ، والهيتم بن عدي ، وأبي مخنف لوط بن يحيى ، ومحمد بن السائب الكلبي : أن أُمَيَّةَ بنَ أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِيَّ نَحَجَ إِلَى الشَّامِ فِي نَفَرٍ مِنْ تَمِيمٍ وَقُرَيْشٍ فِي عِيرٍ لَهُمْ ، فَلَمَّا قَفَلُوا رَاجِعِينَ [نَزَلُوا مَتْرَلًا وَأَجْتَمَعُوا لِعَشَائِهِمْ ، إِذْ] أَقْبَلَتْ حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ فَخَصِمَهَا بَعْضُهُمْ بِحَجَرٍ فِي وَجْهِهَا فَرَجَعَتْ ، فَشَدُّوا سُقْرَتَهُمْ ، ثُمَّ قَامُوا فَشَدُّوا عَلَى أَيْدِيهِمْ وَأَرْتَحَلُوا مِنْ مَتْرَلِهِمْ ، فَلَمَّا بَرَزُوا مِنَ الْمَتْرَلِ ، أَشْرَقَتْ

(١) في الاصول وغيرهم ، وهو تصحيف والتصحيح عن المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) الزيادة عن مروج الذهب ج ١ ص ٢٢ لينصح الكلام .

(١) عليهم عجوزٌ من كَيْثِبِ رَمَلٍ مَتَوَكِّفَةٌ عَلَى عَصَا، فقالت : مامَنَعَكُم أَنْ تُطْعَمُوا رَحِيبةَ
 البَيْعَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي بَاتَتْ لَطَاعِمَكُم عَلِيَّةٌ؟ قالوا: وما أنتِ؟ قالتُ أُمُّ الْعَوَامِ، أَرْمَلَتْ
 مِنْذُ أَعْوَامٍ، أَمَا وَرَبِّ الْعِبَادِ، انْتَفَرَقْنَ فِي السِّبْلَادِ! ثُمَّ ضَرَبَتْ بِعَصَاهَا الْأَرْضَ
 وَأَثَارَتْ بِهَا الرَّمْلَ، وَقَالَتْ : أَطِيلِي لِأَبَائِهِمْ، وَفَرِّقِي رِكَابَهُمْ! فَوَيْلَتِ الْإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى
 ذِرْوَةِ كُلِّ مِنْهَا شَيْطَانًا، مَا يَمْلِكُونَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى أَفْتَرَقَتْ فِي الْوَادِي، بِجَمْعِهَا
 مِنْ آخِرِ النَّهَارِ إِلَى غُدْوَةٍ، فَلَمَّا أَنَاخُوا الرُّوَاهِلَ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْعَجُوزُ وَفَعَلَتْ
 كَمَا فَعَلَتْ أَوَّلًا وَعَادَتْ لِمَقَامِهَا الْأَوَّلِ، فَخَرَجَتِ الْإِبِلُ كَمَا خَرَجَتْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ،
 بِجَمْعِهَا مِنْ غَيْدٍ. فَلَمَّا أَنَاخُوهَا لِيَرْتَحِلُوهَا، فَعَلَتِ الْعَجُوزُ مِثْلَ فِعْلِهَا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ
 وَالثَّانِي فَفَرَّتِ الْإِبِلُ، وَأَمْسَوُا فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ وَيَلْسُوا مِنْ ظُهُورِهِمْ، فَقَالُوا لِأُمِّيَّةَ
 ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَنْ تَقْسِكَ وَعِيَالِكَ؟ [فَقَالَتْ : أَذْهَبُوا أَنْتُمْ
 فِي طَلَبِ الْإِبِلِ وَدَعُونِي]. فَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَيْثِبِ الَّذِي كَانَتْ تَأْتِي مِنْهُ الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ
 مِنْ نَبِيئَتِهِ الْأُخْرَى، ثُمَّ صَعِدَ كَثِيْبًا آخَرَ حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ، ثُمَّ رَفَعَتْ لَهُ كَنِيْسَةً فِيهَا قَنَادِيلُ
 وَرَجُلٌ مَعْتَرِضٌ مَضْطَجِعٌ عَلَى بَاهِيهَا، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ أَيْضُ الرَأْسِ وَاللَّحْيَةِ،
 قَالَ أُمِّيَّةُ : فَلَمَّا وَقَفْتُ قَالَ لِي : [إِنَّكَ لِمَتَّبِعُوعٌ، قُلْتُ أَجَلٌ، قَالَ فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ
 صَاحِبُكَ؟ قُلْتُ : مِنْ أَدْنَى الْيَسْرِيِّ. قَالَ : فَبَأَيِّ الثِّيَابِ يَأْمُرُكَ؟ قُلْتُ : بِالسُّوَادِ.
 قَالَ : هَذَا خَطِيْبُ الْخَنْ، كَذَبْتَ وَانْفِثَرَتْ أَنْ تَكُونَهُ وَلَمْ تَفْعَلِي. إِنْ صَاحِبَ النَّبُوَّةِ
 يَأْتِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أذُنِهِ الْيَمْنِيِّ، فَيَأْمُرُهُ بِلِبَاسِ الْمِيْأَضِ، فَسَأَلْتُ [حَاجَتُكَ؟ فَخَدَّشَتْهُ
 حَدِيثَ الْعَجُوزِ. فَقَالَ : هِيَ أَمْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامٍ، وَإِنَّمَا لِي تِرَالٌ

(١) في المسعودي ج ١ ص ٣٣ "رحيمة الجارية البَيْعَةِ" وفي الأغانى "رحيمة" بالجمع .

(٢) الزيادة عن الأغانى .

(٣) الزيادة عن المسعودي ج ١ ص ٣٤ ، وهو على هذا النحو في الأغانى .

تَفَعَّلَ بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى تَهْلِكُكُمْ إِنْ اسْتَطَاعَتْ . قَالَ أُمِيَّةُ : قُلْتُ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ - قَالَ :
 أَجْمَعُوا ظَهْرَكُمْ إِذَا جَاءَتْكُمْ وَفَعَلْتُمْ مَا كَانَتْ تَفَعَّلُ ، فَقَوْلُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقٍ وَسَبْعًا مِنْ
 أَسْفَلِ " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " فَإِنَّا لَنْ تَضُرَّكُمْ . فَرَجَعَ أُمِيَّةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قِيلَ لَهُ
 وَجَاءَتْهُمْ الْعَجُوزُ فَفَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفَعَّلُ فَقَالُوا سَبْعًا مِنْ فَوْقٍ وَسَبْعًا مِنْ أَسْفَلِ بِاسْمِكَ
 اللَّهُمَّ فَلَمْ تَضُرَّهُمْ . فَلَمَّا رَأَتْ الْإِبِلَ لَا تَحْرُكُ ، قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُمْ صَاحِبَكُمْ ،
 لِيُبَيِّضَنَّ اللَّهُ أَعْلَاهُ وَيَسْوِدَنَّ أَسْفَلَهُ . وَسَارُوا فَلَمَّا أَدْرَكَهُم الصَّبْحُ ، نَظَرُوا إِلَى أُمِيَّةَ
 قَدْ بَرِصَ فِي عُرَّتِهِ وَرَقَبَتِهِ وَصَدْرِهِ وَأَسْوَدَ أَسْفَلُهُ . فَلَمَّا قَدِمُوا مَكَّةَ ذَكَرُوا هَذَا
 الْحَدِيثَ ، فَكَتَبْتُ قَرِيشَ فِي أَوَّلِ كُتُبِهَا " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ " فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَتَبَهَا أَهْلُ
 مَكَّةَ وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفْتَحُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَاسْتَفْتَحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَتْ سُنَّةً بَعْدَهُ . وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ ،
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتُبُ كَمَا تَكْتُبُ قَرِيشُ " بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ "
 حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿ وَقَالَ أَرَكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ . فَكَتَبَ بِاسْمِ اللَّهِ ،
 حَتَّى نَزَلَ ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ . فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ » حَتَّى نَزَلَ
 ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فَكَتَبَ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .
 وَذَكَرَ فِي " مَوَادِّ الْبَيَانِ " نَحْوَهُ .

وعن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْتُبَ شَيْئًا حَتَّى يَكْتُبَ
 « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » . وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَكْتُبَ

كُتِبَ أَوْ غَيْرِهِ حَتَّى يَبْدَأَ بِ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَا يَصْلُحُ كِتَابٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يُكْتَبُ به من أصناف المكاتبات والولايات وغيرها ؛ وعلى ذلك مصطلح كُتِبَ الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطَلَحُوا على حذفها من أوائل التواقيع والمراسيم الصغار ، كالتى على ظهور القصاص ونحوها ؛ وكانهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سنتهما وأبو عوانة الأسفراييني في مُسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ» يعنى ناقص البركة ، وما يُكْتَبُ في التواقيع والمراسيم الصغار ليس من الأمور المهمة فناسب ترك البسملة في أولها . لكن قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة» أن أهل العلم كرهوا حذف البسملة من التواقيع والسراحات وذمموه . وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السر في الدولة الظاهرية «برقوق» في أول سلطته الثانية أمر بأن يُكْتَبَ في أولها بسملة بقليل دقيق ، ثم بطل ذلك بعد موته وبقى الأمر على ما كان عليه أولا . ثم قد اختلف في كتابتها أمام الشمر : فذهب سعيد بن المسيب والزهرى إلى منع ذلك ، وذهب سعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي إلى جوازها . ويروى مثله عن ابن عباس رضى الله عنه . قال أبو جعفر النحاس في «صناعة الكُتُب» : ورأيت على بن سليمان يميل إليه . قال محمد بن عمر المدائني : ولا بأس إن يُكْتَبَ بين الشمر وبينها كلام ، مثل أُنشِدْنِي فَلَانُ الفلاني وشبه ذلك ، فأما أن يصله بها فلا يجوز .

(١) في الأصول أن يكون ولكن بأباه المعنى وبقية الكلام تأمل .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبغي للكاتب أن يبالغ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَسَنَةً أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ » . وعن واصلي مولانا أبي عبيدة قال : سمعت حمادا يقول : كانوا يحبون أن تحسن بسم الله الرحمن الرحيم .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتدل على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إثبات السين باستانها الثلاث ، غير مرسل لها إرسالاً كما يفعله بعض الكتاب فقد ذكره ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وابن سيرين ، حتى يروى أن عمر رضي الله عنه ضرب كتاباً على حذف السين منها - فقيل له : فيم ضربك عمر ؟ - فقال : في سين ، بخري مثلاً . ويروى أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سبباً ، فكتب إليه عمر بأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قال : أجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سبباً وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يمد الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما يفعله بعض كتاب المغاربة فقد روى محمد بن عمر المصائبي عن حديث شعيب بن [أبي] الأشعث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَا يَمُدُّهَا قَبْلَ السَّيْنِ . يَعْنِي الْبَاءَ » وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما

أن العلماء كانوا يكرهون ذلك ويتهنون عنه أشدّ التهني حتى روى عن الضحاك
 ابن مزاحم أنه قال : وددت أنّي لو رأيت الأيدي تُقَطَّع فيه . نعم يستحبّ المد بين
 السين والميم كما هو عادة كُتَّابِ المُصْرِيِّين وأهل المَشْرِيق . وكذلك استحسنوا مد الحاء
 من الرحمن قبل الميم وقالوا : إنه من حُسن البيان ، حتى روى أن عمرو بن عبد العزيز
 كتب إلى عمّاله إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن . وهذا مما
 يتعاطاه كُتَّابُ المغرب دون كُتَّابِ مصر وأهل المشرق . أما غير ذلك من وجوه
 التحسين فيأتي الكلام عليه في الكلام على الخط إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في بيان موضعها من المكتوب ، ويتعلّق به أمران)

الأمر الأول

(تقدّمها في الكتابة)

فيجب تقديمها في أول الكلام المقصود : من مكتوبة أو ولاية أو منشور إقطاع
 أو غير ذلك ، تبرّكا بالأبداء بها وتيسّرا بذكرها ، عملا بالأخبار والآثار المتقدمة في الجملة
 الأولى . على أنه قد اختلف في معنى قوله تعالى حكاية عن بلقيس حين أتى إليها
 كتاب سليمان عليه السلام : (إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ) : فذهب بعض المفسرين إلى أن قوله
 (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ) من كلام بلقيس ، وإنما حكيت الكتاب بقولها : وإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

(١) قد مضى الكلام على الخط في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب وبين هناك أوضاع البسطة وكيفية

كتابتها أوضح بيان فلعل ما هنا سهو عما فات .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، ويكون ذلك احتجاجاً على وجوب تقديمها. وذهب آخرون إلى أن قوله (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ) بداية كتاب سليمان. فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه. فإن قيل كيف ساء على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذِّكْر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى؟ فالجواب ما قيل: إنه كان عادة ملوك الكُفْر أنه إذا ورد عليهم كتابٌ بما يكرهون ربما حَرَقُوا أعلاه أو تَقَلَّوْا فيه، فجعل سليمان عليه السلام اسمه تَقِيَّةً لِاسْمِ الله تعالى فذكره أولاً. ومن هنا أصطلح الكُتَّاب في الكُتُب الصادرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكُفْر بكتابة ألقاب الملوك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة، تأسياً بسليمان عليه السلام.

أما ما يُكْتَب في طُرَّة الولايات من العهود والتقاليد وغيرها، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب، فلا يُوصَف بأنه شيءٌ مُقَدَّم على البسملة. وأما الطفرة التي كانت تُوضَع في مناشير الإقطاعات في وصل بين وصل الطُرَّة والبسملة فيها ألقاب السُلطان على ما سيأتي في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى، فإنها كتابةٌ أجنبيةٌ مكتوبةٌ بخطِّ غير الكاتب فلم تُنَسَب في الحقيقة إلى التقديم. على أن ذلك قد بطل في زماننا. وهاتان المستثنان المتعلقان بالطفرة المكتوبة في المناشير ومكاتبات أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى كُتَّاب ديوان الإنشاء بالشام، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه.

الأمر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" : ينبغي للكاتِب أن يُفرد
 البِسْمَلَةَ في سطرٍ وحدها، تَجِيلاً لِأَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْظَاماً وَتَوْقِيراً لَهُ ؛ ثُمَّ سَاقَ بِسَنَدِهِ
 إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "نَهَى أَنْ يُكْتَبَ
 فِي سَطْرِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ غَيْرَهَا" . وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ جَرَى كِتَابُ الْإِنشَاءِ
 فِي مَكَاتِبِهِمْ وَسَائِرُ مَا يُصَدَّرُ عَنْهُمْ . أَمَّا النَّسَاحُ وَكُتَابُ الْوَنَائِقِ فَرَبِمَا كَتَبُوا بِعَدْوَاهَا
 فِي سَطْرِهَا «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أَوْ «الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وَنَحْوِ ذَلِكَ .
 وَكَذَلِكَ يُكْتَبُ الْقَضَاءُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» فِي عِلَامَاتِ الثُّبُوتِ فِي الْمَكَاتِبِ الشَّرْعِيَّةِ .

الطرف الثاني

(في الحمدلة)

لَمَّا كَانَ الْحَمْدُ مَطْلُوباً فِي أَوَائِلِ الْأُمُورِ طَلَبًا لِلتَّيْمَنِ وَالتَّبَرُّكِ ، عَمَلًا بِمَا رَوَاهُ
 الرَّوَّانُ لِحَدِيثِ الْبِسْمَلَةِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمٌ» أَصْطَلَحَ الْكُتَّابُ
 عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِهِ فِي الْكَثِيرِ مِمَّا يُكْتَبُونَهُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَالْوَلَايَاتِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَهُ
 شَأْنٌ وَبَالٌ ؛ كَمَكَاتِبَاتِ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ مِنْ قَانَاتِ الشَّرْقِ ، وَكُلِّ مَا تَضَمَّنَ نِعْمَةً مِنْ
 الْمَكَاتِبَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَالْتِيْعَاتِ وَالْمَهْودِ وَالتَّقَالِيدِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ يَرَى أَفْتَاتِحَهَا
 بِالْحَطْبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِيهَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . بَلْ رُبَّمَا كَرَّرُوا
 الْحَمْدَ الْمَزَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ إِلَى السَّعْيِ فِي انْحَطْبَةِ الْوَاحِدَةِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسمة تأسياً بكتاب الله تعالى ، من حيث إن البسمة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها ، إذ كان الإبتداء بالحمد إيماءً يكون في أمر له بال كذا دل عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في "الصناعتين" : وإنما أفتتح الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوق للشاء على الله تعالى ، والافتتاح بما تشوق النفوس إليه مطلوب . وربما أتى الكتاب بالحمد بعد البسمة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فأما الصيغة الأولى فالحمد مقدم فيها معنى وإن لم يذكر لفظاً لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضى تقدم حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنما تقتضى تقدم شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدم هنا هو البسمة على ما سيأتي في الكلام على أما بعد فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : إني أحمد إليك الله . وقد اختلف في أي الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمد الله : فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو مقرر في علم المعاني . وذهب ذاهبون إلى أن صيغة أحمد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حاكٍ لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامدٌ بنفسه ، ولذلك يُرتى بالتحميد ثانياً في الخطب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى — «يُحْمَدُهُ أمير المؤمنين» فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتوبة أو غيرها .

الصيغة الثانية — «تُحْمَدُهُ» إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن^(١) مثل أن يُقضى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التكاليد والتواضع في زماننا .

الصيغة الثالثة — «أُحْمَدُهُ» بلفظ الإفراد، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد فقط حيث لا تعظيم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحميد في الخطب ويكون تابعاً لصيغة التحميد : فإن كان قد قيل يُحْمَدُهُ أمير المؤمنين ، قيل بعده : وَيَشْهَدُ ؛ وإن كان قد قيل نَحْمَدُهُ ، قيل بعده : وَنَشْهَدُ ؛ وإن كان بعد حمد الله ، قيل والشهادة له بالجزء عطفاً على حمد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقدمين لا تشهد فيها . ومستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي ومصحح البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَدْمَاءِ» .

(١) بياض في الاصول ولعله "عن متعددين" .

الطـرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وصحبه في أوائل الكُتُب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك
في ذلك قوله تعالى في مُحْكَم التنزيل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من
أن تُحصَر ، فناسب أن تكون في أوائل الكُتُب ، تيمناً وتبركاً . وقد جاء في تفسير
قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أن المعنى ما ذُكِرْتُ إلا وذكُرْتُ معي . فإذا أتى
بالحمد في أول كتاب ، ناسب أن يُؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ،
إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ” مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ
مَادَامَ أَحْيَى فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ ” . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ،
ضعفه المحدثون . قال محمد بنُ عمر المدائني في ” كتاب القلم والدعوة ” : وقد رأينا
بعض الكُتُب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكُتُب ، فبأبوا بأعظم
الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد التصلية ، فقد قال الشيخ محي الدين
النووي في كتابه ” الأذكار ” : وإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع
بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا مترع من قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآل والصحب بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد نقل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من قولهم : وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز أفراد غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محتجين بنحو قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى" . ومنعه آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيحاً ، كما لا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان عزيراً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية . وحكى النووي في "الأذكار" فيه قولاً بأنه كراهة تحریم ، وقولاً بأنه كراهة تنزيه ، وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهة تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، فحكى النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب من حق وميت وأنه لا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، بخلاف الحاضر فإنه يُحاطَب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتوابعها في أوائل الكتب قد تكون بعد التحميد في الخطبة كما في الولايات [والمكاتبات] المفتحة بالخطب من البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكما في الكُتُب المفتحة بالخطب. وقد تكون في صدور المكتات المفتحة بغير الخطب، كما كان يكتب في القديم في صدور المكتات «وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله» وهو مما أحدثه الرشيد في المكتات. قال في «ذخيرة الحُباب»: وكان ذلك من أجل مناقبه. وكان الخلفاء الفاطميون بمصر يقولون عن لسان الخليفة: ويسأله أن يصلى على جدته محمد، ويخصون الصلاة بعده بأمير المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة.

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكُتُب)

إنما جعل السلام في آبداء الكُتُب وصدورها لأنه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب، فكان أنه يُفتح به الكلام طاباً للتأليف كذلك تُفتح به المكتات وتصدر طلباً للتأليف، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَيُّكُمْ بَشِيءٌ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ! أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». قال في «الصناعتين»: وتقول في أول كتابك: «سلام عليك» وفي آخره «والسلام عليك» والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ لم يتقدم له ذكر والشأن معرفةً يشار به إلى السلام الأول على حد قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى قُرْعَانَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ فأتى في الأول بتكبير الرسول وفي الثاني بتعريفه. وكذلك قال تعالى في سورة مريم في قصة يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ لعدم تقدم ذكر السلام؛ ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله: اكتب في أول كتابك

سلام عليك وأجعلته تحية ، وفي آخره « والسلام عليك » وأجعلته وداعا . وذلك أن سلام التحية يكون ابتداءً فيكون نكرة ، وسلام الوداع يكون انتهاءً فيكون معرفةً لرجوعه إلى الأول . وقد كره بعض العلماء أن يقال في الابتداء : عليك السلام ، احتجاجاً بما روي عن أبي مُكَيْبٍ الأَسَدِيِّ أنه قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشدته :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْبٍ صَادِقًا : « عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا الْقَاسِمِ !

فقال : يا أبا مُكَيْبٍ عليك السلام تحية الموتى » . وجعل ابن حَاجِبٍ النعمان من ذلك قول عبدة بن الطيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا

قال ابن حَاجِبٍ النعمان : ويكتبُ السلامُ بأسقاط الألف في صدر الكتاب وعجزه . قال أبو جعفر النحاس : وقولهم في أول الكتاب سلامٌ عليك ، بالرفع ويجوز فيه النصب والاختيارُ الرفع وإن كان النحاة قد قالوا : إنَّ ما كان مشتقاً من فعل فالأختيار فيه النصب نحو قولك سَقِيًّا لك : لأن معنى السلام في الرفع أعم ، إذ ليس يريدُ أفعلُ فعلاً ، فيكون المعنى تحيةً عليك بنصب تحية . وقيل : سلامٌ عليك بمعنى سلامٌ لك . وسيأتي الكلامُ على إتباع السلام الرحمة في الكلام على انلواتم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرْفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

إِعلم أن « أما بعد » تُستعمل في صُور المكاتبات والولايات وربما استعملت في ابتدائها . وهي مركبة من لفظين أحدهما أما والثاني بعد . فأما « أما » ظرف شرط و« بعد » ظرف زمان إذا أُفرد نبي على الضم ، قال تعالى : ﴿ اللهُ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ وأجاز الفراء أما بعداً بالنصب والتنوين ، وأما بعد بالرفع والتنوين . وأجاز هشام أما بعد بفتح الدال ومنعه النحاس وقال : إنه غير معروف .

ثم أما تقع في كلام العرب لتوكيد الخبر ، والفاء لازمة لها : لتصل ما بعدها بالحرف الملاصق لما قبلها ، فتقول أما بعد أظال الله بقاءك ! فإنني قد نظرت في الأمر الذي ذكرته . ويجوز أما بعد فأظال الله بقاءك إنني نظرت في ذلك ، فتثبت الفاء في أظال وإن كان معترضا لقربه من أما ، ويجوز أما بعد فأظال الله بقاءك فإنني نظرت ، ويجوز أما بعد ثم أظال الله بقاءك فإنني نظرت حكى ذلك كله النحاس ، ثم قال : وأجودها الأوَّل وهو اختيار النحويين . قال : وأجود منه أما بعد فإنني نظرت أظال الله بقاءك . فإن أضيفت بعد إلى ما بعدها فتحت فتقول أما بعد حمد الله ونحو ذلك . قال في « ذخيرة الكتاب » وإذا كانت بعد البسملة فمعناه أما بعد قولنا « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان كذا وكذا .

وقد اختلف في أول من قال أما بعد : فقيل داود عليه السلام ، وبه تُسر فصل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ على أحد الأقوال ، وقيل أول من قالها كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي . قال سيويو : ومعناها مهما يكن من شيء .

الفصل الثاني

(في الخواتيم واللواحق ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يكتب إن شاء الله تعالى ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الحث على كتابة إن شاء الله تعالى)

اعلم أنه يستحب للكاتب عند انتهاء ما يكتبه : من مكاتبة أو ولاية أو غيرها أن يكتب " إن شاء الله تعالى " تبركا ورجوة في نجاح مقصد الكتاب ، فقد ورد الحث على التعليق بمشيئة الله تعالى والتدب إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولْ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . ودم قوما [على ترك الاستثناء] فقال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْهُمُنَّا مُصِيبِينَ وَلَا يَسْتَلْنُونَهُ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم ﴾ إلى آخر القصة . قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للمسكين ما أخطأ المتجمل من الزرع أو القطاف من العنب والتخل وما بقي على البساط الذي يسط تحت التخل ، فلما مات تخم بنوه على المسكين بما كان يتركه أبوهم وحلقوا على قطعها في الناس كيلا يدرّكهم الفقراء ، فأصابها نار في الليل فاحترقت وأصبحت كالصريم يعني الليل المظلم . قال المفسرون : والمراد بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَلْنُونَهُ ﴾ أنهم لم يقولوا إن شاء الله تعالى . قال الزمخشري :

وسمى استثناءً وإن كان بمعنى الشرط لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لا تحرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد .


وَأَعْلَمُ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ لَا يَدْخُلُ عَلَى مَا ضُحِيَ فَلَا يُقَالُ مَا فَعَلْتُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَى مُسْتَقْبَلٍ فَتَقُولُ لَا أَعْمَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا فِيهِ مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

أما ما ورد من ذلك بلفظ النحوي مثل قول التامل لزوجته أنت طالق إن شاء الله فإنه وإن لم يكن مستقبلاً لفظاً فإنه مستقبلٌ معنى ، إذ معناه الإنشاء وإلا ما وقع به الطلاق . إذا علمت ذلك ، فلفظ ”إن شاء الله تعالى“ في آخر المكتبة أو الولاية ونحوهما يكون معلماً بأن المكتوب مما يناسب ذلك ، كتعلقها بالتأييد من قوله والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى ، ونحو ذلك .

الجملة الثانية

(في محل كتابتها وصورة وضعها في الدرج)

لَا يَزَاعُ فِي أَنَّهَا أَوَّلُ خَاتَمَةٍ تُكْتَبُ مِنْ خَوَاتِمِ الْمَكْتُوبِ ، فَحَالِهَا مِنَ الدَّرَجِ أَسْفَلُ الْمَكْتُوبِ ، فِي وَسْطِ الْوَصْلِ ، مَكْتَفَةٌ بِيَاضٍ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْمَكْتُوبِ كَمَا بَيْنَ سَطْرَيْنِ أَوْ دُونَهُ .

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْكُتَّابِ فِي كِتَابَتِهَا بِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ كَمَا فِي الْقَطْعِ الصَّغِيرِ ، كَتَبَتْ مَعْلُوقَةً مُسَلَّسَةً عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ  أَوْ مَا قَارِبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَلَمِ

جليل كالثلث ونحوه ، كُتِبَتْ واضحة مبينة ، والغالب فيها أن تكونَ على هذه الصورة **إن شاء الله تعالى** قال جمال الدين بن شيبان في "معالم الكتابة" : ولا يُضَيَّفُ الكتابُ إليها شيئاً في سطرها ، بل تكون مفردةً في سطرٍ واحدٍ .

الطَّرْفُ الثَّانِي

(في التاريخ ، وفيه ثمانُ جمل)

الجملة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه : فذهب قومٌ إلى أنه عربيٌّ ، وأن معناه نهايةُ الشيء ، وآخره ، يقال فلانٌ تاريخٌ قومه إذا انتهى إليه شرفهم ، وعليه يدلُّ كلامُ صاحب "موادِّ البيان" ، وابنِ حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" ونقل الشيخ علاء الدين بن الشاطر في "زيجه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون مقلوباً منه . وذهب آخرون إلى أنه فارسيٌّ ، وأن أصله «ماه زور» فعزب مورخ ، ثم جعل اسمه التاريخ ، وإليه يرجع كلامُ السلطان عماد الدين صاحب حماة رحمه الله في تاريخه ، ويقال منه أرخت وورخت بالهمزة والواو لغتان ، ولذلك قالوا في مصدره تاريخ وتاريخ ، كما يقال تأكيد وتوكيد . قال في "ذخيرة الكتاب" : أرخت لغة قيس ، وورخت لغة تميم . قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل" : ولا تكاد ورخت تستعمل اليوم ، وكأنت الكتاب كانوا قد رفضوا هذه اللغة في زمانه وإلا فهي لغة مستعملة إلى الآن ، إلا أنها لما غلبت في ألسنة العوامِّ

ابْتَدَلْتُ . قال الشيخ « أمير الدين أبو حيان » في شرح التسهيل : والتاريخ هو عدد الليالي والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهما ، قال في « مواد البيان » : وهو محقق للخبر ، دالٌّ على قُرب عهد الكتاب وبعده .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب « القلم والدواة » : أجمعت العلماء والحكماء والأدباء والكتّاب والحُساب على كتابة التاريخ في جميع المكتّبات . قال صاحب « نهاية الأرب » : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يُستدلُّ به على بُعد مسافة الكتاب وقُرْبها ، وتحقق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد أصطلح الكتّاب على أنهم يؤرّخون المكتّبات والولايات ونحوها مما يصدر عن الملوك والثواب والأمرء والوزراء وقضاة القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكتّبات الصادرة عن آحاد الناس ، فإنه لم تجر العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القضاة في « عيون المعارف في تاريخ الخلفاء » : كانت الأمم السالفة تُورّخ بالحوادث العظام ويملك الملوك : فكان التاريخ يهبوط آدم عليه السلام ، ثم بمبسم نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام .

ثم تفرق بنو إبراهيم : فأتى بنو إسحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ، ومن يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام ، ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أترخ بوفاة يعقوب عليه السلام ، ثم بخروج موسى من مصر بنى إسرائيل ، ثم بحراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فأترخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرثون بذلك حتى تفرقت بنو معد ، وكان كلما خرج قومٌ من يمامة أترخوا بخروجهم . ثم أترخوا بيوم الفجار ، ثم بعام الفيل .

وكان بنو معد بن عدنان يؤرثون بملبة جرهم العالقي وإخراجهم إياهم من الحرم . ثم أترخوا بأيام الحروب : كحرب بني وائل ، وحرب البسوس ، وحرب تاحيس .

وكانت خمير وكهلان يؤرثون بملوكهم السابعة ، وبنار ضرار : وهى نارٌ ظهرت ببعض نراب اليمن ، وبسبل العرم ، ثم أترخوا بظهور الحبشة على اليمن .

وأما اليونان والروم ، فكانوا يؤرثون بملك بختنصر ، ثم أترخوا بملك دقلطيانوس القبطى .

وأما الفرس فكانوا يؤرثون بآدم عليه السلام ، ثم أترخوا بقتل دأرا وظهور الإسكندر عليه ، ثم بملك يزدجرد . والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه فى دائرة اتصال التواريخ القديمة بالهجرة عشرون تاريخاً ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين ، إلا أنه لم يراع الترتيب فى بعضها ، وأهمل منها تاريخ يزدجرد لوقوعه بعد الهجرة .

وبالجملة فالتواريخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول - من هبوط آدم عليه السلام . وقد أُخْتُلف فيما بينه وبين الهجرة
أختلافاً فاحشاً : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما
سنة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المنجمين أن بينهما
خمسة آلاف وسبعمائة وتسعين سنة .

ومقتضى ما في التوراة الساميرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع
وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف
وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص مائتين وتسعاً
وأربعين سنة .

الثاني - من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع
وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة
وخمسة وعشرون سنة وثلاثمائة وستة أيام .

الثالث - من تبليل الأرض . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة
آلاف وثلثمائة وأربع وستون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين
وتسعا وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وسبعمائة .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابح — من مولد إبراهيم عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثمانيمة وثلاث وتسعون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسعا وأربعين سنة .

الخامس — من بناء إبراهيم الكعبة . وبينه وبين الهجرة ألفان وسبعائة وثلاث ^(١) وسبعون سنة .

السادس — من وفاة موسى عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة .

السابع — من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثمانمائة وستون سنة ^(٢) .

الثامن — من ابتداء ملك بختنصر . وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة . قال صاحب حماة : بلا خلاف .

التاسع — من تخريب بختنصر بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلثمائة وخمسون سنة .

العاشر — من ملك فيليبس أبي الإسكندر . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمسة وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً .

الحادى عشر — من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وأثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً ^(٣) .

(١) في المختصر وتسعون .

(٢) في المختصر وقريب سنين والظاهر أنه تصحيف .

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون .

الثاني عشر — من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ستمائة وإحدى وثلاثون سنة .

الثالث عشر — من ملك أردبالونص ^(١) . وبينه وبين الهجرة خمسمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر — من ملك أردشير أول ملوك الأَكاسرة من الفُرس . وبينه وبين الهجرة أربعماية وأثنان وعشرون سنة .

الخامس عشر — من نحراب بنت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ^(٢) ثلثمائة وست وأربعون سنة .

السادس عشر — من ملك دقظيانوس : آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوما .

السابع عشر — من غلبة أغسطس ملك الروم على قلوبطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان وخمسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما . ^(٣)

الثامن عشر — من عام الفيل ، وهو العام الذي وُلِد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أدريانس وبالجملة في المختصر المطبوع لابن الفداء ج ١ ص ١٢٥ مخالفة لما في امرنا المخطوطة فكتبه .

(٢) في مختصر أبي الفداء ج ١ ص ١٢٥ خمسمائة وثمانية وخمسون وكانت لمضى أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ستمائة واثنتان وخمسون سنة وهو أشبه بالصواب لأن غلبة أغسطس على قلوبطرا قبل مولد المسيح بأحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مَبِيتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبينه وبين الهجرة ثلاث عشرة سنة^(١) وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(ما بعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد ، وهو من هلاك يَزْدَجَرْدِ آخرِ ملوكِ الفُرس . وكان بعد الهجرة بعشر سنين وثمانية وسبعين يوماً .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامي وبنائه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتاريخ . وعلى هذا فيكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النحاس : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ثم اختلف في السبب الموجب لذلك : فذكر النحاس أن السبب فيه أن عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باليمن قدم عليه فقال : أما تورخون كتبكم؟ فاتخذوا التاريخ . ووافقته على ذلك صاحب "مواد البيان" . وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية أيام وهو تحريف والنصح من مختصر أبي الفداء .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قِبَل أمير المؤمنين كُتِبَ لاندري على أيها نعمل قد قرأنا [كتاباً منها] ^(١) حِلَّةُ شعبان ، فاندري في أيِّ الشَّعْبَانِينِ المَاضِي أو الآتِي ، فأحدتْ عمرُ التاريخ . وتبعه على ذلك ابنُ حاجب النعمان في " ذخيرة الكُتَاب " . وذكر صاحبُ حماة في تاريخه : أنه رُفِعَ إلى عمر رضي الله عنه صَكٌّ حِلَّةُ شعبانُ فقال : أيُّ شعبان ، لاندري الذي نحنُ فيه أم الذي هو آتٍ ، ثم جمع وجوه الصحابة وقال : إنَّ الأموالَ قد كثُرَتْ ، وما قَسَمناه منها غيرَ مؤقتة فكيف التوصل إلى ما يُضبطُ به ذلك ؟ - فقالوا : يجب أن نعرف ذلك من أمور القُرْس ، فاستحضر الهرمزان وسأله - فقال : إن لنا حساباً نُسَمِّيه (مائة زور) ومعناه حساب الشهور والأيام فعمل عمر التاريخ .

الجملة الخامسة

(في بيان صورة أبتدائهم وضع التاريخ من الهجرة)

قال في " ذخيرة الكُتَاب " : لما أراد عمرُ التاريخ ، جمع الناسَ للمَشُورَةِ ، فقال بعضهم : تُورِّخُ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل بوفاته - وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة : لأنها أولُ ظهورِ الإسلام وقوته . فصوبه عمر واجتمع رأيُه عليه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ في عام الفيل المَقْدَم ذكره في التواريخ القديمة . قال في " ذخيرة الكُتَاب " : وكان وقوعُ ذلك في اليوم الثاني عشر من شُباط سنة ثمانمائة وأثنين وثمانين لذي القَرْنَيْنِ ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنةً من ولادته ، وأقام بمكة بعد النبوة عشر سنين ،

(١) بياض بالاصول والتصحيح من الفصول للولف .

(٢) يتفر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة . وقدم المدينة لاحتق عشرة ليلة منه .

ثم بعد اتفاقهم على التأريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البداية به : فأشار بعضهم بالبداية برمضان لشرفه وعظمه - فقال عمريل بالتحريم : لأنه منصرف الناس من حجهم ، فرجعوا القهقري ثمانية وستين يوماً ، وهي القدر الذي مضى من أول الحزم [إلى ذلك الوقت] واستقر تاريخ الإسلام من الهجرة .

قال القضاعي في "عيون المعارف" : وكان ذلك في سنة تسع عشرة أو ثمانين عشرة من الهجرة .

قلت : واستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، ابتداء بعضها مقدم على ابتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .

والثاني - ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامي .

والرابع - هلاك يزيدجرد آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفرس إلى زماننا ، وقد تقدم بيان بعد ما بين تاريخ كل من غلبة الإسكندر وملك دقلطيانوس وبين الهجرة في القبلة ، وبعد ما بين تاريخ يزيدجرد وبين الهجرة في البسدية في الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين البعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من الفرس .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعندها من الأيام، وسبب الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تفيد التاريخ في الكتابة بزمن معين : وهو ضربان)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدأره الليالي دون الأيام : لأن سبب العرب قمرية ، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل ، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابقةً للأيام ، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار، وهو إما من طلوع الفجر على ماورد به الشرع في الصوم ونحوه، وإما من طلوع الشمس على رأى المتجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه "الجملة" : وإنما حيل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليلة ، فلو حيل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان في "شرح التسهيل" : واستغنى بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام، فيجوز أن يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيبه في كتابه "معالم الكتابة" : أن كتب السطان والأعيان تؤرخ بالليالي ، والكتب من الأدنى إلى الأعلى تؤرخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا ما مستنده فيه .

إذا علم ذلك فلكتابة التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يُرَخَّعَ ببعض ليالي الشهر، وله ست حالات)

الحالة الأولى

(أن تقع الكتابة في الليلة الأولى من الشهر، أو في اليوم الأول منه)

فإن كانت الكتابة في الليلة الأولى منه فقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أنه يُكْتَبُ «كُتِبَ غَزَّةَ شَهْرٍ كَذَا، أَوْ [أَوَّلَ] لَيْلَةٍ مِنْ كَذَا، أَوْ مُسْتَهَلَّ شَهْرٍ كَذَا، أَوْ مُهَلَّلَ شَهْرٍ كَذَا». وحكى الشيخ أمير الدين أبو حيان مثل ذلك عن بعضهم، وزاد أنه يُكْتَبُ أيضا «كُتِبَ أَوَّلَ شَهْرٍ كَذَا».

قال النحاس : ولا يجوز حينئذ لليلة خَلَّتْ ولا مضتْ لأنهم في الليلة بعد . قال في "ذخيرة الكتاب" : وربما كتب بعضُ الكتاب لَيْلَةَ الْاِسْتِهْلَالِ «لَيْلَةَ [تَحْلُو]» .

وإن كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذي يلي الليلة الأولى من الشهر، كُتِبَ «لَيْلَةَ خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ مِنْ شَهْرٍ كَذَا» . قال النحاس : ويجوز كُتِبَ «لِعَزَّةِ الشَّهْرِ أَوْ لِأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ» ومنع أن يقال حينئذ : أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرٍ كَذَا، أَوْ مُسْتَهَلَّلَ شَهْرٍ كَذَا، أَوْ مُهَلَّلَ شَهْرٍ كَذَا، مُوجَّهًا لذلك بأن الاستهلال إنما يقع في الليل . وتبعه على ذلك ابنُ حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وصاحب "موادِّ البيان" وبه جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في ورقاته في الوراق . وكلام ابن مالك في التسهيل يُؤمِّد جواز ذلك فإنه قد قال : فيقال أَوَّلَ الشَّهْرِ، كُتِبَ لِأَوَّلِ

(١) الزيادة من الضم .

(٢) يباح بالاصول، والتصحيح عن الضم للؤلف .

ليلة منه، أو لغزته أو مهلة أو مُسْتَهَلَّة . وأوّل الشهر أعمُّ من اليوم والليلة بل هو إلى الليلة أقرب، لأن الليلة سابقة بالأولية .

قال الشيخ أمير الدين : ومفتتح الشهر أوّل يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يؤرخ بالمفتتح في اليوم الأول من الشهر دون الليلة وفيه نظر، بل الظاهر جواز استعماله فيهما، بل الليلة بالمفتتح أولى لسبقها اليوم كما تقدم، اللهم إلا أن يُرعى فيه موافقة المفتتح لليوم في التذكير دون الليلة لثانيتها . قال في "موادّ البيان" : والعرب تُسمي أوّل ليلة من الشهر النجيرة، ولكن لا تستعمله المكّاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن تقع الكتابة فيما بعد مضيّ اليوم الأول من الشهر إلى آخر العشر)

فإن كان قد مضى منه ليلتان، كُتِبَ « لليتين خلتا من شهر كذا، أو لليتين مَضَّتَا منه » قال في "ذخيرة الكُتّاب" : ولا يُكْتَبَ ليوم خَلَا ولا ليومين خَلَا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب، كما تقول ليلة السبت وليلة الأحد، فتُضَيَّفُ الليلة إلى اليوم لأنها أسبق، ولا تُضَيَّفُ اليوم إلى الليلة .

وحكى الشيخ أمير الدين أبوحيان أنه إذا مضى من الشهر يوم كُتِبَ «ليوم مضى» وإذا مضى يومان «كُتِبَ ليومين مضياً» . والتحقيق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكتابة في الليل والنهار : فإن كُتِبَ في الليلة الثانية، ناسب أن يُكْتَبَ «ليوم خَلَا من شهر كذا» لأنه إن كُتِبَ لليتين خَلَّتَا فهو في الليلة الثانية بعد، وإن كُتِبَ لليلة خَلَّتْ لم يظهر الفرق بينه وبين الكتابة في اليوم الأول من الشهر . وإن كُتِبَ في اليوم الثاني من الشهر، ناسب أن يُكْتَبَ لليتين خَلَّتَا أو مَضَّتَا . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليلال، كُتِبَ لثلاثِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ من شهر كذا، أو لثلاثِ ليلالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ . ويجوز فيه لثلاثِ خَلَّتْ أو لثلاثِ ليلالِ خَلَّتْ على قلة . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليلالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ ، أو لعشرِ ليلالِ خَلَّتْ أو مَضَّتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(أن تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فَيَكْتُبُ لإحدى عشرة خَلَّتْ أو مَضَّتْ من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خَلَّتْ أو مَضَّتْ ، ويجوز فيه لإحدى عشرة خَلَوْنَ أو لإحدى عشرة ليلة خَلَوْنَ على قلة . وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : فإن صرَّحَ بالميزِ وكان مَدَّغًا ، أُعيد الضميرُ عليه فيقال : لاحدَ عَشْرَ يَوْمًا حَلًّا أو مضى ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فَيَكْتُبُ « كُتِبَ لِصِفِّ شهر كذا » . قال النحاس : وأجازوا لخمس عشرة ليلة خَلَّتْ أو مَضَّتْ . وكلام ابن مالك في "التسهيل" يُشير إلى جواز لخمس عشرة ليلة خَلَّتْ أو مَضَّتْ [أو بَقِيَتْ] على رأى من يُجَوِّزُ التاريخَ بالباقي . ولو حَذَفَ ذِكْرَ الليلة فقال : لخمس عشرة خَلَّتْ أو مَضَّتْ أو بَقِيَتْ صحَّ . قال في "التسهيل" والتاريخ بالنصف أجود .

(١) الزيادة لازمة لصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن تقع الكتابة فيما بعد النصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصناعة مذهبان :

المذهب الأول — أن يؤرخ بالماضي من الشهر كما في قبل النصف ، فيقال :
 لِسْتُ عَشْرَةَ خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ ، أَوْ لِسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ . وكذا إلى
 العشرين فيقال : لِعِشْرِينَ خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ ، أَوْ لِعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَّتْ أَوْ مَضَتْ ،
 وكذا في البواقي إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوله
 إلى آخره بالماضي دون الباقي فراراً من الجهول إلى المحقق ، وهو مذهب الفقهاء
 لأنه لا يعرف هل الشهر تامٌ أَوْ ناقصٌ . قال النحاس : ورأيت على ابن سليمان
 يخاره . قال في " ذخيرة الكتاب " : وهو أثبتٌ ومجته أقوى . ثم لا شك أن من
 يرى التاريخ باليوم يجوز لسته عشر يوماً خلاً أَوْ مضى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .
 المذهب الثاني — أن يؤرخ بما بقي من الشهر . ولؤرخين فيه طريقتان :

الطريق الأول — أن يحزم بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة ليلة بقيت
 من شهر كذا ، ثم ثلاث عشرة ليلة بقيت ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ،
 فيكتب ليلية بقيت ، وهو مذهب الكتاب . قال النحاس : ورأيت بعض العلماء
 وأهل النظر يصوبونه ، لأنهم إنما يكتبون ذلك على أن الشهر تامٌ ، وقد عرف
 معناه وأن كتابته وقارته إنما يريد إذا كان الشهر تاماً فلا يحتاج إلى التلطف به .
 قال محمد بن عمر المدائني : وأحتجوا لذلك بأن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه :
 حين كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم لابن الحضرمي كتب في آخر الكتاب :

« وكتب معاوية بن أبي سفيان ثلاث ليالٍ يقين من ذى القعدة بعد فتح مكة سنة ثمانٍ » ثم قرأه عثمان بن عفان رضى الله عنه والناس حوله . قال النحاس : وقد وقع مثل ذلك في كلام الثبوة . فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر : « أَلْمَسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ لِسَابِعَةِ تَبَقٍ أَوْ خَامِسَةِ تَبَقٍ » . وهذا الحديث الذي استشهد به النحاس ثابت في الصحيح فلا نزاع في العمل به .

الطريق الثاني — أن يُعْلَقَ التاريخُ بالباقي على شرط . فيكتبُ لأربعِ عشرةِ إن بقيتْ ، أو لأربعِ عشرةِ ليلةٍ إن بقيتْ ، وعلى ذلك في الباقي ، فإِذَا من إطلاقِ التاريخِ بما لا يُسَلَّمُ نَمَاهُ أو نقصه وتعليقاً له على حكم التمام ؛ وكأنه يقول : لأربعِ عشرةِ ليلةٍ بقيتْ من الشهر إن كان تماماً . ومن يرى التاريخَ بالأيام يجوز لأربعةِ عشرِ يوماً تبقى من شهر كذا ، وكذا في الجمع .

الحالة السادسة

(أن تقع الكتابة في الليلة الأخيرة من الشهر أو في اليوم الأخير منه)

فإن كان في الليلة الأخيرة منه كُتِبَ « لِأَخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ كَذَا ، أَوْ فِي سَلْجِ شَهْرِ كَذَا ، أَوْ فِي أَسْبَلَاخِهِ » . وإن كان في اليوم الآخر منه كُتِبَ « لِأَخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ كَذَا ، أَوْ فِي سَلْجِهِ أَوْ أَسْبَلَاخِهِ أَيْضًا » . ولم يختلفوا هنا في جواز التاريخ باليوم . قال ابن حاجب النعمان : وذلك أن الشهر يتدنى بإبتداء الليالي ويتقضى بانقضاء النهار . وذكر صاحب «موآذ البيان» أن الذي كان كُتِبَ مصرى يستعملونه بالديار المصرية أن يجعل شهرًا ثلاثين يوماً وشهرًا تسعةً وعشرين ، وهذا جنوح منهم إلى الاعتبار النجومى ، ولا مأمول على ذلك في الشريعة .

قلت : وكُتِّبَ زماننا قد أهللوا النظرَ في ذلك بحملةٍ وعولوا على التاريخ بالأيام ، واقفين عند حدِّ اليوم الذي ينتهي إليه العدُّ من الشهر عند الكتابة فيكتبون في اليوم الأول : كُتِّبَ في مستهلِّ شهر كذا ، ثم في ثاني شهر كذا أو ثالثه إلى العشر ؛ ثم في حادى عشره وثاني عشره إلى العشرين ، ثم في العشرين من شهر كذا ، أو الحادى والعشرين ، والثاني والعشرين إلى التاسع والعشرين . وفي اليوم الأخير من الشهر يكتبون في سلخ شهر كذا لا يعرفون غير ذلك .

ثم مما يُستحسن في التاريخ أنه إذا وقعت الكتابة في يوم مشهور - كأيام المواسم - أرخ به ، مع قطع النظر عن عدد ما مضى من الشهر أو بقي منه . فيكتب في اليوم الأول من سؤال « كُتِّبَ في يوم عيد الفطر » وفي تاسع ذى الحجة « كُتِّبَ في يوم عرفة » وفي عاشره « كُتِّبَ في يوم عيد النحر ، أو في يوم عيد الأضحى » وفي حادى عشره « كُتِّبَ في يوم القَرَّ » - بفتح القاف ، سمي بذلك لأن الناس يستقرون فيه بمنى ، وفي ثاني عشره « كُتِّبَ في يوم النقر الأول » لأن الحجيج يتفرون فيه من منى ، وفي ثالث عشره « كُتِّبَ في يوم النقر الثاني » .

الاعتبار الثاني

(أن يؤرخ بحملة من أيام الشهر)

فإن أرخ بعشر من الشهر ، بناه على التائيد : فيكتب « كُتِّبَ في العشر الأول » ، أو في العشر الأول - بضم المهملة وفتح الواو جمع أول^(١) . أو كتب في العشر الوسطى أو في العشر الوسط - بضم الواو وفتح السين جمع وسطى ، أو كتب في العشر الأخرى

(١) لعل الصواب " جمع أول " .

أوفى العشر الأخر - بضم الهمزة وفتح الخاء جمع آخرية . قال الشيخ أبو الورد أبو حيان :
 « ولا يُكْتَبُ العَشرُ الأوَّلُ ولا الأوسطُ ولا الآخِرُ . وقال بعض النحويين يُكْتَبُ
 « وكتب في العشر الآخرة أو الأواخر » ولا يُكْتَبُ الأخرى ولا الأخر : للتأنيب بالآخر
 بمعنى الثاني أو الأخر بمعنى الثواني . وقد تقدّم في الكلام على أيام الشهر أن العرب
 تسمي ليالي الشهر كُلَّ ثلاث منها باسم ، وقد تقدّم ذكر أسمائها هناك . فإذا وقعت
 الكتابة في ثلاث منها ، كالتفرز : وهي الثلاث الأولى من الشهر ، والدأدى : وهي الثلاث
 الأخيرة منه ، كان للكتاب أن يُؤرَّخ بها كما يُؤرَّخ بعشر من الاعتشار الثلاث ، بل
 الثلاث أقرب لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أبو الورد
 في « شرح التسهيل » فقال : « وإن أرَّخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كتبت الدأدى .
 وإذا كان في السنة أيام مشهورة ، أرَّخ بها كالأيام المعلومات : وهي العشر الأولى
 من ذى الحجة ، والأيام المعدودات : وهي أيام التشريق على ما تقدم ذكره في موضعه ،
 كان للكتاب أن يُؤرَّخ بها . »

الاعتبار الثالث

(أن يُؤرَّخ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكتاب إلى ذلك في تاريخ بطائق الحمام ، وقد سبق في الكلام
 على الأيام أن كل واحد من الليل والنهار آتفاً عشرة ساعة زمنية ، تطول بطول
 أحدهما وتقصّر بقصره ، ولكل ساعة منها اسم يُخصّصها ، كالشروق : وهو أوّل ساعات
 النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشفق : وهو أوّل ساعات الليل ، والصباح
 وهو آخر ساعاته . فينبغي للكتاب إذا كتب بطائفة من بطائق الحمام أن يكتب

(١) عبارة الفصيح ص ١٠٦ - « ولا نزاع في أنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ »

الساعة التي كتبت فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يتأتى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يسرح في الليل ، اللهم إلا أن تدعو الضرورة إلى التاريخ بساعة من ساعات الليل في بعض المكتبات فيؤرخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتَّابُ زماننا ، وصاروا يؤرخون بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ونحو ذلك .

الضرب الثاني

(التاريخ العجمي)

ومدَّاره الأيام دون الليالي ، لأن سنتهم مع اختلافها في الشهور ومبادئها ومقاطعها شمسية ، والشمس محل ظهورها النهار دون الليل ، فذلك أرخوا بالأيام . قال أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشاه في تأخير النوروز ، والمتوكل يتعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نقاسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما نراه فما هو ؟ - قلت : أرخ السنة الفارسية بالليالي ، والعجم يؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تشمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر ، والعرب يؤرخ بالليالي ، لأن سديهم وشهورهم قمرية ، وآبداء الهلال بالليل - قال : فشهدوا بصحة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من علمي .

قلت : وأكثر ما يُحتاج إلى ذلك في تحويل السنين وقُل النيروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المقدم ذكره ، وكذلك في كتابة الهدن فسيأتي أنه يجمع فيها بين التاريخ العربي والعجمي جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربي على العجمي ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لعشر خلون من المحرم سنة ثمانمائة » ، موافقاً للعاشر من ثوب من شهور القبط ، أو العاشر من تشرين الأول من شهور السريان ، أو العاشر من نير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(في تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن فائدة التاريخ إنما تتحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يُعلم من أية السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو عجمياً ، أو مركباً منهما ، مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافق لكذا من سني الروم أو سني الفرس .

ثم للكاتب في كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الهاء من العدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا أصلح كتاب الديار المصرية وبلاد المشرق .

المصطلح الثاني — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الهاء في العدد على قاعدة إثباتها في عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ست وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يُجْرَى كُتَابُ الْعَرَبِ غَالِبًا ، لَمَّا يُقَالُ : إِنْ الْعَامَ يُخْتَصُّ بِالْخِصْبِ وَالسَّنَةَ
تُخْتَصُّ بِالْمَحَلِّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّنِينَ فِيمَا يَخْتِجُ إِلَيْهِ الْكُتَابُ
فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى .

الجملة الثامنة

(في معرفة بعض التواريخ من بعض)

قد ذكر في " مواد البيان " أن من جملة أدب الكاتب العِلم بتواريخ سِي العالم
وَأَسْتِخْرَاجُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الْيَوْمِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مِنْ كُلِّ
شَهْرِ وَسَنَةٍ مِنْ سِي الْأُمَمِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَيْضًا أَنْ الْمُسْتَعْمَلُ مِنَ التَّوَارِيخِ فِي زَمَانِنَا بَيْنَ
الْأُمَمِ أَرْبَعَةٌ تَوَارِيخٌ ، بَعْضُهَا أَقْدَمُ مِنْ بَعْضٍ .

أولها — تَارِيخُ غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ . وَهُوَ التَّارِيخُ الَّذِي يُؤَرِّخُ بِهِ السُّرْيَانُ وَالرُّومُ
وَالْفَرَنْجِيَّةُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ إِلَى الْآنَ ، وَهُوَ بَعْدَ الطُّوفَانِ فِيمَا حَرَّرَهُ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ
ابْنُ الشَّاطِرِ فِي " زَيْجِهِ " بِثَلَاثَةِ آلَافٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثِينَ
وَعِشْرِينَ يَوْمًا .

الثاني — التَّارِيخُ مِنْ مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ . وَهُوَ الَّذِي يُؤَرِّخُ بِهِ الْقَيْطُ إِلَى الْآنَ ،
وَرَبَّمَا عَبَّرُوا عَنْهُ بِتَّارِيخِ الشُّهَدَاءِ ، إِشَارَةً إِلَى تَسْمِيَّتِهِمُ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ دَقْلَطِيَانُوسُ
مِنَ الْقَيْطِ شُهَدَاءً ، وَهُوَ بَعْدَ غَلْبَةِ الْإِسْكَندَرِ بِخَمْسِ مِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً وَثَلَاثِينَ
وَأَسْتِثْنَى وَثَلَاثِينَ يَوْمًا .

الثالث — التَّارِيخُ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَعَلَيْهِ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ . وَهِيَ بَعْدَ مَلِكِ دَقْلَطِيَانُوسِ
بِثَلَاثِينَ وَسِتِّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَثَلَاثِينَ وَأَحَدٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا .

الرابع - التاريخ من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس . وقد تقدم أنه بعد الهجرة بعشرين سنين وثمانية وسبعين يوماً .

فأما التاريخ السرياني والرومي وهو الذي مبدؤه من غلبة الإسكندر فقد تقدم أن شهور السريانيين اثنا عشر شهراً ، وهي : تشرين الأول - تشرين الثاني - كانون الأول - كانون الثاني - شباط - آذار - نيسان - أيار - حزيران - تموز - آب - أيلول . منها سبعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الأول ، وكانون الأول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وأيار ، وتموز ، وآب ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوماً ، وهي : تشرين الثاني ، ونيسان ، وحزيران ، وأيلول . ومنها واحدٌ ثمانية وعشرون يوماً : وهو شباط ، فتكون أيام سنيه ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ، ويضاف إليها ربع يوم مراعاةً للسنة الشمسية ، فتصير ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم ينقص جزءاً يسيراً . ومن أجل ذلك يعدون ثلاث سنين بسائط ^(١) يكون شباط فيها تسعة وعشرين يوماً : لإضافة ربع اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثلثمائة وستة وستين يوماً .

وقد تقدم أيضاً أن شهور السنة الرومية تُضاهي شهور السنة السريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يُسمون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السريان ، ويكون أول شهورهم موافقاً لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السريان ، ويكون آخر شهورهم موافقاً لكانون الأول .

(١) كذا في الأصول ويظهر أن فيه سقطاً من النسخ والأصل "يعدون ثلاث سنين بسائط" وستة كسبة يكون الخ كما يؤخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس،
سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر . ولا فرق في شيء منها سوى اختلاف الأسماء
وأبتداء رأس السنة، وحينئذ فيكون الكلُّ فيها في التاريخ واحداً .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذي مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن
شهور السنة القبطية اثنا عشر شهراً . وهي : توت، بابه، هنور، كيهك، طوبه،
أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بشونه، أبب، مسرى . وكل شهر منها ثلاثون
يوماً من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء ، فتكون أيام
ستهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وتزيد بعد ذلك رُبع يوم في كل سنة كما في التاريخ
الرومي ، وقد اصطَلحوا على أن يُعْثُوا منها ثلاث سنين بسائط ، كل سنة منها ثلاثمائة
وخمسة وستون يوماً لا زيادة فيها، والرابعة كبيسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام
وزيادة رُبع يوم، وتصير أيام تلك السنة ثلاثمائة وستة وستين يوماً، على نحو ما تقدم
في السرياني والرومي .



وأما التاريخ العربي : وهو الذي مبدؤه الهجرة ، فقد تقدم في الكلام على الشهور
في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهراً . وهي : المحرم، صفر،
ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان،
رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة . وأنها قرية مدارها رؤية الهلال ، إلا أن
المتجمين اعتمدوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها ،
وجعلوا فيها شهراً تاماً عدده ثلاثون يوماً ، وشهراً ناقصاً عدده تسعة وعشرون يوماً ،
على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام ، وصفر ناقص ، وربيع الأول تام ،

وربيع الآخر ناقص، وجمادى الأولى تام، وجمادى الآخرة ناقص، ورجب تام،
 وشعبان ناقص، ورمضان تام، وشوال ناقص، وذو القعدة تام، وذو الحجة ناقص .
 فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثلثمائة يوم
 وأربعة وخمسين يوماً، ويلحقها بعد ذلك كسر في كل سنة، وهو خمس يوم وسدس
 يوم، فتصير السنة ثلثمائة يوم وأربعة وخمسين يوماً وخمس يوم وسدس يوم مفترقة^(١)
 في ثلاثين سنة، ويجعلون الكيسة سنة بعد سنة ثم سنة بعد سنتين، ثم سنة بعد
 سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائس هي: الثانية، والخامسة،
 والسابعة، والعاشر، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة، والثامنة عشرة، والحادية
 والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين. فتكون
 كل سنة منها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوماً، ويجعل الزائد فيها في ذى الحجة، فيكون
 فيها ثلاثين يوماً وباقى سنى الثلاثين بسائط، كل سنة منها ثلثمائة وأربعة وخمسون
 يوماً، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوماً، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاماً
 وشهر ناقصاً .



وأما التاريخ الفارسي: وهو الذى مبدؤه من هلاك زدهرد، فقد تقدم فى الكلام
 على الشهور أن سنى القروس اثنا عشر شهراً، كل شهر منها ثلاثون يوماً . وهى :
 افرودين ماه، أردبهشتاه، حردادماه، تيرماه، تردماه، شهر رماه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا فى الأصول وعبارة الضوء ص ١٥٦ " ويجتمع من هذا الخس والسدس يوم فى كل ثلاث
 سنين فتصير السنة ثلثمائة وخمسة وخمسين يوماً وبقى من ذلك بعد اليوم الذى اجتمع نبي . فيجتمع منه ومن
 خمس اليوم وسدس فى السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن بين الكسر أحد عشر يوماً عند تمام الثلاثين
 سنة وتسمى تلك السنين بجائس العرب" وهى أوضح .

أدرماه، ذى ماه، بهمن ماه، اسفندارماه . وبين أبان ماه وأدرماه خمسة أيام تسمى المستترقة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول لاستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب تعرفه بعد ذلك أن تعلم أن التاريخ السرياني والرومي سنونه سريانية أورومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ القبطي سنونه قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين القبطية من الأيام والكائنات ، والتاريخ العربي سنونه عربية فيكون على ما تقدم في السنين العربية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ الفارسي سنونه فارسية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيسة فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فانظر التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربي مثلاً عند الإسلاميين فاجعل السنين الساتمة من التاريخ المعلوم أياماً ، وزد عليها ماضياً من السنة المكسورة من الشهور والأيام إلى اليوم الذي تريد أن تعلم موافقته لثله من التاريخ المجهول ، ثم أنظر : فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فاقص من أيام التاريخ المعلوم ما بين التاريخين من الأيام فابق فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ المجهول أقدم ، فزد ما بين التاريخين من الأيام فابق فهو أيام التاريخ المعلوم ، فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصها منه على ما تقدم ، فاجعل ما حصل معك من أيام التاريخ المجهول الذي تريد استخراجها ، فما كان فهو السنون الساتمة

للتاريخ الذي تريد استخراجه ، فإن بقي شيء من الأيام بعد الستين التامة ، فخذ منها لكل شهر عدد أيامه ، وما بقي من الأيام ثوب شهر فهو الماضي من أيام الشهر الذي يلي ذلك .

مثال ذلك إذا أردت ان تستخرج التاريخ السرياني أو الرومي الموافق لآب حري سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السرياني والرومي مبدؤه من غلبة الإسكندر على الفرس ، وهو قبل الهجرة بتسعمائة سنة وأثنتين وتلاثين سنة ومائتين وسبعة^(١) وثمانين يوما ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضي من سني الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياما ، بأن تضرب الثمانمائة في عشرة آلاف وستمائة وأحد وتلاثين يوما ، وهي بسط السنة العربية من حين كسرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ، فاقسمه على ثلاثين وهي مخرج الكسر الذي هو الخمس والسدس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ، فأضفه على ما بين غلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام ستين سريانية ، بأن تضرب تلك الأيام في أربعة ، يحصل منها ألفا ألف وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفا وسبعائة وأثنان وسبعون يوما ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعائة وثمانية ، وهي سنون تامة ، ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذي تقدم له "مائتين وتسعين يوما" .

يخرج ثلاثمائة وستة وأربعون يوماً ، يكون ذلك أحد عشر شهراً ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوماً من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقاً لليوم الحادي عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطي لآخر سنة ثمانمائة ، فقد تقدم أن التاريخ القبطي ابتدأه من ملك دقلطيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلاثمائة وسبع وتلاثين سنة وثلاثمائة وعشرين يوماً ، وحلة أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فأضيف أيام الماضي من سني الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفاً وأربعمائة وثلاثة وتسعون ألفاً ماتقدم في التاريخ السرياني [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ، فأجعله سنين قبطية ، بأن تضرب ذلك في أربعة ندد يخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وستمائة ألف وسبعة وعشرين ألفاً وستمائة وثمانية ، ناقسه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية النامة ، وسبقاً بعد ذلك أربعة وخمسون ، فاقسمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهي أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقاً لرابع عشر شهر توت سنة ألف ومائة وخمس عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المقام وهي مرادة للؤلف .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لآخر سنة الثمانمائة المذكورة ، فقد تقدم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشرين وثمانين يوما ، وجملة أيامه ثلاثة آلاف يوم وثمانمائة يوم وأربعة وعشرون يوما ، فأسقطها من الحاصل من أيام النبي ، الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي ألف وتسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وتسعة وستين يوما ، فأقسمها على ثلثمائة وخمسة وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية التامة ، وبفضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوما ، نخذ لكل شهر عدد أيامه : وهو ثلاثون يوما وبيتي تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة في آخر أبان ماه المعروفة بالمستقرة ، يبقئ أربعة أيام من شهر ذى ماه : وهو الشهر العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقا لليوم الرابع من ذى ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة سنة أشهر مثلا ، فأجعل الأشهر شهرا تاما وشهرا ناقصا على ما تقدم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوما فأضفها على أيام الثمانمائة ، وأفعل فيها ما تقدم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ السرياني في آخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام ستة أشهر على أيام الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلاثمائة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثمائة وتسعون ، يكون المجموع مائتي ألف وثلاثمائة وثمانين ألفا وستمائة وستين يوما ، فأضف إليه ما بين الهجرة والتاريخ السرياني : وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة ، يحصل

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وسبعون ، فاضربه في أربعة يخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، ويفضل من الأيام مائة وثمانية وخمسون يوماً ، تكون سابع أذار من شهور السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أذار سنة ألف وسبعمائة وعشر من سني السريان .

قلت : وفي كتب الرّيجات وغيرها طرق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وجدة أول موضوع لا يَحتملها هذا الكتاب فليراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والدواة " :
 رَسَمُوا تاريخَ الكتب في آخرها ، وجعلته العامة في صُدورها . والتحقيق في ذلك ما ذكره صاحب " مواد البيان " وغيره أن الكُتُب التي تُوْرخ على ضربين :

الضرب الأول — الكتب السلطانية ، ولها حالان :

الحالة الأولى — أن يكون الكتاب في أمر نشوْف النفوس إلى معرفة اليوم الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والنشوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرّخ الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كتاب أمير المؤمنين إليك ، أو كتابنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يُكْتَب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون الكتاب في أمر لانشوْف النفوس إلى معرفة اليوم الذي يقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرّخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني — كُتِب الأتباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُورِّخ في صدرها . قال في "موادّ البيان" : وذلك مثل أن يقال :
كتب العبدُ من مَقَرِّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي استقرَّ عليه حالُ كُتَّابِ الزمانِ كتابَةُ التاريخِ في آخرِ الكتابِ بكلِّ
حالٍ ، سواءً كانَ المكتوبُ ولايةً أو مكتابةً أو غير ذلك ؛ ولعلَّ الولاياتِ
وما في معناها لم يقع الاختلافُ في كتابتها في آخرِ المكتوبِ في زمنٍ من الأزمانِ .



وأما صورةُ وضعِ التاريخِ في الكتابةِ ، فقد أصطلح الكُتَّابُ على أن يجعلوا التاريخَ
بعد كتابةِ إن شاء الله تعالى في سطرين : فيكتبون « كُتِبَ في كذا من شهر كذا »
في سطرٍ ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطرٍ تحته ؛ وفي الكُتُبِ عن قضاةِ القضاةِ
يُعملُ كُتَّابُهُم جميعَ التاريخِ في سطرٍ واحدٍ .

الطَّرْفُ الثَّالِثُ

(في المستندات ، وفيه جملتان)

الجُمْلَةُ الْأُولَى

(في صورة ما يُكْتَبُ ، وهو على ضربين)

الضَرْبُ الْأَوَّلُ

(أن يُضَافَ إلى مرسومِ السلطانِ ، وله خمسُ حالات)

الحالة الأولى — أن يكونَ بتلقُّ كاتبِ السرِّ ، إما بما يأمرُ به السلطانُ عند قراءته
القصةِ عليه ، أو بما يكتبُه كاتبُ السرِّ ويخصِّيه من نفسه ، كما في خلاصِ الحُقُوقِ
ونحوها ؛ فيكتب فيه « حَسَبَ المرسومِ الشريفِ » في سطرٍ واحدٍ لا غير .

الحالة الثانية — أن يكون بتلق كاتب السر أو أحد من كتّاب الدت بدار العدل ، عند جلوس السلطان في المواكب بالإيوان وقراءة كتاب السر وتُحَاب الدت قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون في السطر الأول « حسب المرسوم الشريف » والباقي في السطر الثاني .

الحالة الثالثة — أن يكون برسالة الدوادار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرا واحدا ، ثم يكتب تحته « برسالة الجتاب العالى الأميرى الدوادار ، الفلانى » باللقب المضاف إلى الملك كالتاميرى ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأول « الأميرى الفلانى » .

الحالة الرابعة — أن يكون من ديوان الخاص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخاص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، وبقى الكلام سطرا .

الحالة الخامسة — أن يكون بخط السلطان بظاهر قصية . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بانخط الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا على ما تقدم ، وما بعده سطرا .

قلت : ومما يجب التنبه له أن لفظ حسب الواقع في المستندات مقول اللغة فيه بفتح السين كما نقول : فعلت ذلك حسب أمرك ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه علماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهري في « صحاحه » من جواز تسكينها في ضرورة الشعر ، على أن جعل كتّاب الزمان يغفلون في ذلك فلا يتطقون بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك في الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يجعل مستندة الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب « بالإشارة العالية الأيمرية الكبيرة الكافية ، كافل الممالك الشريفة الإسلامية ، أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الكافية الفلانية .

الحالة الثانية — أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب « بالإشارة العالية الوزيرية الفلانية ، مذبّر الممالك الشريفة أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة — أن يكون بأشارة الإستدار . فيكتب « بالإشارة العالية الأيمرية الكبيرة الفلانية ، إستدار العالية ، أعلاها الله تعالى ! » سطرين ، ويكون آخر السطر الأول الكبيرة الفلانية . وقد تقدم في الكلام على الألقاب ماجرى عليه الكُتاب في لفظ إستدار من التحريف ، واستعملوه بلفظ إستادار ، أو استاد الدار ، وتجب موافقتهم عليه وإن كان خطأ جرأ على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكُتاب على أن يُكتب المستند في الغالب بعد التاريخ ، ويكون الطرف أو الجازر والمجورور فيه متعلقاً من التاريخ بلفظ كُتب ، وكأنه يقول : كُتب في تاريخ كذا ، حسب الأمر الشريف ، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بحاشية المكتوب في المراسم الصغار التي تُكتب على ظهور الفِصص ونحوها ، وكذلك

أوراق الطِّريق؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين أخذاً من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخرُ كتابة المستند مسامتاً للسطر الأول، فإن كان «حَسَب المرسوم الشريف» فقط، كتبه سطراً واحداً، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَب المرسوم الشريف» سطراً، ومن «دار العدل الشريف» سطراً تحته، وكذلك إن كان «من ديوان الخصاص» كما يُكْتَب في أسفل الكتاب. وإن كان برسالة الدوادار، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَب المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطراً واحداً، ويكتب «رسالة الجناب العالي، الأُميرى، الكيرى، الفلافى، الدوادار، المُلافى ضاعف الله تعالى نعمته!» بالهامش في المحل المتقدم سطرين كما كان يُكْتَب بآخر الكتاب. وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بحاشية الكتاب في المحل المقدم ذكره سطرين على ما تقدم بيانه.

الطرف الرابع

(في الجملة في آخر الكتاب، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابتها)

والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحاً للأمر تيمناً بالافتتاح به، جعله ختاماً لها تيمناً بالاختتام به قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّت قدرته: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَنزَلْ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال: «أَيُّونَ نَائِبُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». قال السهيلي: ومن ثم سُمِّي النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتَّابُ على آخِتامِ الكُتُبِ بالحمدِ تبرُّكاً . قال ابنُ شيث في "معالم الكتابة" : ولا يُحْتَمُّ بالحمدِ لله في التواقيعِ في المَظَالِمِ ؛ وربما حُتِّمَ بها في تواقيعِ الإطلاقاتِ . وقد أصطلح كُتَّابُ الزمانِ على حذفها من آخرِ مالا تُكْتَبُ في أوله البسملةُ : كالتواقيعِ الصُّغارِ ونحوها ، على ما سياتي في موضعه إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُشيرون بذلك إلى أن مثل ذلك لا يهْتَمُّ بِشأنه ، فكما حذفوا البسملةَ من أولها حذفوا الحمدَ من آخرها إشارةً إلى عدمِ الأهتمامِ بها كما حذفت من أولِ الكلامِ الذي لا يهْتَمُّ به لأجل ذلك على ما تقدم بيانهُ .

المسألة الثانية

(في بيان ما يُكْتَبُ وصورة وضعه في الكتابة)

أما ما يُكْتَبُ ، فقد أصطلحوا على أن يكتبوا في حَمَلَةِ آخرِ الكتابِ « الحمد لله وحده » وربما كتبوا : « الحمد لله رب العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها لكان أولى . فقد ذكر النووي في كتابه "الأذكار" أنها أفضلُ صيغِ الحمدِ ومن أجل ذلك أفصحَ بها فاتحةُ الكتابِ التي هي أمُّ القرعانِ .



وأما وضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعد كتابة المستند عن يمينه الدُّرَجِ ، على بُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى والسطرِ الآخِرِ من المكتوبِ . قال في "معالم الكتابة" وقد تحتل الخروج عن سَمَتِ السُّطورِ .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ،
وما يلحق بذلك ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتاب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب في الكلام على الفوائج أنه كما ذكرت في أوائل الكتاب تبرُّكاً ، كذلك ذكرت في آخرها تبرُّكاً . وقد قال تعالى في حقَّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فإن معناه ما ذكرتُ إلا ذكرتُ ميمى ، ولما اختتمت الكتاب بالحمد لله ، ناسب أن يُقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمعاً بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن «صلى الله على عهد» .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والصَّحْبِ بعده صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مر في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب .

قلت : فلو كتبت كتاب لسلطان أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكفر ، فهل يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يؤتى بها في الكتاب إلى المسلم

(١) في الأصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وبعبارة الضوء على ما مر في الفوائج ، وهو أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، أو لا يُؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حصوله في يد كافر . كما يمنع من السفر بالمصحف إلى بلاد الكُفر ؟ لم أر من تعرض له ، والظاهر أنه يُؤتى بها إرغاماً للكافر ، ومواجهة له بما يكره .

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : أن عبد الملك بن مروان حين أحدث كتابه سورة الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدرهم ، كتب إليه ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم ، فاتركوه وإلا أتاكم في دنائيرنا ذكر مانكرهون ، فعظم ذلك في صدر عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك ، وكان أديباً عالمياً فقال له خالد : فرخ روعك يا أمير المؤمنين ، حرم دنائيرهم وأضرب للناس سكتاً فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تُنفهم مما يكرهون في الطوامير ، ففعل .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في التصلية في آخر الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما صورة ما يكتب ، فقد أصطاح الكتاب على أن يكتبوا في التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » . وهي صيغة مستحسنة للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع ، والجمع بين الصلاة والسلام ، وإتيان الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على الآل والصحاب . وربما أتى بعض الكتاب بالصلاة بلفظ الأفراد ، فيكتب وصلاته .

(١) أي أذهب فرعك وربعك ، ووقع في الأصول فرج بالجم وهو تصحيف .

وأعلم أن الصلاة يجوز كتابتها بالألف على هذه الصورة "الصلاة" ويجوز كتابتها بالواو على هذه الصورة "الصلوة" إلا أن محل ذلك ما إذا لم تُضَف إلى ضمير نحو صلواته وصلاتك . فإن أُضِيفَت إلى الضمير تعيُنَت كتابتها بالألف دون الواو ، وربما غَلِطَ فيها بعضُ الكُتَّاب فكتبها بالواو .



وأما موضعها في الكتابة ، فقد أصطلحوا على أن يكتبوا ذلك بِلَوِّ الحمد لله وحده ، بفضل بياض بينهما لتكون الحمدلة في أول السطر ، والتصلية في آخره .

الطرف السادس

(في الحسبة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل كتابتها)

والأصل في ذلك ما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ بفعل قولهم : حسبنا الله ونعم الوكيل سببا لحسن المنقلب والصون عن السوء . وقد قيل : من قال حسبنا الله ونعم الوكيل لم يخب في قصده .

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في ذلك ، وكيفية وضعه في الكتابة)

أما ما يكتب ، فقد أصطلح الكُتَّاب على أن يكتبوا «حسبنا الله ونعم الوكيل» بلفظ الجمع ، على أن المتكلم يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمة ، لأن الجمع للتعظيم : لأنه

ليس بلائق بالتمام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِي اللهُ» بلفظ الوحدة فراراً من التَّبَسُّ في لفظ الجمع بين التَّعْظِيم والجمع الحَقِيق . وقد أشار في «صناعة الكُتَّاب» إلى بعض ذلك . قال ابن شيث في «معالم الكتابة» : وقد ينادب الأذنى مع الأعلى ، فيأتي بالآية على نصها فيقول : (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فراراً من نُون الجمع التي هي للعظمة . قال : وقد يقال في مكانها : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ثم قال : فأما الأعلى إذا كَتَبَ للأذنى فلا يخرج عن «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» . ثم بعض الكُتَّاب قد يكتب مع الحَسْبِيلة واواً بأن يكتب : وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، ولا معنى للواو هنا ، إذ لا علاقة بين الحَسْبِيلة وما قبلها حتى يسوغ المَطْفُ عليه ، فالواجب حذفها كما تبه عليه الشيخ جمال الدين بن هشام في «ورقائه في الوراقاة» .



وأما موضع وضعها في الكتابة ، فقد اصطَلَحُوا على أن يكتبوها سطرًا واحدًا بعد سطر الحمدلة والتصاية ، ويكون بينهما في البُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى وبين السطر الآخر من البياض . قال ابن شيث : وموضعها ثلثُ السطر من الجانب الأيمن إلى حيثُ ينتهي .

وأعلم أن الكُتَّاب قد اصطَلَحُوا على أن يكتبوها تحت الحَسْبِيلة صورة حاء لطيفة منكبة على هذه الصورة «حر» ولا معنى لها ، إذ هي في الأصل إشارة إلى الحَسْبِيلة نفسها ، وكأنَّ بعض الكُتَّاب كان يكتبها بها عن الحَسْبِيلة ، ثم التَّبَسُّ ذلك على بعض الكُتَّاب فأنبتها مع الحَسْبِيلة على ظَنِّ أن فيها قدرًا زائدًا عليها ، ويحتمل أنها إنما وُضِعَتْ في الأصل لسد البياض كما يكتب بعض التوائر لسد البياض أو الفصل بين الكلامين وغير ذلك .

الطرف السابع

(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول

(في النسب إلى الترتيب)

لا نزاع في أن ترتيب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرمل ونحوه عليه مطلوبٌ ،
وفيه معنيان :

المعنى الأول - التبرُّك طلباً لتُجْعَ القصد ؛ فقد روى محمد بن عمر المدائني
في كتاب "القلم والدواة" بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهيب عن هشام بن خالد
وهو أبو مروان الأزدي ، عن يقية بن الوليد ، عن عطاء ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تَرَبُّوا الْكِتَابَ وَنَحْوَهُ مِنْ أَسْفَلِهِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ
لِلْبَرَكَةِ وَأَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ " . وفي حديث " إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ كِتَابًا فَلْيَتَرَبَّهُ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ
وَهُوَ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ " .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ^(١) تَرَبُّوا الْكِتَابَ تَجَحُّوا .
ويؤيد ذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابين إلى أهل قريتين
فقرَّب أحدهما ولم يُقرَّب الآخر ، فأسأمت القرية التي تُرَّب كتابها . وهذا المعنى
موجود في المكاتبات والولايات وغيرها لطلب البركة والتَّجَاح في جميع ذلك .

(١) رواية كتب اللغة "أزبوا الكتاب" .

وقد حكى ان أبادُثمان مريض مَرَضاً أَشْفَى فِيهِ ، فَأَوْصَى وَأَمَّلَى وَصِيَّتَهُ عَلَى ابْنِهِ ، فَكَتَبَهَا وَأَتْرَبَهَا نَقَالَ : نَمَّ تَرَبُّهَا فَإِنَّهُ أَنْجَحٌ لِلحَاجَةِ . وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَكْتُوبُ قَدْ جَفَّ أَمْ لَا : لِأَنَّ الْقَصْدَ إِنَّمَا هُوَ النُّجْحُ وَالبَرَكَةُ .

المعنى الثاني في التَّجْفِيفِ لما كتبه بطَرَحِ التُّرَابِ عَلَيْهِ كى لَا يَمْتَحِي بِمَا يُصِيبُهُ قَبْلَ الحَقَافِ ، وَهَذَا الْمَعْنَى أضعفُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَمَقْتَضَاهُ أَنَّهُ إِذَا جَفَّ الكِتَابُ لَا يُتْرَبُ ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ كُتَّابِ الزَّمَانِ . وَمِنْ هُنَا يَضَعُونَ التُّرَابَ عَلَى آخِرِ الكِتَابِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَقْرَبُ عَهْدًا بِالكِتَابَةِ فَيَحْتَاجُ إِلَى التَّجْفِيفِ ، بِخِلَافِ أَوَّلِ الكِتَابِ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ جَفَّ عِنْدَ نِهَآيَةِ الكِتَابِ غَالِبًا ، لِاسْمِآ فِي الزَّمَنِ الحَازِ ، أَوْ مَعَ طَوْلِ الكِتَابِ وَأَمْتِدَادِ زَمَنِ كِتَابَتِهِ . عَلَى أَنَّ صَاحِبَ " مَوَادِّ البَيَانِ " وَغَيْرَهُ مِنْ قُدَمَاءِ الكُتَّابِ قَدْ صَرَّحُوا بِأَنَّهُ يَسْتَحَبُّ وَضْعُ التُّرَابِ أَوَّلًا عَلَى البَسْمَلَةِ ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالكِتَابِ مِنْهَا عَلَى سَائِرِ الْمَكْتُوبِ لِيَمَّ الكِتَابَ بَرَكَةً البَسْمَلَةِ . وَقَائِلُ أَنَّ يَقُولُ إِنَّ التَّرْبِيبَ مِنْ آخِرِ الكِتَابِ إِلَى أَعْلَاهُ لَا يَحِلُّ أَيْضًا مِنْ بَرَكَةٍ ، مُلَاسِمَةُ التُّرَابِ أَوَّلًا الحَدِيثَةَ وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالحَسْبَةَ . وَرَبْمَا يَلْتَقِ بِالتُّرَابِ مِنْ أَسْفَلِ الكِتَابِ إِلَى البَسْمَلَةِ ثُمَّ أعَادَهُ فَيَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ البَرَكَتَيْنِ .

الأمر الثاني

(فَمَا يُتْرَبُ بِهِ الكِتَابُ)

وقد أصطلح كُتَّابُ الزَّمَانِ عَلَى التَّرْبِيبِ بِالرَّمْلِ الْأَحْمَرِ . أَمَا لِمَخْصِيصِهِمُ التَّرْبِيبَ بِالرَّمْلِ فَلِأَنَّهُ لَا غِبَارَ فِيهِ يَتَلَقَّى بِالكِتَابِ فَيُذْهِبُ بِهَيْجَةِ الوَرَقِ . وَأَمَا اخْتِيَارُهُمُ الْأَحْمَرَ دُونَ غَيْرِهِ فَلِأَنَّهُ أَهْيَجُ إِذَا لَصِقَ بِالكِتَابِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيِّ : وَكَرِهُوا وَهَبُوا

عن تراب الحيطان، ومأوا إلى الفشارة والأشنان . نال : وبإفنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يُتَرَّب الحديث بالصنديل ويقول : لا أطرح على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حَبِوَةٌ بن شَرِيح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيدقه ويثمله فيترَّب به . وقد صرح الرافعي وغيره من أصحابنا الشافعية أنه يحرم التريب من جدار الغير، ومعناه ظاهر لما فيه من الاغتصاب والإعتداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملاً يُؤْتَى به من صحراء مَارِدِينَ ، فيه سُدُورٌ صُفْرٌ كَشْدُور الذهب ، يلقي في الرمل الأحمر فيترَّب به الأمراء والوزراء ومن في معانهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه)

قد نَصَّوا على أنه إذا قرع الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أقوله إلى آخره ويتبع ألفاظه ويتأمل معانيه ويصلح منها مالهه وهم فيه الفكر أو سبق إليه القلم : ليسلم من قذح القاذح وطعن الطاعن . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتبني بنظر الكاتب في ذلك ، بل يكمله إلى نظر كاتب كامل ينصبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتقح الكتاب ويتهدب .

المقالة الرابعة

في المكتبات ، وفيها بابان

الباب الأول

(في أمورٍ ثَلَاثَةٍ في المكتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقدمات المكتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في أصول يعتد بها الكاتب في المكتبات)

ويتعلق المقصود منها بعشرة أصول :^(١)

الأصل الأول

(أن يأتي الكاتب في أول المكتبة بحسن الافتتاح المطلوب في سائر أنواع

الكلام : من ترويضٍ مما يوجب التحسين : ليكون داعيةً لا سماع

ما بعده ، على ما تقدم بيانه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)

ويرجع حسنُ الافتتاح في المكتبات إلى معنيين .

المعنى الأول — أن يكون الحسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به . إما بالافتتاح بالحمد لله

كما في بعض المكتبات : لأن الشمس تتشرف إلى البناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي

جعله الشارع مفتتحاً لخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب

(١) المدود اثنا عشر كما سنقف عليه .

إليه : من تقييل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك ، فإن أمر المكاتبات مبنى على التعلق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتدآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين : من سؤولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى من عصى عليه ، مفتتحا كتابه بقوله : ” كِتَابِي إِلَيْكَ ، وَأَنَا مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ طَمَعِ فَيْدٍ وَإِيَّاسِ مِنْكَ ، وَإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَإِعْرَاضِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ تُدَلُّ بِسَالِفِ خِدْمِ أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِعَايَةَ ، وَبِقَتْنِ مَحَافِظَةٍ وَعَيْنَايَةَ ، ثُمَّ تَسْقُمُهَا بِمَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُدْبِعُهَا بِأَيْفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، أَدْنَى ذَلِكَ يُحِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيُسْقِطُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن ملكه إلى من عصى عليه ثم عاد إلى الطاعة كتابا أفتتحه بقوله : ” أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَابُكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَنْعَمَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ، وَلِكِنَّا يَا وَهْبُ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْإِشْرَافِ عَلَى سِرَازِرِ الرِّيَاسَةِ ، وَالْحِفْظِ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ، نَأْمَلْنَا مِنْ سَاسِ جِهَتِكَ قَبْلَنَا ، فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ نَحْرَفَاءَ ، وَعَيْنَ خِدْمَتِهِ عَوْرَاءَ ، وَقَدَّمَ مَدَارَانَهُ سَلَاءً : لِأَنَّهُ مَالٌ عَنْ تَرْغِيكَ فَلَمْ تَرْجُهُ ، وَعَنْ تَرْهِيكَ فَلَمْ تَحْشَهُ ، فَأَذْنُكَ حَاجِبُكَ إِلَى طَلَابِ الْمَطَاعِمِ الدُّنْيِيَّةِ ، وَقَلَّةُ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الْوَيْبِيَّةِ “ ونحو ذلك من الافتتاحات البهجة ، والابتدآت الراقية ، مما ستقف على الكثير منه في خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الأصل الثاني

(أن يأتي في ابتداء المكاتب براءة الاستهلاك المطلوبة

في كل فن من فنون الكلام)

بان يأتي في صدر المكاتب بما يدل على تجزئها . فإن كان الكتاب بفتح ، أتى في أوله بما يدل على التهنئة . أو بتعزية ، أتى في أوله بما يدل على التعزية . أو في غير ذلك من المعاني ، أتى في أوله بما يدل عليه : ليعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه . كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : "أما بعد حمد الله خالق الأنعام ، في بطون الأنعام " . وفضل الكُتَّاب وأتمهم يستنون بذلك كل الاعتناء ، ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، ونقصا في الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأمير في المنل السائر قد عاب أبا إسحاق الصابي على جلالة قدره في الكتابة ، وأدبته له بالتقدم في الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بغداد وهزيمة الترك فقال في أوله :

"الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد القريب ، العلي المحيد ، الذي لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا ينعت إلا برفع الثعوت ، الأزلي بلا ابتداء . الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ أمد محدود ، الدائم لا إلى أجل معدود ، الفاعل لا من مادة أنتتها ، الصانع لا بألة أستعملها ، الذي لا تدركه العين بالخطها ، ولا تحده الألسن بالفاظها ، ولا تخافه العصور بمروها ، ولا تهزبه الدهور بركورها . ولا تجاريه أقدام النظراء والأشكال ، ولا تراجمه مناكب القرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذي لا كف له ، والفرقد الذي لا قوم معه ، والحي الذي لا تنقرمه المتون ، والقيوم الذي لا تغفله الشؤون ، والقدير الذي لا تسوده المعضلات ، والخبير الذي

لا تُعيبه المُشكلات“ ثم قال : إن هذه الصميدة لا تُناسب الكتاب الذي أفتحه بها، ولكنها تصلح أن تُوضع في صدر مُصنّف من مصنّفات أصول الدين : كتاب “الشامل” للجويني، أو كتاب “الاقتصاد” للغزالي، وما جرى مجراها . فاما أن تُوضع في أول كتاب فتح فلا .

وأعلم أن براعة الاستهلال في المكاتبات قد تقع مع الإبتداء بالتحميد ، كما في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدم ذكره، وكما كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف ، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء ، ووقوع الصلح والاتفاق : ”أما بعدُ فالحمد لله ناظم السنين ، بعد شتائه ، وواصل الحبل ، بعد بنائه ؛ وجابر الوهن إذا انشلم . وكاشف الخطب إذا أنظلم“ .

وقد تقع مع الإبتداء بالتقيل : كما كتبت إلى بعض الرؤساء بشعر الإسكندرية ، ملوحاً إلى التعبير عنه بالثغر ، وعن الریح التي تهب عليه من جانب البحر بالمئتم ، وعن مُستنزه من مستزهاته بالرمل ، وعن المساكن التي به بالقصور مع قُربه من البحر ، ومُناسبة ذكر النسيم بالثغر بما صورته : ”يُقيل أرض تفر قدرق مئتمه ، وراق مئسمه ؛ باناً لشكر يعترف الرمل بالقصور عن حده ، وتقف أمواج البحر المحيط دون عده“ .

وقد تقع مع الإبتداء بالدعاء ، وتكون براعة الاستهلال في الدعاء المعطوف على المبتدأ به : بأن يكون الدعاء مناسباً للحالة المكتوب فيها ، كما نبه عليه صاحب “المثل السائر” وغيره ، وسيأتي الكلام على أمثلة ذلك فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(١) عبارة الصواب ” ويروح بذكر مستزه لم على البريسى بالرمل وماكن لم في ذاك المستزه تسمى القصور“ وهي أوضح .

(١)
ثم من المكتّبات ما يتسرّ معه الإتيان ببراءة الاستهلال فيما يلي ذلك من الكلام في مقدمة المكتبة قبل الخوض في المقصود ولا يهملها جملة . على أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عسر عليه براءة الاستهلال، أتى بما يقارب المعنى . وبكل حال فإذا أتى ببراءة استهلال في أول مكاتبتك أستصحها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحاً بخطبة ، وإلا أستصحها إلى الفراغ من مقدمة الكتاب الآتي بيأتها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتبة المشتملة على المقاصد الجليّة بمقدمة يصدر بها تاسيساً لما يأتي به في مكاتبتك)

مثل أن يأتي في صدور كتب الحثّ على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وإخذلان أعدائه ، وإعزاز الموحّدين ، وقمع الملحدين . وفي صدور كتب الفتح بإنجاز وعد الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهار دينه على الدين كله . وفي صدور كتب جباية الخراج ، يصدر بحاجة قيام الملك وأس السلطنة إلى الاستعانة بما يستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، ونحو ذلك مما يجري على هذا النمط مما سيأتي بيانه في مقاصد المكتّبات في الكلام على الابتداءات والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكاتب أن يختلي كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة يفتتحها بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ، ليوفّي التأليف حقه . قال

(١) لعله الاستهلال في ابتداءه فيأتي بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من بقية الكلام .

في "مواد البيان" : وعلى هذا السبيل حرت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفنوح ، والتهاني ، والتعازي ، والتهادي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحماد ، والإذمام ، وغيرها : ليكون ذلك بساطا لما يريد القول فيه ، وحجة يستظهر بها السلطان ؛ لأن كل كلام لأبد له من قرش يقرش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البنيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقه كل نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تشاكلها . ثم قال : والطريق إلى إصابة المرعى في هذه المقدمات أن يجعل مستملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض ، وأن يوضع للأمر الخاص مقدمة خاصة ، وللأمر العام مقدمة عامة ، ولا يطول في موضع الاختصار ، ولا يهصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المأخذ ، مُعاصرة على المتصفح . وذلك أن الكاتب ربما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق ، فخرج إلى الإملال والإشجار الذي تتبرم منه النفوس ، ولا سيما نفوس الملوك وذوي الأخطار الجليلة .

أما الأمور التي لا تشمل على المقاصد الجليلة : كرقاع التحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يجعل لها مقدمة تكون أمامها فإن ذلك غير جائز ولا واقع موقعه . قال : ألا ترى أنهم استحسّنوا قول بعضهم في صدر رُفعة مقترنة بحففة في يوم مهرجان أو نحوه : « هذا يوم حرت فيه العادة ، بأن تهدي فيه العبيد إلى السادة » وأستظرفوا الكاتب لإيجازه وتبريب المأخذ .

الأصل الرابع

(أن يعرف الفرق بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فيضعها في مواضعها)

قال في "ذخيرة الكتاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يعرف مرتبة الألفاظ ومواضعها : ليرتبها ويفرق بينها فرقا يققه على الواجب وينتهي به إلى الصواب ، فيخاطب كلاً في مكاتباته بما يستحقه من الخطاب ؛ فإنه قبيح به أن يكون خطاباً أولاً خطاب الرئيس للمرءوس ، ويُذيع ذلك بخطاب المرءوس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرءوس للرئيس ثم يتبعه بخطاب الرئيس للمرءوس .

قال : ومتى استمر الكاتب على هذه المخالفة من الألفاظ والمناقضة ، نقصت المعاني ، ورذلت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أحل من الصناعة بمُعْظِمِها ، وترك من البلاغة غايةً مُحْكَمِها . بل يجب أن يبدأ بخطاب الرئيس أو نظيره أو مرءوسه ، ويكون ما يتخلل مكاتباته من الألفاظ على أناسق إلى آخرها وأطرادٍ من غير مخالفة بينها ولا مُضادَّةٍ ولا مناقضة .

فمن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبه أو أصدرناها ، وبين أصدرت ، وبين صدرت . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ؛ للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صدرت المكتابة عنه ، إذ الشيء يُشرف بشرف متعلقه . وبلى ذلك في الرتبة أصدرت ، لاقتضاءها إصداراً في الجملة ، والإصدار لا بد له من مُصدر ، وذلك المُصدر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صدرت : لاقتضاء الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المُصدر أصلاً .

ومن ذلك الفرق بين «ونبدي لعلمه» وبين «ووضَّح لعلمه» : فنبدي لعلمه أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيء خفي ، والإيضاح يرجع إلى بيان مُشكِل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلَّ على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفي فإنه لا يتأخر إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرق بين «عليه الكرم» وبين «عليه المبارك» فالكرم أعلى من المبارك ، لأن في الكرم عملاقة أصل وشرف قد تُوجد في المبارك وقد تختلف عنه .

ومن ذلك الفرق بين «ومرَّسومنا فلان بكذا» وبين «والمَّرَّسوم له بكذا» : فرسومنا أعلى بالنسبة إلى المكتوب عنه لاشتماله على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصت بالملوك دون غيرهم ، بخلاف والمرَّسوم له بكذا فإنه دارج عن ذلك .
ومن ذلك الفرق بين «والمسؤول» وبين «والمستمد» : فإن المسؤول أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه ، فإن المسؤول يتضمَّن نوع ذلَّة بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «بلغنا» وبين «أنهى إلى علمنا» وبين «اتصل بنا» : فاتصل بنا أعلى من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتصال من اللاصق ، بخلاف الإنهاء ، وأنهى إلى علمنا أعلى من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان آحاد الناس .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عرفنا كذا» : فعرفنا أعلى بالنسبة إلى رافع الخبر ، لأن في التعريف مزيةً قُرب من الرئيس ، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبتك» وبين «وردت علينا مكاتبتك» : فوردت علينا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : لتخصيصها بالورود على الرئيس بخلاف الورود المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عرضت علينا مكاتبتك» وبين «وقفنا على مكاتبتك» فوقفنا أعلى بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه ، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وشكرت الله تعالى على سلامته» وبين «وتوالى شكري لله تعالى» : فتوالى شكري أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر المعذوق بالأحتمال .

ومن ذلك الفرق بين «ورغببت إلى الله تعالى» وبين «وضرعت إلى الله تعالى» : فضرعت أعلى من رغبت : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب ، بخلاف الرغبة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وقابلت أمره بالطاعة» وبين «وآمنتلت أمره بالطاعة» : فأمنتلت أمره أعلى من قابلت أمره ، لما في الإمتثال من معنى الإذعان والاقبياد ، بخلاف المقابلة .

ومن ذلك الفرق بين «وَشَقَعْتُ لَهُ» وبين «وَسَأَلْتُ فِيهِ»: فالسؤال أعلى في حق المسئول من الشفاعة: لما في الشفاعة من رفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة. ومن ذلك الفرق بين «وَحَاطَبْتُ فَلَانًا فِي أَمْرِهِ» وبين «وَتَحَدَّثْتُ فِي أَمْرِهِ»: فتحدتت أشد في نواضع المتكلم من حاطبت ، لأن الخطاب من الألفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدث .

ومن ذلك الفرق بين «تَشْرِيفِي بِكَذَا» وبين «إِسْعَافِي بِكَذَا» [وبين «إِتْحَافِي بِكَذَا»] فالإسعاف أعلى رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب ، بخلاف التشريف ، وإتحافي دون تشريفي لأن الإتحاف قد لا يقتضى تشريفا .

ومن ذلك الفرق بين قوله: «نَزَلَ عِنْدَهُ» وبين قوله: «نَزَلَ بِسَاحَتِهِ»: فالساحة أعلى لما فيها من معنى الفُسْحَةِ وَالْإِتْسَاعِ .

ومن ذلك الفرق بين «فُحِيطَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ» وبين «فَعَلِمَ ذَلِكَ»: فُحِيطَ عَلَيْهِ أَعْلَى مِنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ: لأن في قوله فُحِيطَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ نِسْبَتَهُ إِلَى سَعَةِ الْعِلْمِ: لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فَعَلِمَ ذَلِكَ .

(١) عبارة الضوء "لما في السؤال من معنى الذلة وما في الشفاعة من معنى الشرف" وهي أوضح .

(٢) الزيادة من الضوء وهي ساقطة من قلم الناح بدليل بقية الكلام .

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدعاء في المكاتبات ، فيدعو بكل دعاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بسنة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدعاء ليوقعها في مواقعها ، ويوردتها في مواردتها ، ويتأني ذلك في عدة أدعية .

(منها) الدعاء بإطالة البقاء ، والدعاء بإطالة العمر : فالدعاء بإطالة البقاء أرفع من الدعاء بإطالة العمر . وذلك أن البقاء لا يدل على مدة تنقضي لأنه ضد الفناء ، والعمر يدل على مدة تنقضي ؛ ولذلك يوصف الله تعالى بالبقاء ولا يوصف بالعمر . قال في "مواد البيان" : ومن هنا جعل الدعاء بإطالة البقاء أول مراتب الدعاء وخص بالخلفاء ، وجعل ما يليه لمن دوتهم . ويتلوه الدعاء بالمد في العمر ، فيكون دون الدعاء بالإطالة ، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمد فيه من حيث إن المد قابل للمدة الطويلة والمدة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المد .

(ومنها) الدعاء بدوام النعمة ، والدعاء بمضاعفتها : فالدعاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام ثابت استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدعاء بجز الأنصار ، وجز النصر ، وجز النصرة . وقد اصطلح مَن كتب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدعاء بجز الأنصار ، لأن جز أنصاره عز له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفع الشأن ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا للملك العظيم أو أمير كبير . والدعاء بجز النصر أعلى من الدعاء بجز النصرة : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبة من التأنيث . على أنه لو جعل الدعاء بعز النصر أعلى من الدعاء بعز الأنصار ، لكان له وجه : لما في عز النصر من الغناء عن عز الأنصار .

(ومنها) الدعاء بعز الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام : فالدعاء بعز الأحكام أعلى : لأن المراد بالتأييد التقوية ، فقد توجد القوة ولا عز معها .
وينبغي للكاتب أن يحتري في تنزيل كل أحد من المكتوب إليهم منزله في الدعاء ، فلا ينقص أحدا عن حقه ، ولا يزيدُه فوق حقه ، فقد قال في "مواد البيان" :
إن الملوك تسمع ببدرات المال ولا تسمع بالدعوة الواحدة .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليسة من الدعاء فيخصه به .

فيأتي بالدعاء في المكتبة للوك بإطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ، وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى الأمراء بالدعاء بعز الأنصار ، وعز النصر ، ومضاعفة النعمة ، ومداومتها وما شا كل ذلك . على أن ابن شيت قد ذكر في "معالم الكتابة" :
أن الدعاء بعز النصر ومضاعفة الأقدار كان في الدولة الأيوبية مما يختص بالسلطان دون غيره .

ويأتي في المكتبات للوزراء من أرباب الأقلام ومن في معانهم بالدعاء بسبوغ النعماء ، وتخليد السعادة ، ودوام العبد ، وما يضاها ذلك .

ويأتي في المكتبات للقضاة والحكام بالدعاء بعز الأحكام ، وتأييد الأحكام وما يطابق ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى التجار بالدعاء بمزيد الإقبال ، وتُخلد السعادة وشبه ذلك .
ويأتي في المكتبة في الإخوانيات ومكتبات النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
بينهم من الود والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدى إليه اجتهاده . قال
في "مواد البيان" : وقد كانوا يختارون في الدعاء للأدباء أبقاك الله ، وأكرمك الله .
وفي الدعاء للابن والحُرمة أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكُفْرِ فقد اصطَلَحُوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما في معناه . أما جواز
اصل الدعاء لهم فلما رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَسْقَى فَسَقَاهُ يَهُودِيٌّ ،
فقال له : بَحَلِّكَ اللهُ ، فما رَأَى الشَّيْبُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى مَاتَ ، فدلَّ على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضَرَّرَ فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قُوَّةٌ ونحو ذلك ، بل ربما كان
في طول بقائه حِمْلٌ جزية أو غنيمَةٌ أو ثوابٌ جهادٍ ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النحاس في "صناعة الكُتَّاب" : أَنَّ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِنَصْرَانِيٍّ : أَعَزَّكَ
الله ! فَعُوَّتِبَ فِي ذَلِكَ ، فقال

وأعلم أنه يجب مع ذلك أن يعرف مرتبة المكتوب إليه من الدعاء ، فيدعو بعزِّ
الأنصار لواحدٍ ، ويدعو بعزِّ النصر لمن دُونَهُ : لأنَّ عَزَّ الْأَنْصَارِ مُسْتَلْزِمٌ لِعِزِّ النَّصْرِ .
على أنه لو قيل : إنَّ عَزَّ النَّصْرِ أَعْلَى لكونه دعاءً لنفس الشيء بخلاف الدعاء بعزِّ
الأنصار فإنه دعاءٌ لشيء خارجٍ لكان له وجه . ويدعو بعزِّ النُّصْرَةِ لمن دُونِ مَنْ
يُدْعَى له بعزِّ النصر ، لأنَّ النصر مذكَّرٌ ورتبةُ التذكير أعلى من رتبة التانيث .

(١) بياض في الاصول بتدر كلتين ولم يورده في الضوء ولعل الشافعي استدل بالحديث السابق .

ويدعو بدوام النعمة لواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه^(١) ، لأن الصيغة تقتضى مزيداً على القدر الحاصل ، بخلاف الدوام فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال في "معالم الكتابة" : ولا يُكْتَبُ عن السلطان إلى أحدٍ ممن في ممالكه بلا زال ، ولا بريح ، بل يختص ذلك بملكٍ مثله . قال : ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائباً عنه في الملك . قال : وكذلك لا يدعوا الأعلى للأدنى بلا زال ، ولا بريح .

قلت : والذي استقر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لأكابر الثواب ، ويكتب به أكابر الذئولة بعضهم إلى بعض .

الثالث — أن يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكاتبات ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدعاء . قال في "مواد البيان" : ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب ؛ فإن كان في الغناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في العزاء كانت مشتقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكاتبات ، فإنه متى نرحح الدعاء عن المناسبة وابتدأ المقصود ، نرحح عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال العسكري في "الصناعتين" أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عَصَمْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِمَّا يَكْرَهُ . فكتبت إليه : يَا غَلِيظَ الطَّعْنِ ! إِنْ اسْتَجِيبَ لَكَ لَمْ تَنْتَقِ أَبَدًا .

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكاتبات : فإما تكون باعتبار الشيء المكتوب بسببه . كما يكتب في معنى الإشارة بجلوس المليك على تخت الملك : لا زال أمره ! وأمتعته من البشائر بما يتوهم على جبين الصباح بشره ، وما يترشح على ميزان الكواكب قدره ، وما يتفسيح من أوقات أمنٍ لا يختلف فيها زيده وعمره .

(١) صوابه "لمن فوقه" كما هو مقتضى التعليل بعد وكما يؤخذ من عبارة الفوه ص ٤٢٢ .

وكما يُكْتَبُ في البشري بفتح : ولا زالت آياتُ النعيم تُسَلَى عليه من مُحْفٍ
للإشارة، ونفاشُ الظفر يُجَلَى على يَمْرِهِ في أسعد طائرهِ، ونواحُ الفتح تُزْهِى به الأيسرَةُ
وتزجو بؤره المنَار .

وكما يُكْتَبُ في التهنئة بعافية ، ولا يرح في بُرد الصحة رافلا بعزْمِه وعزْمِه
كافلا، والإقبالُ لجنابه العالی بالهناء بعافيته وأصلا .
ونارة تكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصددِها .

كما يكتب لمن خرج إلى الغزو : وحفمه بلعافه فلا يجيب ، وهباله النعم والفتح
التقريب ، وجعل على يديه دمار الكُفَّار حتى لا يبقى لهم بشدة بأسه من السلامة
نصيب .

وكما يكتب إلى مَنْ خرج إلى الصيد : وأمتعته بصُيُوده ، وجعل الأندار من
جُوده ، وأراه من مصارع أندائه بسبويه ورماحه ما يراه من مصارع صيده بجزائه
وقهوده .

وكما يُكْتَبُ لمن خرج في سفر : وقضى بقرب رجعتهِ ، وجعله كالللال في مسيره
سبب رفعتهِ ، وسكن بقُدومه أشواق أوليائه وأهل محبتهِ .

وكما يُكْتَبُ لمن خرج لتخصير البلاد : وأبسن البلاد بقُدومه أخطر الأتواب ،
وأسله أشرف محل وأخصب جناب .

ونارة تكون باعتبار وظيفة المكتوب إليه التي هو قائم بها

كما يُكْتَبُ إلى كافل الملكة : ولا زالت كفاية كفايته تزيد على الآمال ، وتتقرب
إلى الله تعالى بصالح الأعمال ، وتكفل ما بين أقصى الجُوب وأقصى الشمال .

(١) يباشر في الأصول بقدر كلمة ولعله ولا زال الزمان .

وكما يكتب إلى قاض : وفصل بين الخصوم بأحكامه المسدده، وأفضيته التي بها قواعد الإسلام ممهده، وأبنية الشرع المطهر وأركانته مشييده .

وكما يكتب إلى متصوف : وأعاد من بركات تهجداته ، وأنازل اللباني بصالح دعوته .

ونارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناجيته .

كما يكتب إلى نائب الشام : ولا زال النضر حلية أيامه وشامة شامه ، وعمامة مايجلئ على بلده المخلص من عمامه .

وكما يكتب إلى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يعدّ ليوم تسيب فيه الولدان، ويصعد دونه كلُّ مُحَارِبٍ بين الشبهاء والميئدان ، وهم حلب من حلى أيامه مالا يُفقد معه إلا أسمُ ابنِ حمدان ، ونحو ذلك مما يخطر في هذا السلك .

ونارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب إلى مَنْ لقبه سيفُ الدين : ولا زال سيفُه في رقاب أعدائه مُفمّدا ، وحده يذرُّ كلَّ مُلحدٍ مُلحدا .

وكما يكتب إلى مَنْ لقبه عزّ الدين : ولا زال عزّه دائماً ، والزمانُ في خدمته قائماً ، وطرفُ الدهر عن مراقبة سعادته نائماً .

وكما يكتب إلى مَنْ لقبه شمسُ الدين : ولا زالت شمسُ سعادته مُشرّقة ، وأغصان فضله بالعوارف مُورّقة ، وعيونُ طوارق الغيّر عنه في كلِّ زمنٍ مُطْرِقة .

وكما يكتب إلى مَنْ لقبه ناصر الدين : ونصر عزائمه ، وشكر مكارمه ، ووقر من الحسنات معاقمه . إلى غير ذلك من الأمور التي ستقف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكاتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع — أن يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه ، ومن الذي بصرح بذلك في المكتوبة إليه . قد ذكر ابن شيث في " معالم الكتابة " أن الدعاء على الأعداء في صدور الكتب كان من عوائد مكتبة الأذنى إلى الأعلى . مثل : وقصم ، وأذل ، وقهر ، وخضد . وكذلك المائل والمقارب ، فأما من الأعلى إلى الأذنى فلم يكن ذلك معروفا عند المتقدمين ، لاسيما إذا كان الكتاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أفلت الخليل في ذلك الآن [إلى أن] قال : ولا يقال للأذنى غير كتبت عدوه ، أو ضده ، أو حسوده خاصة .

ومنها ^(١) — أن يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرهوه في المكتوبة إلى كل احد)

قال في "مواد البيان" : كانت عادتهم جارية ان يتجنبوا من الأدعية مالا يتوصل له ، كقولهم : جعلني الله فداك ، وقدمني إلى السوء دونك : لما في ذلك من التصنع والمألوق الذي لا يرضاه السلطان ، لأن نفس الداعي لا تسمح باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عبد كان إلى بعض أصدقائه : جعلتُ فداك على الصحة والحقيقة ، لا على تجرئ المكتبة ومذهب العادة . قال في "مواد البيان" : وإنما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أن بقاءهم معدوق ببقاء رؤسائهم ، وثبات نعمهم مقرون بثبات أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكمة من بذل الأنفس دوتهم . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد نقل في "صناعة الكتاب" مشله عن مالك بن أنس ، واحتج له بما روى عن الزبير رضي الله عنه أنه قال

(١) عدوا في الضوء مرتبة خامسة وهو أنسب .

للنبي صلى الله عليه وسلم : « جُعِلْتُ فِدَاكَ - فقال له أما تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّتَكَ بَعْدُ ! »
 على أن بعضهم قد أجاز ذلك احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
 أُحُد : « أَرِمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ قَالَ نَعَمْ
 جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! » ولم يُنكر عليه ، ونحو ذلك ؛ وفي معنى ذلك كل ما يجري هذا
 المجرى ونحوه .

الضرب الثاني

(ما تختص كراهته بالبعض دون البعض ، وهو نوعان)

النوع الأول - ما يختص بالرجال ، فمن ذلك ما ذكره في " مواد البيان " : أنهم
 كانوا لا يستحسنون الدماء بالإمتاع نحو أمتع الله بك وأمتعني الله بك ، في حق
 الإخوان . ومما يُحكى في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب إلى عبد الله
 ابن طاهر في كتاب : وأمتع بك ؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَاهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ ؟ * أَمْ نِلْتِ مُلْكَ قِهْتِ فِي كَنِيكِ ؟

أَتَعَبْتَ كَفَيْسِكَ فِي مَكَاتِبِي * حَسْبُكَ مِمَّا زِيدَ فِي قَبِيكَ !

إِنَّ جَفَاءَ كِتَابِ ذِي مِقْيَةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ ، « وَأَمَّتْ بِكَ » .

فأجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذراً بقوله :

كَيْفَ أَخُونُ الْإِحَاءَ يَا أَمِي ؟ * وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَا لُ مِنْ سَبِيكَ !

إِنَّ بَكَ جَهْلُ أُنَاكَ مِنْ قَبِي ، * فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ أَدَبِي .

على أن في كراهة الدعاء للإخوان بذلك نظراً فسيأتي في الكلام على ترتيب المكتوبات على سبيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت]: اللهم أمتعي بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي سفيان، وبأخي معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى .

أما الدعاء بالإمتاع للائتياع، فقد أجازته جماعة من محققي الكتاب، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر: كُتِبَ بن عبيد الله بقوله «اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهِ» . قال ابن عفير: فكان آتراً هليل بدير وفاة، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

النوع الثاني - ما يختص بالنساء ، فقد ذكر «أبو جعفر النحاس» أنه لا يقال في مكاتبتهن «وأدام كرامتك» ولا «وأتم نعمته عليك» ولكن لديك، ولا «فضله عندك» ولا «وأدام سعادتك» . أما منع الدعاء لمن بالكرامة، فلما حكى محمد بن عمر المدائني أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتاباً بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه: أردت أن تدعونا فدعوت علينا، فأصلح خطاك في كتابك والإصرفة منك عن جميع أعمالك! . فادركه القلق، وجعل يتصفح الكتاب ويعرضه على الكتاب فلا يجد فيه شيئاً، إلى أن عرضته على بعض أهل المعرفة فقال: إنما كرهت دعائك في صدر كتابك بقولك: وأدام كرامتك: لأن كرامة النساء دفنهن - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «دفن البنات من المكرمات» فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادها إليها فوقعت له على ظهره - أحسنت ولا تعد . وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك، فكانه لما يلح فيه من ذكر العلو على النساء . وأما منع وأتم فضله عندك، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل .

(١) الذي في «خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للزرجي (كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو) ونحوه في تاج العروس مادة ي من ر .

الخامس — أن يتجَبَّب الخِلاف في الدعاء في فُصول الكتاب، ولا يُؤالَى بين دَعْوَتَيْنِ منه [متفتحين]. فأما الخِلاف في الدعاء، فقال أبو جعفر النحاس : هو مثل أن يقول أظال الله بقاء سيدي — بلفظ النيبية، ثم يقول بعد ذلك : وبلمنك أملك — بلفظ الخطاب . وأما المُوَالاة بين دَعْوَتَيْنِ ولا يأتي بهما متفتحتين، فقال في "مواد البيان" : هو مثل حرس الله الأمير أعزّه الله؛ ثم يقول في الفصل الذي بعده : أعزّه الله تعالى، وما أشبه ذلك .

السادس — أن يتجَبَّب وقوع اللبس في الدعاء . فإذا ذُكِرَ الرئيس مع عدوه مثلا، لم يدع للرئيس حينئذ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من عدو سيدي — أبقاه الله — كذا، لاحتمل عود الدعاء إلى الرئيس وإلى عدوه فيقع اللبس . أما إذا ذُكِرَ الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنتُ عرفتُ سيدي — أبقاه الله — كذا، فإنه لا آلباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)

ويتعلق الغرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها — أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول — المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالمقام، والمقر، والحناب، والتجلس — في زماننا؛ فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك؛ فيجعل المقام لأكابر الملوك . والمقر لمن دونهم من الملوك، وللرتبة العليا

(١) عبارة الضو، ص ٤٢٦ هكذا "وأما موالاته دعوتين، متفتحين فقل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول

في الفصل الذي بعده أعزّه الله تعالى" وهي أوضح .

من أهل المملكة . والجناب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة .
والمجلس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة . ويجلس الأمير لمن
دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب
والشعوت التابعة لذلك ؛ فيتبع كل واحد من الأصول بما يناسبه من الفروع .

الثالث — أن يعرف مقدار المكتوب إليه ، فيؤفه قسطه من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجرى عليه الاصطلاح . فقد ذكر في "معالم الكتابة" أن السلطان
لا يكتب في المكتبة إليه من نعوته ، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . أما غير ذلك فيقع باللقيين المشهورين : وهما نعمته المفرد ، ونعته المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كلما زيد في الشعوت كان أميراً ؛ لأنها على
سبيل التشريف من السلطان ، ويجعل المضاف إلى الدين متوسطاً بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يراعى مقاصد المكتبات ، فيأت لكل مقصد بما يناسبه)

ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول — أن يأتي مع كل كلمة بما يليق بها ، ويتخير لكل لفظة
ما يشاء كلها . قال ابن عبد ربه : وليكن ماتخيم به فصولك في موضع ذكر البلوى
بمثل : نسأل الله رفع المحذور ، وصرف المكروه ، وأشياء ذلك . وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصاً ،

والشكر لله واجبا ، وما شاكل ذلك . قال في " مواد البيان " : وإذا ذكر البلى شفعها بالاستعانة بالله تعالى والرجوع إليه فيها ، ورد الأمر إلى حوله وقوته . قال ابن عبد ربه : فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتفقددها ويتعقظ فيها ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه ، ويُعَلِّق كل لفظ على طبقه في المعنى .

ومما يلحق بذلك أيضا أنه إذا ذكر الرئيس في أثناء المكتبة ، دعا له ، مثل أن يقول عند ذكر السلطان : خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ . وعند ذكر الأمير الكبير : عَزَّ نَصْرُهُ ، أو : أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ . وعند ذكر الحاكم : أَيْدِ اللهُ أَحْكَامَهُ ، وما أشبه ذلك مما يجرى هذا المجرى .

الأمر الثاني — أن يتخطى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا أبلغه الحال إلى المكتبة بما لا يجوز كشفه وإظهاره على صراحته ، مما في ذكره على نصه هتك ستره ، أو في حكايته أطراح مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأدب في حقه ، كما لو أطلق عدوه لسانه فيه بلفظ فييح يسوءه سماعه . قال في " مواد البيان " : فيحتاج المنشى إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطيف في العبارة عن هذه المعاني ، وإبرازها في صورة تقتضى توفية حق السلطان في التوقير والإجلال والإعظام ، والتنزيه عن المخاطبة بما لا يجوز إمراره على سمعه ، وإيصال المعنى إليه من غير خيانه في طي ما لا غنى به عن علمه . قال : وهذا مما لا يستقل به إلا المبرز في الصناعة ، المتصرف في تأليف الكلام .

الأصل الثامن

(أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكتاتبات من اللسان
فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب) .
قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعين" : "أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك
مكتابة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد
على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب
إليهم بما يمكنهم ترجمته فكتب إليهم : " من محمد رسول الله إلى كسرى أبرويز
عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين)
فأسلم تسلم ، وإن آيتك فأنتم الجبوس عليكم " فسهل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الألفاظ غاية التسهيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نغم اللفظ لما عارف من قوتهم على
فهمه ، وعادتهم بسماج مثله ؛ فكتب لوائل بن حجر الحضرمي : " من محمد رسول الله
إلى الأقبال العباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : على النية
الشاة ، والنية لصاحبها ، وفي السبب الخمس ، لا خلطاء ولا وراط ولا شناق
ولا شقار ، ومن أجبني فقد آربني ، وكل منكر حرام " .

وقد ذكر العسكري أيضا في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك
من القران الكريم - فقال : قد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ،
أخرج الكلام تخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) وقوله : (إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) وقوله : (أَوَأَنْتِ السَّمْعُ وَوَسَّيْتِ) في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكا عنهم ، جعل الكلام مبسوطا ، كما في سورة طه وأشباهاها ، حتى إنه قلما نجد قصة بنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة ، لبعد فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

قال في "مواد البيان" : فيجب على الكاتب أن ينتقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلا لكل منها ، فإن أحكام الكلام تتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

قال : ولصحري الصدر الأول من الكتاب إيقاع المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر استعمل كتاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفصحى ، والمنية الجزلة ، بما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كتاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عدت في جملة الفضائل التي يُنابر على أفتانها ، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكتب تصدر إليهم ؛ وهم أهل الفصاحة واللحن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهمم تقاصرت عما كانت مقلية على نطلبه فيما تقدم من العلوم المقدم ذكرها ، وسُغلت بغيرها من علوم الدين ؛ ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستفاضة في أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لا يجارون تلك الطبقة

في الفصاحة والمعرفة بدلالات الكلام، فانتقل كتابها من اللفظ المتيسر الجزل، إلى اللفظ الرقيق السهل، وكذلك أنتقل متأخرو الكتاب عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخف، للمعنى المتقدم ذكره .

قال : وحينئذ ينسب للكاتب أن يُراعى هذه الأحوال، ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها، فإذا احتاج إلى إصدار كتاب إلى ناحية من النواحي، فليُنظر في أحوال قاطعتها : فإن كانوا من الأدباء البلقاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه، فليودع كتابه الألفاظ الجزلة، التي إذا حُلَّت بها المعاني زادت نغمة في القلوب، وجلالة في الصدور . وإن كانوا ممن لا يُفرق بين خاص الكلام وعامه، فليضمن كتابه الألفاظ التي يتساوى سامعوها في إدراك معانيها، فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه، ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى من كتبه : لأن الكلام البليغ إنما هو موضوع بإزاء أفهام البلقاء والفصحاء . فإما العوام والحشوة : فإنما يصل إلى أفهامهم الكلام العاطل من حُلِّ النظم، العارى من كسوة التأليف، فيجب على الكاتب أن يستعمل في مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة وأقربها من أفهام العامة والأمم الأعجمية إذا كتب إليهم .

ثم قال : فأما الكتب المعتدة عن السلطان، فإن منها كتب الفتوحات والسلامات ونحوها، وهي محتملة للألفاظ الفصيحة الجزلة، والإطالة القاضية بإشباع المعنى، ووصوله إلى أفهام كافة سامعيه من الخاص والعامة . ومنها كتب الخراج ويجابته وأمور المعاملات والحساب، وهي لا تحتمل اللفظ الفصيح، ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه، وإفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان عن نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانه من الخدسة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها الفصيحة التي لا تختمل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفاضح على سلطانه ، وهو غير جائز في أدب الملوك ، وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبتذلة الدائرة بين السوقة ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابله إياه بما لا يشبه رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهانى والتعارى ، فإنها تختمل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس : لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وتزيين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي ترعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا التجري ، ممن تشتمل بلاده على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالاستخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : حكّام أصغر البلدان واصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معانهم ، فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على تهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على ستن البلغاء .

الأصل التاسع

(أن يُراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيُعبر عن كل واحد منهما في كل مكتوبة بما يليق به ،

ويُخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه)

فأما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوب عنه خليفة ، فقد جرت عادة من تقدم من الكُتّاب بالتعبير عنه في الكُتُب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمير المؤمنين ، مثل أن يقال : فَجَرَى أَمْرُ أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وأَوْعَزَ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وأَقْتَضَى رأي أمير المؤمنين كذا ، ونَرَجَّحَ أَمْرُ أمير المؤمنين بكذا ، وتَقَدَّمَ أَمْرُ أمير المؤمنين إلى فلان بكذا ، وما شاكل ذلك . وربما صُبر عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حقّ المخالفين : وحَارَبُوا عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ ، أو وَمَنَعُوا نَجَاحَ السُّلْطَانِ وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفة ، على ما استقيف عليه في الكُتُب التي تُوردها في المكاتبات عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال ابن شيث في "معالم الكتابة" : وَيُخاطَبُ بِالْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَتَبَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ ، وَمَحَلِّ الشَّرَفِ . وذكر المَقَرِّ الشَّهَائِيَّ بن فضل الله في "التعريف" نحوه . فقال : وَيُخاطَبُ بِالِدِيْوَانِ الْعَزِيْزِ ، وَالْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، وَالْجَانِبِ الْأَعْلَى أَوْ الشَّرِيفِ ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَجْرَدَةً عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَمِرَّةً ضَيْرَ مَجْرَدَةٍ ، مَعَ مِرَاعَاةِ الْمُنَاسَبَةِ ، وَالتَّسْيِيدِ وَالْمُقَابَرَةِ . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخُضْعَانُ عن مخاطبة الخليفة نفسه ، وتَنْزِيلُ الخطاب منزلة مَنْ يخاطب

نفس الديوان ، والمعنى به ديوان الإنشاء ، إذ الكُتُب وأنواع المخاطبات إليه واردةٌ^١ وعنه صادرةٌ .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة نقلًا عن ابن حاجب النعمان في " ذخيرة الكتاب " إنكار هذه الاستعارات والمخترعات ، وسيأتي في المكتوبة إلى الخلقاء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المكتوب عنه ملكا ، فقد جريت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأقتضت آراؤنا الشريفة كذا ، وبرزت مراسيمنا بكذا ، ومرسومنا إلى فلان أن يتقدم بكذا ، أو يتقدم أمره بكذا ، وما أشبه ذلك . وذلك أن ملوك العرب كانوا يجرون على ذلك في مخاطباتهم ، بجريت الملوك على سبيلهم في ذلك . وفي معنى الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكُتَّاب ، ونحوهم من ذوى الأقدار العلية ، والأخطار الخليفة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمرا وناهيا ، إذا كتبوا إلى أتباعهم ومأمورهم ، إذ كانت هذه النون مما يختص بنوى التعظيم دون غيرهم . وشاهد ذلك من القران الكريم قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة مؤيدا للاختصاص له كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ وقوله : ﴿ نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ وغير ذلك من الآيات . قال في "معالم الكتابة" : وقد أخذ كُتَّاب المغرب بهذا مع ولأه أمورهم في الجمع بالميم نخطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل : أتم ، وفعلم ، وأمرتم ، وما أشبه ذلك .

(١) في الأصول والخوارج فهو متبع عرفا .

قلت : والأمرُ في ذلك عندهم مستمِرٌ إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غيرُ ما صُوِّر به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مرعوساً بالنسبة إلى المكتوب إليه كالتابع ومن في معناه ، فقال في "موادّ البيان" : ينبغي أن يحفظ في الكُتب النافذة عنه من الإتيان بِنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيمُ شأنِ المكتوبِ عنه مثل أن يقول : أمرتُ بكذا ، أو نهيْتُ عن كذا ، أو وعزّتُ بكذا ، أو تقدّمَ أمرِي إلى فلان بكذا ، أو أنهيَ إلى كذا ، أو خرجَ أمرِي بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يخاطبُ به الاتباعُ رؤساءهم ، بل يعدل عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدي إلى معناها مما لا عظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدتُ صوابَ الرأى كذا ففعلته ، ورأيت السياسةَ تقتضي كذا فأمضيتُه ، وما أشبه ذلك ، إن كان عرّفَ الكُتابَ على الخطاب بالناء ، وإلا قال : وجد المملوكُ صوابَ الرأى كذا ففعله ، ورأى السياسةَ تقتضي كذا فأمضاه ، وما يجري هذا المجرى .



وأما المكتوب إليه ، فقال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : ينبغي أن يعرف قدر المكتوب إليه من الرؤساء ، والنظرَاء ، والعلماء ، والوكلاء : ليُفرق بين من يكتب إليه «أنا أفعل كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعل كذا» (فأنا) من كلام الأشباه والإخوان ، (ونحن) من كلام المملوك ؛ ويفرق بين من يكتب إليه «فإن رأيت أن تفعل كذا» وبين من يكتب إليه : (فرائك) . قال في "موادّ البيان" : وذلك أن قولهم فإن رأيت أن تفعل كذا لفظُ النظرَاء والمساوين ، بخلاف فرائك ، فإنه لا يكتبه إلا جليلاً معظماً ؛ لتضمنها معنى الأمر والتقديرُ فرائك ، بخلاف فإن رأيت ، فإنه لا أمر فيه ، إذ يقال : فإن رأيت أن تفعل كذا فافعله . على أن الأخفش

قد أنكروا هذا على الكُتَّاب ، لأن أقل الناس يقول للسلطان : أنظر في أمري ، ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال . وذكر مثله في " صناعة الكُتَّاب " عن النحويين . قال في " مواد البيان " : و حُجَّة الكُتَّاب أن المشافهة تحتمل ما لا تحتمله المكتبة ، لأن المشافهة حاضرٌ يحضُر الإنسان لا يمكنه تقييده وترتيبه ، والمكتبة بخلاف ذلك ، فلا عُدْرَ لصاحبها في الإخلال بالأدب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يُكْتَبَ في أواخر الكتب : « وللاّراءِ العالِيَةِ فضلُ السُّمُوِّ والقُدْرَةِ إن شاء الله تعالى » . ودُونَ ذلك : « وللرأى السامِي حِكْمَهُ » ودونه : « والرأى أعلَى » . ودونه : « والرأى مَوْفِقٌ » وموفقاً بالرفع والنصب . ودونه : « ورأيه » للجلس : « ورأياها » للخصرة . قال : وربما قالوا : « فإن رأى مولانا أن يكون كذا وكذا أمر به أو فعل » إلا أنها لا تقوم مقام قوله : والرأى أعلَى . فإما لمن دُونَهُ فمحتمل . وذكر أنه كان مصطلحهم أن يقال في آخر كُتُبِ السلطان : « فاعلم ذلك وأعمل به إن شاء الله تعالى » . وأن أعيان أصحاب الأقلام كانوا يكتبونه إلى من دُونَهُمْ .

قلت : والذي استقر عليه الحال أن يُكْتَبَ في مثل ذلك : « وللاّراءِ العالِيَةِ مزيدُ العُلُوِّ » وأن تختم الكتابةُ للأكابر بمثل : « فتَحِيظُ عِلْمِهِ بِذَلِكَ » ولمن دُونِهِمْ : « فتَحِيظُ بِذَلِكَ عِلْمَهُ » وللاّصاغِرِ : « فليَعْلَمْ ذلك ويعتمده » ونحو ذلك . قال محمدُ ابنُ إبراهيم الشيباني : إن أحجبت إلى مخاطبة المُلوكِ والوُزراءِ والعلماءِ والكُتَّابِ والأدباءِ والخطباءِ وأوساطِ الناسِ وسُوقِهِمْ ، فخطبُ كَلِّا منهم على قدر أهبته وجلالته وعُلُوِّه وارتفاعه ورفطته وأتباعه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن ترعاها في مَراسلتك إياهم في كُتُبِكَ ، وترن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتمطيه قِسْمته ، وتوقيه نصيبه ، فإنه متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ،

وتجري شعاع بلاغتك في غير تجراه ، وتنظم جوهر كلامك في غير سلكه ، فلا تعتد بالمعنى الجزل ما لم تكسه لفظا مختلفا على قدر المكتوب إليه ؛ فإن إلباسك المعنى - وإن صح إذا شرب^(١) - لفظا لم تجر به عادة المكتوب إليه تهجين للمعنى ، وإخلال بقدر المكتوب إليه ، وظلم يلحقه ، وتقص مما يجب له ؛ كما أن في اتباع متعارفهم ، وما أنتشرت به عادتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعاً لعذرهم ، وتروجاً عن حقهم ، وبلوغاً إلى غاية مرادهم ، وإسقاطاً لجملة أديهم . قال ابن عبد ربه : فامتثل هذه المذاهب وأجر عليها القوم .

قال في "مواد البيان" : وذلك أن المعاني التي يكتب فيها وإن كان كل منها جنسا بعينه : كالتهنئة والتعزية والأعذار والعتاب والأستظهار ونحو ذلك ، فإنه لا يجوز أن يخرج المعنى لكل مخاطب على صيغة واحدة من اللفظ ، بل ينبغي أن يخرج في الصيغة المشاكلة للمخاطب ، اللاتمة بقدره ورؤيته . ألا ترى أنك لو خاطبت سلطاناً أو وزيراً بالتعزية عن مصيبة من مصائب الدنيا ، لما جاز أن تأتي الكلام على وعظه وتبصيره وإرشاده وتذكيره وحضه على الأخذ بحفظ من الصبر ، ومجانبة الجرع ، وتلقى الحادثات بالتسليم والرضا ؛ وإنما الصواب أن تأتي الخطاب على أنه أعلى شأنًا ، وأرفع مكانًا ، وأصح حرماً ، وأرجح حتماً ، من أن يعزى ؛ بخلاف المتأخر في الرتبة ، فإنه إنما يعزى تنبيهاً وتذكيراً ، وهدايةً وتبصيراً ، ويعترف الواجب في تلقى السرء بالشكر ، والسرء بالصبر ، ونحو ذلك .

وكذلك إذا كتبت رئيساً في معنى الاستزادة والشكوى ، لا يجوز أن تأتي بمعناها في ألفاظهما انطاصة ، بل يجب أن تبدل عن [ألفاظ] الشكوى إلى ألفاظ الشكر ،

(١) هذا الشرط غير موجود في الضوء .

(٢) لم يذكر في الضوء لفظ القوم .

وعن الفاظ الاستِزادة إلى الفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر، لتكون قد رُبِّتْ
كلامك في رُبِّته، وانخرجت معنك مخرج من يستدعي الزيادة لا من يشكو التقصير.

قال ابن شيت في "معالم الكتابة": ولا يخاطبُ السلطانُ في خلال الكتابة إليه
سَيِّدنا مَكَانَ مولانا، فإن سيدنا كانها خُصِّصت بأرباب المراتب الدينية والديوانية،
ومولانا تُخَصُّ السلطانَ وحده، وإن كان من نُعوت السلطان السيد الأجل.

قال: على أن ذلك مخالف لمذهب المغاربة: فإنهم يعبرون عن ولاة أمورهم
بالسادة، ويعبرون عن صاحب الأمر بسَيِّدنا، وكان هذا كان في زمانه،
وإلا فالعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التعبير عن السلطان بالمولي، يقول
أحدهم مولانا فلان. وأهل مصر الآن يُطلقون السادة على أولاد الملوك.

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فنصحته لم يجزأ أن تُورد ذلك مورد التنبيه على
ما أغفله، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله: لأن ذلك
من التبيح الذي لا يَحْتَمِلُهُ الرؤساء من الأتباع، ولكن تبنى الخطاب على أن السلطان
اعلى وأجل رأيا، وأصح فِكْرا، وأكثر إحاطة بصدور الأمور وأعجازها، وأن آراء
خَدَمِه جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفترسون تحايل الإصابة بما وقفوا عليه من سلوك
مذْهَبِه، والتأديب بأدبه، والأرتياض بسياسته، والتشغل في خدمته، وإن مما يفرضونه
في حكم الإشفاق والاهتمام، وما يسبغ عليهم من الإتمام، المطالعة بما يجري في أوهامهم،
ويحدث في أفكارهم، من الأمور التي يتحيلون أن في العمل بها مصلحة للدولة،
وعِمارة للملكة، لينصفحه بأصالة رأيه التي هي أوفر وأثبت. فإن أستصوبه
أمضاه، وإن رأى خلافه ألغاه، وكان الرأي الأعلى ما يراه، إلى غير ذلك مما يجري
هذا المجرى.

قال ابن شيث في "معالم الكتابة" : ولا يقارن الكاتبُ السلطان في تكرار
المواضع التي يقع الأكتباسُ فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاء الضمير تعود
عليهما معاً لما تقدم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدل على ذلك بعد الفكرة
وإذا ابتدأ معهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزاً
مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يجمل فيها الإشتراكُ
بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضمير في كان
يصلح لهما معاً ، فلا بد هنا من ذكر الملوك ، إن كان الأكتباسُ من جهة الكاتب ،
أو مولانا إن كانت الإشارة إلى السلطان .

الأصل العاشر

(أن يراعي مواقع آيات القرآن والسجع في الكتُب ،

وذكر آيات الشعر في المكتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أنها في صدر
الكتُب قد يذكرها الأديني للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى :
(فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَاهُ تَلَى وَجْهَهُ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) وقوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) إلى غير ذلك من الآيات المناسبة
للوقائع وإن كانت في أسماء الكتُب ، فقد استشهد بها جماعة من الكتّاب في خلال
كتبهم مما رأيت .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيث : أنه لا يُتَمَرَّقُ فيه بين كتابِ الأعلَى للأدنى وبالعكس ، وأنه بما يُكْتَبُ عن السلطان أليقُ ؛ لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب إليه ، وقضيته أنه لا يُكْتَبُ به إلا من الأعلَى للأدنى ، إلا أن الذي جرى عليه مصطلح كُتَّابِ الزمان تخصُّصُهُ ببعض الكُتُبِ دونَ بعض من الجانين .



وأما الشعرُ فيُورِدُهُ حيثُ يحسُنُ إيرادُهُ ، ويمنعُه حيثُ يحسُنُ منعه ، فليس كلُّ مكانة يحسُنُ فيها إيرادُ الشعر ، بل يتخلَّفُ الحسألُ في ذلك بحسبِ المكتوبِ عنه والمكتوبِ إليه . فاما المكتباتُ الصادرةُ عن الملوكِ والصادرةُ إليهم ، فقد ذكر في "موادِّ البيان" : أنه لا يُتَمَثَّلُ فيها بشيءٍ من الشعر ، إجلالاً لهم عن شوبِ العبارة عن عزائمِ أواميرهم ونواهيهم والأخبارِ المرفوعةِ إليهم ، بما يُخالِفُ تَمَطُّها ووضعها ، ولأن الشعرَ صناعةٌ مغايرةٌ لصناعةِ الترسُّلِ ، وإدخالُ بعض صنائعِ الكلامِ في بعض غيرِ مستحسن .

قلت : الذي ذكره عبدُ الرحيم بنُ شيث في كتابه "معالمُ الكتابةِ ومَوَاضِعُ الإصابة" أنه [يُتَمَثَّلُ] بالشعر في المكتباتِ الصادرةِ عن الملوكِ دونَ غيرهم ، وهو معارضٌ لما ذكره في "موادِّ البيان" . وكأنه في موادِّ البيان يريد الكُتُبَ النافذةَ عن الملوكِ إلى مَنْ دُونِهِمْ ، أو مَنْ دُونَهُمْ إليهم . أما الملوكُ والخلفاء إذا كتبوا إلى مَنْ ضاهاهم في أبهةِ الملُكِ وقاربهم في علوِّ الرتبة ، فإنه لا يمتنع التمثُّلُ بأبيات الشعر فيها ، نظراً للنثرِ بالنظم ، وجمعاً بين جنسَي الكلامِ اللَّذَيْنِ هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السالفة يَخْلَوْنَ كُتُبَهُم الصادرة عنهم إلى نظرائهم في علو الرتبة بالأبيات الرقيقة الألفاظ ، البديعة المعاني ، للاستشهاد على الوقائع المكتوب سببها : كما كتب أمير المؤمنين "عثمان بن عفان" رضى الله عنه حين تمألاً عليه القوم واجتمعوا على قتله إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه !

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُؤَلَا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَذْرِ كِسِيَّيَ وَمَا أَمْرِي !

وكما كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! إلى معاوية بن أبي سفيان ، في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة ، فقال في أثناء كتابه : وَرَعَمْتُ أَيُّ لِكَلِّ الخلفاء حَسَدْتِ ، وَعَلَى كَلِّهِمْ بَعِيَّتِ ، فَإِنْ يَكُ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَائِيَةُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُدْرُ إِلَىكَ :

* وَنَلِكُ شِكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية : كما حكى العسكري في "الأوائل" أن أهل حصص وثبوا بعاملها فأخرجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل آخر ، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه ويختصر ، فكتب .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قُومَ به من أود أو عدل به من زعيم ، أو لم به من شمت ، ثلاثاً يقدم بعضهن أمام بعض : فأولاهن ما يستظهر به من عظمة وُجْهِة ، ثم ما يستفعمه به من تحذير وتنبه ، ثم التي لا يفتح حسم الداء غيرها :

أَفَانَةٌ ؛ فَإِنْ لَمْ تُعْنِ عَقْبَ بَعْدَهَا * وَعَيْدٌ ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ ، أَجَدْتُ عَزَائِمَهُ !

(١) أى الصول .

(٢) أى الصول فى من يقوم به الخ . والنصحيح من "أحب الفة" للشيخ أحمد السكندرى .

ومن كان يُكثِرُ التمثُلَ بالشعر في المكاتبات من خُلفاء بني العباس وتصدَّر إليه المكاتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحكى أن الملك الأفضل، عليّ بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب دِمَشق حين تعصّب عليه أخوه الملك العزيز عثمانُ وعمه الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يستجيبه عليهما كتاباً يُشير فيه إلى ما تعنّده الشيعة من أن الحق في الخلافة كان لعلّي، وأن أبا بكر وعثمان رضي الله عنهما تقدماً عليه، إذ كان الناصر يُميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! أَنْتَ أبا بَكْرٍ وَصَاحِبِهِ * عُثْمَانُ قَدْ غَضَبْنَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى حَظِّ هَذَا الْإِسْمِ كَيْفَ لِي * مِنَ الْأَوَائِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !
فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه :

وَأَيُّ كِتَابِكَ يَا بَنِي يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَسْلَكَ طَاهِرًا !
غَضَبُوا عَلَيَّا حَقُّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَثْرِبَ نَاصِرًا !
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلِيَّ الْإِلَهَ حَسَابِهِمْ * وَأَنْشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القاسمون على خُلفاء بني العباس في مكاتباتهم أيضاً . كما كتب أبو إسحاق الصابي عن مُعزِّ الدولة بن بويه، إلى عُدَّة الدولة أبي تغلب كتاباً يذكر له فيه خلاف قريبين له ، لم يُمكنه مساعدة أحدهما على الآخر، وأسْتَشْهِدُ فِيهِ بقول المتلمس :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا يَنْدَلُ فَاطِيعَ كَفِّهِ * بِكَفِّ لَهْ أَثْرَى فَاضْبِغَ اجْتَمَا !
فَلَمَّا اسْتَفَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَيْنَا فَاثَجَمَا .

وعلى هذا التهج جرى الحال في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي
الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد ،
عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتاباً لبسلى الخليفة عنه ، وكان ممن
اساء السيرة وأكثر الفتنك ، متمثلاً بالبيتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير
أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آي محمد .

إِنَّ الْمَكَارَةَ قَدْ تَسُرُّ ، وَرُبَّمَا * كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهْتَ جَدِيرًا !

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آيِ مُحَمَّدٍ * أَوْدَى ، فَمَنْ يَسْأَلُكَ كَانَ وَزِيرًا .

وكما كتب القاضي « يحيى الدين بن عبد الظاهر » عن « المنصور قلاوون » إلى
صاحب اليمن في جواب تهنئة أرسلها إليه في ولده الملك الصالح ، مع تعريضه
في أمثاله بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد ، مستشهداً فيه بقوله :
إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى حَوْضَ الْمَنَاءِ ، * فَاهْوَتْ مَاتَمَّزَ بِهِ الْوُحُولُ !

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين البيهقي رحمه الله عن « الظاهر برقوق » صاحب
الديار المصرية ، جواباً لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه بلاغة
الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَعَ صَبَّ غَرِيبٍ * رَقَّ حَتَّى الْهَوَاءُ يُكْنُفُ عِنْدَهُ !

رَأَقَ لَفْظًا ، وَرَقَّ مَعْنَى ، فَاضْحَى * كُلُّ سِحْرِ مِنَ الْبَلَاءِ عَبَسَهُ !

وعلى ذلك جرت ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كتاب
السلطان أبي « الحسن المريني » عنه إلى السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون »
صاحب الديار المصرية كتاباً يُخبره في خلاله أن صاحب بجاية نرج عن طاعته
ففرّاه ، وأوقع به ويحوشه مائمه ، مستشهداً فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْعَقْرُبُ ، عُدْنَا لَهَا • وَكَانَتِ التَّمْلُ لَهَا حَاضِرَةً !

إلى غير ذلك من المكتابات الملوكية التي لا تحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل بالشعر في المكتابات عن الخلفاء والملوك إلى من دونهم وبالعكس . كما حكى العسكرى في "الأوائل" أن رافعا رفع كتابا إلى الرشيد، وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ عَارًا أَوْ رَضِيتُ بِذَلَّةٍ ، • فَتَقَسَّى عَلَى تَقْسِيٍّ مِنَ الْكَلْبِ أَمْوَالُ !

فكتب إليه الرشيد كتابا وكتب في أسفله :

وَرَفَعَكَ نَفْسًا طَالِبًا فَوْقَ قَدْرِهَا • يَسُوقُ لَكَ الْحَتَفَ الْمُعْجَلِ وَالذَّلَا

وبالجملة فذهاب الناس في التمثل بالشعر في المكتابات الملوكية مختلفة ، ومقاصدهم متباينة بحسب الأغراض ؛ ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن ثباته هذه المسئلة في جملة أسئلته ، التي سأل عنها كتاب الإنشاء بدمشق ، مخاطبا بها الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال :
 وَمَنْ تَكْرَهُ الْأَسْتِشْهَادَ فِي مَكْتَابَةِ الْمَلُوكِ بِالْأَشْعَارِ؟ وَكَيْفَ تَرَكَّهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ؟
 أما المكتابات الإخوانيات الواقعة بالتماني ، والتمازي ، والترأور ، والتمادي ، والمداعبة ، وسائر أنواع الرفاع في فنون المكتابات ، فقد قال في "مواد البيان" إنه يجوز أن تُودع أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع ، محمجا بأن الصدر الأول كانوا يستعملون ذلك في هذه المواضع . وهذا الذي ذكره لاحقا فيه ، وكتب الرسائل المدونة من كلام المتقدمين والمتأخرين من كتاب المشرق والمغرب شاهدة بذلك ، ناطقة باستعمال الشعر في المكتابات ، وأمثالها ونهاياتها ، ما بين البيت والبيتين فأكثر ، حتى القصائد الطوال . وأكثر ما يقع من ذلك البيت المفرد والبيتان فحوا حول ذلك . كما استشهد القاضي الفاضل في بعض مكاتباته في الشوق بقوله :

وَمِنْ تَجَبُّي أَلَىٰ أَحْسَنُ إِلَيْهِمْ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمْ مَعِيَ !
وَتَطْلِبُهُمْ عَنِّي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا * وَيَسْتَأْذِنُ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْغَلِي !

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لِيَتَّبِعِي كُنْتُ عِنْدَهُ ! * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالَ لَهُ : لَيْتَهُ عِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحَسْبَتْهُ - وَالطَّرْفُ مَعْقُودٌ بِهِ - * وَجَهَ الْحَيِّبُ بَدَأَ لَوَجْهِ مُجْبِهِ !

وكما كتب في كتاب تعزية بصديق مستشهدا فيه بقوله :

وَفَاكَ الَّذِي لَا يَبْرُحُ الدُّشْرُ رُزُوقُهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرْزَمَتْ أُمَّ حَائِلٍ .

لكن غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حد ، مما

ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات ، إن شاء الله تعالى .

الأصل الحادى عشر

(أن يأتي في مكاتبه بحسن الاختتام)

ويرجع إلى معنيين ، كما في حُسن الافتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بماطاة
الأدب من المرئوس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضى التعزير والتوقير من
الرئيس إلى المرئوس ، كالاختتام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع في مصطلح كل زمن .

المعنى الثانى - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة
اللفظ ، وحسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

التحسين ، كما كتب الصحابُ بنُ عبَّاد في آخر رسالة له : " لَيْنٌ حَيْثُ فِيمَا حَلَقْتُ ، فَلَا خَطُوتٌ لِتَحْصِيلِ مَجْدٍ ، وَلَا نَهَضْتُ لِاقْتِنَاءِ مَحْمَدٍ ، وَلَا سَعَيْتُ إِلَى مَقَامِ نَعْرِ ، وَلَا حَرَصْتُ عَلَى عُلُوِّ ذِكْرٍ " . قال أبو هلال العسكري : فهذه اليمين ، لو سمها عامرُ بنُ الظَّرب ، لقال هي اليمين الغموسُ لا القسمُ باللائِ والمُزى ومناة الثالثة الأخرى ، ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

قلت : وأعتبرُ هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تقدمتُ أعتبرُهُ في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آياتُ القرءان الكريم : من الاختصار ، والحذف ، ومخاطبة الخاصِّ بمخاطبة العامِّ ، ومخاطبة العامِّ بمخاطبة الخاصِّ ، ولا ما يختصُّ بالشعر : من صرف ما لا ينصرف ، وحذف ما لا يُحذف ، وقصر الممدود ، ومدِّ المقصور ، والتقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار ، وتصغير الاسم في موضع التعظيم ، مثل دُوَيْبِيَّةٍ ، وما شاكل ذلك مما تقدم التنبيه عليه في موضعه ، فلا بدَّ من أعتبره هنا .

الأصل الثاني عشر

(أن يعرفَ مقاديرَ قطعِ الورق ، وسعةَ الطَّرةِ والهامش ، وسعةَ بيتِ العلامةِ ومقدارَ ما بين السُّطور وما يُتركُ في آخرِ الكتابِ)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المکتوب إليهم عن السلطان ، فكلمها عظم قدر المکتوب إليه ، عظم مقدار قطع الورق ، وربما روعى في ذلك قدر المکتوب عنه والمكتوب إليه جميعا .

(١) في الاصل " السرة " .



وأما طولُ الطَّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في "معالم الكتابة" أنها تُطَوَّلُ فيما إذا كان الكتابُ من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطَّرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّواب ومن في معناهم تكون وصلا واحدا .



وأما مقدارُ سَعَةِ الهامش فقد سَمِعْتُ بعض فضلاء الكُتَّاب يذكر أن الضابط فيه أن يكونَ ثلثَ عَرْضِ الدَّرَجِ المكتوب فيه .



وأما بيتُ العَلَّامة فقد تقدَّم أنه يكون مقدارَ نحوِ شبرٍ في كُتُبِ السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العَلَّامة تحت البسملة - فكونُ نحو ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما سَعَةُ ما بين السطور فقد تقدَّم أنها تكون بمقدارِ نصفِ بيتِ العَلَّامة . وذكر ابن شيث : أنها ثلاثة أصابعٍ أو أربعة .



وأما ما يترك في آخر الكتاب فقد ذكر ابن شيث أنه لا يترك في آخر المكاتبة شيئا .



وأما الخطُّ فإنه كلما غلُظَ القلم واتسعت السطور كان أنقصَ في رُتبةِ المكتوبِ إليه وقد ذكر في "معالم الكتابة" أن الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكونُ بين سُطورها أكثرُ من إصبعين .

الطَّرْفُ الشَّانِ

(في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز،
وما يلائم كلِّ مكاتبة منها من المعاني)

ولتعلم أن المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القسم الأول

(ما يُكْتَبُ عن السلطان أو مَنْ في معناه من الرؤساء
إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعْمَلُ فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحسنا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها — أن يكون المكتوبُ عن السلطان في أوقات الحروب إلى تُوَّابِ
الملك . قال في "حُسن التوسل" : فيجب أن يتوخى الإيجاز والألفاظ البليغة
الدالة على القصد ، من غير تطويل ولا بسط يُضيع المقصدَ ويُفصل الكلامَ بعضه
من بعض . ولا يعتمد في ذلك إلى تهويل لأمر العدو يُضعف القلوب ، ولا تهوين
لأمره بحيث يحصل به الاعتقار .

الثاني — أن يكون ما يُكْتَبُ به عن السلطان خبراً يريد التورية به عنه وسرَّ
حقيقته ، كإعلامهم بالحوادث الحادثة على الملوك ، والنواب العُلَماءَ بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغيير رَسْم ، أو إحداثه ، أو تكليف الرعية ما لا يسهل عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يقصد في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويعدّل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها مما يَحْتَمِلُ التأويل، ولا تَنْفِرُ الأسماعُ عنه، ولا تُرَاعُ القلوبُ به، من غير أن يَحْتَمِلَ كذباً صراحاً، فإنه لا شيء أفتح بالسلطان، ولا أعمّص لشأنه وقدره من أن يُضْمَنَ كتابه ما يَنكشِفُ للعامة بطلانهُ . قال وينبئ للكتاب أن يتخلّص من هذا الباب التخلّص الجيّد الذي يُرَبِّين به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق، ويعرّض سلطانه في ذلك للإجماد والتفريط من حيث يستحقّ التأنيب والإدغام فإن هذه سبيلُ البلاغة، وطريقةُ فضلاء الصّاعقة، لأن الأمر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن حسنه إلى كذا الخاطر، وإتباع الفكر، إذ الألتكن لا يعجز عن التعبير عنه فضلاً عن اللّسن، وإنما الفضلُ في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التويه والتخييل، وإقامة المعاذير، والعَللُ المعقّبة على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذبٌ صريحٌ ولا زور مطلق . وليضيق هذا المقام وضُوبة مُرتقاه، أورده الشيخ جمال الدين بن بُبانة في جملة مسائله التي سأل عنها كُتّاب الإنشاء بدمشق - فقال : وما الذي يُكْتَبُ عن المهزوم إلى مَنْ هزّمه ؟ .

السالت - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمراً أو نهياً . قال في "مواد البيان" : حكماهما حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رُسوم ومثَل يُعْمَلُ عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمّر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز .

الرابع — أن تكون الكُتُب المكتوبة عن السلطان باستخراج الخراج وِجْيَابِيَّةِ
 الأموال وتَدْيِيرِ الاعمال . قال في "موادّ البيان" : فسبيلها أن يَنْصُ فيها على ما رآه
 السلطان ودبره ، ثم يَحْتَمِمُ بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإنفاذه ،
 ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للحُجَّة ، وتضييقاً للعُدْر ، وحسباً لأسباب الإِعْتِذَار .
 الخامس — أن يكون ما يكتب به عن السلطان إِمْحَادًا أو إِذْمَامًا ، أو وَعْدًا
 أو وَعِيدًا أو أَسْتِقْصَارًا أو عَدْلًا أو تَوْبِيحًا . قال في "موادّ البيان" : فيجب
 أن يُسَبَّحَ الكلامُ ويَعْدَ القولُ ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإِسَاءَةِ
 والإِحْسَانِ ، والأَجْتِهَادِ والتَّقْصِيرِ ، لينشرح صدر المشمَّر المُحْسِنِ ، وَيَنْبَسِطَ أَمَلُهُ
 ورجاؤه ، ويرتدع المُقْصِرُ المُسِيءُ ، ويرتجِع عما يَدْمُ منه ، ويتلافى ما قَوَّطَ فيه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحسنوا البسط في موضعين :

أحدهما — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يُريد تَقْرِيرَ صُورَتِهِ
 في نُفُوسِ العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتجددة في إعلاء الدين والسلطان .
 قال في "موادّ البيان" : فيجب أن يُسَبَّحَ القولُ فيها ، ويتبني على الإِسْهَابِ والإطناب
 وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليعرفوا قدر النعمة الحادثة ، وتريد بصائرهم في الطاعة ،
 ويعلموا موضع سلطانهم من عناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب
 أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل يُقْرَأُ في العافل والشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة ومن يراد تفخيم السلطان في نفسه على صورة الاختصار، لأوقع كلامه في غير رتبته ، ودل ذلك على جهله . وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله هذا المقام في كتابه "حسن التوسل" فقال : وإذا كتب في التهاني بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب في شكر نعمة الله تعالى، والتبري من الحول والدوة إلا به ، ووصف ما أعطى من النصر . وذكر ما منح من الثبات، وتعظيم ما يسر من الفتح ؛ ثم وصف ما بعد ذلك : من عزيم ، وإقدام ، وصبر ، وجلد ، عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره ، وراق التوسع فيه ، وعذب بسط الكلام معه . قال : ثم كلما أتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها ، كان احسن وأدل على السلامة ، وأدعى لسرور المكتوب إليه ، وأحسن لتوقع المنة عنده ، واشبهى إلى سمعه ، واشفى لقليل ذوقه إلى معرفة الحلال . قال : ولا بأس بتحويل أمر المدعو ، ووصف بجمعه وإقدامه ، فإن في تصغير أمره تحقيراً للظفر به .

قال في "مواد البيان" : ولا يُحتج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزارقة ، على ارتفاع خطره ، وطول زمانه ، وعظم صيته ، من سلكه فيه مسلك الاختصار ؛ حيث كتب فيه :

«الحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه، وجعل الحمد متصلاً بتمناه؛ وقضى ان لا ينقطع المزيد من فضله ، حتى ينقطع الشكر من خلقه . ثم إننا كنا وعدونا على حالين مختلفين ، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوءنا ، ويرون منا ما يسوءهم أكثر مما يسرهم ، فلم يزل ذلك ذائبا ودايبهم : ينصرون الله ويخذلهم ، ويحصننا ويحجثهم ؛ حتى بلغ الكتاب يناديهم أجله (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

لأنه إنما حَسُنَ في موضعه لمخاطبة السُّلْطَانِ به ، ولغرض كانت المكتوبة فيه .
قال : فإن كَتَبَ مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا القَتح أو ما يقارِبُهُ ،
ليُورَدَ على العامة ، ويُقرَّرَ في نفوسهم به قَدْرُ العمة ، لم يحسُنْ موقعُهُ ، وخرج عن
شَرطِ البلاغة بوضعه لِمَا به في غير موضعه ، وذكر المسكوي نحو ذلك في "الصناعين" .

ثم قال في "حسن التوسل" : وإن كان المكتوبُ إليه مَلِيكًا صاحبَ مملكة
بمقرده ، تعين أن يكون البَسْطُ أكثرَ ، والإطنابُ والتحويلُ أبلغُ ، والشرحُ أتمُّ .
ثم قال : وإن أضطُرَّ أن يكتبَ مثلَ ذلك إلى ملكٍ غير مسلم لكنه غيرُ محارِبٍ ،
فالحكم في ذلك أن يذكرَ من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المَسَازِ ، وأن أمر
هذا العدو مع كثرة أخذِ باطراف الأتامل ، وآل أمره إلى ما آل . ويعظم ذكرُ
ما جرى عليه من القتل والأسر . ويقول : إن تلك عوائد نصر الله تعالى لنا ، وأنتقامه
مِنْ عادانا ،

وإن كان المكتوبُ إليه مَثَمًا بملاة العدو ، كتب إليه بما يدل على التفرغ
والتَهَكُّم والتهديد في معرض الإخبار .

الثاني — أن يكون ما يكتب به عن السلطان في أوقات حركات العدو إلى أهل
الثغور ، يُعالمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في "حسن التوسل" : فيجب أن يبَسْطَ
القول في وصف العزائم ، وقوة الهِمَم ، وشدة الحمية للدين ، وكثرة العساكر والجيوش
وسرعة الحركة ، وطمئ المراحل ، ومعالجة العدو ، وتخيل أسباب النصر ، والوثوق
بعوائد الله تعالى في الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبَسْطَ آمالهم ، وحَثَمَ على التيقظ ،
وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويُبرِزُ ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه ،
وأقر به من القوة والسَّالَة ، وأبعده من اللين والرقَّة . ويُبالغ في وصف الإنابة إلى الله
تعالى واستئصال نصره وتأييده ، والرُّجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والاعتصام به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وازالة اقدمهم
وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح ببطلان حركتهم، ورجاء تأخيرهم، وانتظار
العرضيات في ضعفهم، لما في ذلك من إيها الضعف عن لقائهم، وأستشعار الوهم
والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الأتباع إلى السلطان والطبقة العليا

من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يعمل فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد أستحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

احدها - أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة بسبغها سلطانه عليه ،
وعارفة يسديها إليه . قال في "موادّ البيان" : فسيئله أن لا ينيها على الإسهاب وتجاوز
الحد، بل ينيها على اللفظ الوجيز، الجامع لمعانى الشكر، المشتمل على أساليب الاعتراف
والاعتداد، فإن إطناب الأصاغر في شكر الرؤساء داخل في باب الإسهاب والإبرام،
ولا سيما إذا رجعوا إلى خصوصية وتقدم خدمة . وكذلك لا يكثر من الثناء عليه ،
لأن ذلك من باب الملقى الذي لا يليق إلا بالأبعاد الذين لم يتقدم لهم من الموات
والحرّم ما يدل على صحة عقائدهم، ولم يصف عليهم من النعم ما يوجب خلوص نياتهم .
أما إذا كان العتي أجنبيا متكسبا بالتقريظ والثناء، فإنه لا يفتح به الإيغال والإغراق
فيها . قال : وكذلك لا يفتي للخاصة الإحتار من الدعاء، وتكرره في صدود الكتب

عند مايجرى ذكر الرئيس ، فإن في ذلك مشقة وكلفة يستغلها الملوك . والحكم فيما يستعمل من ذلك في الكتب شبيه بما يستعمل شفاهاً منه . ويقبح من خادم السلطان أن يشغل سمعه في مخاطبته إياه بكثرة الدعاء وتكريره .

الثاني - أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤال حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في "موادّ البيان" : فينبى القول على الإيجاز ويمزج الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البرّ، والإلحاق بالطبقة الرابعة في إيلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف لقلب الرئيس . وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يكثر شكوى الحال ورناتها ، وأستيلاء الخصاصة والفقر عليه ، فإن ذلك يجمع إلى الإحجاز والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرءوسه ، وقلة ظهور نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويؤذونه .

الثالث - أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التنصل والاعتذار عن شيء ، قُرف به عند رئيسه . قال في "موادّ البيان" فسبيله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويعيدل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى التكت التي تزيل ما عرض عنده من الشبهة في أمره ، وتحوّل الوجدة السابقة إلى ضمير رئيسه . ولا يصرّح ببراءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأن عادتهم جارية بإيثار اعتراف الخدم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمقروف به ليكون لهم في العفو عند الإقرار موضع منة مستأنفة تستدعى شكراً ، وعارفة مستجدّة تقتضى تشراً . أما إذا أقام التابع الحجّة على براءته مما قُرف به ، فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على منزله والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدراً واجباله ، إن منعه إياه ظلمه وتعذى عليه .

الضرب الثاني

(ما يسهل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقماً في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات ، قال في "موادّ البيان" فسيبلة أن يوفى حقه في الشرح والبيان ، ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين إيضاح الأعراض من غير هذر يضجر ويئيل ، ولا اختصار يقصر ويخل ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الأفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتوغير أو إيهام ، إلا أن يمرض له في المكتابة ما يحتاج إلى التورية والكناية كما تقدم فيما إذا أطلق عدولسانه في السلطان فإنه يحتاج إلى الكناية عنه على ما مر .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظرء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "موادّ البيان" : وسبيل مكاتبتهم أن يؤتى فيها باللفظ المساوي للعنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . ولا ينبغي أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكتابات . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسياتى في مقاصد المكتابات من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يوضح مقاصدها ويقرب مأخذها إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالأجوبة ، وفيه حملتان)

الجملة الأولى

(في بيان أيّ الأمرين من الإبتداء والجواب أعلى رتبةً وأبلغ في صناعة الكتابة)
 وقد اختلف الكُتَّاب في ذلك : فذهب أكثرُ البلقاء إلى أن الكُتُبَ الجَوَابِيَّةَ
 أتعِبُ مَطْلَبًا وَأصعبُ مُرْتَقًى من الكُتُبِ الإبتدائية ، وأن فيها تَظْهَرُ مَهَارَةُ الكَاتِبِ
 وَجِدْفُهُ ، لاسيما إذا كان الحِطَابُ مَحْتَمِلًا للاعْتِزَالِ وَالاعْتِمَالِ عَنِ آمْتِنَالِ الأَوَامِرِ
 وَالنَّوَاهِي ، وَالتَّوْرِيَةِ عَنِ نُصُوصِ الأَحْوَالِ ، وَالإِعْرَاضِ عَنِ ظَوَائِرِهَا ، فَالذَّا إِلَى
 آسْتِمَالِ المُعَاظَمَةِ ، مُوجِبًا لِلانْتِصَالِ عَنِ الإِجْتِجَاعِ وَالإِزْجَامِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى
 التَّلَاصِصِ مِنَ المَكَارِهِ .

وَاحْتِجُوا لِتَرْجِيحِ ذَلِكَ بِوَجْهِهِ .

منها - أن المبتدئ مُحْكَمٌ في كتابه ، يبتدئُ بِالْفَاظِهِ كَيْفَ شَاءَ ، وَيَقْطَعُهَا حَيْثُ
 يَشَاءُ ، وَيَتَصَرَّفُ فِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ ، وَالْحَذْفِ وَالإِثْبَاتِ ، وَالإِيْجَازِ وَالإِسْهَابِ ،
 وَيَبْنِي عَلَى أُسَاسٍ يُؤَسِّسُهُ لِنَفْسِهِ ، وَالْمُجِيبُ لَيْسَ لَهُ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأخِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ
 تَائِعٌ لِفَرْضِ المَبْتَدِئِ ، وَبِإِنْ عَلَى أُسَاسِهِ .

ومنها - أَنَّ المُجِيبَ - إِذَا كَانَ جَوَابَهُ مَحْتَمِلًا لِلإِشْبَاعِ وَالتَّوَسُّعِ - مُضْطَرًّا إِلَى
 اِقْتِصَاصِ أَلْفَاظِ المَبْتَدِئِ وَأَتْبَاعِهَا لِلإِجَابَةِ عَنْهَا ، وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى تَصْفُحِ كَلَامِ
 المَبْتَدِئِ وَالمُجِيبِ وَيَصِلُ مَا بَيْنَ الكَلَامَيْنِ : لِأَنَّ الكَلَامَيْنِ يَتَقَابِلَانِ فَلَا تَخْفَى رَتْبَتُهُمَا
 وَالْفَاضِلُ مِنْهُمَا مِنَ الرَّذْلِ ، وَهَذَا مَرْفُوعٌ عَنِ المَبْتَدِئِ .

(١) أي حاملا ومشتتلا .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه وأتساقه وأتسامه يُقدَّر منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه الخُبيب : لأن الجواب يُفصّل أجزاء الكلام ويُبدِّد نظامه ويُقسِّمه أقساماً ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصّل بعد الفصّل بقول وأما كذا وأما كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضياً مبيّناً على أمثال مأمور ، أو انتهاء عن مَبْرُءٍ عنه ، فإنه سهل المَرَام ، قَرِيبُ المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وُصولِ الكتاب والعمل بما فيه .

وذهب صاحبُ "مَوَادِّ البَيَان" إلى أن الإبتداء والجواب في ذلك على حدٍّ واحدٍ ، وإن كان الكاتب قد يُجيد في الإبتداء ولا يجيد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلاً من المبتدئ والخُبيب ممناعٌ من جُودة العريضة ، محتاجٌ من البلاغة والصَّنَاعَةِ إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة خُبيباً ، وليست الإجابة بصنَاعَةٍ على حَيْثُهَا ، ولا الإبتداء بصنَاعَةٍ على حَيْثُهَا ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولا مانعٌ من أن يكون الكاتب ماهراً في نوعٍ دونَ نوعٍ .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأعم كاتباً عن نفسه وإنما يكون كاتباً عن أمرٍ يأمره بالكاتبه في أغراضه ويسألمها إليه منتورةً ، فيحتاج إلى نظمها وصنمها وإبرازها في صورةٍ محيطيةٍ بجميع تلك الأغراض من غير إخلالٍ بشيءٍ منها ؛ فعلى المبتدئ من المشقة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائدة والاصل وأن الكاتب قد يجيد آخ كما يفيد المعنى وآخر العبارة .

في سلك البلاغة مثل ما على الجيب من المشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة الجيب قريبة ، لأنه يستنيط من نفس معاني كتاب المبتدئ للعاني التي يجيب بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافق الأبتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل نقيض قائم في الوهم على مقابلة نقيضه ، إلا أنه أتعب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بتجزئته قد خف تخله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كمن يجمع خاطره على الكتاب كله . ثم قال : وليس القصد مما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

الجملة الثانية

(في بيان ترتيب الأجوبة)

وأعلم أن للجواب حالتين :

الحالة الأولى — أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرءوس عما كتب به الرئيس إليه ، فالذي ذكره في "مواد البيان" أن للرئيس أن يني حكاية كتاب مرءوسه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزة ، محيطية بما وراءها كأن يقول : وصل كتابك في معنى كذا وفهمناه .

الحالة الثانية — أن يكون الجواب من المرءوس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، قال في "مواد البيان" : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب

(١) في الاصول "مشايخ هنا معنا" وهو تصحيح فظيع من النسخ والتصحيح من الضوم .

رئيسه على نصها ويقصها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظماً لتقدير الرئيس وإجلالاً لخطابه . قال : وليس للجيب إن مرة في كتاب الرئيس بلفظة واقعة في غير موضعها أن يُبدلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصح من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتابُ الواردُ على الجيب في معنى الشكر والتقريب من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه : لأنه بصير ذلك مادحاً نفسه ، ومدحُ الإنسان نفسه غير سائغ ، ولا يجوز أن يُحمل ذكره بحملة لأنه يكون قد أُخلَّ بما يجب من شكره له على تشریف رتبته بإحاده له والثناء عليه ، بل الواجب أن يُوقع تلك الصفة على جملة تجعل نفسه بعضاً منها ، مثل أن يقول : « فاما ما وصفه من اعتداده بخادمه في جملة من نهض بحقوق خدمته ، وقام بفرض طاعته ، فأهله لما يرفع الأقدار من إحاده وثنائه ، ويُعلي الأخطار من شكره ودُعائه » وما يضاهي هذا من العبارة التي تشمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفضيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إهفاع المدح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتياده في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ، على أن كُتاب زماننا قد أطرحوها النظر في ذلك جملة ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب التمشي : فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنه بنصه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أو مرءوس وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فنبه لهذه الجملة فإنها دقيقةٌ جليظةٌ .

الفضل الثاني

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(في ذكر أصول المكاتبات وترتيبها، وبيان لواحقها
ولوأزمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات إلى أهل الإسلام)

وأعلم أن المكاتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها
حد، ولا تدخل تحت حصر .

والمشهور استعماله منها في دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان نحسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ الكُتِبُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

قال أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائيل " : وأول من كتب بذلك قس بن
ساعدة الإيادي ؛ وعلى ذلك كانت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من
الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكانت النبي صلى الله عليه وسلم يكتب :
" من محمد رسول الله إلى فلان " . ثم كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته :
" من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم " . ثم كتب عمر بعده : « من عمر

أين الخطأب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان» . فلما نُقِبَ
بأمير المؤمنين زاد في ذلك لفظ «عبد الله» قبل عُمرًا، ولقِبَ «أمير المؤمنين» بعده ؛
فكان يكتب : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان» . ولم يزل الأمرُ على ذلك
إلى خلافة هارون الرشيد ، فأمر أن يُزاد في صدور الكتب بعد «فإني أحمدُ إليك الله
الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يُصَلِّيَ على جدِّه محمدٍ عبده ورسوله» . فخرى الأمرُ
على ذلك في زمنه وما بعده . قال أبو هلال العسكري في «الأوائل» : وكان ذلك
من أجل متاقبه . قال صاحب «ذخيرة الكتاب» : وكان الرشيدُ قد قال ليحيى
ابن خالد : إني قد عزمتُ على أن يكونَ في كُتُبِي : «من عبد الله هارون الإمام
أمير المؤمنين عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم» - فقال له يحيى : قد عرفَ الله
نيتك في هذا يا أمير المؤمنين ! [وأجزل] لك الأجرُ، والتعبُدُ إنما هو لله وحده
لا لغيره - قال : فأكُتِبَ «من هارون مولى محمد رسول الله» - فقال : إن المولى
ربما كان في كلام العرب ابن العمِّ ، وجزئ الله أمير المؤمنين خيرًا عن هذه النية
وهذا الفكر .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتَحَ الكتابُ بلفظ « لفلان من فلان » أو « إلى فلان من فلان »

وبقية الصدر، والمخلص «أما بعد» أو غيرها، والاختتامُ بالسلام

وغيره على ما تقدم في الأسلوب الأول)

وقد اختلف العلماء في جواز الإبتداء في المكاتبة باسم المكتوب إليه : فنهب
جماعة من العلماء إلى جواز ذلك ، محتجين بأن الصحابة رضی الله عنهم وبعض الملوك

(١) لعله جدى وسقط لفظ جدّه من عبارة الضوء، وهي أروض وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خالد بن الوليد والنجاحي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سيأتي ذكره في المكاتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ فَيَبْدَأُ بِنَفْسِهِ ، إِلَّا إِلَى وَالِدٍ أَوْ وَالِدَةٍ أَوْ إِمَامٍ يَخَافُ عُقُوبَتَهُ " وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجة ، فقال له ولده : أبدأ به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبدالله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا يُنكر ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الخجاج ، فيبدأ بالخجاج قبل نفسه - فقيل له في ذلك - فقال : بدأت به لأحقن دم رجل من المسلمين . قال سعيد : فحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى عامل في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلان من بكر » - فقيل له أبدأ باسمه فقال : وما على أن أرضى صاحبي وتُقتضى حاجة أخي المسلم ؟ قال في « صناعة الكتاب » : وعلى ذلك جرى التعارف في المكاتبة إلى الإمام .

وذهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدؤون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنيس قال : ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدؤون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في « نهاية الأرب » فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأء جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يبدؤون بأنفسهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنفسي - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأقوال كلها جائحة إلى ترجيح براءة المکتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النحاس : وهذا عند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ، لأنه هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

ولتعلم أن الناهيين إلى جواز الابتداء باسم المکتوب إليه اختلفوا : فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تقدم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روي عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روي أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن أسم الله هو له إذن . ومقتضى ذلك أن الكراهة إنما هي لإيهام أن البسملة للمكتوب إليه ، لا للابتداء باسم المکتوب إليه .

وذهبت طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج لذلك بما روي عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكتوبة خالد بن الوليد والنجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سيأتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكتبة للخلفاء : فكان يكتب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكتبة الى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف عليه فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتح الكتاب بلفظ أما بعد)

وعليه ورد بعض المكتبات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء من الصحابة فمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وكانوا بعد حدوث الدعاء فى المكتبات يتبعونها بالدعاء بطول البقاء غالباً ، فيقال : « أما بعد أظالم الله بقاءك » ونحو ذلك ، ثم أضرب عنها بعض الكتاب بعد ذلك . قال أبو هلال العسكري : فى كتابه « الصناعتين » : وكان الناس فيما مضى يستعملون فى أوائل فصول الرسائل « أما بعد » وقد تركها جماعة من الكتاب فلا يكادون يستعملونها . قال : وأظنهم أئتموا بقول ابن القيرية - وقد سأله الججاج عما يُنكره من خطابه - فقال : إنك تُكثر الرَّد، وتشير باليد، وتستعين بأما بعد، فتحاتموا لهذا الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعاً للسلف ورغبةً فيما جاء فيها من التأويل أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ، وإن تركتها توخياً لمطابقة أهل عصرك ، وكراهةً للخروج عما أصلوه لم تكن ضائراً . أما الآن فقد ترك الابتداء فى الكتب بأما بعد

(١) فى الاصل وعلى كل حال وهو سبق قلم كما هو ظاهر .

حتى لا يكاد يُعَوَّل عليها في الابتداء كاتبٌ من كتَّاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكاتبة .
نعم يُؤْتَى بها في أثناء بعض المكاتبات على ماسياتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وقد تقدّم الكلام على معناها وأوّل مَنْ قالها في الكلام على الفوائح في المقالة
الثالثة ، وكتَّاب المغاربة ربما أفتنحوا مكاتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتتح المكاتبة بخطبة مفتححة بالحمد لله)

وأصل هذه المكاتبة مختلّس من الأسلوب الأوّل من قولهم : فإني أحمد إليك الله
الذي لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر
خلفاء بني أمية ، وأطال التحميدات في صدور الكتب مع الإيمان بأما بعد ،
وتبعه الكتّاب على ذلك ، ثم توسّعوا فيه حتى كرّروا الحمد المرآت في الكتاب
الواحد ، لاسيما في أماكن النعم الحادثة ، كالمثوحات ونحوها ، ثم توسّع بعض
الكتّاب في ذلك حتى جعل الحمد لله افتتاحا ، واستمر ذلك إلى الآن . وعلى ذلك
بعض المكاتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه
إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمد أفضل الافتتاحات ، وأعلى مراتب الابتدآت . وإن لم
يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدعات المستحسنّة . وحيث أفتحت
المكاتبة بالحمد لله كان التخلّص منها إلى المقصود بأما بعد ، وربما وقع التخلّص
بغير ذلك ، ويكون الاختتام فيها تارةً بالسلام ، وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . قال
أبن شيت في " معالم الكتابة " : والحمد في أوّل الكتب لا يكون إلا في الكتب

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكتاب أن يكرر التحميد ثانية وثالثة في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأسلوب الخامس

(أن تفتتح الكتاب بلفظ « كتابي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ، أو في وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ؛ وتختتم المكتوبة « بكتابنا إليك » بنحو قولك : « فإن رأيت أن تفعل كذا فعلت »
والمكتوبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فرأيتك في كذا » وما يجري هذا المجرى)

والأصل في هذه المكتوبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض المكتوبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانيين » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء الدولة العباسية ، استخرج كتابها من هذا المعنى الابتدأ « بكتابي إليك » إذا كانت المكتوبة إلى النظير ومن في معناه ، والابتدأ « بكتابنا إليك » إذا كانت المكتوبة عن له رتبة نون العظمة من الملوك ونحوهم ، وكانوا يتبعون ذلك بالدعاء بطول البقاء بنحو « كتابي إليك أطال الله بقاءك » أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر « بهذه الخدمة »^(١) وما أشبه ذلك ، ويكون التخلص فيه إلى المقصد بواو الحال ، مثل أن يقال : « كتابي إليك والأمر على كذا وكذا » ونحو ذلك ، وربما وقع التخلص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أى عبر بدل كتابي إليك مثلا بقوله « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأسلوب الحادي عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وكُتِبَ المُغْرِبَ عَدُّوا عن لفظ الأسم
في كتابي إلى لفظ الفعل . مثل أن يقال : « كَتَبْنَا إِلَيْكَ » أو « كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَالْأَمْرُ
عَلَى كَذَا ، أو من مَوْضِعِ كَذَا » .

الاسلوب السادس

(أن تقع المكتابة بلفظ « كَتَبَ » بصيغة الفعل)

وهذه المكتابة كان يُكْتَبُ بها عن الوزراء ومن في معناهم إلى الخلفاء . فيكتب
الوزير ونحوه : « كَتَبَ عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » أو « كَتَبَ الْعَبْدُ مِنْ مَحَلِّ خِدْمَتِهِ بِمَكَانِ
كَذَا ، وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا » . وعلى نحو من ذلك يجرى كُتَابُ المغاربة في الكثير
من كُتُبِهِمْ ، مثل « إنا كتبنا إليكم من محل كذا » أو « كتبتُ إليك من محل كذا »
وما أشبه ذلك . وهذه في الأصل مأخوذة من الأسلوب الذي قيل .

الأسلوب السابع

(أن يقع الافتتاح بالدعاء)

والأصل في ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس : ان معاوية بن أبي سفيان كتب
إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند جريان الخلاف ووقوع
الحرب بينهما : « أما بعدُ عافانا الله وإياك من السوء » . ثم زاد الناس في الدعاء
بعد ذلك .

وقد اختلف في جواز المكتابة بالدعاء في الجملة : فذهب ذاهبون إلى جواز ذلك
كما يجوز الدعاء في غير المكتابة ، سواء تضمن الدعاء معنى التوأم والبقاء أم لا . وهو

الذى رَجَّحه مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو المَدائِنِيُّ في كِتَابِ "القلم والدواة" وإليه يَمِيلُ كَلَامُ غَيْرِهِ
أَيْضًا، وَحِكَاةُ النَحَّاسِ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بنِ سَلَامَةَ، وَكَلَامُهُ يَمِيلُ إِلَى تَرْجِيحِهِ .
أَمَّا مَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الدَّوَامِ وَالبَقَاءِ ، فَلَمَّا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
لَأَبِي اليَسْرَكْتَبِ ^(١) أَيْنَ عُلْيَا : "اللَّهُمَّ أَمْتَعْنَا بِهِ" قَالَ النَحَّاسُ : وَذَلِكَ دَلِيلُ الجَوَازِ ،
بَلْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الدُّعَاءَ بِطَوْلِ البَقَاءِ أَوْ كَلِّ الدُّعَاءِ وَأَنْفَعَهُ ، لِأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ
لَا يُنْتَفَعُ بِهَا إِلَّا مَعَ طَوْلِ البَقَاءِ . ثم قال : والمعنى في الدُّعَاءِ فِي المَكَاتِبَاتِ التَّوَدُّدُ
والتَّحَبُّبُ ؛ وَقَدْ أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانًا ، وَمَنْ أَخُوْتِهِمْ
وَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَذَلِكَ القَوْلُ بِمَا يُؤَكِّدُ الأَخُوَّةَ بَيْنَهُمْ وَالمُودَّةَ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ،
وَإِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنْ قَلْبِهِ نَهَايَةَ مَبْلَغِ مِثْلِهِ مِنْهُ ؛ وَيَكُونُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ
قَدْ عَلِمَ مِنْ قَلْبِهِ فِي شَأْنِهِ مَا يَكُونُ مِنْ قَلْبِ مِثْلِهِ . وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ عَمِّي الدِّينُ النَّوَوِيُّ :
مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ - حِفْظًا لِمُودَةٍ - : «أَدَامَ اللهُ لَكَ النِّعَمَ» وَنَحْوَ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِهِ .



وَأَمَّا مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ مَعْنَى الدَّوَامِ وَالبَقَاءِ : كَالعِزِّ وَالكِرَامَةِ ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ كَتَبِ
أَبْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ
مَقْتَلَ حِزْمَةٍ ؟ فَقُلْتُ : أَعَزَّكَ اللهُ ! أَنَا رَأَيْتُهُ » . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ قَالِي : دَخَلَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِسِهِمْ
فَلَمْ يُوَسِّعْ لَهُ أَحَدٌ ، فَرَمَى لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَّتِهِ وَقَالَ اجْلِسْ
عَلَيْهَا يَا جَرِيرُ ، فَتَلَقَّاهَا بِوَجْهِهِ وَتَحَوَّرَ فَصَلَّاهَا ثُمَّ رَدَّهَا عَلَى ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : أَكْرَمَكَ اللهُ

(١) سبق في صفحة ٢٩٢ من هذا الجزء كتب بن عبيد الله والذي في "خلاصة تذهيب تهذيب الكمال"
لمخزومي ص ٣٢١ أنه كتب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غزيرة بن سواد بن غم بن كعب بن سلة
الانصاري السلي بالفتح أبو اليسر فتح الحنانية عفي بدرى جليل . فعمل عليه أمم أمه .

يارسول الله كما أكرمتني» فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كتبُ بن مالك بالعمز، وجريرُ ابن عبد الله بالكرامة ولم يُشكر ذلك على واحدٍ منهما .

وذهب آخرون إلى أنه لا يجوزُ المكتابة بالدعاء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء أم لا؛ لأنه خلاف ماوردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف .

وقصّل بعضهم فقال : إن كان الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو « أكرمك الله بطاعته » و « تولّك بحفظه » و « أسعدك بمعرفته » و « أعزك بتصره » جاز، لحديثي كتب بن مالك وجرير بن عبد الله المتفقين . وإن كان مما يتضمن معنى الدوام والبقاء، نحو « أطال الله بقاءك » و « قسا أجلك » و « أمتع بك » وما أشبه ذلك، لم تجز المكتابة به .

وأحتج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " أن أم حبيبة بنت أبي سفيان، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم أمّني بزوحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأبى معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد دعوت الله لأجل مضر وبه، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يقبلك عذاب النار لكان خيرا لك " وبما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرايتك بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الدعاء بما فيه طول البقاء، وإذا امتنع ذلك في مطلق الدعاء، امتنع في المكتابة من باب أولى : لخالفه طرقها التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكتابة المسلمين « من فلان إلى فلان » أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلّى على محمد عبده وآلٍ محمد « حتى أحدث الزنادقة - لعنهم الله - هذه المكتبة التي أوّلها « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أوّل من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلبة - وهي أطال الله بقاءك - لا أصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نصّ السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استحبّ تقييده بالإضافة إلى نبي . آخر ، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أسرّ عيش وأتمّ بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أنّ الناس قد اختلفوا في صورة الابتداء بالدعاء : فالأوّلون - لا بدع الدعاء في المكتبات - كانوا يقتضون بطول البقاء للخلفاء وغيرهم ، ثم توسّعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكتبة فانتسحوا بالدعاء للخلفاء والملوك بخلود الملك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ؛ ولين دوتهم بعد النصر والنصرة والأنصار بدوام النعمة وخلود السعادة ومدّ الظل وإسباغ الظلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب في الخطاب^(١) بالدعاء مذهبان :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك ، وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك » وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و « أطال الله بقاء سيدي » و « أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار المقام والمعز »

(١) كذا في الأصول رعله في الايمان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الجنّاب » أو « أدام الله نعمة الجنّاب أو المجلس » وما أشبه ذلك .

قال في " صناعة الكتاب " : وهو أجلّ الدعاء فيما أصطلحوا عليه . قال : ورأيتُ عليّ بن سليمان يُنكر ذلك ويقول : الدعاء للجنّاب جهلٌ باللّغة ، ونحن ندعو الله عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفتح الكتاب بالسلام)

ويقع التخلّص إلى المقصود بلفظ « ونُبدى لعلمه » أو نحو ذلك ، ويقع الاختتام فيه بالسلام أيضا ، وهو منترع من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأول : سلامٌ عليك فإنّي أحمدُ إليك الله ؛ تصرف الكتاب فيه بفعلوا السلام في ابتداء المكتبة ، وصاروا يتدنونها بنحو سلام الله ورحمته وبركاته . وقد كانوا يتدنون المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرت المكتبة عن الخليفة الآن . وبه يُفتح بعض المكتبات إلى مشايخ الصوفيّة ، على ما سأتى في الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال في " صناعة الكتاب " : وإنما قدّموا السلام على الرحمة لتصرفه : لأنه من أسماء الله تعالى أو جمع سلامة . قال في " مواذ البيان " : أو أسمٌ للجنة كما في قوله تعالى : ﴿ لَهْمُ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم عطف ذلك بأن قال : والسلام في هذا الموضع من السّلامة ، وتقديم السلامة التي تكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع

(أَنْ يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِقَبْلِ الْأَرْضِ)

ويتخلص إلى المقصود بلفظ « وينهى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « أنهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضي الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ، وكانهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة بيقبل الأرض والعتبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه ابتداء مكتبة وجعلوها لمكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى المرئوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحیی المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجُودًا ﴾ : كانت تحية الناس يومئذ يسجد بعضهم لبعض ، وعليه حمل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ على أحد التفاسير ، وهو المرجح عند الإمام نحر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعا في الأمم الماضية ولكنه نسيخ في ملتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلماهم فانئت يارسول الله أحق أن يسجد لك . فقال : [لا] لو كنت أمرا بشرا أن يسجد لبشر لا أمرت المرأة أن تسجد لبعلمها من عظم حقه عليها » . وعن صهيب : « أن معاذ [لما] قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يامعاذ [ما هذا ؟] قال [إن اليهود تسجد لعظماها وعلماها ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقها ، قلت ما هذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم » .

(١) الزيادة عن ضمير ابن كثير .

(٢) الزيادة عن مفتاح الغيب للفضل الرازي .

وعن سفیان الثوري عن سِمَاكِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ : دَخَلَ الْجَائِلِيُّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَسْجُدْ لِلَّهِ وَلَا تَسْجُدْ لِي .

فلما وردت شريعة الإسلام بنسخ التحية بالسجود وغلب ملوك العجم على الأقطار، استصحبوا ما كان عليه الأمر في الأمم الخالية، وعبروا عنه بتقريب الأرض فراراً من اسم السجود ولورود الشريعة بالنهي عنه ؛ واستمر ذلك تحية الملوك إلى الآن، فاستعار الكُتَّابُ ذلك ونقلوه من الفعل إلى اللفظ، فاستعملوه في مكاتبتهم إلى الخلفاء والملوك ؛ ثم توسعوا في ذلك فكاتبوا به كل من له عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه، ورتبوه مراتب على ما سياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا خفاء فيما في هذه المكتابة من الكراهة .

الأسلوب العاشر

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بِقَبْلِ اليَدِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ البَاسِطِ وَالبَاسِطَةِ)

ويقع التخلُّص منه إلى المقصود بما يقع به التخلُّص في الأسلوب الذي قبله من الإنهاء ؛ ويُحْتَمُّ بالدعاء ونحوه .

والأصل في هذه المكتابة أن يُقْبَلَ اليَدِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِمَّا يُؤْذَنُ بِالعَظِيمِ ، وَالتَّجْزِيلِ وَالتَّكْرِيمِ ، وَعُلُوِّ التَّعْدِيرِ وَزِيَادَةِ الرَّفْعَةِ ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ فِي الشَّرِيعَةِ . فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ فِي حَدِيثِ الإِفْكَ : « أَنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَرَاءَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَ لَهَا أَبُوهَا : قُومِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبِّلِي يَدَهُ » . وَلَمْ يَكُنِ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَأْمُرَهَا بِمَا هُوَ مَمْنُوعٌ فِي الشَّرِيعَةِ . وَقَدْ نَصَّ الفَقْهَاءُ

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ الْعَالَمِ وَالرُّجُلِ الصَّالِحِ وَنَحْوَهُمَا ، فَاسْتِعَارَ الْكُتَّابُ ذَلِكَ وَتَقَلُّوهُ مِنَ الْفِعْلِ إِلَى الْكِتَابَةِ أَيْضًا ، كَمَا فَعَلُوا فِي تَقْيِيلِ الْأَرْضِ ، وَرَتَّبُوهُ مَرَاتِبَ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْكُتَّابِ قَدْ جَعَلَ يُقْبَلُ الْقَدَمَ رَتْبَةً بَيْنَ يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُقْبَلُ الْيَدَ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَهُوَ ظَاهِرٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَشْتَهَرْ فِي عُرْفِ الْكُتَّابِ .

الأسلوب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ « صَدَرَتِ الْمَكْتَابَةُ »)

وَيُخَلَّصُ فِيهَا إِلَى الْمَقْصُودِ بِلَفْظِ « وَتَوَضَّحَ لِعَلْمِهِ » أَوْ « مُوَضَّحًا لِعَلْمِهِ » وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَيَقَعُ الْاِخْتِمَامُ فِيهَا بِمِثْلِ « وَاللَّهُ الْمَوْقُوقُ » وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَرَبْمَا قِيلَ فِيهَا : « أُصْدِرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ » أَوْ « أُصْدِرْنَاهَا » .

وَأَصْلُ هَذِهِ الْمَكْتَابَةِ أَنَّهُ كَانَتْ يُكْتَبُ فِي الدَّوْلَةِ السَّلْجُوقِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَالدَّوْلَةِ الْأَيْبُوبِيَّةِ بِالْبَيْتِ الْمَقْرِيِّ « صَدَرَتْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ » أَوْ « أُصْدِرَتْ هَذِهِ الْخِدْمَةُ » . وَرَبْمَا كَتَبَ « صَدَرَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ » فَعَدَلَ عَنْهُ الْكُتَّابُ الزَّمَانُ بِالْبَيْتِ الْمَقْرِيِّ وَمِنْ قَارِبِهِمْ إِلَى التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِمْ : « صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ » . عَلَى أَنَّ الْكُتَّابَ الزَّمَانُ بِالْبَيْتِ الْمَقْرِيِّ إِنَّمَا أَخَذُوهَا مِنْ صُدُورِ الْمَكْتَابَاتِ الْمَفْتُوحَةِ بِالْبَدَاءِ : مِثْلَ أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الْمَقْرِيِّ ، حَيْثُ يُقَالُ فِي تَصْدِيرِهَا « أُصْدِرْنَاهَا » وَمِثْلَ « ضَاعَفَ اللَّهُ نِعْمَةَ الْجَنَابِ » وَ« أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَةَ الْجَنَابِ أَوْ الْمَجْلِسِ » وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، حَيْثُ يُقَالُ فِي تَصْدِيرِهَا : « صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ » بِفَعْلُوا الصُّدُورَ آبْتِدَاءً .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويتخلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلُّص به في الأسلوب الذي قبله ،
ويقع الاختتامُ بمثل ما وقع به اختتامه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من آيئناهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« كتابي إليك » وما في معناه ، على أن تُكَّاب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فعملوا بعض الصُّدْر فيها ابتداءً ، كما جعلوا جميع الصُّدْر ابتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتبُ كُتَّاب الزمان : « يعلمُ فلانٌ أن الأمر كذا وكذا » والاختتامُ فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا تخلُّص فيها ، لأن الافتتاح فيها موصل إلى المقصود . على
أن الصواب إثبات اللام في أولها ، بأن يقال : « ليعلمُ فلان » لأن لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما تهرَّر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازانُ أحد ملوك بني
جنك خان ببغداد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وكُتِب الجوابُ عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ما سيأتي ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « يُخَدَّم »)

مثل « يُخَدَّم الجَنَابَ » أو « يُخَدَّمُ المجلس » وما أشبه ذلك . ويكون التخلُّص منها بمثل : « وَيُسَيِّبُ » أو « وَيُسَيِّدِي » ونحو ذلك ؛ ويقع الأختام فيها بالدعاء . وهذه المكتبة كانت مستعملة في مكاتبات الفاضل بقلَّة ، وتداولها الكُتَّاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملة بين الكُتَّاب في المكاتبات الدائرة بين أهل الدولة في زماننا ؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك وتركت حتى لم يستعملها منهم إلا القليل النادر .

الاسلوب الخامس عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ الخِلافة أو المقام الذي شأنه كذا ،

أو الإمارة التي شأنها كذا)

مثل : « خِلافة فلان » أو « مقام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلُّص في ذلك بمثل : « معظَّم مقامها يُخصِّصها بِسَلامٍ صِفَتُهُ كَذَا وَيُسَيِّدِي لِعَلمِهَا كَذَا » وما أشبه ذلك . ويقع الأختام فيها بِالسَلامِ ؛ وهذا الأسلوب مما أختص به كُتَّاب المغرب لاسيما المتأخرون منهم ، على ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليب أخرى لكُتَّاب أهل الشرق والغرب بالديار المصرية في الأزمنة المنقضية ، لا يأخذها حصر ، ولا تدخل تحت حدٍّ ، وأكثر ما تكون في الإخوانيات ، وسيأتي ذكر الكثير من أنواعها في موضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات إلى أهل الكُفر، وللكُتاب فيه أسلوبان)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَح المكاتبة بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفر، وكان يُكتب في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : « السلام على من أتبع الهدى » بدل « والسلام » ويتخلَّص فيها بأما بعدُ تارة، وبغيرها أخرى؛ وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس ببغداد، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بني بويه وبني سنجوق ومن في معانهم . وتُحتم هذه المكاتبة تارة بلفظ « والسلام على من أتبع الهدى » إن لم يذكر السلام في الأول، وتارة بغير ذلك .

الاسلوب الثاني

(أن تُفتَح المكاتبة بالدعاء)

كما يكتبُ كُتاب الزمان « أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة الملك الفلاني » أو « أطال الله بقاء الملك الفلاني » وما أشبه ذلك . وقد تقدّم الخلاف في أصل جواز المكاتبة بالدعاء ، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة ، وأن جماعة من العلماء والكُتاب أجازوه .

فإن قيل : على تقدير جواز ذلك في حق المسلم ، فكيف يجوز في حق الكافر . فالجواب أنه قد ورد « أت النبي صلى الله عليه وسلم أستسقى فسقاه يهودي »

فقال له : بِحَمْلِكَ اللهُ، فما رُؤِيَ الشَّيْبُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى مَاتَ» فقد دعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليهودىٍّ بِالْحَمَالِ ، وقد لا يَكُونُ فِي طَوْلِ بَقَائِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ضَرَرٌ، بل قد يَكُونُ فِيهِ نَفْعٌ، كَحَمْلِ حِرْيَةٍ وَنَحْوِهِ، وَإِنَّمَا يُبْنَعُ الدُّعَاءُ لَهُ بِالْعَزِّ وَالنُّصْرَةِ وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

تنبيه — اعلم أن الأجوبة قد تُفْتَحُ بِمَا تُفْتَحُ بِهِ الْإِسْتِدَاءَاتُ مِنَ الْأَسَالِبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، ثم يُؤْتَى بِالْأَجْوِبَةِ فِي أَشْأْنِهَا مِثْلَ أَنْ يُقَالَ : « وقد وصل كتابُ المجلسِ أو الجَنَابِ » أو «وردتْ مَكاتِبُهُ» أو «عُرِضَتْ مَكاتِبُهُ عَلَى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ، أو عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ» وما أشبه ذلك . وقد يُجْعَلُ الْجَوَابُ آيْتِدَاءً ، فَيُفْتَحُ الْكِتَابُ بِنَحْوِ : «عُرِضَتْ مَكاتِبُكَ عَلَى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ» مثلاً كما كان يكتب في الزمانِ الْمُتَقَدِّمِ ، أو «عُرِضَتْ الْمَكاتِبَةُ الْوَاصِلَةُ مِنْ جِهَةِ الْمَجْلِسِ أَوْ الْجَنَابِ الْفُلَانِي عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ» أو «وردتْ مَكاتِبُهُ» أو «وصلتْ مَكاتِبُهُ» ونحو ذلك ، ويؤتى على ما تَضَمَّنَتْهُ الْمَكاتِبَةُ وَمَا أَقْتَضَاهُ الْجَوَابُ عَنْهُ ؛ ثم يُؤْتَى فِي الْإِخْتِتامِ بِنَظِيرِ مَا يُؤْتَى بِهِ فِي الْمَكاتِبَةِ الْمُبْتَدَأَةِ .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكاتبات ولوازمها ، وفيه ستُّ جملٍ)

الجملة الأولى

(في الترجمة عن المكتوب عنه)

أما التَّرْجِمَةُ عَنِ السُّلْطَانِ ، فقد ذَكَرَ ابْنُ شَيْثٍ أَنَّ مُصْطَلَحَ الدَّوْلَةِ الْأَبُوِيَّةِ أَنْ يَكْتُبَ لِأَرْبَابِ خِدْمَتِهِ الْعَلَامَةَ فَإِنَّمَا الْبَيْقُ بِهِ مَعَهُمْ . فَإِنْ أَرَادَ تَمْيِيزَ أَحَدِهِمْ مِنْهُمْ ، كَتَبَ لَهُ بِحِطَّةٍ شَيْئًا مَكَانَ الْعَلَامَةِ ؛ وَأَنْ تَرْجِمَهُ لِلْفَقْهَاءِ وَالْقُضَاةِ وَذَوِي النَّسَبِ «أَخُوهُ»

و «ولده» . وذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «محل ولده» لقوله تعالى :
 ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
 وقوله : ﴿فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وذكر أنه يترجم لهؤلاء من ولي الأمر أيضا :
 «المعترف بركنته» و «المُتبرك بدعائه» و «المرتبئ بمودته» . وذكر أن الفقهاء
 والقضاة وتبوى النسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخادم» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترفعوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخادم بالدعاء
 الصالح» أو «الخادم بدعائه» . قال : وأهل الورع خاصة يترجمون بـ «الفقير إلى
 رحمة الله» . وربما راعوا المترجم له مثل أن يكون ولي الأمر ، فيقول : «العبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان . ومنهم من يكتب : «الداعي لدولته» و «المبتئل بدعائه الصالح لأيامه»
 و «المواظب على خدمته بالدعاء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ، فأما أن يقول : «والله فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه قبيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتبون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بني بويه وما بعدها تراجم ربوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والعنوان بعضها أعلى
 من بعض ، فجعل أعلاها بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقه» ودونه «حبه» ودونه «شاكركه» ودونه «المعتد به» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبد» ودونه «خادمه» ودونه «عبد وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصبيحة» ودونه «مملوكه» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصبيحة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . ثم قال : ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا تحصر مما يختاره الكتاب ويقترحونه ويتكرونها ، ويكتبون به أصداقهم وأوداعهم حسب ما تقتضيه موداتهم وتوجيه مصافاتهم : كصفي مودته ، والمفتخر بحبته ، والمعتمد على أخوته ؛ وعبد مودته ، وخادم محبته ، وشاكر أباديه ، وحامد تفضله ، والمعتمد بتطوله وما يجري هذا الجري مما هو أوسع من أن يجمع وأكثر من أن يخصص ؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران .

ورتب عبد الرحيم بن شيث في "معالم الكتابة" ترتيباً آخر : فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من ذوى الولايات كلهم «العبد» ومن المملوك كلهم «الخادم» وأن الترجمة إلى المملوك من الأجناد كلهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر القاب الملك : كالناصرى للناصر ، والعاظم للعاظم ، وما جرى مجرى ذلك . ودون المملوك في الخضوع : «عبد» ، و«خادم» ، ودونه «العبد» مفردة . ودونه «مملوكه» ودونه «العبد الخادم» لأن الثاني كأنه ناسخ للاول ؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبد» ودونه «خادمه» ودونه «عبد وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودته» ودونه «وليّه وصفيّه» ودونه «محبّه وواده وشاكره» . ودونه الاسم ، ودونه العلامة .

ثم قال : أما «أصغر المالك» وما يجري مجراها ، فلا يليق من الأجانب . ورأيت في دستور صغير في المكاتبات يعزى للقرن الشهابى بن فضل الله ، أن أكبر الآداب في أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرقيق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعى» ثم «مملوكه ومحبه» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُجِبُّه» ثم «شاكِرُه» ثم «الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» .
ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالف بين ما ذكره وما تقدم ذكره عن
«ذخيرة الكُتَّاب» .

والذي استقرَّ عليه الحال في زماننا في ترجمة العَلَّامة بالقلم الشريف السلطاني
«أخوه» ثم «والده» ثم الأسمُ ؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الأسم . وربما كتب
بعضهم «العبد» بكل الأسم توأصفا . على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد
والمملوك : فذهب بعضهم إلى منع ذلك ، محتجا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُمَّتِي ، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ
وَلَكِنْ عَلَامِي وَجَارِيَّتِي» . والذي عليه العمل جواز ذلك أحنجا بما بقوله تعالى :
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) والاستدلال به لا يخلو من نزاع ؛
وقضاة القضاة يكتبون «الداعي» .

الجملة الثانية

(في العُنْوَان ، وفيه سبع لغات)

حكاهها صاحب «ذخيرة الكُتَّاب» . وأقتصر في «صناعة الكُتَّاب» على ذكر
بعضها : إحداها عُنْوَان - بضم العين وواو بعد النون . والثانية عُنْيَان - بضم العين
وياء تحتية بعد النون . والثالثة عُنْيَان - بكسر العين . والرابعة عُلْوَان - بضم العين
ولام بدل النون . والخامسة عُلْوَان - بفتحها . والسادسة عِلْوَان - بكسرها .
والسابعة عِلْيَان بالكسر مع إبدال الواو ياء ؛ ويجمع عُنْوَانٌ عَلَى عُنَاوِينَ ، وَعُلْوَانٌ
عَلَى عَلَاوِينَ . ويقال : عَنَوْتُ الكِتَابَ عَنُونَةً وَعَلَوْتُهُ عَلُونَةً ، وَعَنَنْتُهُ بِنَوْنِ الْأَوَّلِ

منهما مشددة تعيننا، وعينته بنون مشددة بعدها باء تعينية، وعنوته عنوا بفتح العين وسكون النون، وعنوا بضمهما وتشديد الواو .

وأختلف في اشتقاقه : فمن قال عنوان، جملة مأخوذاً من العنوان بمعنى الأثر، لأن عنوان الكتاب [أثر بيان ^(١)] ممن هو وإلى من هو . قال النحاس : وأكثر الكتاب لا يعرف غير هذا ؛ واحتجوا لذلك بقول الشاعر يذكر قتل أمير المؤمنين « عثمان بن عفان » رضى الله عنه :

صَحُّوا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ * يَقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْءَانًا

وزعم بعضهم أن العنوان مأخوذ من قول العرب : عنت الأرض تعنوا إذا أخرجت النبات، وأعانها المطر إذا أظهر نباتها . قال النحاس : فيكون عنوان على هذا فعلاً ينصرف في النكرة ولا ينصرف في المعرفة . وقيل هو مأخوذ من عن يمين، إذا عرض وبدا . قال النحاس : فعلى هذا ينصرف في النكرة والمعرفة لأنه فعلاً .

ومن قال : عنوان ، أبدل من النون لاما ، كما في صيدلاني وصيدلاني ؛ فيكون الاشتقاق واحداً . وقيل عنوان مشتق من العلانية، لأنه خط ظاهر على الكتاب .

ومن قال : عنيان وعينان، جملة من عنت فلانا بكذا إذا قصده . قال في " مواد البيان " : والعنوان كالعلامة ، وهو دال على مرتبة المكتوب إليه من المكتوب عنه . والأصل فيه الإخبار عن اسميهما حتى لا يكون الكتاب مجهولاً، والمراد أنه يكتب فيه « من فلان إلى فلان » أو « لفلان من فلان » قال : ولم يزالوا يكتبون باسمائهم إلى أن ولي عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة ولقب بأمر المؤمنين ،

(١) الزيادة من الضوء، المؤلف من ٤٤١ .

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا .

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاح على
العنوان للرؤساء والنظرء والمرؤوسين والأتباع بالأسماء ، ثم تغير هذا الرسم أيضا .
وكان المأمور يكتب في أول عنوانات كتبه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت
تكتب قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن
ذلك بقي إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في « مواد البيان » : ثم بطل بعد
ذلك . قال : والأصل فيه أن يُبتدأ بأسم المكتوب عنه ثم بأسم المكتوب إليه
وهو الترتيب الذي تشهد به العقول : لأن نُعوذ الكتاب من المكتوب عنه إلى
المكتوب إليه كمنشئ الشيء ونخروجه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأوه من المكتوب
عنه ، وآتواؤه إلى المكتوب إليه ؛ ونلفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن
حرف « من » ينبي عن منشئ الشيء ، و « إلى » حرف يُخبر عن النهاية التي عندها قرار
الشيء ؛ والإبتدآت في الأشياء قبل النهايات .

قال : وعلى هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأمم
الماضية ؛ ثم عرض للناس رأي في تغيير هذا الرسم إلى غيره ، ففرقوا بين مراتب
المكتابين من الرؤساء والعظماء والخدم والأتباع بتقديم أسم المكتوب إليه إذا قصدوا
إعظامه وإجلاله وتأخير أسم المكتوب عنه ، ورأوا أنه الصواب الصحيح .
على أن كتاب زماننا يقتصرون في أكثر عنواناتهم على ذكر المكتوب إليه دون
المكتوب عنه ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في مكاتبات خاصة قليلة . قال
في « صناعة الكتاب » : ولا يتكفى المكتوب عنه على نظيره ، بل يتسمى له ولن
فوقه ، ثم يقول : المعروف بأبي فلان . وإن كانت كنيته أشهر من اسمه وأسم

أبيه ، جاز أن يكتُب كنيته بغير ألف ويُجرىها مجرى الأسم . قال النحاس : وإن كان الكتابُ إلى اثنين أحدهما أكبر من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو كان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسن جماعة أن يصغرَ اسمُ المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعملُ في المكتبات الجارية عليه حكمُ الدواوين إلى زماننا . والأصلُ في ذلك ما ذكره النحاس أن الحاجَّ ابن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة في طومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طرته بقلم ضئيل : من الحاجَّ بن يوسف ، فجرى الكتابُ على أسلوبه فيما بعد .

قال في " معالم الكتابة " : ولا يكثرُ النعوتُ ولا الدماءُ على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى إلى الأدنى فحسن . وقد تقدم في مقدمة الكتاب أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يُعنونُ الكتبَ السلطانية ، وأنها كانت لِأَسْمَانٍ قبل كتابة السلطان عليها علامته ، والذي استقرَّ عليه الحالُ في كتب السلطان وما في معناها من المشتملة على الألقاب أن تكتب الألقابُ في العنوان ، ويُدعى فيها بدعوة واحدة وهي المفتوح بها المكتابة .

(١) عبارة الضوء « جاز أن يكتب كنيته ويجرىها ... الخ » وهي واضحة ولكن قد ورد في مسائل الأَبصار في كتاب انقطاع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تميم الداري وذكره المؤلف فيما تقدم أن الكنية فيه بنى ألف ونص على ذلك ، قلل مراده أن الكنية في هذه الكتب تكتب بغير ألف فيقال في أبي بكر بن بكر .

(٢) لأن ذلك يؤذن بشريف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب وختمه)

أما طيه فعروف ، وهو أن يلف بعضه على بعض لفا خاصا ، والطي في اللغة خلاف النشر ، ويقال : طوى الكتاب يطويه طيا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصود صون المكتوب فيه .

ثم للناس في صورة الطي طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لفة مَدْقُورًا كُتُوبُهُ الرَّخِّعُ ، وهي طريقة كُتَابِ الشَّرْقِ من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مبسوطا في قدر عرض أربعة أصابع مطبوقة ، وعلى ذلك كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبد الرحيم ابن شيبث من كُتَابِ دولتهم : أن طي الكُتُبِ السلطانية يكون عرض أربعة أصابع ، وكذلك من العلية إلى من دونهم ، أما الكُتَابُ من الأدنى إلى الأعلى فلا يُجَاوِزُ به عرض إصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطي يكون غير مَدْقُورًا ، وهي طريقة أهل المغرب والروم والفرنج .



وأما ختمه ، فالتختم مصدر تختم ، يقال : ختم الكتاب يختمه ختما ، ومعناه الطبع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ والمراد شد رأس الكتاب والطبع عليه بالخاتم ، حتى لا يطلع أحد على ما في باطنه حتى يقضه المكتوب إليه ، على ما سياتي ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوب مرغّب فيه ، فن كلام عمر

رضى الله عنه : « طِبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ » يعنى أَنَّ حَتْمَ الْكُتَابِ بِطِبْنَةٍ خَيْرٌ مِنْ طِنَّةٍ تَقَعُ فِي الْكُتَابِ بِالنَّظَرِ فِيهِ أَوْ زِيَادَةً أَوْ نَقْصًا ، وَالطِنَّةُ التُّهْمَةُ . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « اخْتِمَ تَسْلِمٌ » . وَمِنْ كَلَامٍ غَيْرِهِ : « إِنْ طَبِنْتَ وَإِلَّا وَقَعْتَ » يعنى إِنْ طَبِنْتَ الْكُتَابُ وَإِلَّا وَقَعْتَ فِي الْمَحْذُورِ . وَيُقَالُ : إِنْ فِي حَتْمِ الْكُتَابِ تَعْظِيمًا لِلْكِتَابِ إِلَيْهِ . قَالَ بَزْرَجَمُهْرُ أَحَدِ مَلُوكِ الْفُرْسِ : مَنْ لَمْ يَتَّخِمْ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَحَفَّ بِصَاحِبِهِ ، وَجُهْلٌ فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَوَّلَ مِنْ حَتْمِ الْكُتَابِ سَلِيَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ فُسرَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ بَلْقَيْسَ : ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ لِيَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ بِأَنَّهُ مَخْتومٌ . وَعَلَى تَهَجُّجِهِ فُذِّقَ بَحْرَتَ مَلُوكِ الْعَجَمِ . قَالَ فِي "مَوَازِئِ الْبَيَانِ" : وَلَمْ تَزَلْ كَتَبُ الْعَرَبُ مَنْشُورَةً حَتَّى كَتَبَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ الصَّحِيفَةَ إِلَى الْمُنَاسِّسِ ، فَقَرَأَهَا وَلَمْ يُوصَلْهَا ، فَخَمَّتِ الْعَرَبُ الْكُتُبَ مِنْ حَيْثُئِذٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْعَجَمِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غَيْرَ مَخْتومٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُخْتَذَ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ ، فَوَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ ، فَأَتَاهُ جَبْرِئُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أُنْبِئْهُ مِنْ إِصْبِعِكَ ، فَنَبَّئَهُ ، وَأَمَرَ أَنْ يُخْتَذَ لَهُ خَاتَمٌ نُحَاسٌ فَوَضَعَهُ فِي إِصْبِعِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِئُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أُنْبِئْهُ مِنْ إِصْبِعِكَ ، فَنَبَّئَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخْتَذَ لَهُ خَاتَمٌ ، فَأَخْتَمَ بِهِ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ نَقَمَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِنَ الْأَعَاجِمِ ، وَنُقِشَ عَلَيْهِ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ثَلَاثَةً أَسْطُرًا ، وَكَانَ الْخَاتَمُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ تَخَمَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُبِضَ ، ثُمَّ تَخَمَّ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ، ثُمَّ تَخَمَّ بِهِ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَدِينَا هُوَذَا تَ يَوْمَ عَلَى يَثْرَ أَرِيَسَ مِنْ يَثَارِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ عَبَّتْ بِالْخَاتَمِ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَرَحَّ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ

(١) قال " في إرشاد السارى " شرح صحيح البخارى ج ٨ ص ٣٦٢ لا ينصرف على الأصح - ونقل

صاحب "تاج العروس" عن ابن مالك جواز صرفه . وقال ابن فارس الحمزة والراء والسين ليست عربية .

من الماء فلم يُوجد ، فلما يتيسر منه أمر أن يُصاغ له خاتم مثله وينقش عليه «مجد رسول الله» ففعل ذلك وتختّم به . هكذا أورده صاحب «ذخيرة الكتاب» وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آخذه كان «أمنتُ بالذي خالق فسوى» . وقيل : كان نقشه «لتصيرن أو لتدمن» .

ثم كان لكل من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتم يختّم به ، عليه نقش مخصوص : فكان نقش خاتم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه «المُلك لله الواحد القهار» ونقش خاتم ابنه الحسن «لا إله إلا الله الملك الحق المبين» ونقش خاتم معاوية بن أبي سفيان «لكلّ عمل ثواب» وقيل : «لا قوة إلا بالله» ونقش خاتم يزيد بن معاوية «ربنا الله» ونقش خاتم معاوية بن يزيد «الدنيا غرور» ونقش خاتم مروان بن الحكم «الله يقتي ورجائي» ونقش خاتم عبد الملك بن مروان ، «أمنتُ بالله مُخلصا» ونقش خاتم الوليد بن عبد الملك «يا وليدُ إنك ميت ومحاسب!» ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله» ونقش خاتم يزيد بن عبد الملك «قني السبائب يا عزيز» ونقش خاتم هشام بن عبد الملك «الحكم للحكم الحكيم» ونقش خاتم الوليد بن يزيد «يا وليدُ أحذر الموت» ونقش خاتم يزيد بن الوليد «يا يزيدُ قم بالحق» ونقش خاتم إبراهيم بن الوليد «توكلتُ على الحى القيوم» ونقش خاتم مروان بن محمد «أذكر الله يا غافل» .

وكان نقش خاتم السفاح : أول خلفاء بنى العباس «الله ثقة عبدا لله» ونقش خاتم المهدي^(١) «حسى الله» ونقش خاتم الرشيد «العظمة والقدره لله» . وقيل : «مكّن من الله على حذر» ونقش خاتم الأمين «محمد واثق بالله» ونقش خاتم المأمون

(١) لم يذكر نقش خاتم المنصور والمهدي .

”سَلِ اللهُ يُعْطِيكَ“ ونقش خاتم المعنصم ”اللهُ نَفْعُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ وَبِهِ يُؤْمِنُ“
 ونقش خاتم الواثق ”اللهُ نَفْعُ الْوِاثِقِ“ ونقش خاتم المتوكل ”عَلَى الْحَيِّ - أَتَّكَلَى“
 ونقش خاتم المتحصر ”يُؤْتَى الْحَدِيدُ مِنْ مَأْمِنِهِ“ ونقش خاتم المستعين ”فِي الْإِعْتِبَارِ
 غَنَاءٌ عَنِ الْإِخْتِبَارِ“ ونقش خاتم المعتر ”الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ“
 ونقش خاتم المهتدى ”مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ“ ونقش خاتم المعتمد
 ”السَّعِيدُ مِنْ وَعُظِّ بَغِيْرِهِ“ ونقش خاتم المعتضد ”الْإِضْطْرَارُ يُزِيلُ الْإِخْتِبَارَ“ ونقش
 خاتم المكتفي ”بِاللهِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ يَتَّقِي“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ“ ونقش خاتم القاهر ”مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ“ ونقش خاتم المتقي ”الْمُتَّقِيَّ اللهُ“ كلفبه للخلافة، ونقش خاتم المستكفي
 ”الْمُسْتَكْفِيَّ بِاللهِ يَتَّقِي“ ولم أقف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وأعلم أنه كان للحتم في أيام الخلفاء ديوان مفرد يعبر عنه بديوان الخاتم .
 وقد اختلف في أول من اتخذ ديوان الخاتم : فروى محمد بن عمر المدائني في كتاب
 ”القلم والدواة“ بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
 يلبسون خواتم ولا يطبعون كتابا ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لنا طواعي ، فاتخذ عند
 ذلك عمر طابعا يطبع به ، ونحزم الكتاب ولم يكن قبل مجزوم .

ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الختم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
 ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الختم . وذكر الطبري في تاريخه :
 أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان في خلافته ، وذلك أنه أمر لعمر بن

(١) استعمل صيغة الجمع للتخيم أو أراد به ما فوق الواحد .

الزبير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين؛ فلما رفع زيادُ حسابَهُ أنكر ذلك معاويةً؛ وطلب عمراً فحبسه حتى قضاها عنه أخوه عبدُ الله ابنُ الزبيرِ وآنخذ معاويةً حينئذ ديوانَ الختم، وخَرَمَ الكتاب ولم يكن قبلَ يُخَرَّم . قال القاضي «وليُّ الدين بن خلدون» في تاريخه : وديوان الختم عبارةٌ عن الكتاب القائم على إنفاذ كُتُب السلطان . قال : وهذا الخاتم خاصٌ بديوان الرسائل ، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية . ويشهد لذلك قولُ الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا ، ويستبدل به من الفضل أخيه : إني أحول الخاتم من يميني إلى شمالي ، فكُنِّي بالخاتم عن الوزارة ، لأنضمام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك . ثم اختلف العُرفُ بعد ذلك ، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة .

ثم لختم ثلاثُ صور :

الصورة الأولى — أن يُلصق رأس الكتاب بنوع من أنواع اللصاق ، كالكتيريا المدافاة بالماء ، والنشأ المطبوخ ونحو ذلك . وهذا هو المستعملُ بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا ؛ والمستعملُ بالدواوين هو النشأ دون غيره ، لنصاعة بياضه وشدَّة لَصاقه . قال في «مواد البيان» : ويجب أن يكون اللصاقُ خفيفًا كالدهن لئلا يتكسَّر ويكُتف في جانب الورق . وقد كانت عادتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُختم بخاتم الخليفة ، بأن يُغمس في طين معد لذلك أحمر الصبغ ، ويختم به على طرفي اللصاق ، ليقوم مقامَ علامة الخليفة . وكان هذا الطين يجلب إليهم من سيرات من بلاد فارس ، وكأنه مخصوصٌ بها ؛ وعلى نهج الخلفاء جرى الملوكة حينئذ . والذي استقرَّ عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الإقتصارُ على مجزء اللصاق آكفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَضَّهُ إِنْ فَضَّ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن نباتة كُتَّاب ديوان الإنشاء بدمشق مخاطبا به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - فقال : ومن ختم الكلاب بالطين وربطه ؟ ومن غير الطين إلى النشا وضبطه ؟ . وقد سبق الكلام في النشا وسائر أنواع اللصاق في الكلام على آلات الدواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخْرَم الكُتَّابُ من وَسَطِهِ بالأشْفارِ حَتَّى تَنْقُذَ في بعض طَيِّبَاتِ الكُتَّابِ ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دَسْرَةٌ من الورق كَالسَّيْرِ الصَّغِيرِ وَيُقَطُّ طَرَفَ الدَّسْرَةِ ؛ ثم يُلصَقُ على ذلك بِشَمْعٍ أَحْمَرٍ ؛ ثم يَحْتَمُّ عَلَيْهِ بِخَاتَمٍ يَظْهَرُ نَفْسُهُ فِيهِ ، وَيُسَمَّى هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْخَتْمِ الْخَتْمُ - بِالْخَاءِ وَالزَّيِّ الْمَعْجَمَتَيْنِ - أَخْذًا مِنْ خَرَمِ البَعِيرِ ، وَهُوَ أَنْ يُثَقَّبَ أَنْفُهُ وَيَجْعَلُ فِيهِ خَيْطًا أَوْ نَحْوَهُ . ولعل هذه الطريقة من الختم هي التي كان عليها الحال حين أحدث الختم في صدر الإسلام ، ويدل على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنه في رواية الطبري المتقدمة : وَخَرَمَ الكُتَّابَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ يُخْرَمُ . وعلى هذا الآن أهل المغرب والروم والفرنج ومن في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يُلصَقَ على الكُتَّابِ بَعْدَ طَيِّبِهِ قُصَاصَةٌ من الورق كَالسَّيْرِ في عَرْضِ رَأْسِ الخِنِصْرِ ، وتلف على الكُتَّابِ ثم يُلصَقُ رَأْسُهَا ؛ وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي الرِّقَاعِ الصَّغِيرَةِ المَرْتَدَّةِ بَيْنَ الإِخْوَانِ ، وَتُسَمَّى القُصَاصَةُ الَّتِي يُلصَقُ بِهَا سَمَاعَةٌ - بفتح السين وبالمدة ، وتقال بكسر السين أيضا ، وربما قيل سَمَاعِيَةٌ ؛ وَيَقَالُ فِيهِ : سَمَعْتُ الكُتَّابَ

(١) مراد المؤلف بالدرسة الدسار أو المسار أو الخيط من اللبف وجارى العامة في تعبيرهم عنه بالدرسة .

(٢) الذي تقدم عن الطبري أن أول من اتخذ الختم وانزعم معاوية وأما رواية ابن عمر التي تفيد أن أول من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر المدائني في الكلام سهوا واشتباه .

أَسْحَوْهُ سَحْوًا ، وَتَجَبَّتْهُ بِالتَّشْدِيدِ أُسْحِيَّةٌ تَسْحِيَةٌ فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحِيٌّ وَمُسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ
 مِنْ سَحَوْتُ الْكِتَابَ أُسْحِعُ ، وَمِنْ سَجَبْتَهُ بِالتَّشْدِيدِ سَجَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
 يُقَالُ : سَحَوْتُ اللَّحْمَ عَنِ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرْتَهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكِتَابِ وَتَأْدِيَتِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَشَدِيدٌ ﴾ .
 الْأَمَانَاتُ إِلَى أَهْلِهَا . وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من أعظم
 الأمانة أداء الكتاب إلى أهله . قال محمد بن عمر المدائني : حمل الكتاب أمانته ،
 وترك إيصاله خيانة . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَلَغَ كِتَابَ
 غَايِرٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِهِ أَوْ كِتَابَ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَأَعْطَاهُ
 اللَّهُ كِتَابَهُ بيمينه وكتب له براءة من النار » . وقد نطق القرآن الكريم بتأدية الهدء
 كتاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس ، حيث قال حكاية عن سليمان : ﴿ أَذْهَبَ بِكِتَابِي
 هَذَا فَأَلْفِيهِ إِلَيْكُمْ ﴾ إلى أن قال : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِكَ يَا كَرِيمٌ ﴾ .

وقد وردت الأحاديث بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث كتبه مع رسله
 إلى الملوك : فبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس ، وبعث
 دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس
 صاحب مصر ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى الضحاك ملك الحبشة ، وبعث
 شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وبعث سليط بن عمرو

إلى هُوذة بن عليّ صاحب الحمامة ، وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وبعث عمرو بن العاص إلى عبيد وجيقيز أبي الجندى ملكي عُمان .
قال ابن الجوزي : وبعث جرير بن عبد الله البجليّ إلى ذى الكلاع الحميريّ .

وأعلم أنه يجب أن يكون حاملُ الكتاب المؤدّي له عن الملك ونحوه وإفرا العقل ، شديدَ الشكيمة في الجواب ، طلق اللسان في المُخاورة ، فإنه لسانُ ملكه ، وترجمانُ مرسله ، وربما سأله المكتوبُ إليه عن شيءٍ أو أورد عليه اعتراضًا فيكون بصدد إجابته . وقد قيل : إنه يُستدلُّ على عقل الرجل بكتابه ورسوله . ومن غريب ما يُروى في ذلك ما ذكره ابنُ عبد الحكم : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما بعث حاطبَ ابنِ أبي بلتعنة إلى المقوقس صاحب مِصر ، وبلغه كتابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال له : ما منعك أن يدعوا عليّ فيسلطَ عليّ ؟ - قال له حاطبٌ : ما منع عيسى أن يدعوا عليّ من أبي عليه أن يفعل ويفعل ؟ فوجم ساعة ثم استعادها ، فأعادها عليه حاطبٌ ، فسكت . ويُروى : أنه حين سأله عن أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في حرب قومه ، وذكر له أنَّ الحربَ تكونُ بينهم بجمالا : تارة له وتارة عليه ، قال له المقوقس : النبيُّ يقلب ! فقال له حاطبٌ : فالإلهُ يقلب ! - يشير بذلك إلى ما ترجمه النصرانيّ من أن المسيح عليه السلام صُلب مع دعواهم فيه أنه إلهٌ .

وذكر السهيليّ أن دحية الكلبيّ حين دخل على قيصر بكتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال له دحية : هل تعلمُ أكان المسيحُ يُصلى ؟ قال نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيحُ يُصلى له ، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيحُ في بطن أمه . فالزمه من صلاة المسيح أنه عبدُ الله تعالى ، وصحمن ذلك بيتًا من أبيات له فقال :

(١) كذا في "المواعظ القدسية" أيضا - والذي في القاموس عبد الله .

فَقَرَّرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ!

وَيُحْكَى أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنْظُرُ عِلْمَاءَ
النَّصْرَانِيَّةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعْتَهُمْ أَسْلَمُوا؛ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيِّ،
وَكَانَ مِنْ أُمَّةِ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ؛ فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَأَجْتَمَعَ لَدَيْهِ عِلْمَاءُ النَّصْرَانِيِّ،
قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَعْتَقِدَكُمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ
رُمِيَتْ عَائِشَةُ بِمَا رُمِيَتْ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَارُمِيَتْ بِهِ حَقًّا، كَانَ نَاقِضًا لِأَصْلِحِكُمُ الَّذِي
أَصْلَحْتُمُوهُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقِّ كَانَ مَوْثِرًا فِي إِيمَانِ
مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : امْرَأَتَانِ حَصِيصَتَانِ رُمِيَتَا بِالْفِرْيَةِ ، إِحْدَاهُمَا
لَهَا زَوْجٌ وَلَاوَلَدٌ لَهَا، وَالْأُخْرَى لَهَا وَلَدٌ وَلَا زَوْجَ لَهَا - يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا، وَبِالثَّانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَعْبِيهِمْ فِي ذَلِكَ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَمْتَكًا مِنْ عَقْلِهِ ، عَالِمًا بِمَا بَأَى وَمَا يَدَّرُ ، كَفَى مَلِكًا مَثُونَةً
غَيْبَتَهُ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ؛ وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أُنْعَكَسَتِ الْقَضِيَّةُ ،
وَرَجَعَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالِ . ثُمَّ إِنْ أَقْتَضَى رَأْيُ الْمَلِكِ زِيَادَةَ فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ
الْوَاحِدِ فَعَلْ : لِيَتَعَاوَنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَفْعَلَانِ ، فَقَدْ ذَكَرَ السَّيْلِيُّ :
أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَرَّرِيسِ .
وَإِنْ أَقْتَضَى الْحَالُ إِسْرَافًا أَكْثَرَ مِنْ آتَيْنِ أَيْضًا فَعَلْ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ
أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلٍ ، وَهُمْ : هِشَامُ
ابْنُ الْعَاصِ ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ .

(١) في شرح المرواتب اللدنية ج ٣ ص ٣٩٨ عن السبئي مانصه "مولى أبي رهم الغفاري وهو فالحدي
في الاستيعاب والامابة وغيرهما أن جبيرا كان من القبط وأنه رسول المقوقس بمارية اليه صلى الله عليه وسلم".

ومما يجب التنبية عليه أنه يحرمُّ على حامل الكتاب النظر فيه ، والأطلاع على ماضمَّنه . قال محمد بن عمر المدائني : في فِصِّ الكتاب إثمٌ وسوءُ أدبٍ ، وساق بسنده إلى معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطلع في كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طلعةً في النار » .

الجملة الخامسة

(في فِصِّ الكتاب وقراءته)

أما فِصُّه فالمراد فكُّ ختمه وفتحُه ، والفِصُّ في أصل اللثة الكسر والتفريق ، ومن الأول ما ثبت في الصحيح من قول القائلة لابن عمِّها في قصة الثلاثة الذين دَعَوْا اللهَ بأحبِّ أعمالهم : « اتَّقِ اللهَ ولا تُفِصِّ الخاتمَ إلا بحقِّه » تريد إزالة بَكَارتها . ومن الثاني (هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) . وقد تقدَّم في الكلام على ترتيب الملكة في المقالة الثانية أن الرسول أو البريدي الواصل إلى باب السلطان يقدِّمه الدوادارُ إلى السلطان ، ثم يتناولُ الكتابَ منه ويمسحُ به وجهه من حضر على يده ، ثم يقدِّمه إلى الساطان فيفِصُّ ختامه ، ثم يتناولُه الدوادارُ من السلطان ويدفعه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وأعلم أن لفض الكتاب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون مخزوماً باللصاق بالنَّشأ على طريقة المَشَارِقَة وأهل الديار المصرية ، فيشقُّ ظاهره على القُرْب من محلِّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون مخزوماً مسمراً بئسرة من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم الملتصقُ عليه من الشمع ، وتُقلعُ البئسرة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكُتُب فإنه يجب أن يكون من يقرأ الكُتُب على الملوك ومن في مناهم ماهراً في القراءة ، فصيح اللسان في النطق ، رقيق حاشية اللسان في حسن الإيراد، قوي المَلَكَة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني الخفية ؛ وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه أو أميره سماعه من السرعة والبُطء ؛ وأن يكون ذلك بصوتٍ غير خفي بحيث يسمع سماعه ، ولا مرتفع بحيث يبعد صاحبه خارجاً عن أدب المخاطبة للأكابر ؛ وأن يُقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي أعصت عليه إذا سأل عنها ، أو غلب على ظنه أنها لم تصل إلى فهمه ، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس ويجعل وقعها في الأذهان .

الجملة السادسة

(في كراهة طرح الكتاب بعد تحزيقه : وهو قرضه ،

وحفظه بعد ذلك في الإضارة)

أما كراهة طرحه فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" : كرهوا تحزيق الرسائل ورميها في الطرُق والمزابيل ، خوفاً على أسم الله تعالى أن يُداس ، أو تاحقته النجاسة والأذناس . قال : وفي رفع ما طرح من الكُتُب أعظم الرغائب وأجل الثواب ؛ وساق بسنده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من كتاب يُلقى ببُقعةٍ من الأرض فيه

أسم من أسماء الله إلا بعث الله إليه سبعين ألف ملك يحضونه بأجنتهم ويقدمونه، حتى يبعث الله إليه ولياً من أوليائه فيرفعه من الأرض . ومن رفع كتاباً من الأرض فيه اسم من أسماء الله تعالى، رفع الله اسمه في عليين وخفف عن والديه العذاب وإن كانا مشركين . و يروى : « من رفع قرطاساً من الأرض فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم » إجلالاً له أن يداس ، أدخله الله الجنة وشفعه في عشرين من أهل بيته كلهم قد وجب له النار .



وأما حفظه في الإضبارة فهو أمر مطلوب ، والإضبارة عبارة عن ورقة تُلَفُّ على جملة من الكتب قد جُمِعَتْ في داخلها ويُلصَق طرفها بالنشا . والقاعدة فيها أن تُلَوَّى الكسرة من أسفلها ، وإن طال بعضها في طيِّه وقصُر بعض جعلت التفاوت في الطول والقصْر من أعلاها . قال في «صناعة الكُتُب» : ومعناها الجمع ، لأنها يُجَمَع بعضها إلى بعض . ومنه قيل : تَضَبَّر القومُ إذا تَجَمَّعوا ، ورجل مضبَّر الخلق أي مجتمعه ، وناقاة مضبَّرة ومضبورة ، وضَبَّر الفرس إذا جمع قوائمه ووثب . ويقال للإضبارة أيضاً إضامة بكسر الهمزة وتشديد الميم لضم بعضها إلى بعض ، والمعنى فيها صيانة الكُتُب وحفظها عن الضياع . وقد جرت عادة كُتَّاب ديوان الإنشاء بالديار المصرية أن يعمل لكل شهر إضبارة تجمع فيها الكتب الواردة على أبواب السلطان من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها « شهر كذا » . وقد سبق القول في مقدمة الكتاب أن الديوان كان له في زمن الفاطميين كاتب يكتب الكتب

(١) كذا في الأصول والنص، والذي في أمهات اللغة بهذا المعنى في مادة ض م م « إضامة » أي بكسر

الهمزة وتخفيف الميم بينهما ألف فتبه .

الواصلّة ويُسَطُّ عليها جرائد ، كما يكتبُ الكتبُ الصادرة عن الأبواب السلطانية
ويُسَطُّ عليها جرائد ، وأن ذلك بطل في زماننا وصار الأمرُ قاصراً فيها على حفظ
الكتب في الإضبارات ، متى أُحْيِيَجَ إلى الكَشْفِ عن كتاب منها ، أُخِذَ بالحدس
أنه ورد في السنة القلانية ، وتُكشَفُ إضباراتها واحدةً بعد واحدة حتى يقع العُشورُ
عليه ، ولا خفاء فيما في ذلك من المشقة ، بخلاف ما إذا كان لها جرائد مبسوطة ،
فإنه يسهُلُ الكَشْفُ منها ، ويستدلُّ بتاريخه على إضبارته فتُخْرَجُ ويقع الكَشْفُ
منها ، ولكن أُهْمِلَ ذلك في جملة ما أُهْمِلَ .

الباب الثانى

من المقالة الرابعة

(فى مصطلحات المكتبات الدائرة بين كُتَّاب أهل الشرق والغرب
والديار المصرية فى كل زمن من صدر الإسلام
وهلمَّ جراً إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(فى الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(فى ذكر ترتيب كُتُبهِ صلى الله عليه وسلم فى الرسائل على سبيل الإجمال)
كان صلى الله عليه وسلم يفتتح أكثر كُتُبِهِ بلفظ «من عهد رسول الله إلى فلان»
وربما أفتتحها بلفظ «أما بعد» وربما أفتتحها بلفظ «هذا كتاب» وربما أفتتحها
بلفظ «سلم أنت» .

وكان يصرح فى الغالب بأسم المكتوب إليه فى أوّل المكتبات، وربما أكتفى
بشهرته. ^(١) فإن كان المكتوب إليه ملكاً كتب بعد ذكره اسمه «عظيم القوم الفلانيين»
وربما كتب «ملك القوم الفلانيين» وربما كتب «صاحب تملكة كذا» .

وكان يعبر عن نفسه صلى الله عليه وسلم فى أثناء كُتُبِهِ بلفظ الأفراد. مثل: «أنا»
و «لى» و «جاءنى» و «وفد على» وما أشبه ذلك، وربما أتى بلفظ الجمع مثل
«بلغنا» و «جاءنا» ونحو ذلك .

(١) أى بما أشهره كالقبصر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الإفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » وتاء المخاطب . مثل : « أنتَ قلتَ كذا وفعلتَ كذا » . وعند التثنية
بلفظها مثل : « أنتمَا » و « لكما » و « عليكما » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أنتم »
و « لكم » و « عليكم » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتُبِهِ بالسَّلام . فيقول في خطاب المسلم « سلامٌ عليك »
وربما قال : « السَّلامُ على مَنْ آمَنَ بالله ورسولِهِ » وفي خطاب الكافر : « سلامٌ
على من أتبع الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من صدر الكتاب .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السَّلام . فيقول : « فإني أحمدُ إليك
الله الذي لا إلهَ إلا هو » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التَّحْمِيدُ بالتَّشْهَدُ وقد لا يأتي به .
وكان يتخلَّص من صدر الكتاب إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يَحْتَمِ كُتُبَهُ بالسَّلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « والسَّلامُ عليك ورحمة
الله وبركاته » وربما اقتصر على السَّلام . ويقول في خطاب الكافر : « والسَّلامُ على
من أتبع الهدى » وربما أسقط السَّلامَ من آخر كُتُبِهِ .

♦ ♦
أما عنوانه كُتُبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم أَقِفْ فيها على نصٍّ صريحٍ ، والذي يظهر
أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَتَوَنَّنُ كُتُبَهُ بلفظ : « من محمد رسول الله إلى فلان »
على نحو ما في الصَّدر ، وتكون كتابته « من محمد رسول الله » عن يمين الكتاب ،
و « إلى فلان » عن يساره ، وعليه يدلُّ ما تقدّم من كلام صاحب « موادِّ البيان »
في الأصل الثاني عشر من أصول المكاتبات حيثُ ذكر في الكلام على العُنوان أن
الأصل أن يُبتدأ باسم المكتوب عنه ويتنقَّى باسم المكتوب إليه ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتُبُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،

وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من عهد رسول الله إلى فلان »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم بإسلام بني الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :

” من عهد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك ، يُخبرني أن نبي الحارث قد أسلموا قبل أن نُكتابهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن نبيا عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل ولقبيل معك وقدّمهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البعريين من جهة الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسخته على ما ذكره السهيلي في ”الروض الأنف“ :

”من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى .

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع ربي ويدين أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن ربي قد أتوا عليك خيرا ، وإني قد شفعتك في قومك فأترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل لهم ، وإنك مهما تصلح فلن نزلك ، ومن أقام على مجوسيته فعليه الجزية“ .

+

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى قروة بن عمرو الجذامي . ونسخته على ما ذكره ابن الجوزي في ”كتاب الوفاء“ .

”من محمد رسول الله إلى قروة بن عمرو .

أما بعد ، فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم خيرا ، وأتانا بإسلامك لأن الله هدانا لهذا“ .

+

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طهفة النهدي وقومه . ونسخته فيما حكاه ابن الأثير في ”المثل السائر“ :

”من محمد رسول الله إلى بني نهيد .

السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بني نهيد في الوظيفة القريضة ، ولكم الفارض^(١) والقريش ، ودو العنان الركوب والقلو الضبيس ، لا يمنع سرحكم ، ولا يعضد

(١) يروى بالفاء وبالعين فأما بالفاء فيكون المراد بها المربضة وأما بالعين فهي التي أعابها آفة أو كمراد

طَلَحَكُمْ ، وَلَا يُجِبُّسَ دَرَكُمْ مَا لَمْ تُضْمِرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَأْكُلُوا الرِّبَاقَ . مَنْ أَحْمَرُ
[بما في هذا الكتاب] [من رسول الله] [الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبا
فَعَلِيهِ الرِّبْوَةُ] .

وهذا الكتاب مما يحتاج إلى شرح غيره به يُفهم . « فالوظيفة » النصاب في الزكاة وأصله
الشيء الرائب . « والفريضة » الهزيمة المسنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة
بل تكون لهم . « والفريش » بالفاء والشين المعجمة ما أنبسط من النبات وقَرَشَ
على وجه الأرض ولم يبق على ساق ، وقد يُطلق على القرمس إذا حمل عليها بعد التناج
أيضا . « وذوالعنان الركوب » الفرس الذلول ، « والقَلْوُ » المهر الصغير وقيل القَطِيم
من جمع أولاد الحافر . « والضبيس » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة
العسر الصعب الذي لم يرض . « والسرح » السارحة وهي الموائش ، والمعنى أنها لا تمنع
من المرعى . والعضد القطع . والطلع شجر عظام من شجر العضاء . والذر اللبن ،
والمراد ذوات الدر من الموائش ، أراد أنها لا تحشر إلى المصدق وتُمنع المرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تُعد لما في ذلك من الإضرار . و « الإماق » محفف ، من أفاق الرجل
إذا صار ذامقا وهي الحمية والأنفة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحق ، والمراد
إضمار النكت والغدر أو إضمار الكفر . و « الرباق » بالراء المهملة والباء الموحدة
والقاف جمع ربيعة ، وهي في الأصل اسم لعروة تجعل في الحبل وتكون في عنق
البيمة أو يدها ثمسكها ، والمراد هنا تقصُّ العهد وأستمار الأكل لذلك ، لأن البيمة
إذا أكلت الربة خلصت من الشد . و « الربوة » بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

(١) الزيادة من « المثل السائر » - ورواية « الشفا » كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكيدير دومة فيما ذكره أبو عبيدة، وهو :
 ” من محمد رسول الله لا أكيدير دومة حين أجاب إلى الإسلام ، وخلق الأنداد
 والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكافها : إن لنا الضاحية
 من الضمحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن .
 ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعثور ، لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ،
 ولا يحظر عليكم النبات ، تحيمون الصلاة لوقتها ، وتوتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك
 عهد الله والميثاق ” .

وهذا الكتاب أيضا مما يحتاج إلى معرفة غريبه : فالأنداد جمع نداء بكسر النون
 وهو ضد الشيء الذي يخالفه في أموره ، ويناديه أى يخالفه ، والمراد ما كانوا يتخذونه
 آلهة من دون الله تعالى . والأصنام جمع صنم : وهو ما أتخذ لها من دون الله ، وقيل :
 ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن . والأكاف
 بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية . والضاحية بالضاد المعجمة والحاء
 المهملة الناحية البارزة التي لاحائل دوتها ، والمراد هنا أطراف الأرض ، والضمحل
 بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء ، وقيل الماء القريب
 من المكان ، وبالتحريك مكان الضمحل . والبور الأرض التي لم تُزرع ، وهو بالفتح
 مصدرٌ وصف به ، وبالضم جمع بوار : وهو الأرض الخراب التي لم تُزرع . والمعامي
 المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثر عمارة ، واحدها معمي . وأغفال الأرض
 بالنون المعجمة والفاء الأرض التي ليس فيها أثر يعرف كأنها مغفول عنها . والحلقة
 بسكون اللام السلاح عاماً ، وقيل الدروع خاصاً ، والسلاح ما أعد للحرب من آلة

الحديد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد المعجمة والنون ما كان داخلًا في العِمارة من الخيل وتضمته أمصارهم وقراهم ، وقيل سميت ضامنةً لأن أربابها ضمّوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات صَمَانٍ كعِيشة راضية بمعنى ذاتِ رِضَا . والمعِين من المعمور الماء الذي ينبع من العين في العاصم من الأرض . وقوله : لا تُعدّل سارحتكم بالذال المعجمة ، أى لا تُصرف ما شيتكم وتعال عن الرعى ولا تمنع . وقوله : ولا تُعدّ فاردتكم أى لا تُضم إلى غيرها وتُحشر إلى الصدقة حتى تمتد مع غيرها وتحسب . والفاردة الزائدة على الفريضة . وقوله : ولا يُحظر عليكم النبات بالطاء المعجمة ، أى لا تُمنعون من الزرع والمرعى حيث شتم ، والحظر المنع .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت ، وهو :
 ” من عهد رسول الله إلى الأقبال العبايلة من أهل حضر موت ، بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة . على التبعة الشاة ، والتبعة لصاحبها ، وفي الشيوب الخمس ، لا خلط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبي فقد أربى ، وكلُّ مسكٍ حرام “ .

وذكر القاضي عياض في ” الشفاء “ أن كتابه لهم : « إلى الأقبال العبايلة ، والأرواع المشايب . وفي التبعة شاة ، لأفقورة الألباط ، ولاضناك ، وأنطوا التبجة ، وفي الشيوب الخمس ، ومن زنى مِم بكَرٍ فاصقعوه مائة وآستوفضوه عامًا ، ومن زنى مِم تيب فصرجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ، ولائمة في فرائض الله تعالى ، وكل مسكٍ حرام ، ووائل بن حجر يترقل على الأقبال » .

(١) صوابه بالذال المهمله كما يفيدُه المعنى وقد أوردَه صاحبُ اللسان ج ١٣ - في مادة ع دل بالذال

وهذا الكتاب في معنى ما تقدم من الاحتياج إلى شرح غريبه . الأقبال بالقاف والياء المشاة تحث جمع قبيل : وهو الملك . والعباهلة الذين أفرؤوا على ملكهم لا يزالون عنه ؛ وحضرموت بلدة في اليمن في أقصاها ، وقيل هي أحد مخاليفها . والتبعة بالمشاة من فوق ثم المشاة من تحث والعين المهمله اسم لأدنى ما يجب فيه الزكاة من الحيوان : كالتمس من الإبل والأربعين من الغنم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة التي للسعاة عليها سبيل من تاع يتبع إذا ذهب إليه . والتبعة بالكسر الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها في منزله يحلبها وليست بسائمة ، وهي بمعنى الداجن . والسيوب الركاز أخذنا من السيب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ؛ وقيل هي عروق الذهب والفضة التي تسيب في المعدن بمعنى تتلون وتظهر . وقال الزمخشري : هي جمع سيب ، يريد به المال المدفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والخلاط بالكسر مصدر خالط ، يقال : خالطه يخالطه خلاطا ومخالطة ، والمراد أن يخالط الرجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى منها ، ويتحس المصدق فيما يجب له . والوراط بالكسر أيضا أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتتحفى على المصدق ، مأخوذ [من الورطة] وهي الهوة من الأرض . والشناق بكسر الشين المشاركة في الشق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كل ما يجب فيه الزكاة ، وهو ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد أن لا تؤخذ الزيادة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة في الشق والشنقين ، وهو بمعنى الخلاط المتقدم ذكره ، لكن حملهُ على الأقل أولى ، لتعدد المعنى . والشغار بكسر الشين وبالفين المعجمة نكاح معروف في الجاهلية ، وهو أن يزوج الرجل أخته أو أخته على أن يزوجه بنته أو أخته ، ويكون بضع كل

منها صدقاً للأخرى . والأرواح جمع راع : وهم الحسانُ الوجوه من الناس .
 وقيل : الذين يروعون الناس أى يُفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأوّل
 أوجه . وقوله : ومن أجبي هو بالجيم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بثو
 صلاحه . وقيل هو أن يُغيب إله عن المصدق أخذاً من أجيائه إذا وارىته .
 وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعةً بمخ معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد
 بأقل من الثمن الذى باعها به ، ومعنى أربى وقع فى الربا . والمشايب السادة الرموس
 الزهر الألوان الحسان المناظر واحدها منسوب . والمقورة الألياط المسترخية
 الجلود لهاها والأقورار الاسترخاء فى الجلود . والألياط جمع ليط : وهو قشر العود ،
 شبه به الجلد لأتراقه باللحم . والضناك بالكسر الكثير اللحم ، ويقال الذكر والأثني
 فيه سواء ، والمراد أنه لا تؤخذ المفرطة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
 وأنظوا هو بلغة أهل اليمن بمعنى أعطوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم . والتبجة
 بشاء مثثة بعدها باء موحدة ثم جيم هى الوسط من المال التى ليست من خياره
 ولأردائه ، أخذاً من تبجة الناقة وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم بكر جرى
 فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميما . قال ابن الأثير : وعلى هذا
 فتكون راء بكر مكسورة من غير تنوين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
 ميما بقيت الحركة بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبقار . قال : والأشبه
 أن تكون بكر منونة ، وقد أبدلت نون من ميما ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
 قلبت فى اللفظ ميما نحو عنبر ومنبر ، ويكون التصدير ومن زنى من بكر . وقوله
 فأصقوه هو بالصاد المهملة والقاف أى أضربوه ، وأصل الصقع الضرب على الرأس ،
 وقيل الضرب ببطن الكف . وقوله : وأستوفضوه هو بالفاء والضاد المعجمة أى
 آفضوه ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا تفزقت [فى رعياها] وقوله : فضرّجوه -

بالضاد المعجمة والحيم أى أذموه بالضرب، ويطلق الضرح على الشق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة الحجارة واحدها إضمامة، والمراد أربجوه بالحجارة، والتوصيم
بالضاد المهملة الفثرة والثوانى، أى لانتفروا فى إقامة الحدود ولا تتوانوا فيها . وقوله :
ولأعممة فى فرائض الله - أصل العممة الستر، أى لا تستر فرائض الله ولا تفتنى،
بل تُظهر ويُجهر بها وتعلن . وقوله : يترقل - أى يسود ويترأس ، استعارة من
ترقىل الثوب وهو إسباغُه وإرساله ، والأقبال الملوك وقد تقدم الكلام عليه .

الأسلوب الثانى

(أن تفتح المكتبة بلفظ « هذا كتاب » ويذكر المقصد فيما بعد،

وهو قليل الوقوع فى المكتبات)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لقبيلة همدان من اليمن ، فيما ذكره ابن هشام
وهو: « هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف حاريف وأهل جناب الهضب وحقاف
الرمل ، مع وافيدها ذى المشعار ، لسالك بين تميظ ولبن أسلم من قومه ، على أن لهم
فراعها ووهاطها [وعزازها] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يا كلون علافها ، ويرعون
عافيا ، لكم بذلك عهد الله وديمامُ رسوله ، وشاهدكم المهاجرون والأنصار » .

وذكر القاضى عياض فى « الشفاء » أن فى كتابه إليهم : « إن لكم فراعها ووهاطها
وعزازها ، تاكلون علافها وترعون عفاها ، لنا من دقتهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق

(١) كذا فى الامهات اللغوية أيضا وفى شرح الزرقان على المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذو المشفار

بالمجنتين أو المهملتين .

(٢) فى المواهب مالك بدون لام الجر وأعره الشايج بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب اللسان بالقصر وضبطه الزرقانى وملا على قارى بالمد .

والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والناب والقصيل والفارض والداجن والكبش الحورى، وعليهم فيها الصالغ والقارح.

وهذا من نسبة ما تقدم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالفراع بالكسر جمع قرعة، وهو ما أرتفع من الأرض . والوهاط جمع وهطة : وهى ما أطمأن من الأرض ؛ والعلاف بالكسر - جمع علف بكبل وجبال، والمراد ما تعتلفه الدواب من نبات الأرض ؛ والعزاز - ما صلب من الأرض وأشدت وخشن، ويكون ذلك في أطرافها ؛ والعقاء العاقى - وهو ما ليس لأحد فيه ملك ، من قومهم : عقا الأثر إذا درس ، والذف - نجاج الإبل وما يتفخ به منها ، سمي ذفا لأنه يتخذ من أوبارها ما يستندف به ، والمراد هنا الإبل والغنم . والصرام - النخل ، وأصله قطع الثمرة ؛ والثلب من ذكور الإبل - الذى هيرم وتكسرت أسنانه . والناب - المسنة من إناثها . والقصيل من أولاد الإبل - الذى فصل عن أمه من الرضاع . والفارض - المسن من الإبل، والمراد أنه لا يؤخذ منهم فى الزكاة . والداجن - الشاة التى يعلقها الناس فى منازلهم ؛ والكبش الحورى منسوب إلى الحور وهى جلود تتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دُبغ من الجلود بغير القرظ . والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى كمل وأتمى، ويكون ذلك فى السنة السادسة ، ويقال : بالسين بدل الصاد . والقارح الفرس الذى دخل فى السنة الخامسة .

الأسلوب الثالث

(أن تفتح المكتبة بلفظ « سَلِّمِ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُنْذِرِينَ سَائِي . وهو فيما ذكره أبو عبيد
في « كتاب الأموال » : « سَلِّمِ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَأَسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْجَزْيَةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتْبِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ لِلدَّعَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،

وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من محمد رسول الله إلى فلان »

كما في الأسلوب الأول من كُتْبِهِ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ)

فمن ذلك كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ : وهو قَبْصَر ، وقيل
نائبه بالشام .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَى الْهُدَى » .

أما بعدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمِ تَسْلِمًا، أَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِن عَلَيكَ إِثْمُ الْأَرِيْسِيِّينَ، وَإِن أَهْلَ الْكُتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سِوَايَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كان فيه .

"من عهد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام: فإن أسلمت فلك ما للساميين وعليك ما عليهم، وإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تعالى يقول: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ وَإِلَّا فَلا تَحْمِلْ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" .

قال أبو عبيد : وأراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحريث .

وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه : « من عهد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز : ملك الفرس فيما ذكره ابن الجوزي ، وهو :

(١) يفتح الواو وكسرها ويقال له أبرواز ومعناه بالعربية المظفر - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٨٩ .

”من مجدي رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحيق القول على الكافرين ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم الجحوس عليك .“



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب مصر . وهو فيما ذكره
ابن عبد الحكم .

(١)

”من مجدي رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتِكَ اللهُ أَجْرَكَ
مَرَّتَيْنِ ، فإن توليت فعليك إثم القبط . ياهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ“ .

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه
”من مجدي رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولا وأنزل علي قرآنا ، وأمرني بالإعذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في ملي ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحدينته ، فإن فعلت سعديت ، وإن آيتت شقيت ، والسلام“ .

(١) اسمه جريج بن مينان قريوب كما ذكره الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٣٩٧ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وهو فيما ذكره
أبن إسحاق :

” من عهد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، إني أحمدُ إِلَيْكَ اللهُ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيِّمِ ، وأشهدُ أن عيسىَ ابنَ مَرْيَمَ الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ ،
حَمَلَتْهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَتْهُ ، كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريكَ لَهُ ،
وأن تَتَّبِعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي ، فَإني رَسُولُ اللهِ ، وإني أدعوك وَجُتُودَكَ إلى الله
عزَّ وجلَّ ، وقد بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فاقبلوا نُصِيحِي . وقد بعثتُ إِلَيْكُمْ ابنَ عَمِّي جَمْعًا
ومعه نفرٌ من الْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هُوْدَةَ بنِ علي : صاحب اليمامة ، وكان
نصرانياً . وهو فيما ذكره السهيلي .

” من عهد رسول الله إلى هُوْدَةَ بنِ علي .

سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى . وَأَعْلَمُ أَنَّ دِينِي سَيَطْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ ،
فَأَسْلِمُ تَسْلِمًا ، وَأَجْعَلُ لَكَ مَانَحَتَ يَدَيْكَ “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى نَجْرَانَ . وهو فيما ذكره صاحب
” الهندي المحمدي “ .

(١) هو بفتح الهاء كما في الصحاح ونقل الدميري عنها والواو ساكنة على كل حال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنِ أَيْتُمُ فَالْجُزْيَةُ ، فَإِنِ أَيْتَمَ فَقَدْ آذَنْتُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَعْفَرِ وَعَبِيدِ ابْنَيْ الْجَلَنْدِيِّ مَلِكَيْ عُثْمَانَ .

وهو : « مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرِ وَعَبِيدِ ابْنَيْ الْجَلَنْدِيِّ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ آتَى مِنْ آتَيْعِ

الْمَهْدِيِّ .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمًا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ

كَأَفَّةٍ لَا يُنْذَرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّكُمْ إِنِ افْرَرْتُمْ بِالْإِسْلَامِ

وَأَيْتَكُمْ ، وَإِنِ أَيْتَمًا أَنْ تُقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخَلِي تَعْمَلُ بِسَاحِبِكُمْ ،

وَتُظْهِرُ بُنُوِي فِي مَأْ كِكُمْ . وَكُتِبَ أَبُو بِنُ كُتِبَ » .

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في " كتاب الأموال " أنه كتب إليهما .

" مِنْ مَجْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَسِيدِ بْنِ مُلُوكِ عُثْمَانَ ، وَأَسِيدِ عُثْمَانَ : مَنْ كَانَ

مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، لَهُمْ أَنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَأَعْطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسَكَّرُوا تُسَكُّ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ ،

وَإِنِ لَهُمْ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ ، غَيْرَ أَنْ مَالَ بَيْتِ النَّارِ مُنْيَا لِهِنَّ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ عُشُورَ التَّمْرِ

صَدَقَةً ، وَنِصْفَ عُشُورِ الْحَبِّ ، وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْحَهُمْ ، وَإِنِ لَهُمْ عَلَى

الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنِ لَهُمْ أَرْحَاءٌ يَطْحَنُونَ بِهَا " .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لعباد الله الأسبين اسماً اعجمياً نسبهم إليه .
قال : وإنما سُموا بذلك لأنهم نُسيبوا إلى عبادة قرَس ، وهو بالفارسية أسب فَنَسِبوا
إليه ، وهم قومٌ من الفُرس وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مُسَلِّمَةَ الكَذَّابِ في جوابِ كتابه إليه
صلى الله عليه وسلم : أنه إن جعلَ له الأمرَ بعده آمنَ به .

وهو : « من عهد رسول الله إلى مُسَلِّمَةَ الكَذَّابِ : السلامُ على من أتبع الهدى
أما بعد ، فإن الأرضَ لله يورثها من يشاء من عباده والعاقيبة للثقلين .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « أما بعد » وهو أقلُّ وقوعاً مما قبله)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل تَجْرانَ ، ودينهم النصرانية .
وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

«بسم الله الرحمن الرحيم ، إليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

أما بعد : فإنِّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله
من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد أدتكم بحرب الإسلام» .

(١) كذا في الأصول والمناسبات لما تقدم له في اختتام الكتب ما في "مفتاح الأفكار" وهي "بحرب

الأسلوب الثالث

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « هذا كتاب »)

فمن ذلك كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ . وَهُوَ فِيهَا ذَكَرَهُ
ابن إسحاق .

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ ، إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ عَامَةً وَمَنْ
دَخَلَ فِيهِمْ : يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ مِنْهُمْ قَبِلَ حَرْبَ اللَّهِ وَحَرْبَ
رَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .

قلت : وقد كتبت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمَاعَةٍ غَيْرِ مَنْ تَقَدَّمَ ، لَمْ أَقِفْ عَلَى
صُورَةٍ مَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ ، بِكِبَلَةَ بْنِ الْأَيْتَمِ النَّسَّابِيِّ ، وَذِي الْكَلَّاعِ الْحَمِيرِيِّ وَغَيْرِهِمْ ،
وَسَأَلْتَنِي كُتِبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَى الْوَلَايَاتِ وَالْإِقْطَاعَاتِ وَالْهُدُنِ وَالْأَمَانَاتِ
فِي مَوَاضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء ، وهي على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكاتبات الصادرة عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه)

وكانت تُفتح بلفظ : « من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان »
 وبقى الكتاب من نسبة كُتِبَ النبي صلى الله عليه وسلم من التصدير بالسَّلام
 والتَّحْمِيد ، والنَّخْلُصُّ بآما بعد ، والاختتام بالسَّلام وما يجرى هذا المجرى ، مع لزوم
 الخطاب بالكاف وتاء المخاطب للواحد ، وبالثنية للثنتين ، والجمع للجماعة . وعنوانها
 « من أبي بكر خليفة رسول الله » في الجانب الأيمن ثم « إلى فلان الفلاني »
 في الجانب الأيسر على ما يقتضيه الترتيب المتقدم .

وهذه نسخة كتابه رضى الله عنه إلى أهل الردة حين ارتدوا عن الإسلام بعد
 وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة
وخاصة ، أقام على الإسلام أو رجع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والمعصية ، فإني أحمد
إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً
عبده ورسوله ، وأقر بما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهله] .

أما بعد ، فإن الله أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى
الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، يهدي الله
لخلق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى
صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ، ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نفذ لأمر
الله ، ونصح لأئمة ، وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام
في الكتاب الذي أنزله ، فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ
مِّن قَبْلِكَ الْخُلُقَ أَفْأَن مِّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا جَعَدُ الْإِرْسُولُ قَدْ خَلَّتْ
مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفْأَن مَاتَ أَوْ قُتِلَ أُنْقَلِبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَن
يُصْرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ فمن كان بعد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن
كان بعد الله وحده لا شريك له فإن الله بالمرصاد ، حتى تقوم لا يموت ولا تأخذه
سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بجزاه ، وإني أوصيكم بشي الله
وحفظكم وتصيكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تلتصموا بدين
الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يعافه مبتلى ، وكل من لم ينصره محذول .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَنْ تَجِدَهُ لِيَبَاقٍ مُرْشِدًا) ولم يقبل منه في الدنيا عملٌ حتى يُقَرِّبه ، ولم يقبل له في الآخرة صرفٌ ولا عدل .

وقد بلغني رجوعٌ من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، أعتاراً بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل ثناؤه : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَدُرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . وقال جل ذكره : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وإني أنفقتُ إليكم فلاناً في جيشٍ من المهاجرين والأنصارِ والتابعين بإحسان ، وأمرتهُ أن لا يُقاتلَ أحداً ولا يقتلهُ حتى يدعوهُ إلى داعيةِ الله ، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً ، قيلَ منه وأعانهُ عليه ؛ ومن أبى أمرتهُ أن يُقاتلهُ على ذلك ، ولا يُبقَى على أحدٍ منهم قدرٌ عليه ، وأن يحرقَهُم بالنيران ، ويقتلَهُم كلَّ قِتلةً ، ويسبي النساءَ والذراريَ ، ولا يقبلَ من أحدٍ إلا الإسلام ؛ فمن آمن فهو خيرٌ له ، ومن تركهُ فلن يعجزَ الله . وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلِّ مجتمعٍ لكم ، والداعيةُ الأذنان ، فإن أذن المسلمون فأذنوا ، كُفوا عنهم ، وإن لم يؤدُّوا [عاجلوهم ، وإن أذنوا] سلَّوهم ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم ، وإن أقرُّوا قيلَ منهم وحملَهُم على ما ينبغي لهم .

(١) في العربية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن اتبعه" .

(٢) الزيادة من رواية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقية الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبيين :

الأسلوب الأول

(أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما صارت الخلافة إليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه : « من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان » فلما تقب بأمر المؤمنين على ما تقدم في المقالة الثالثة ، أثبت هذا اللقب في كتبه ، وزاد في ابتدائها لفظ « عبد الله » قبل اسمه ، ليكون اسمه نعتاً له ، فكان يكتب : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان »^(١) وبقى الكتاب على ما مر في كتب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق بعده في التصدير والتعبير عن نفسه بلفظ الأفراد ، مثل أنا ولى وعلى ، وعن المكتوب له بكاف الخطاب : مثل لك وعليك ، وتاء المخاطب : مثل قلت وقلت ، وتبعه الخلفاء على ذلك . وعوتبتها « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر كما تقدم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو

يوشد أمير مصر ، وهو :

(١) لعه "تيماله" .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك .
 أما بعد ، فقد بلغني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدي
 بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكتب إلى من أين أصل هذا المال » .



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد
 بلغه مفاقرته اللذات ، وأنها كح على الشهوات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدت ألسنة التصريح إلى أذن العناية بك ما يقع الأمل فيك ،
 وبعاد الرجاء منك إذ ملأت العيون بهجة ، وألقت هبة ، وترامت إليك آمال
 الراغبين ، وهم المتنافسين ، وتحتت بك فتيان قريش وكهول أهيك ، فما يسوغ لهم
 ذكرك إلا على الحجر المهوَّعة ، والكظ الجش . اقتحمت البوائق ، وانقدت للمعار ،
 وأعتضتها من سمو الفضل ، ورفع القدر ، فليتك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت بإفعا
 ناشئا ! وأتكلت كهلا ضالعا ، فواحرناه عليك يزيد ! وياحر صدر المتكلم بك !
 ما أشمت فتيان بن هاشم ! وأذل فتيان بن عبد شمس ! عند تفاوض المفاحر ودراسة
 المناقب ! فن لصلاح ما أقسدت ، ورتق ما فتقت ؟ هيبات تحمت الذربة وجة
 التصبر بك ، وأبت الحناية إلا تحذرا على الألسن ، وحلاوة على المناطق ، ما أريج
 فائدة نالوها ، وفرصة أتمروها ! ؛ أنتبه يزيد للفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى
 سمك أسرع من معناها إلى عقك . وأعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان ،
 وزحرفة السلطان ، مما حسن عندك قبعه ، وأحلوني عندك مره ، أمر شركك فيه

السَّوَادَ وَنَافَسَكَ الْأَعْبُدَ، لِأَلَا تُرَى تَدْعِيهَا أَوْجِبَتْهَا لَكَ الْإِمْرَةَ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ، فَمَا كُنْتَ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ، فَكَأَنَّكَ شَأْنِي نَفْسِكَ، فَمِنْ لِهَذَا كَلِمَةٌ؟ .

إِعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ آتَمَّخْتِ الْمَصَابِيحَ وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَاهِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَابِيحَ لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى آتَمَّخْتِ سَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا .

إِعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ السُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ لِهَذَا نِعِمَّهِ النَّظَاهِرَةُ، وَالْآيَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ، وَهِيَ الْجُرْحَةُ الْعُظْمَى، وَالْفَجْعَةُ الْكُبْرَى : تَرُكُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَّخِذُ مِنْ آفَاتِهَا، ثُمَّ اسْتَحْسَانُ الْعُيُوبِ ، وَرُكُوبُ الذُّنُوبِ ، وَإِظْهَارُ الْعَوْرَةِ ، وَإِبَاحَةُ السَّرِّ . فَلَا تَأْمُنْ نَفْسَكَ عَلَى سِرِّكَ ، وَلَا تَعْقِدْ عَلَى فِعْلِكَ . فَمَا خَيْرُ لَذَّةٍ تُغِيبُ النَّدَمَ ، وَتُعْفِي الْكُرْهَ ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ ، لَمَّا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ غَلْبَةِ الْآفَةِ وَأَسْتِهْلَاكِ الشَّهْوَةِ . فَكُنِ الْحَاكِمَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَأَجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرْتُدُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلِيَبْلُغْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرُدُّ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُصَبَ الْأَعْتَرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ ، وَدُرَاةً^(١) الْأَلْسِنِ الشَّامِتَةِ ، وَقَفَّكَ اللَّهُ فَأَحْسَنَ .

الأسلوب الثاني

(أَنْ يُفْتَحَ الْكَلْبُ بِلَفْظِ «أَمَّا بَعْدُ»)

وَهُوَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ خِلاَ الْإِبْتِدَاءِ وَالتَّصْدِيرِ بِالسَّلَامِ وَالتَّحْمِيدِ ، وَ يَكُونُ الْإِفْتِتَاحُ فِيهِ بِالْمَقْصِدِ ، كَمَا كَتَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِثَانُ بْنُ عَقَّانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حِينَ نَزَحَ عَلَى الْبَيْتِ وَأَخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عِثَانَ .

(١) لعله در بینه وهي الخلقه التي يتعلم عليها العطن .

أما بعدُ، فقد بلغ السيلُ الزَّبِيءَ [وجاوز] الحِزَامُ الطَّيِّبِينَ، وطَمِعَ فِي كُلِّ مَنْ
 كَانَ يَضْعَفُ [عن الدفع] عن نفسه، ولم يَقْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبٍ، فَأَقْبِلْ إِلَى صَدِيقًا
 كُنْتَ أَوْ عَدُوًّا :

فَإِنْ كُنْتُ مَا كُوُلَا، فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ * وَإِلَّا فَأَدْرِ كُنِّي وَلِمَا أَمْرَقُ

الطرف الثاني

(في الكُتُبِ الصادرة عن خلفاء بني أمية)

وهي على ما تقدم من الكُتُبِ عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعير، إلا
 أنه يعبر عن الخليفة بأمر المؤمنين، وربما عبر عنه بلفظ الأفراد . مثل : فعلتُ
 وأفعلُ وما أشبه ذلك ؛ أما الخطاب للكتوب له فكاف الخطاب وتاء المخاطب ،
 مثل : إنك أنتَ قلتَ كذا، وفعلتَ كذا، وما أشبه ذلك . وعنوانها : « من عبد الله
 فلاين أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن، ثم « إلى فلاين الفلاني » في الجانب الأيسر .
 ثم هي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتابُ بلفظ « من عبد الله فلاين أمير المؤمنين إلى فلان »)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف - وقد بلغه تعرضه لأنس
 ابن مالك رضي الله عنه - « من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج
 ابن يوسف

أما بعد، فإنك عبدٌ علت^(١) بك الأمور فطغيت، وعلوت فيها حتى جرت حدّ قدرك، وعدوت طورك. وأيم الله لأعجزنك كبعض عجزات اللبوث الثعالب! ولأركضنك ركضةً تدخل منها في وجعاً أمك، اذكر مكاسب آبائك في الطائف، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم، ويحفرون الآبار والمناهير بأيديهم!، قد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الذنابة واللؤم والضراعة. وقد بلغ أمير المؤمنين استطالة منك على أنيس بن مالك بحراً منك على أمير المؤمنين، وغرّة بمعرفة غيره ونقابه وسطواته على من خالف سبيله، وعمد إلى غير محجته، ونزل عند سطوته، وأظنك أردت أن تروّزه بها ففعل ما عنده من التغيير والتكثير فيها، فإن سوغتها مضيت قُدماً، وإن غصصت بها وليت دُبراً أيها العبدُ الأخصش العينين، الأصمُّ الرجلين، المسوخ الجاعرين، ولن يخفى عن أمير المؤمنين نبؤك، ولكل نبي مستغفر وسوف تعلمون.

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويقع الشروع منه في المقصد)

كما كتب يزيد بن معاوية إلى أهل المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام - وقد بلغه خلاقهم عليه .

«أما بعد، فإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ . إني والله قد لبتكم فأخلفتكم! ورفعتم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على بطني، وأيم الله لئن وضعتم

(١) في مفتاح الأفكار ص ١٨١ "طغت" وهي أقرب إلى المعنى وفيه في آخر الكتاب زيادة فراجع .

(٢) في "مفتاح الأفكار" فليك لعنة الله من عبد أخصش الخ .

تحت قَدَمِي لأطانتكم وطاةً أقبل بها عددكم ، وأترككم بها أحاديث تُسَخَّ منها أخباركم كأخبار عادٍ ومُؤدِّ .

وكما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة ، وهو عامله على بعض النواحي .
 «أما بعد ، فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق ، فاذا ذكر قدرة الخالق عليك ! وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للريعة عندك» .

وكما كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه تكوُّر في بيعته - .

«أما بعد ، فإني أراك مُتقدِّم رجلاً وتوتّر أخرى ، فإذا أتاك كلابي فاصمده على أيهما شئت والسلام» .

قلت : ولم يزل الأمر في المكتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف ، إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك ، بقود القراطيس ، وجلل الخطوط ، ونظم المكتبات ، وبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد المقدم ذكره ، فإنهما جرياً في ذلك على طريقة السلف ، ثم جرى الأمر بعدهما على ماسنه الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ، وكتبه عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فأطال الكُتُب وأطنب فيها ، حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها ، حتى يقال : إنه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقرب جلي ، وأستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد
وولاية المهدي بالخلافة، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتحون أكثر كتبهم بلفظ « من فلان إلى فلان » وتارة بـ « أما بعد » وربما أفتحوها بغير ذلك ، فأما أفتأخها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يكتب عنهم في أول دولتهم كما كان يكتب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إيلك الله الذي لا إله إلا هو ، ثم يتخلص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد اسم الخليفة لفظ « الإمام الفلاني » بلقب الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التعميد « ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما ولي ابنه الأمين آكتنى في كتبه وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس في « صناعة الكتاب » تقديم الأسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب . مثل أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال : وهذه المكتبة هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تُنشأ بها الكتب من الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشاركه فيه غيره، فكان أولى أن يُبدأ به .

وترتيب المكتابة على ما ذكره في «صناعة الكتاب» أن يكتب : «من عبد الله فلان أبو فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، سلامٌ عليك ؛ فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إلهَ إلا هو، ويسأله أن يصلّى على محمد عبده ورسوله» . ثم يفصل ببياض يسير، ويكتب «أما بعدُ فإن كذا وكذا» ؛ ثم يأتي على المعنى ؛ فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل ببياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا» ، فيؤمر بامتنال ما أمر به والعمل بحسبه ؛ ثم يفصل ببياض ويكتب : فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، وأعمل به، إن شاء الله تعالى . « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه ، يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا . وقد يكتب في أواخر المكتابة بعد استيفاء المقصد : « هذه مناجاة أمير المؤمنين لك » أو « هذه مفاوضة أمير المؤمنين لك » .

ويقال : فى السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم « والسلام عليك ورحمة الله » وربما قيل : « ورحمة الله وبركاته » .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فعالب ما يقع فى الكتب المطلقة : كالبشرى بالفتوح وغيرها . ثم تارة يعقب البعدية بالحمد لله، إما مرة أو أكثر، وغالب ما يكون ثلاث، وتارة يعقب بنصر الحمد .



وأما الافتتاح بغير هذين الافتتاحين، فتارةً يكونُ بالدعاء، وتارةً يكونُ بغيره، ويكونُ التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه «بأمر المؤمنين» على ما تقدم في خلافة بني أمية.

ثم إن كان المكتوبُ إليه معينا، فالذي كان عليه الحال في أول دولتهم أن يُكْتَبَ إليه باسمه، ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وظَبُّوا عليهم، وعلت كلمتهم في الدولة وتلقبوا بفلان الدولة وفلان الملة، فكان يُكْتَبُ إليهم بذلك في الكتب إليهم؛ ثم لما كانت الدولة السُلْجُوقِيَّةُ في أواخر الدولة العباسية ببغداد، آسَعملوا كثرة الألقاب للمكتوب إليه عن الخليفة في صدر المكتبة. قال في «مواد البيان»: ولا يخاطبُ أحدٌ عن الخليفة إلا بالكاف. وقد يخاطبُ الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية، ويتصرف في ذلك ويُزاد ويُقص على حسب لطافة محل الوزير ومنزله من الفضل والجلالة.

قال في «ذخيرة الكتاب»: ويكون الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته ومحلّه عنده، وقد تقدم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء؛ ولذلك كان يُدعى للملك بنو بويه فمن بعدهم بلفظ: «أطال الله بقاءك» وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع من الأقلام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكتاب من رأس الدرّج قدر ذراع بياضا، ثم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج يسيرا، من عبد الله إلى آخر التصدير الذي يليه أما بعد، وأن التصدير يكون في سطرين

بينهما فضاءً قدر شبر، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدرة فيما ذكره في "ذخيرة الكلاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتابة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عُنُونُهُ كتبهم ، فكانت في أوّل دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أوّل عُنُونَاتِهِ « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تكثرت الأئمة في كتبه بعد ذلك زيدت الكُنيّة في العنوان ، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر ، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المكاتبات أن البسملة بقيت في العُنُونَة إلى زمن النعاس في خلافة الراضي ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النعاس : فإن كان المكتوبُ إليه من موالٍ بنى هاشم ، نُسِبَ إلى ذلك ، وإن لم يكن ينسب إليهم تُرِكَ .

الجملة الثانية

(في الكُتُبِ العامّة ، وهي على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتابُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر المكتابة على ما تقدّم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله إلى
صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه، الخارج عن الطاعة، وليس
فيه تكتية للخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين » إلى صمصام الدولة
وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .
سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأكَ المنزلة العليّاً ،
وأنا لك من أثره الغاية القصوى ، وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة
رحمة الله عليه من القدر والمحلّ ، والموضع الأرفع الأجل ، فإنه يُوجب لك عند
بذلك أثراً يكون لك في الخدمه ، ومقام حمد تقومه في حماية البيضة ، إنعاماً يظاهاه ،
وإكراماً يتابعه ويؤاتره . والله يؤيدك من توفيقه وتسدّده ، ويمدّدك بمعونته
وتأييده ، ويخبر لأمر المؤمنين فيما رأيه مستمر عليه من مزيديك وتمكينك ، والإبقاء
بك وتعظيمك ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكّل وإليه يُنيب .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين
ونعمتك ، وجاحد صنيعته وصنيعتك ، في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي ارتكبها ،
وتقريره أن يتمه الفرصة التي لم يمكّنه الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردّه
عنها ، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله ناره ، وقتعه عارها وشارها ، حتى أنهزم
والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة على أقبح أحوال الذلة والقسوة ، بعد القتل
الذريع ، والإلتحان الوجيع ، فالحمد لله على هذه النعمة التي جلت موقعها ، وبأن على

الخاصة والعامّة أثرها، ولزِم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديثُ بها، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَازِيكَ عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المجيد الكريم ؛ بِخَلْعِ نَامَةٍ ، وَدَابَّتَيْنِ وَمَرَكِبَيْنِ ذَهَبًا مِنْ مَرَاكِبِهِ ، وَسَيْفٍ وَطَوِّقٍ وَسِوَارٍ مَرصُوعٍ ؛ فَتَلَقَى ذَلِكَ بِالشُّكْرِ عَلَيْهِ ، وَالإِعْتِدَادِ بِنِعْمَتِهِ فِيهِ ، وَاللَّيْسَ خَلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَكَرَّمَتَهُ ، وَسُرَّ مِنْ بَابِهِ عَلَى حِمْلَاتِهِ ، وَأَظْهَرَ مَا حَبَّكَ بِهِ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ ، لِيُعِزُّ اللَّهُ بِذَلِكَ وَايَهُ وَوَلِيَّكَ ، وَيُبَدِّلَ عَدُوَّهُ وَعَدُوَّكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

(وكتب أحمد بن محمد ثمان إن بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة) أطال الله بقاءك ، وأدام عزرك ، وأحسن حفظك وحياطك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمة فيك وعندك .



وهذه نسخة كتاب آخر من ذلك أيضاً، كُتِبَ بِهِ عَنِ الْمُقْتَضَى لِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكْشَاهِ السُّلْجُوقِيِّ فِي تَعْزِيَةِ بَوْلِيدِ مَاتَ لَهُ ؛ وَفِيهِ تَكْنِيَةُ الْخَلِيفَةِ وَتَقْدِيمُ الْكُنْيَةِ عَلَى الْأَسْمِ وَكَثْرَةُ الْأَلْقَابِ لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ وَهُوَ .

” من عبد الله أبي عبد الله محمد المقتضى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه المعظم مولى الأمم ، مالك رقاب العرب والمجم ، جلال دين الله ، ظهير عباد الله ، حافظ بلاد الله ، معين خليفة الله ، غيابة الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛ محيي الدولة القاهرة ، معز الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ، أبي الفتح « مسعود ابن محمد ملكشاه » قسيم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّى على محمد عبده ورسوله ويُسَلِّمَ تسليماً .

أما بعد ، أظالم الله بهآءك ! وأدام عزك وتأييدك ومعادتك ونعمتك ، وأحسن
حفظك وكلاءك ورعايتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمه الجليله والمؤهبه
الجزيله والمينحه النفيسه فيك وعندك ، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدرع للحوادث
جبة الأضطبار ، ونظر أحوال الدنيا في قلبها بعين الاعتبار ، ورجع إلى الله تعالى
في قدره وقضائه ، وسلم لأمره الذى لا راد له في أمتهائه وأبتلائه ، وعرف أن له
سبعائه في كل ما يجره على عباده حكمة باطنه ، ومصلمة كامله ، من خير عاجل
ينشره ، وثواب أجل يؤخره لهم إلى يوم الجزاء ويديره ، وفائدة هو أدرى بها وأعلم ،
وفعله فيها أنف وأحكم ، من خصه بما خصك الله به من الدين الراجح ، وانخلق
الصالح ، والمعتمد الواضح ، والنعم التى جادك في كل يوم مقام سجائها ، وأتسعت
بين يديك عند مضايق الأمور رحابها ، وأنسيت إذا استوحشت من العاجزين عن
أرتباطها بالشكر صحابها ، والمناقبة التى فرغت بها صهوات المجد ، وتملكت ريق الشفاء
والحمد ، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول ، وبعد ما حضر لك منها عن أن تتاله يد
القائم المحاول . وتأدى إلى حضرة أمير المؤمنين - أتمعه الله ببقائك ، ودافع له عن
حوباتك - نبأ الحادثة بسيلك الذى أختار الله له كريم جواره ، فأحب له الانتقال
إلى محلل الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوما موقرا ، وهما للشكون مقرا ، ونوزعا
تقتضيه المشاركة لك فيما ساويته (؟) والمساهمة الحاصلة في كل ما خلا من الأمور وأمر ،
وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدى للزماء ، وإعلان ما يعين عن مقاسمتك فى الضراء
- دفعها الله عنك - والسراء ، وتدب جمعا من الخدم المطيفين بشريف سنته ،

المختصين بعزير خدمته ؛ بتعزير تصونه لباس التعزير ، ويستدنى بتقصه عازب
التسليه ؛ إبانته عن أنصاف المهيم الإمامية إليك فيما خص وعم من حالك ، وأستجلايه
لك دواعي المسار في حلك وترحالك ؛ وكون الأفكار الشريفة موكله بكل ما حنى من
الروائع قلبك ، وأعدب شريك ؛ وأنت حقيق بمعرفة هذه الحال من طويته لك
ويته ، ورايه فيك وشفقته ، ورعاية مصلحتك منه بعين كاليه ، ورجوعه من المحافظة
في حقل إلى ألفة بالصفاء حاله ؛ وتلقى الرزية التي أراها الله وقضاها ، وأنفذ مشيئته
فيها وأمضاها ؛ بالصبر المأموره والاحتساب ، والتسليم الموعود عليه بيجزيل الثواب ؛
علما أن الأقدار لا تغالب ، وغريمها لا يطالب ؛ وإن الله تعالى إذ قال لنبيه صلى الله
عليه وسلم - وهو سيد البشر - ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ فلا سبيل لأحد من
خلقه إلى البقاء ، ولا وجه للخلود في دار الفناء ؛ ولا دافع لحكمه جلّت عظمته فيما
قدره من الآجال ، وسبق في عنه من الروائع في دار الإربلاء والأحوال ؛ وما يزال
الطلع واقعا إلى وصول جوابك الدال على السلوة التي هي الأليق بك ، والأدعى
إلى حصول بعينك من قضاء الله وأدبك ؛ لتحط الأتسمة مع وصوله في رحالها ،
وتؤذن لصرف الغموم الجارية لأجلك بارتحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أدام الله تأييدك ! وأمتع بك ! إن شاء الله تعالى ،
والسلام عليك ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الإفتاح بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعديّة «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يتعدّد الحمد في أوّل الكتاب)

و يكون ذلك في الكتب المؤدّنة بمحصل نعمة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعدّد فيها بحسب ما تقتضيه النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرّات ، وربما وقع التعميد في أوّل الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كُتِبَ بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأتشيّين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لديّنه ، والعصمة لأوليائه ، والعزّ لمن نصره ، والقلج لمن أطاعه ، والحق لمن عرّف حقه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصدّف عنه ، ورغب عن ربّوبته ، وأبتغى لها غيره . لا إله إلا هو وحده لا شريك له . يحمده أمير المؤمنين حمداً من لا يبعد غيره ، ولا يتوكّل إلا عليه ، ولا يفوض أمره إلا إليه ؛ ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلّها إلا به . ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وأبتغته بوحيه وأختصّه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهداً ومبشّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأمنح له طلبته ، وأفذل له
 جلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأره على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن
 روعتهم ، ورحم فاقتهم ، وآس وحشتهم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين
 في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع
 البلاء ؛ من آمن الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعاً له فيما وفقه لطلبه ،
 وكرامة زادها فيما أجرى على يده ؛ فالحمد لله كثيراً كما هو أهله ، ونزغب إلى الله
 في تمام نعيمه ودوام صنعه ، وسعة ما عنده بمنه وأطفه ؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع
 كثرة أعداء المسلمين وتكفئهم لمياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ،
 وما يترصدونه من العداوة ، ويتطوون عليه من المكابدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم ،
 والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطباً ، ولا أشد كلباً ، ولا أبلغ
 مكابدة ، ولا أرحم بمكروه ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوه المسلمون ، فيستعلون
 عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاعوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم
 إلى موادعة ؛ وإن كانت لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال
 يكون من فترات ولاية الثغور أدنى دولة من دولات الظفر وخلسة من خلس
 الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منغصاً لما تعجلوا من سروره ،
 وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكدراً لما وصل إليهم من قرحة .

فأما اللعين بابك وكفرته ، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يغزون ، وينالون أكثر
 مما ينال منهم ؛ ومنهم المنحرفون عن الموادعة ، المتوحشون عن المراسلة ؛ ومن
 أدبوا من نتاج الدول ، ولم يخافوا عاقبة تذكهم ، ولا دائرة تدور عليهم . وكان مما
 وطأ ذلك ومكثه لهم أنهم قوم آبتدوا أمرهم على حال تشاغل السلطان ، ونتائج من
 الفتن ، وأضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بيرة من أنفسهم ، وضعيف

وَأَسْتَارَةَ مَنْ بَارَاهُمْ ، فَأَجَلُوا مِنْ حَوْلِهِمْ لِنَخْلُصَ الْبِلَادَ لَهُمْ ؛ ثُمَّ أَنْحَرُوا الْبِلَادَ لِعِزِّ مُطَلِبِهِمْ ، وَتَشَدُّ الْمُتُونَةِ وَتَعْظَمَ الْكُلْفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ؛ فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادِ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْعَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظَّمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَأَشْتَدَّتْ ضَرُورَاتُهُمْ وَأَسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ وَأَعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْمُهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا بَعْدَهُمُ الْكَافِرُ وَيُمَيِّنُهُمْ أَخْذُ الْبَالِيدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبِدُونِ هَذَا مَا يَمْتَدُّعُ الْأَرِيْبِ وَيُسْتَنْزِلُ الْعَاقِلَ وَيَعْتَقِلُ الْفَطِيْنَ ، فَكَيْفَ بَعْدَ لَافِكْرَةٍ لَهُ ، وَلَا رُوِيَّةٍ عِنْدَهُ ؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومناستهم على ما في أيديهم ، وتقطيعهم حشرات في إثر ما أخصوا به ، وأنهم إن لا يكونوا يروون أنفسهم أحق بذلك ، فإنهم يروون أنهم فيه سواء .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفَضِّيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةَ مَاذَا عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنْ يُؤَلِّيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرَةِ وَيَمْلِكَهُ حَرَمِهِمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمُقَارِعَ لَهُمْ عَنِ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَهُمْ عَنِ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْلُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلْبًا وَأَحْتِيَالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا بَنِي ذَلِكَ لَضَمَّنَهُ بِهِ ، وَصِيَّانَتِهِ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنْ شَيْئًا لَا يَفِي بِقِيَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته وأطلق الأمر في يده ، لم يكن شيء أحب إليه ولا أخذ بقلبه من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزه الله وأعانته الله ، فله الحمد على ذلك وتيسره ، فأعد من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعلمهم بالحرب وأنهضهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آبائه - صلوات الله

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدهم نكايه ، وأكثرهم عُدَّة . ثم اتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة مواله وعدد غلمانه ، وقبل ذلك ما أتكل عليه من صنَع الله جلَّ وعزَّ ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويثيف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعترك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما ذلُّوا وقلُّوا وكرهوا الموت ، صاروا لا يترآون إلا في رؤوس الجبال ومضائق الطرُق وحف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لاتاهم الحيل ، حصنا للمطاوله وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، وأستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم حين لهم ، وصنَع أوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، بجمعهم وحصرهم لكي لا يبق منهم بقية ولا رُحى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التمس والتكس إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودانتهم مصارعهم ، سلطهم الله عليهم كيده واحدة ، يخطفونهم بسؤوفهم ، وينتظموهم برماحهم ، فلا يجيدون ملجأ ولا مهرباً ، ثم أمكتهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرمهم وصيروا الدار دارهم والمحلة محلَّتهم ، والأموال قسماً بينهم ، والأهل إماءً وعبيداً . وفوق ذلك كله ما فعل بهؤلاء وأعظامهم من الرحمة والثواب ، وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب ؛ وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسلِّم من ذلِّ الغلبة ، ولا فيمن نجح فعاين في الحياة بعض الموض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسد مذهبه ، وتركه مدداً بين الدلِّ والخوف ، والفصة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طم ذلك كله وفهمه ، وعرف مَوقِع المصيبة ، وظنَّ مع ذلك كله أنه على طريق
 من النجاة ، فأضرب الله وجهه ، وأعمى بصره ، وسدَّ سبيله ، وأخذ بسمعه وبصره ،
 وحازَه إلى مَنْ لا يَرِيُّ لَهُ ، ولا يَرِيُّ لِمَصْرَعِهِ ، فأمتل ما أمر به الأَفْسِين (حيدر بن
 طاوس) مولَى أمير المؤمنين في أمره ؛ فبثَّ له الحبائل ، ووضع عليه الأرصَاد ،
 ونصَّب له الأشرارَ حتى أظفره اللهُ به أسيراً ذليلاً مُوتقاً في الحديد ، يراه في تلك
 الحالة مَنْ كان يراه رباً ، ويرى الدائرة عليه مَنْ كان يظنُّ أنها ستكون له . فالحمد لله
 الذي أصرَّ دينه ، وأظهر حُجَّتَه ، ونصر أوليائه وأهلك أعداءه ، حمداً يُقضى به الحقُّ ،
 وتتمُّ به النعمة ، وتتصل به الزيادة . والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق
 ظنَّه ، وأنجح سعيه ، وحازله أجر هذا الفتح وذخره وشرَّفه ، وجعله خالصاً لتسامه
 وكاله يأكل الصنع وأحسن الكفاية ، ولم يربوساً فيه ما يُقيد عينه ، ولا حلاً من
 سُرور يراه ، وبشارة تجدد له عنه ، فما يدري أمير المؤمنين ما نفع فيه من الأمل ،
 أو ما حُتم له من الظفر ؛ فالحمد لله أولاً ! والحمد لله آخراً ! والحمد لله على عطاياه التي
 لا تحصى ، ونعمه التي لا تُنسى ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب ، كتب به أبو سعيد العلاء بن موصلاً عن
 القائم بالله ، إلى عضد الدولة « ألب أرسلان » إلى مسعود بن محمود صاحب غزنة
 من أوائل بلاد الهند ، بالبشارة بالنصر على البساسيري وهو .

أما بعد ، فالحمد لله مُنير الحق ومُبديهِ ، ومُبيِّر الباطل ومُرديهِ ؛ الكافِل بإعزاز
 حُرِّيه ، وإذلال حُرِّيه ، المؤيِّد في نُصرة دينه خِصَبَ الدهر بعد إجماله وجَدِّيه ،
 الناظم شمَل الشرح بعد شتاتهِ وتفرُّقه ، الحاسم داعي الفساد بعد آستيلانه وتطرُّقه ،
 ذِي المشيئة النافذة الماضيه ، والعزة الكاملة الوافرة والعظمة الظاهرة البادية ،

والبراهين الرائعة الزائفة، والدلائل الشاهدة بواحد آيتيه الناطقه، حذراً لا آتساء
 لأمتيه، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذى آتخص محمداً صلى الله عليه وسلم برسائه
 وحبائه، وأولاده من كرامته ما حاز له به الفضل وحواه، وبمنه على حين قفرة
 من الرسل، وخلاء من واضح السبل، بغاهد بن أطاعه من عصاه، وبلغ في الإرشاد
 أقصى غايته ومداه، ولم يزل مُبدياً أعلام الإعجاز، ومُليحاً الهودى بالإنعجاز،
 لئلا يدخل الناس في الدين أوجاجاً، وسلوكوا في نصرته جُداً واضحاً ومنهاجاً،
 وغدت أنوار الشرع ضاحكة المباسم، وأثار الشرك واهية الدعائم، ومناهل الهدى
 عذبة صافية . فصلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المتحيين وخلفائه
 الأئمة الراشدين، وسلم تسليماً . والحمد لله الذى أصار إلى أمير المؤمنين من تراث النبوة
 ما أستوجه وأستحقه، وأثار لديّ من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقه،
 ومنحه من حُسن التمكن والإظفار، وإجراء الأفضية على مُرادِه والأقدار، مارداً
 صرف الدهر عن حوزته مقلول الحد، ومدّ باع مجده إلى أقصى الغاية والحد،
 وحمل سرب إمامته من دواعي الخوف والحدّر، ووقى مشرب خلافته من عوادي
 الرنق والكدر، وجعل معالم العدل في أيامه مشرقة الأوضح والمجول، مقتررة النواجذ
 عن الكمال الضافي الأهداب والذبول، مؤذنة باستقرار أمداد السعادة، واستمرار
 الأحوال على أفضل الرثم والعادة، وهو يستدعيه من لطيف الصنع وجميله،
 ووافي الطول وجزيله، ما يزيد آراه سداً ورشاداً، وأرومة عزه أنساعاً وأمتداداً،
 ومجاري الأمور لديه أنساقاً على المراد وأطراداً، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
 يتوكل وإليه يُنسب ! .

ومعلوم ما أعتمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق، في الجيوش التي يضيق
 بها القضاء، ويخرب على مرادها القضاء، قاصداً تلبية الدعوة، وخاضداً شوك كل

(١) مَنْ سَدَّ عَنِ الدِّينِ أَسْبَابَ الْمَضَرَّةِ وَالْمَعْرَةِ ، وَمَعْتَمِدًا مَاحِئًا حَوْزَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الشَّوَابِ الْمَعْتَرِضِ ، وَحَوَى أَقْسَامَ الْفَخَّارِ فِي آتِبَاعِ شُرُوطِ الخِدْمَةِ الْمَلْتَزِمَةِ الْمَقْتَرَضَةِ ، مِنْ الْمِبَادِرَةِ لَلْكَعِ اللَّعِينِ الْبَسَاسِيْرِيِّ وَلَقِيْفِهِ الْمَخَازِيلِ ، مَدْرِعًا مِنَ الْاِعْتِضَادِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَقْوَى الْجُنُنِ وَأَسْبَغَ السَّرَابِيلَ ، لِيَطْهَرَ الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ كُفْرِهِمْ ، وَيُوقِرَ الْجَدُّ فِي قَصَمِ حَتْمِمْ وَحَسَمِ كَيْدِهِمْ ، فَاطَّلَ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ مُتَطَلِّبًا مِنْ أَلْبَاهِ حَيْدُرِهِ إِلَى الْإِمْعَانِ فِي الْهَرَبِ ، وَقَطَعَ كُلَّ أَيْخِيَّةٍ وَسَبَبَ ؛ وَمَعْتَمِدًا الْإِنْتِمَاءَ إِلَى مِصْرَ لَا تَرْتَاعِهَا وَبَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ ، مِنْ أَيْدِي أَحْلَافِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ ، وَقَرَّبَ الْأَمْرَ قَبْلَ حَاوِلُهُ مِنْ ذَلِكَ وَرَامَهُ ؛ اِعْتِمَادُهُ فِي صِنُوفِ التَّجَدُّدِ وَأَقْسَامِهِ ؛ فَاعْتَرَضَهُ مِنْ عِصْيَانِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ آلِ وَعَقُوقِهِ ، وَخُرُوجِهِ عَنِ زُمْرَةِ أَوْلَادِ الطَّاعَةِ وَمُرُوقِهِ ، بِإِفْسَادِ اللَّعِينِ لِمَاءِهِ ، وَإِحَالَتِهِ بِمَكْرِهِ عَنِ مَنَاجِحِ هُدَاةِهِ ، مَا أَحْوَجَهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ بِصَدْرِهِ وَالْفَخَاقِ بِأَثَرِهِ حَيْدَارًا مِنْ أَسْتَفْجَالِ خَطْبِهِ ، وَيَدَارًا إِلَى قَلِّ حَتَمِهِ وَغَرْبِهِ ؛ فَعَادَ ذَلِكَ بِتَجْمُعِ الْأَعْدَاءِ وَأَحْتِشَادِهِمْ ، وَسُلُوكِهِمْ الْحِجَّةَ الَّتِي خُصُّوا فِيهَا بِعَدَمِ تَوْفِيْقِهِمْ وَرَشَادِهِمْ ، وَإِقْدَامِهِمْ عَلَى فَضْلِ الْإِمَامَةِ الْمَكْرَمَةِ بِالْحَارِبَةِ ، وَأَطْرَاحِهِمْ فِي مَنَابَذَتِهَا حَكْمَ الْأَحْتِشَامِ وَالْمِرَاقِبَةِ ؛ وَوُقُوعِ التَّظَاْفُرِ عَلَى الْجَاهِرَةِ بِخِلَافِهَا ، وَالتَّظَاهُرِ بِشِعَارِ الْغَوَايَةِ وَأَحْلَافِهَا ؛ جِرَاءَةً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْتِزَالًا لِعِقَابِهِ ، وَأَطْرَاحًا لِمَا تُوْجِبُهُ الْجَنَائِيَةُ الْعُظْمَى مِنْ تَوَقُّعِ الْعَذَابِ وَارْتِقَابِهِ ؛ وَأَدْرَاعًا لِلْمَلَابِسِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَتْبَاعًا لِدَاعِي الضَّلَالَةِ الْمُغْوِيَةِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَاثِمَةِ ؛ فَاقْتَضَى حَكْمَ الْاِسْتِظْهَارِ الْاِسْتِقَالَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ - بِمَدِينَةِ السَّلَامِ - إِلَى (حَدِيثَةِ عَائِشَةَ) لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ اِمْتِنَاعِ الْجَانِبِ وَرِشْدَةِ الْحَصَانَةِ ؛ إِلَى أَنْ اِسْفَرَ خَطْبُ شَاهِنْشَاهِ رُكْنِ الدِّينِ - اِمْتَعَ اللَّهُ بِهِ - عَنِ اِدْرَاكِ الْعَطَالِبِ ، وَتَيْسُرِ الْمَصَاصِبِ ؛ فَعَادَ بِنُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ الْاِمَامِيَّةِ الْقَائِمِيَّةِ مَسْتَنْفِدًا فِي ذَلِكَ أَقْسَامَ الْوُسْعِ

(١) لله وخاصدا شوك كل من صد عن الدين وأولاه أسباب الخ .

والاجتهاد ، ومستنجدا بمعونة الله تعالى على إبادة الكُفْر بصنوف الفِرَاع والجهاد ؛
ولم يزل ساعيا في إزالة العار ، وأتراج المعتصّب وأرتجاع المستعار ؛ إلى أن صدق
الله تعالى الأمل وحققه ، وأصغى منهل العز من كل ما شابهه ورثقه ؛ وأطلع شمس
الحقّ بعد غروبها ، ومنّ بمخضد شوكة الباطل وقيل غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار ملكه ومقرّ مجده في يوم كذا ضافية على راياته
جلايبب النصر والظفر ، جارية على إرادته تصاريّف القضاء والقدر ، يمين نقيبة
شاهنشاہ الذي أدى في الطاعة القرض الواجب ، وتمسك من المشايعة بأفضل ما تضمّ
عليه الرواجب ؛ وعدا للدولة عضدا موقيا على الأمثال ، في دفعه عن الإسلام وذبه ،
ومتقمصا للجلال ، بحسن إخلاصه في حالتي بعده وقربه ؛ وما زالت ثقة أمير المؤمنين
مستحكمة بالله تعالى عند ما ألمّ به من تلك الحال ، ودّم من الخطب المحتف به
سطوبة الأشتداد والاستفحال ؛ في إجراته على ما ألقه من النصر والإعزاز ، وإظهار
آلئيه في نايبه والإعجاز ؛ إذ لم يكن ماعراه استعادة للحق المسلم اليه ، والموهبة التي
صفت جلايببها عليه ؛ بل جعل الله ذلك إلى امتحان صبره سبيلا ، وعلى وفور أجره
ديلا ، وبإبادة كل ناعق في الفتنه كفيلا ؛ لترداد أنوار علاه نضارة وحسنا ، وأعلام
جلاله سعادة وئنا ، ورباع عزه سُكونا وأمنا ؛ لطفًا منه جلّت آلاؤه في ذلك وئنا .
وتلا هذه النعمة التي جددت عهود الشرع وافية النضارة ، وأزالت عن الدين
مفاسده العارضة ومضاره ، ما سمله الله وهناه ، وأجزل به صنيعة الجزيل وأسناه ؛
من ظفر السرايا التي توردها لأصطلام اللئناء وأجنياحهم ، وحسم فسادمهم وهدم
عراصمهم ؛ وإخماد ما أضرموه من نار الشرك وشبهه ، وإبطال ما أحدثوه من رسم
البحور وسنوه ؛ وأفضى الحال إلى النصر على الأعداء من كل جانب ، وقهر كل متحرف
عن الرشاد ومجانب ، وحلوي التأييد على الرايات المنصورة العباسية التي لم تزل مكشوفة

على صَرف الدهر أشياعها وأنصارها ؛ وإجلاء الحرب عن قتل اللعين البساسيري وأخذ رأسه ، وتكذيب ظنه في احترازه من طوارق الغير واحتراسه ، وإراحة الأرض وأهلها من دَنسه وُعدوانه ؛ وكون من ضامته من طبقات العرب والأكراد والأتراك البغداديين والعوام بين قتيل مَرمل بدمه ، وأسير تلقى الموتَ بغصّة أسفه وندمه ، وصريع في بقيّة من دَمائه ، وهارب والطلبُ واقعٌ من ورائه . فأنجز الله وعده في هذا المارق ، والعبد الآبق ؛ الذي غره إمهالُ الله تعالى إياه فنسى عواقب الإهمال في الغواية ، والإمهال في الطغيان إلى أقصى الحدِّ والغايه ؛ وحلَّ رأسه إلى الباب العزيز فتقدم بالتطواف به في جانبي مدينة السلام وشهره ، إبانته عن حاله وإيضاحها بلحمة أمره ؛ وكفى ما يوجبُه إقدامه على العظام التي علم الله تعالى سوء مصيرها ومآلها ، وحرم الرشد في التمسك والتشبُّث بأذيالها ؛ وتلك عاقبة من بغى وأعدى ، وأترز بالقدور وأرتدى ، وأمعن في الضلَّة وأعدى . وإلحد واقع من بعد في المسير للاحتواء على بلاد المخالفين الدانية والقاصيه ، والأخذ مع مشيئة الله تعالى بنواصي كل فئة طاغية عاصيه .

فالحمد لله على هذه المنحة التي بشرت الإسلام بجبر كسره ، وأتخذت الهدى من ضيق الكُفر وأسره ؛ وأهدت نجوم العدل بعد أن أفلت وغارت ، وأردت شيعة الباطل بعد أن أعدت على الحقِّ وأغارت ؛ وهو المسئول صيتهاً بأمدادها تقضي إذ ذاك سائر الأغراض وبلوغها ، وتقضي بكال رائق الآلاء وسُبوغها .

(١) أي بالراء المهملة بمعنى ملطخ قال الشاعر :

ان بئراً رسولك بالدم * شنته أعرفها من أكرم

(٢) الدماء بالذال المعجمة والمد بقية النفس .

أقتضى مكانك - أمتنع الله بك - من رأى أمير المؤمنين الذى وطأ لك معاقده العزّ وهضابه ، وكلّ لذبك دواعى الفخر وأسبابه ، وتعلّك من إيجابه الذى وصلت به إلى ذروة العلاء ، وصلت على الأمتال والنظراء ، إشعارك بما جده الله تعالى من هذه النعمة التى غدت السعود بها حجة المناهل ، سامية المراتب والمنازل ، لتأخذ من حظّه بها ، والشكر لله تعالى على ما تفضل به فيها بالقسم الأوفى ، كفاء ما يوجه ولاؤك الذى امتطيت به كاهل التجد ، وأصطفيت به كامل السعد ، وكونك لدولة أمير المؤمنين شهابها المشرق فى الحنّادس ، وصفيها الزافل من إخلاص مشايعتها فى أنغر الحلال والملابس ، والله تعالى لا يخليك ، من كل ما تستدرّ به أخلاف معاليك ، ولا يعدم أمير المؤمنين منك الولي الحميد السيره ، الرشيد العقيدة والسريه ، الشديّد الشاكلة والوتره .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أبارك فيها على ما عودك من التجمّل والإكرام ، وحبّك فيها بما هو مبشّر لك بالسعادة الوافية الأصناف والأقسام ، فنلقها بالجدل والإستبشار ، واصل شكر الله تعالى على ما تضمّنته من حسن تجارى الأفضية والأقدار ، وطالع حضرة أمير المؤمنين بأنباتك ، وتابع إنهاء ما يتشوّف نحوه من تلقائك ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثانى

(أن يتخذ التّحميد فى أوّل الكتاب ، وهو أقلّ وقوعاً من الضرب الذى قبله)
وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كتب به أبو إسحاق الصابى عن « المطيع لله » إلى بعض ولاة الأطراف ، عند طاعة عبد الملك بن نوح أحد ملوك بنى ساسان ، وهى :

أما بعد ، فالحمد لله الوليّ بالاستحجاد ، المستحقّ لِكُنْه الإعتباد ، القدير على
تأليف الأجساد ، البصير بسبيل خفايا الأحقاد ، ذى الحكمة فى تبدل الضغن
والسّخيمة ذمه ، والمناذرة عضمه ، والقطيعة وصله ، والشحناء خله ؛ والحرج فرجه ،
والشّعث نضارة وهجه . الذى جعل الصلح فتحاً هنيئاً ، والسلم منتجاً هيباً ؛ والمؤامدة
مناً جزيلاً ، والإرعاء أمناً جليلاً ؛ والإقالة حرماً لا يضلّ هداة ، ولا تحلّ قواه ؛
ولا تحيب عواقبه ، ولا تخفى مآثره ومناقبه ؛ رافة منه بالخلق ، وصيانة لأهل الحق ؛
وإمهالاً فى العهد ، ورخصة فى الاختصار دون الحد ؛ يقرب فينة المتأمل ، ويسهل
رجعة المتحصل ؛ وتسرع رفاهة المستبصر ، ويخفف آجتهد المزاويل المشمر ؛ وقد
قال الله عزّ وجلّ ﴿ والصّلح خيرٌ ﴾ وهو المسئول عمارة الإسلام بالسلامه ، والأثام
بالاستقامة ؛ والسّلطان بالطاعة ، والمثلک ^(١) يجتوع الجماعه ؛ حتى لا تزال الفتنة مهيضة
الجنّاح ، مريسة الاجتياح ؛ قليلة الشبابة ، قليلة الأذوات ؛ فتكون النفوس واحده ،
والأيدي مترافيه ؛ والمودات صافيه ، والمآرب متكافيه متضاهيه ، فى الشكر الذى
يبدأ به عن النفوس ، ويمحى به حرم الدين ؛ ويرضى معه التأييد ، ويبنى بوسيلته
المزید ، فقد قال الله - وقوله الحق - : ﴿ لئن شكركم لأزيدنکم ﴾ والله سميع مجيب .
وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل !

وقد علمت ما قرط من نوح بن نصر فى السهو ، ونعيم منه فى الهفو ؛ الذى ألهاه
عن التوى ، وأنساه شيمة الرقى ؛ فعدل عن سنّ القصد ، وزاغ عنه على عمد ؛
وحال عن آداب آياته رحمهم الله وهم القدوه ، وتجاياهم وبهم الأسوه ، وما كان
ينتمى به من الولاء ، ويعتدى إليه من الوفاء ؛ وصار أدنى معنى ممن يحسده على كرم
الأصل ، وينافسه فى شرف المحل ؛ ويدخل على عقله مدخل النصيحة ، ويطلع

(١) أى اقيادها يقال ينجى لى بالحق ينجوا اقياد وبذله .

بظاها على آرائه الصريحة ؛ وكل ذلك إلحاذ في أمير المؤمنين وعهده ، ومُروق
عن أزمته ، وعقوق بالبرية يسقُ به الباق ، ولن يسقُ به النازح الماضي . فإن
أمير المؤمنين مازال واعياً لأوامر سلفه ، عارفاً بما أثر خلفه ؛ متجافياً لأولئك عما
أبتدعه ، متنوّياً لهذا التجاوز عما صنعه ؛ فقد كان نُمى إلى أمير المؤمنين أن عبد الملك
أبن نوح مولى أمير المؤمنين سليم السريه ، سيدُّ البصيره ؛ يُرجع إلى رأيه وتدييره ،
ولم يجِدْ وشمكير بن زمار ، عاجله بالبوار ، مساعاً إلى ختله ، ولا أختيالا في ليه وقتله ؛
وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولى أمير المؤمنين ظهير صدق ، إن وسن
أيقظه ، وإن مادأيده ؛ خلة فضل فطره الله عليها ، وغريزة تميز أحسن الله إليه فيها ؛
فإنه لو قال أمير المؤمنين : إنه لا مثل له استحق هذا الوصف . ولأمن أمير المؤمنين
فيه الخلق . ترك لباس أبيه فترعه ، وأعتاض منه وخلعه ؛ وتصل مما كان منه
متبكا ، فعاد عليه محتكا ؛ وأتى الأمر من طريقه ، ولحا فيه إلى فريقيه ؛ وكن الدولة
أبي علي مولى أمير المؤمنين ، أحسن الله ولايته ، ومُعز الدولة أبي الحسين تولى الله
معوته ، وأستصلحهما ، وكفى ، وأستخلصهما ، وغنى ؛ وراسل في الإنابة وإن لم
يكن حائدا ، والأستقاله وإن لم يكن جانبا ؛ فما ترك ركن الدولة ومُعز الدولة -
كلاهما الله - إكبار قدره ، وإجلال أمره ؛ والقيام بخلاصه ، والنطق عن أمير المؤمنين
بلسان مشاركته ؛ وإذكار أمير المؤمنين بما لم يتسه من تلك الوثائق ، التي صدر بها
كتابه ، والملائق ، التي وُثِّق بها خطابه ؛ إلى أن أجل أبا محمد نوحا وترحم عليه ، وقيل
عبد الملك وأحسن إليه ؛ وواصل رُسله ، وأستمع رسائله ؛ وقلده خراسان ونواحيها ،
وسائر الأعمال الحاربية فيها ، وعهد إليه في ذلك عهدا وميزه باللواء ، وانقطع والحياء ؛
بعد أن شكاه بلسانه ، ووفاه حدود إحسانه ؛ وألحقه في ذلك بابائه ، ولم يقصر فيه
بشأوه . وكتاب أمير المؤمنين هذا وقد أطردت الحلال وأستوثقت ، وأمتريجت الأهواء

وَأَتَقَفْتُ ؛ وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطِرَابِ الَّذِي طَالَ أَمَدُهُ ، وَلَمْ يَكْدُرْ يَرَى أَمْرَهُ ؛ وَصَارَتْ الْعَاكِرُ الدَّانِيَةِ وَالنَّائِيَةُ قَوْضَى لِاتِمَازِ ، وَلَا تُفَرِّدُ وَتَتَحَازِرُ ، وَذَلِكَ صَنَعَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْعِ الشَّنَاتِ ، وَتَلَاغِي الْهَنَاتِ ، وَتَمَّ حَلْلُ التَّخَاذُلِ ، وَتُدَاوَاةُ نَقْلِ الدُّخَانِ ؛ لِتَمِّمَ الْكَلِمَةَ فِي وِلَايَتِهِ ، وَتَمَّ النَّعْمَ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ عَلَى شِيعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَاْحَمِدِ اللَّهَ عَلَى هَذَا النَّبِيَا الَّذِي تَطَوَّقَ بِهِ الْمِقْدَارَ ، وَالخَيْرِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يُنْغِصْهُ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْذُرْهُ عَنَاءٌ وَلَا نَصَبٌ ؛ فَإِنَّهُ تَأْتَى سَهْلًا ، وَأَتَى رِسْلًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَمَلًا ، وَأَتَهَى خَالصًا صَفْوًا ؛ فَتَدَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الْعَنْدَةَ ، وَجَمَعَ تَبِيئَهُ الْعَبْدَةَ ؛ وَأَذَنَ عَقْبَاهُ بِالسَّعَادَةِ ، وَبَشَّرَفَى سِيَاهُ بِاتِّصَالِ الْمَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقْرَلَةً مِنْ رَأَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوَدِيعَةِ ، وَأَمَنَهُ عَلَى الصَّنِيعَةِ ؛ وَرَبَّهَ مَرْتَبَةَ الْمَسْبُوحَةِ ، وَأَسْتَحْفَظَ اللَّهُ حَسَنَ الْمَوْجِبَةِ بِهِ ، وَمَا قَدْ تَجَدَّدَ بَيْنَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمَتَوْلَدِ عَنِ الْاِغْتِبَاطِ وَالْاِعْتِدَادِ ؛ فَتَلَّ مِنْ شَأْقَهُمَا فَلَمْ يَنْدَمْ ، وَتَوَزَّدَ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكَلِّمْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَتَسَعَّدْ ، وَآرْتَبَعَ أَكْفَاهُمَا فَلَمْ يُوَعِدْ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكَلْبِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مَتَضَمَّنِهِ لَدَيْكَ ؛ وَمَا يُجِدُّهُ لَكَ مِنَ الْجَلْدَانِ ، وَأَنْفَسَاحِ الْأَمَلِ ؛ مَوْقِفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يُعْتَبَرُ الْبَعْدِيَّةَ تَحْيِيدًا ، بَلْ يَقَعُ الشَّرُوعُ عَقْبَهَا فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك، كتبت به أبو إسحاق الصابي عن الطائع لله إلى من
بُصْحَارَ وَسَوَادِهَا، وَجِبَالِ عُثْمَانَ وَأَعْمَالِهَا، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْاِجْتِمَاعِ
عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعد، فإن أمير المؤمنين للذي حمّله الله من أعباء الإمامة، وأهله له من شرف الخلافة، وأسئدعه من الأمانة في حياة المسلمين، والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين، يرى أن يُراعى من بعد منهم ونائى، كما يُراعى من قرب ودنا، وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالِية، ويطلبهم بالعين الوافية؛ ويتصفح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم؛ فيحمد من سلك نهج السلامه، ويرشد من عدل عن الاستقامه؛ وينظم شمل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحض عليها، ويزيلهم عن التفرقة التي ذمها ونهى عنها؛ إذ يقول جل من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يعترفهم ما أقرض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولي الأمر الذين لا عصمة لمخالفينهم، ولا ذمة لمعاينهم؛ ولا عذر لمسلم ولا معاهد نائى يجانبه عنهم، وضلّ بوجهه عن سبيلهم؛ إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه؛ وكانت الطاعة واجبة له ولن قلده أزيمة أموره، وأستتابه في حمل الأعباء عنه؛ فمن آتس منه الهداية أحده، ومن أنكر منه النواية أرشده بالوعظ ما أكتفى به، أو بالبسط إن أحوج إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوقفه للرأى السديد، ويمدّه بالصنع والتأييد؛ ويتولاه بالمعونة على كل ما لم الشعث، وسدّ اللخل، وقوم الأودّ وعدل الميل؛ وأحسن العائلة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسهلها وحرثها؛ إنه بذلك جدير، وعليه قدير؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُتنب.

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان فوضه إلى عضد الدولة وتاج الملة - رحمه الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليبه صمصام الدولة وشمس الملة ثانيا؛ إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصقوته، وحسامه وجمته؛ والمورد المصدّر عنه بالمهدين المستمزين؛ من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة ، والعهود المشددة ؛ موجبة على الكافة طاعة من حصلت له ، أو استقرت بوثائقها في يده ؛ إذ لا يصح من حاكم حكم ، ولا من عاقد عقد ، ولا من ولى إقامة حد ، ولا من مسلم تادية فرض حتى يكون ذلك مبنياً على هذا الأصل ، ومداراً على هذا القطب ، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما ، نخرج من دينه ، أتم بره ، برئى من عصمته ؛ وأتم من بين الرعية فقد خصصتم سالفاً بحسن النظر لكم ، وعُرفت الطاعة الحسنة منكم ؛ فتقابلت النعمة والشكر ، تقابلاً طاب به الذكر ، وانتظم به الأمر ؛ ثم حدثت الهفوة المعترضة قبيل ، فكان أمير المؤمنين موجبا للمعاقبة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنه ، والمعاملة المميضة على الحكيم منكم القاعد عن التصرف ؛ إلى أن وردت كتب أستاذهم من بن الحسن ، حاجب خصم الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء ؛ في نصرة الأولياء ، والمحاماة دونهم ؛ ومدافعة الأعداء والمُرأمة لهم ؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن مواقعهم ، ونزل لديه أطف منازله ؛ وأوجب لكم به رضاه المقترب برضا الله سبحانه ، الموجب للقربة والرفق عنده ؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالسوام على ما أتم ، والثبات على ما استأنفتم ؛ والمبادرة إلى كل ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من خصم الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين ، بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه ، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وأنتموا فيه إلى حده ورسمه ؛ وتكونوا لفلان الوالى خير رعية ، يكن لكم خير راع ؛ فقد أمر فيكم بحسن السيرة ، وإحسان المعاملة ، وتخفيف الوطأة ، ورفع المشونة ؛ وجعل إليه عقاب العسي ، وتواب المحسن ، ومسالمة المسالم ، ومحاربة المحارب ، وأمان المستامن ، وإقالة المستقل ، وحمل الجماعة على سواء السبيل ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراءهم)

قال في "صناعة الكتاب" : ويكتب الإمام الوزيراً ومن حلّ محله «أمتني الله بك وبدوام النعمة عندي بك ، وبقاء الموهبة لي بك» وما جرى هذا المجرى .

وذكر في "خزينة الكتاب" : أن الدعاء للوزير «أمتنا الله بك وبدوام النعمة لنا بك وتجديد الموهبة عندنا بك» . ثم قال : ودعا "المكشي بالله" للقاسم بن عبد الله لما أمر بتكثيره ، وكان الكتاب بخطه «أمتني الله بك وبالنعمة بك» ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن الحبيب «مد الله في عمرك» . وهو قريب مما ذكره في "صناعة الكتاب" في ذلك كله . والذي رأيت في مكاتبات العلاء ابن موصلاً عن «القائم بأمر الله» التصدير بما فيه تعظيم الوزير وتقريره ، من غير ضابط في الابتداء ، والدعاء في أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلاء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لما خص الله تعالى الدولة القاهرة العباسية بامتداد الرواق ، في العز واتساع النطاق ، وأجرى لها الأقدار بما يجمع شمل الحق ويمنع من تفارق التفارق ، وأفرد أياها بالبهاء المنير الأعلام ، والانتهاء في قوة الأمر إلى ما يتأدى في طاعتها بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفاً عند حدها في النقص والإبرام ، ومتصرفاً على حكمها في كل ما حاولت من حالٍ ورام ، وممكن لها في الأرض حتى أدلت نواصي الأعداء قهراً

وقسرا، وحسرت عن فتاع القُدرة على رد الطامعين في إدراك مداها ظلماً حسرياً؛ فإن الله تعالى لم يُخْجِها كَلَّ وقت من قاتل في نُصرتها فاعل، وقائم بإقامة حشمتها من كل حافٍ من الأنام وناعل؛ وراغب في الذب عن حوزتها سراً وجهراً، وخاطب من خدمتها ما يُرجى أن يكون رضا الله في المُقابلة عنه أعلى مَهراً؛ وناجح جَدَد الرشد في المناضلة عنها بسيفه وقلمه، وفارح للكرب الحادثة فيها بِنُطْقِي فيه وسعى قَدَمِهِ .

وقد منح الله أيام أمير المؤمنين - من كَوْنِكَ الوليِّ بمواصلة المَقاماتِ الثمر فيها، والخلِّي من كل ما يبين صحَّة الموالاة ويُنافيها؛ والضَّمِين لما عاد عليها باستقامة النظام، والضَّيْن بما يُوجدُ للغير الطريقَ إلى وصول الختف إليها والأهتِصام؛ والمتجَرِّد في إمداد عزها بالإحصاف والإمرار، والمتفرد بإعداد أقسام المناضلة دُونها في الإعلان والإسراء؛ والبازلُّ وسَعه فيما تنحى إليها أَعنة السعد ولَوَاهَا، والخاذلُّ كلُّ مستنجد بها فيما يخالف محبتها وهوها؛ ما أوفى على المألوف في أمثالها من قَبْلِ، وصار لك به على كل من سلفك من الأعضاء التقدُّم والفضل؛ فهى - بآثارك الحميدة فيها، وإبكارك الجِدِّ في تشييد مبانيها؛ وكوْنِكَ كافيًا أمر المحاماة من ورائها، كافًا عنها ما يُحْشَى من حُدوث أسباب الفساد وأعترائها - مَبِينَةُ الجَنابِ مَرِيعةُ الجَنابِ، سَرِيعةُ فيها السُّعود إلى ما يُلِيَّ نِدَاءَهَا بأحسن التلبية والجواب .

ثم إنه وإن كانت زُلْفُكَ إلى حضرة أمير المؤمنين باديةً المُجْمولِ والغرور، غير محتاجة إلى إقامة الدليل عليها بما أتضح من أمرها وأشهر، فإن فلانا يُعيد جِلَامَهَا دائماً في أبهى المَلابس وأنضرها، ويُعيد الجِدِّ في الدلالة على تقابل تحبُّرها في الجمال ومنظرها؛ ويكتشف من صفاء السرائر فيها والبواطن؛ وما يطلع عليه منها في كل المحال والمواطن؛ ما يُسبِّب في وصفه ويُعجِب سماع ذكره ويُطرب .

(١) هذا هو المفرد الثاني لمنح .

وفي هذه التوبة عاد، وقد زاد، على المهود من شكره وجزاه، وأبان عن صفة
بالوعد في ضمان التُّجج منك تجازه؛ وأوجب على نفسه أن لا يقف عند حدّ فيما يؤدي
إلى نشر حميدك في الأرض، ووطى الجوانح لك على الإخلاص الصادق المحض .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين على رثمه الذي وسم بالجمال جبينه، وأبتم نمر
التوفيق فيه عما أصبح التُّجج ألف سعيه وقرينه، وبحسب فوزه من شرف الخطوة
برية لم ينلها أحد الأقران له في الزمان، وفوته شأو أبناء جنسه يوم المضار والرهان؛
كفاء ما يستوجه بقاء قيمته في الكمال، والعناء به في كل مقام أمين حدّ مضائه فيه
الكلال؛ أشار بذكر مقاصدك التي حُرّت بها من غنائم الحمد الصفايا، وشاد مباني
حميدك بفضل الإبانة عن السرائر والحقايا؛ وتابغ الشاء على كل من أفسالك التي
أمسى هلاكك فيها مقمرا، ووصح فيها كونك بشروط الإخلاص نجما مضمرا؛ وشرح
من توفرك على كل قرينة غرأة تغرى الألسنة بحمدك، وتنبئ عن حُسن مقصدك برفع
عماد الحق وعمدك؛ ما قامت عليه الأدلة، وأستقامت به على سنن الرشد الأهواء
المضلة؛ وبين من إضائك كل عزم في تهيئة القربات إلى حضرة أمير المؤمنين
حالا فخالا، وإبطائك حُطأ الحدّ فيما يراد برفك البالغة أقصى الغايات لديه سابقا
وأتصالا، ما يضاهاى المظنون في تلك العقيدة التي طالما ألفت في نُصرة الدولة
القاهرة صافية المورد والمهمل؛ حالية من الحُسن بكل حال أتضع فيها ما ألهى عن
غيرها من الوصف وأذهل؛ فقوبلت بما تستحقه من إحماد أشيع وأذيع، وأتبع
فيه الواجب وأطيع؛ وتضاعف الاعتداد بأفعالك التي أعنت بالثور منها في الجمال
والأبكار، وأعدت بها الأمور في الصلاح إلى ما يؤمن إضاحه بالحمد والإنكار .
ومن أحق منك بكلّ فعالي تُضىء مصابيح الخير فيه، ويتنشر جميل الذكر من
مطاريه، وأنت للدولة الولي الأمين!، وبحفظ نظام كلّ أمر يختص بها الكفيل

الضَّمِين؟ ومن أولى منك بكلِّ حمدٍ يَفِدُ إليك إمداده أرسالا، وتَجِدُ منه ضالَّةً تَسُدُّ مثلها آمالُ سِوَاكَ قَابِتٌ بِالخَيْبَةِ عَجَالًا؟ فَكَلِّمِ الْحَقُوقَ مَا لَا يُنْسَى، وَمَا يَلْزَمُ أَنْ يُرْمَى فِي كُلِّ مُصْبِحٍ وَمُمْسَى. فَاحْسِنَ اللهُ جَزَاءَكَ عَنْ كَوْنِكَ فِي دَوْلَةٍ ذَابًا عَنِ الْجَمْدِ حَامِيًا.

فأما ما تُعَدُّ فِي مَعْنَى الْأَعْمَالِ عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي قَبَضَ بِزَوَالِ الْخُلْفِ وَأَنْحَاسِهِ، وَأَقْتَضَى رَأْيَكَ إِجْرَاءَ الْأَمْرِ عَلَى مَا اسْتُصُوِبَ مِنْ آتِسَاقِهِ وَأَنْتِظَامِهِ؛ فَقَدْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ، وَأَجِيزًا مَا أُشْرِتَ إِلَيْهِ؛ فَاعْوِضِ الدُّنْيَا تَهْوَنَ وَتَسْهَلُ فِي ضَمْنِ مَا يُلْحَظُ مِنْ اعْتِنَاكَ أَحْكَامَ مَشَايِعِ الدَّوْلَةِ الَّتِي تُنَمَّتْ بِأَعْيَانِهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَغَدَتْ أَنْارُكَ فِيهَا بِأَقْيَةِ الذِّكْرِ وَالْأَجْرِ عَلَى تَقَضَى الْأَزْمَانِ؛ فَانْتَ الْمَرْغُوبُ فِي الشَّاءِ وَوَلَايَةٌ وَإِنْ شَانَتْ الْأَحْوَالُ، وَالْمُخْلِصُ الَّذِي لِاعِوَضَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَقَامٍ وَمَقَالٍ؛ فَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ بِتَفْصِيلِ ذَلِكَ وَجُمْلَتِهِ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الْخَيْرَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِ وَجَدَّهِ؛ وَلِذَلِكَ أُجِيبُ فُلَانَ إِلَى الْحُضُورِ وَالْمُسْتَعْدَمُونَ مَعَهُ، وَأُذِنَ فِي الْمَقَابِلَةِ بِالْقَوَائِنِ الْقَدِيمَةِ وَالْبَاقِ وَالْجَرَائِدِ، وَالْمُؤَافَقَةَ عَلَى مَا رَأَيْتَهُ فِي الْبَوَادِي وَالْعَوَائِدِ؛ وَالتَّرْتُّبَ عَنْ كُلِّ مَا شَدَّ عَنْ الْحِجَةِ الْمَوْكَّدَةِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَوْفُرِ الْمَوْجُودِ لِهَذِهِ السَّنَةِ فِيهِ عَلَيْهِ، وَحَسَمَ مَوَادَّ اسْتِرَادَتِهِ فِي كُلِّ مَا تَمَسَّكَ بِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ؛ وَالثَّقَّةَ مِنْ بَعْدِ مُسْتَحْكَمَةً بِتَوْفِيقِكَ عَلَى مَا يُرَادُفُ إِلَيْكَ إِمْدَادَ الْجَمْدِ، وَتَجْدِيدِكَ كُلِّ قُرْبَةٍ تَنْضَمُّ إِلَى سَوَابِقِهَا الْمُتَجَاوِزَةِ حُدَّ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ.

فأما ما تَضَمَّنَتْهُ إِشَارَتُكَ فِي حَقِّ السِّرِّ الرَّفِيعِ، فَهَلِ الصَّلَاحُ إِلَّا مِنْ تَنْبَاجِ أَمْوَالِكَ؟، وَهَلِ مَسَاعِيكَ إِلَّا مَوْقُوفَةٌ عَلَى الْخَيْرِ وَأَفْعَالُكَ؟، وَهَلِ الْمُؤَافَقَةُ إِلَّا لَكَ فِي جَمِيعِ آرَائِكَ وَأَجْمَانِكَ، وَبِحَكْمِ آبَسَدَانِكَ لِاسْتِقَامَةِ النَّظَامِ فِيهَا قُرْبٌ وَبَعْدٌ، وَالسُّكُونِ إِلَى إِسْعَافِكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْدُثُ وَيَتَجَدَّدُ؛ وَيَبِيعُ عَلَى مَا يَبِيعُ رَوْتَقَ الْجِشْمَةِ مِنَ الْوَهْنِ، وَيَهْزِ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُحَقِّقُ التَّقْدِيرَ فِيهَا وَالظَّنَّ، فَإِذَا

تُصَفِّحَتْ حقوقُ الرِّكْلَاءِ الْمُجْتَبَاةِ وَجِدَتْ مَوْفِرَةً عَلَى آقْتِنَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةً فِي وُجُوهِ
 الْبِرِّ الَّتِي هِيَ أَمْعُ الذُّخْرِ فِي عَدِّ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَطْنُ الدُّنْيَا بَيْنَهَا قِيَمَةٌ
 تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيرُهَا إِلَّا إِلَى أَنْقِضَاءٍ وَلَوْ أَسْعَفَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالنَّفَاسِ ، غَيْرَ أَنْ
 الْأَحْوَالَ إِذَا كُنِيفَتْ مَسْتَوْرُهَا أَثَبَتْ مَا يَقْتَضِي إِسْبَالَ سِتْرِ الْإِسْفَاقِ ، وَالْبُؤِاطِنَ مَتَى
 أُعْرِبَ عَنْهَا أَثَمَّتَ ذَلِكَ كُلُّ مُجَابِبٍ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ الْفَقَاقِ ، وَأَنْتِ الْمَعْتَمَدُ لِتَدْبِيرِ
 مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْبِدَالَةِ وَالنَّخَالِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ
 الْأَجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى تَيْسَّرَ قَدْرُهُ وَتَسَهَّلَ ، وَهَذَا تَفْصِيلٌ قَدْ أَوْعِزُّ إِلَى فُلَانٍ بِأَسْتِقْصَاءِ
 شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاعِكَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَقَضَيْهِ ، فَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فَيْكَ ، تَحِيدُ زَنْدَ جِوَالِكَ
 بِذَلِكَ أَوْرَى ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراء الملوك)

وهي مما يؤتى في صدرها بحرف النداء غالباً . كما كتبت عن المسترشد إلى معز الدين
 الفضل بن محمود ، وزير معز الدين سنجر بن ملكشاه .
 مَقَامُكَ يَا مَعِزَّ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللَّهِ حِيَاطَتَكَ وَكَلَّ مَوْهَبَتَهُ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ
 الْعَزِيزَةِ الَّتِي مَارَلَتْ بِجُهْدِكَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَفِي جِلَابِيبِ الْمُنَاصِحَةِ رَافِلًا ، لَا يَقْبِضَنَّكَ
 أَنْ تُوَاصِلَ حَالًا فَخَالًا بِأَنْبَائِكَ ، وَتَسْتَدِيمَ مَا حِيَصَصْتَ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْأَدَابِ
 الْعُوفِيَّةِ بِكَ عَلَى أَكْفَانِكَ . وَعُرِّضْ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى طَاعَتِكَ
 الْمَعْهُودَةِ ، وَمُؤَالَاتِكَ الرَّائِقَةِ الْمَشْهُودَةِ ، وَأَسْتَمْرَارِكَ عَلَى الْجِدِّ وَالْمَهْمِجِ فِيمَا حَازَ الْمَرَاصِي

الشریفة الإمامیة لك ، وحقق فی الفوز بجلیل الآراء أممك . وناطقاً بحال فلان الماریق عن الدین ، المجاهر بمعصیة الله تعالى فی مخالفة أمير المؤمنین ، وما اقتضاه الرأی المعزى بحسن سفارتك ، وسداد مقصدك فی الطاعة وصدقائك ، وأحاط علماً بمضمونه الذى لا ریب أنه ثمرة مناصحتك ، ونتیجة سعيك المضاهی نصیحة عقیدتك ؛ ومن أولى منك بهذه الحال ؟ وأنت الحول القلب ، ذو الخنكة المحرّب ؛ الذى تفرد فی الأتام بكاله ، وقصر أكفأؤه عن درك شأوه فی الخیر ومثاله ؛ ومازلت حديثاً وقديماً موسوماً ، بهذه المزیة مرقوقوما ؛ وبغير شك أنك تراعى مبادئه ، وتعضد مقالک فی مواردہ بما تعمدہ فی مصادره ، وتحرّس ما قدمته من الاحتیاط بتحرّیک فی أواخره ؛ ومضى العزيمة لإتمام ما شرعت فيه ، كفاء ما یوجبہ دینك ویقتضیه ؛ بحرماً علی وتیرتك فیما قضی للأحوال بالانتظام والأنتساق ، وأذن لشمس الصلاح بالإضاءة والإشراق .

وبعد فقد عرفت ما تكرر اليك فی أمر هذه الطائفة الخبيثة ، المكشوفة بذهب الإلحاد ، المبارزة بسوء الاعتقاد ؛ بعنا على جهادها ، وكف ضررها عن الإسلام وفسادها ؛ ورفع ستر المراقبة عنها ، والانتقام لله ورسوله منها ؛ وما يقع من همة معز الدولة والدين - أمتع الله ببقائه - ومن وافر عقلك ودينك ، وصدق يقينك ؛ إلا بإرهاق العزيمة فى مكاشفتها ، وخوض الغمار فى محاربتها ؛ والقصد لمضايقة من اعتصم منها بالفلاح ، وقتل كل من يظفر به فى سائر البقاع ؛ حميةً وأمنعاضاً للدين ، وأتفاً مما استولى عليه بها من الضرر المبین ؛ فكن من وراء الحب لمعز الدنيا والدين على تيقنك هذا المثال ، والأدكار بما تفوز به مع الإمتثال له فى المسأل ، وأنقض فى تنفيذ ما يأمرك به فى هذا الباب نهضة من أتر رضا الله وأراده ، وبذلك فى صلاح معاده أجهاده ؛ فإن الله سبحانه لا يرضى منكماً للإلتصار لدينه بالتقصير ،

وأمر المؤمنين أمرًا كما بالحد فيه والتشمير؛ وقد شرفك بحقيقة أمر بجملها إليك من بين يدي سُدته، وأعرب بها عن مكانك من حضرتها؛ إنافة على الأمثال بقدرتك، وإضافة للملابس نغرك؛ فأعرف بمكان النعمة في ذلك، وأسلك في القيام بشكرها أوصح المسالك؛ وأديم المواصلة بمطاعتك، وقدم التوقع من إجابتك، نُفّر من المراضى الشريفة بالخط الأسننى، ويجمع لك منها الإسم والمعنى، إن شاء الله تعالى .

الطرف الرابع

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بنى العباس في الديار المصرية

بعد مصير الخلافة إليها)

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح الكتاب بلفظ «من فلان إلى فلان»)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه في خلافتهم ببغداد، إلا أنه زاد فيه لفظ «ووليّه» بعد لفظ «عبد الله» في أول الكتاب فيقال في افتتاحه : «من عبد الله ووليّه أبو فلان فلان الإمام الفلاني» . ثم يقال : أما بعد حمد الله، ويؤتى على آخر الخطبة، ثم يتخلص منها وينغم بالأمر بامثال ما أمر به . ويقال بعد ذلك : موقفاً إن شاء الله تعالى . والخطاب فيه بالكاف، وربما أفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم مناسبة للمعنى .

وهذه نسخة كتاب كتبت به عن الإمام المستكفي بالله «أبي الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحمد» إلى الملك المؤيد هنربر الدين داود ابن الملك المنقفر صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعائة ، حين منع صاحب اليمن الهدية ، التي جرت العادة بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتتحا بآية من القرآن ، وهو :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

من عبد الله ووليه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله ما منح القلوب السليمة هداها ، ومرشيد العقول إلى أمر معادها ومبداها ، وموفق من أخاره إلى محجة صواب لا يضل سالكها ، ولا تظلم عند إخلاف الأمور العظام مسالكها ، ومثلهم من أصطفاه لاقتناء آثار السنن النبوية ، والعمل بموجبات القواعد الشرعية ، والانتظام في سلك من طوقته الخلافة عقودها ، وأفاضت على سنته الجليلة برودها ، وملكته أفاضى البلاد ، وأناطت بأحكامه السديدة أمور العباد ، وسارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك الأكاسره ، وشيدت بأحكامه مناجع الدنيا ومصالح الآخرة ، وتفتقر كل منبر من ذكره في ثوب من السيادة معلم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارى كل دينار ودرهم .

يحمد أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة بيني العباس منوطه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة منوطه ، وبصلى على ابن عمه محمد الذي أحمد الله بمبعثه ما ناز من الفتن ، وأطفا برسالته ما اضطرم من نار الإحن ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا حتى الخلافة وذادوا عن مواردنا ، وعمدوا إلى تهديد المعالم الدينية فأقاموها على قواعدها ، صلاة دائمة الغدو والروح ، متصلا أولها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح .

هذا وإن الدين الذي فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه، وأطلع فيه شمس هداية تُشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطاً، وفي سلك أحكامنا محروطاً؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفاً طال نجادُه، وكثر أعوانه وأنجاده؛ وفوض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمانا نُجعي ثمراتها، ويرفع إلى ديواننا العزيز نفيسها وإبانتها؛ يخلف الأسد إن مضى في غايه شبيهه، ويلقى في الخبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخِلافه، وجعل محلنا الشريف محل الرحمة والرافه؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالما أشرفت بالخلاف من آبائنا، وأبتجت بالسادة العطاريف من أسلافنا؛ وألبسنا خلعة هي من سواد السؤدد مصبوغه، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصبوغه؛ وأمضينا على سُدتنا الشريفة أمر الخاص والعام، وقلدنا كل إقليم من عملنا من يَصْلِح سياستها على الدوام؛ وأستكفينا بالكفاة من عمالتنا على أعمالنا، واتخذنا مَصْر دار مَقامنا وبها سُدّة مَقامنا، لِمَا كانت في هذا العصر قبة الإسلام، وقيّة الإمام وثانية دار السلام؛ تعين علينا أن نتصّح جرائد عمالتنا، ونتأمل نظام أعمالنا؛ مكاناً فكاننا، وزماناً فرماننا؛ فتصّفحناها فوجدنا قُطر اليمن خالياً من ولايتنا في هذا الزمن؛ عرفنا هذا الأمر من اتخذناه للملك الإسلامية عينا وقلبا، وصدرنا ولبا؛ وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقاماً أقعد الأضداد، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد، وهو السلطان الأجل، السيد الملك الناصر المبجل؛ لازالت أسباب المصالح على يديه جاربه، وبحابه الإحسان من أفق راحته ساربه؛ فلم يُعد جواباً لما ذكرناه، ولا عُذراً عمأ أبديناه، إلا بتجهيز شردمة من بحافله المشهورة، وتعيين أماس من فوارسه المذكورة؛

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ، وَلَا يَتَعَبُّونَ بِتَغْيِيرَاتِ الْأَحْوَالِ ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَعْنَاً إِنْ صَادَفُوهُ،
وَسَبَّأَ الْمُعْرِفِ مَكْسَبًا إِنْ صَافَعُوهُ ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَامِ مَدَامَهُ ، وَلَا يَلْبَسُونَ
غَيْرَ التَّرَائِكِ عِمَامَةً ؛ وَلَا يَعْرِفُونَ طَرَبًا إِلَّا مَا أَصْدَرَهُ صَلِيلُ الْحَسَامِ مِنْ غِنَاً، وَلَا يَنْزِلُونَ
فَقْرًا إِلَّا وَابِتَّ سَاعَةٌ نَزُولُهَا مِنْ قَنَا . وَلَمَّا وَثِقْنَا مِنْهُ بِإِنْفَاقِهِمْ رَاجِعْنَا رَأْيَنَا الشَّرِيفَ ،
فَاقْتَضَى أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَمَالِكِهَا ، وَأَحْتَاطَ عَلَى جَمِيعِ مَسَالِكِهَا ؛ وَأَتَّخَذَ
أَهْلَهَا حَوْلًا ، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلًّا ، بَرَزَ مَرَسُومُنَا الشَّرِيفِ
النَّبَوِيِّ أَنْ يُكَاتَبَ مَنْ قَعَدَ عَلَى تَحْتِ مَمْلَكَتِهَا ، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا ؛
وَطُوْلِعَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الَّذِي لَهُ شُبُهَةٌ تَمَسُّكَ بِأَذْيَالِ
الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْصِمِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحَبُ الْحَمَلِ عَلَى زَعْمِهِ ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَمَلُ الَّذِي بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ ؟ ، أَصْدَرْنَا إِلَى الرَّحَابِ
التَّعْزِيَةَ ، وَالْمَعَالِمَ الْيَمِينَةَ تُسَمِّرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ ، وَتَوَلَّى كِبْرَهُ فَلَمْ يَعْجِجْ عَلَى أَحَدٍ ؛
أَنْ أَمْرَ الْيَمِينِ مَا بَرِحَتْ قَوْلَانَا تَحْكَمُ فِيهِ بِالْآيَةِ الصَّحِيحَةِ ، وَالتَّقْوِيَّاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ
جَمْرِيحِهِ ؛ وَمَا زَالَتْ تَحْمَلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمَشَّى بِهِ الْجَمَالُ مَشْيًا وَبَيْدًا ،
وَتَقَدِّفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى طُهْورِ الْيَعْمَلَاتِ وَبَيْدَا ، وَبُطَالِئُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ
وَمَفَاسِدِهِ ، وَبِحَالِ دِيَارِهِ وَمَعَاهِدِهِ ؛ وَلِكِ أَسْوَةِ بَوَالِدِكَ فَلَانِ ، هَلَّا أَقْتَنَيْتَ مَا سَنَهُ
مِنْ آتَارِهِ ، وَتَقَلَّتْ مَا دَوَّنتَهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ .

وَأَتَّصَلَ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورٌ صَدَرَتْ مِنْكَ .

منها - وهي العظمى التي ترتب عليها ما ترتب - قطع الميرة عن البيت الحرام ،
وقد علمت أنه وإد غير ذي زرع، ولا يحل لأحد أن يتطرق إليه بمنع .

ومنها - انصبأبك إلى تفريغ مال بيت المال في شراء طهور الحديث، وتفض العهود القديمة بما تُبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المتأبر من عقود آسمناء، وخلق تلك الأماكن من أمور عقدا وحلأ؛ ولو أوضحنأ لك ما أتصل بنا من أمرك لطلأ، ولا أَسَعَت فيه دائرة المقال؛ رَسَمْنَا بها والسيف يود لو سبق القلم حده، والعلم المنصور يود لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قده؛ والكاتب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب، وأهل العزم والحزم يودون إليك إعمال الركاب، والحوارى المنشآت قد تكونت من ليل ونهار، وبرزت كصور الأقبلة لكيتها على وجه الماء كالأطيار؛ وما عمدنا إلى مكاتبك إلا للإندار، ولا أحتجنا إلى مخاطبتك إلا للإعذار؛ فأفليح عمأ أنت بصديده من الخيلاء والإعجاب، وأنتظم في سلك من استخلفناه فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب؛ وحن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء علمك، ومنظمون في سلك أوامر كلك، وداخلون تحت طاعة قلمك؛ فلسنا نسن الغارات على من نطق بالشهادتين لسأته وقبته، وأمتل أوامر الله المطاعة عقله ولبه؛ ودان بما يجب من الدينه، وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف الأمانه؛ ولسنا ممن يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه نخرج عن طاعتنا، ورفض كتاب الله ونزع عن مبايعتنا . فأصدرنا مرسومنا هذا إليه نقض عليه من أبناء علمنا ما أطال مدة دولته، وشيد قواعد صولته؛ ونستدعى منه رسولاً إلى موافقنا الشريفه، ورحاب ممالك المنيفه؛ لينوب عنه في قبول الولاية متأب نفسه، وليجن بعد ذلك ثمار شفقتنا إن غرس شجر طاعتها - ومن سعادة المرء أن يجني ثمار غرسه - بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا، وتعالى رتبة وحسن مثلا؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطعة ترفها إلى بيت المال . وإياك ثم إياك! أن تكون على هذا الأمر من مال؛

ورتب جيشاً مقياً تحت علم السلطان الأجلّ الملك الناصر للقاء العدو الخذول التتار،
 ألحق الله أولهم بالهلاك وأخرهم بالبوار . وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ،
 وتواريخ سيرهم المتكورة ؛ فأحرص على أن يُحصك من هذا المشرب السائق أوفر
 نصيب ، وأن تكون من جهز جيشاً في سبيل الله فرحاً بسهمه فله أجران مُصيباً
 أو [غير] مُصيب ؛ ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أهلة
 أعلامنا المنصورة، شاكرًا برمّواقفنا المبرورة ؛ وإن أباي حالك إلا أن استمرت على
 غيرك ، واستمرت مرعى بقيك ؛ فقد منعناك التصرف في البلاد، والنظر في أحكام
 العباد ؛ حتى تطأ خيلنا العتاق مشمخرات حُصونك ، وتعجل حينئذ ساعة متونك ؛
 وما علمناك غير ما علمه قلبك ، ولا فهمناك غير ما حدسه لبك ؛ ولا تُكن كالصغير
 يزيدُه كثرة التحريك نوماً ، ولا ممن غزه الإمهال يوماً فيوماً . أعلمناك ذلك فاعمل
 بمقتضاه ، موفقاً إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتح الكتاب بخطبة إما مصدرية بآية من القرآن الكريم أو دُونها)

كما كتبت عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس « أحمد ابن المستكفي بالله أبي
 الربيع سليمان » إلى السلطان الملك الناصر: أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون،
 وهو بالركك، يستدعي حضوره إلى قلعة الجبل بالقاهرة المحروسة لتقليد السلطنة
 الشريفة، بعد خلع أخيه الملك الأشرف بكك ابن الناصر محمد، وإسكك الأمير
 قوصون ومن معه من الأمراء .

وقد ذكر صاحب "الدر المنقط" أنه كتبه في قطع البغدادى الكامل بين يدي

الأمير قطلوبغا الفخرى كافل السلطنة الشريفة . وهذه نسخته :

(الم ترأى أن الله حخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) .

فالحمد لله الذي أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المنفقة والمتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه المراجعة والباينة، وأعلى جدهذه الدولة القاهرة، وأطلع في أسنة العوالي مجومها الزاهرة، وحرك لها العزائم فلكت والأمر - بحمد الله - ساكنه، والبلاد - والمنة لله - آمنة، والرعايا في مكانها فاطنه، والسيوف في أعمادها مثل الثيران في قلوب حصادها كامينه . وأقام أهل الطاعة بالفرض، وأستوفى بهم القرض، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض، وأعز أنصار المقام الشريف العالی وأعز نصره، وأعد لعدوه حصره، وأتى بدولته الغراء تسمو شموسها، وتثمر غروبها، وتظهر في حلال الصباح المشرق عروبها، وتجي منه بجزير راع للرعية يسوسها، وبشره بالملك والدوام، وسره بما أجمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على الكرسي ملكه نطله الغمام، وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في المنام، ولا يزال مؤيد الهيم، مؤكد الذم، مجدد البيعة على رقاب الأمم، ولا برحت أيامه المقبلة مقبلة بالهم، خضر الأكاف على رغم من كاد وغم من رغم، ولا قنيت عهدو سلفه الشريفة تنشأ له كما كانت، ورعاياه تدين له بما دانت، وجنوده تُقدية من النفوس بأعز ما دخرت وما صانت، وسعادة سلطانه تكسب النعم، وتلشر الذم، وتعيد إلى أوف أهل الانفة الشتم، وتحفظ ما بقي لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللعم .

مطرها وأصدرها وقد حقت بعوائد الله الطنون، وصدقت الخواطر العيون، وأنجز الله وعده، وأتم سعيه، وجمع على مقامه الكريم قلوب أوليائه،

وَفَرَّقَ فِرْقَ عَدُوِّهِ وَأَبَاتَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَطَّدَ لِرُقِيهِ الْمَنَارِ ، وَرَجَّلَ لَتَرْقِيهِ الْعَسَاكِرَ ، وَهَيَّأَ لِمَقَاتِلِ أَعْدَائِهِ فِي أَيِّدِي أَوْلِيَائِهِ السُّيُوفَ الْبَوَاتِرَ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأَمْسِكَ ، وَنُهَبَ مَالُهُ وَأَسْتَهْلِكَ ؛ وَهَدِمَتْ أَيْبَتُهُ ، وَهَدَّتْ أُنَيْتُهُ ؛ وَخَرِبَتْ دِيَارُهُ ، وَقَلَعَتْ آثَارُهُ ؛ وَأَخْلِيَتْ خِرَاسَتُهُ ، وَأُخْرِجَتْ مِنْ بَطُونِ الْأَرْضِ دَفَائِنُهُ ، وَمَا مَانَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرَّبَابِ الَّتِي ظَنَّمَا قَسَاوِرَ ، وَلَا نَاضَلَتْ نِكَالَ الْقَيْسِيِّ الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِرَ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ التَّمَالُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ نَهَبَ . وَأَعِيدَ إِلَى الْمَهْدِ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَقَهَرَ أَبْنَاءَهَا بِحُكْمِهِ ؛ وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْعَلَبَ وَمَنَاجِرَ مِنَ الْكَيْتَاسِ ؛ وَغَالَبَ بِهِ الْقَلْبَ حَتَّى وَطِئَ الرَّقَابَ ، وَدَاسَ الْأَعْقَابَ ؛ وَخَادَعَ وَدَلَّهُ الشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ ، وَدَلَّسَ عَلَيْهِ عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَّ بِعِتَادِهِ ، وَأَعْتَرَّ بِقِيَادِهِ ، وَأَعْتَرَّ بِأَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ فَأَمْسَكَ وَمَعَهُ زُهُوسُ أَشْبَاعِهِ ، وَحَصِرَتْ بِالْخَوْفِ نَفُوسُ أَتْبَاعِهِ . وَمِنْهُمْ الطَّنْبِغَا .

وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَةِ وَصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبَرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعِبَرِ ، وَدَاسَ عَلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ مِنَ وَتَرِ الْإِبْرَةِ ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ الْحَقُّ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْمُهْزِيمَةِ الَّتِي أَلْجَاهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَعَدَتْ لَهَا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي قَمِّ الْمَضِيقِ ؛ وَعَبَّتْ لَهَا صُفُوفُ الرِّجَالِ ، وَأَعْدَتْ لَهَا حُتُوفَ الْأَجَالِ ؛ وَحَبَرَتْهُمْ فِي سَمْعَةِ الْعَجَاجِ ، وَأَرَبَتْهُمْ بِوَارِيقِ الْمَوْتِ فِي سُحْبِ الْعَجَاجِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصِلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَرْقَمَةٌ ، وَأَعْضَاءُ مَرْقَمَةٌ ؛ قَدْ نَبِيَتْ تَحْتَهُمُ الظُّهْرُ ، وَقَتِي بِيَوْمِهِمُ الدَّهْرُ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِي إِلَى شَقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رُقُودٌ ، وَعَبَّتْ لَهَا الْخَيْلُ وَالْخَلَجُ إِلَّا أَنَّهَا مَلَأْسُ الذَّلِّ . وَهِيَ الْقَيْودُ ؛ فَأَخَذُوا جَمِيعًا مِنْهُمْ وَكَانُوا عَلَى مُوَالَاتِهِ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمُوَاتَانِهِ ؛ وَجَحَلُوا إِلَى الْحَبْسِ النَّائِي الْمَكَانِ ؛ وَأَوْدِعُوا أَحْيَاءَ فِي مُلْحَدِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ نَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

مَا آمَنُوا الْقَوَاتِ ؛ وَوَكَّلَ بِحِفْظِهِمْ إِلَى أَنْ يُسْرِفَ سِرِيرُ الْمَلِكِ بِعُقُودِ مَقَامِهِ وَعُقُودِ أَيَّامِهِ الْحَوَالِي ، وَسَعُودِ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمُّ بِالنَّجُومِ إِلَّا خَدَمَ اللَّيَالِي .

وَهَذَا النَّصْرُ إِنَّمَا تَهَيَّأَتْ - وَفِيهِ الْحَمْدُ - أَسْبَابُهُ ، وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا فَتِحَتْ بِعَشِيئَةِ اللَّهِ أَبْوَابُهُ ؛ بِعِمَّةِ اللَّهِ وَبِنِيَّةِ الْمَقَامِ الْعَالِي لَا بِعِمَّةِ أَحَدٍ ، وَلَا بِعِمَّةِ بَأْسٍ مِنْ أَقْدَرٍ ، وَلَا بِأَسٍ مِنْ حَجْرٍ ، وَمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَضَى بِهِ الْقَدْرُ السَّابِقُ وَعَلَى اللَّهِ التَّمَامُ ؛ وَبِمُظَافَرَةِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ ، فَطَلُوبِنَا الْفَخْرِيَّ السَّاقِيَّ النَّاصِرِيَّ ، أَدَامَ اللَّهُ نُصْرَتَهُ لِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْمُؤَيَّدَةِ . وَبِمَضَاءِ عِزِّ أُمَّهُ الَّتِي مَاوَتْ ، وَقَضَاءِ قَوَاضِيهِ الَّتِي مَا أَتَتْ ، وَبِمُجَازَرَةِ مَنْ التَّفَّ عَلَيْهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ ، وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ مُظَافَرَةِ الْأَرَاءِ ؛ وَزَوَّلَهُمْ عَلَى النَّبِيَّةِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ ، وَلَا يُبَيِّنُهُمْ مَنْ بَدَلَهُمْ ، وَلَا يَبَالُونَ بِسَاكِرِ دِمَشْقِ الْمَقِيمَةِ عَلَى حَلَبٍ وَمَنْ مَالَ إِلَيْهِمْ ، وَتَمَالَأَ مَعَهُمْ عَلَيْهِمْ ؛ وَمَنْ أَنْصَافَ إِلَيْهِمْ مِنْ جُنُودِ الْبِلَادِ ، وَجِيُوشِ الْعِنَادِ ؛ وَلَا لَوَأَهُمْ مَا كَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْخَائِشَ مِنْ وَعِيدِهِ ، وَلَا لَوَأَهُمْ مَا كَادَ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ مِنْ تَهْدِيدِهِ ؛ وَلَا بِالْوَأَا بِمَا أَلْبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ جُنْدِ الشَّامِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ سُيُولُهُ مِنْ كُلِّ صُوبٍ ؛ وَخَادَعَهُمْ بِالرِّسَالِ الَّتِي مَا تَزِيدُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا إِيَاءً ، وَلَا تُسَكِّكُهُمْ أَنْ السَّيْفَ أَصْدُقَ مِنْهُ إِثْبَاءً ، حَتَّى وَكَلَى لَا تَنْقَعُهُ الْخِدْعُ ، وَلَا تَنْصُرُهُ الْبِدْعُ ؛ فَمَا أَسْعَدَتْهُ تِلْكَ الْجُمُوعُ الَّتِي جَمَعَهَا ، وَلَا أَجَابَتْهُ تِلْكَ الْجُنُودُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا إِلَى مَكَّنِّ أَجَلِهِ ، وَلَا وَقَّتْ تِلْكَ السِّيُوفُ الَّتِي لَمْ يَظْهَرِ لَهُ مِنْ بَوَارِقِهَا إِلَّا حِمْرَةُ التَّجَمُّلِ ؛ حَتَّى أَخَذَ مَعَ طَاغِيَتِهِ بِلِ طَاغُوتِهِ بِمَعْرَ ذَلِكَ الْأَخَذِ الْوَيْبِلِ ، وَقَدِيفَ بِهِ إِلَى مَهْوَى هَلَكَةِ سَيْلِ ذَلِكَ السَّيْلِ ؛ وَقَامَ مِنَ الْبُلْدِيَّاتِ الْمِصْرِيَّةِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَطَافَرُوا عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ النَّعْمَةِ الْجَاهِدِ ؛ وَلَمِيقَ مِنَ الْأَمْرَاءِ إِلَّا مَنْ بَدَلَ الْجُهْدِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الرَّعِيَّةِ وَالْجُنْدِ ؛ وَفَعَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَدَأً ، حَتَّى حُمِدَ الْأَمْرُ وَتَمَدَّ الْجُحْرُ ؛ وَتَوَاتَرَتِ الْكُتُبُ بِمَا عَمَّتْ بِهِ الْبُشْرَى

من إقامة النيمة باسمه الكريم ، وأنه لم يبق إلا من أعطى اليمين وأعطى اليمين ، وأتم الخلف إتماماً لا يُقدَّر معه ثمين ، وأقيمت له السكة والخطبة فرُفع على المنابر اسمه وتהלل به وجوه النُفُود ، وظَهَرَ على أسرار الوجود ، وضربت البشائر ، ونهبت المسرات السرائر ، وتَشَوَّقَتْ أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى حضور ملكها ، وسُفُور الصباح لإذهاب ما أبقته عقابيل تلك الليلة من حلكها . والمقام العالى ما يزداد علماً ، ولا يزداد عزماً ، وهو أدرى بما فى التأخير ، وبما فى بعده من الضرر الكبير ، ومثله لا يُعلم ، ومنه يُتعلَّم ، فهو أعلم بما يجب من مسابقة قُدومه للبشير ، وما سيعن من معاجلته لأمتطاء جواده ظهر الخيال وبطن السرير ، فالله الله ! فى تعجيل حفظ هذا السوام المُشرد ، وضم هذا الشمل المشتت ونظم هذا العقد المبدد ، وجمع كلمة الإسلام التى طالما آفرت ، وأتجاج عارض هذه النعمة التى أبرقت ، وسرعة المسير فإن صبيحة اليوم المبارك الذى يُعرف من أوله قد أشرقت ، فما بقى مابه يُتقدَّر ، ولا يسوى مقدمه السعيد يُنتظر .

وقد كتبناها ويُدنا ممدودة لمبايعته ، وقلوب الخلق كلها مستعنة لمناجته ، وكرسى الملك قد أزلف له مقعده ، ومؤمل الظفر قد أُنجز له موعده ، والدهر مطاوعه والزمان مُسعدُه ، وطوائف أوليائه ليوم لقائه تُرصدُه ، والعهد له قد كُتب ، ولواء الملك عليه قد نُصب ، والمنبر باسمه عليه قد خُطب ، والدينار والدرهم هذا وهذا له قد ضُرب ، ولم يبق إلا أن يقرب ، وترى العيون منه ما ترتقب ، ويجلس على السرير ، ويُرمع المبشر ويعزم على المسير ، وتُرى الأقاليم ، ويبين لتسير شهابه ما كان يُقرأ له فى التقاويم ، لازال جيبُ ملكه على الأقطار مزروراً ، وذيل نقاره على السماء مجروراً ، وحبل وليه متصلاً وقلبه مسروراً ، ومقدمه يجوز له من إرث آبائه نعمًا جمة ومُلُكا كبيرا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ما استقر عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكاتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المكتوب إليه بما يكتب من الألقاب عن السلطان على ما سياتى ذكره في المكاتبات السلطانيات في الباب التالى من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكاتبة إلى نائب الشام مثلا، فالذى يكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم العالى » إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك، ويكتب عن الخليفة « سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يخصص المقر الكريم العالى » إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكاتبات الصادرة عنهم : من الابتداء بلفظ « من عبد الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان على ما تقدم » وأتوا في ألقاب المكتوب إليه بالألقاب المستعملة في [ذلك] الزمان في المكاتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام « من عبد الله ووليه أبى عبد الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، إلى المقر الكريم العالى الأميرى الكبرى » إلى آخر الألقاب المقدم بيانها في المقالة الثالثة . ثم يقال : « وسلام على المقر الكريم ، فإن أمير المؤمنين محمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ورسالة أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم يقال : أما بعد ، فإن كذا وكذا ، ويؤتى على المقصد ويحتم بالدعاء وغيره لكان أذهب مع الصواب ، وأوفق لمكاتبة الخلفاء السابقين ، وأقرب إلى اقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،

وفيه ثلاث جمل)

الجُمْلَةُ الأُولَى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب " مواد البيان " وكان من كبار دولتهم في المكاتبات الصادرة عنهم نحو المكاتبات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكاتبَةُ من الخليفة فينبغي للكاتب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي سَطْرٍ أَوَّلٍ : لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُسْتَفْتَحُ بِهِ ، ثُمَّ يَكْتُبُ فِي سَطْرٍ ثَانٍ يَلِاصِقُهَا وَيُخْرَجُ بِسَيْرًا « من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان » ويبدأ بذكر نَعْتِهِ إِنْ كَانَ الْإِمَامُ شَرَفَهُ بِنَعْتٍ : « سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِحَمْدِ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ الْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ وَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا » . وَيَكُونُ هَذَا التَّصْدِيرُ فِي سَطْرَيْنِ ، يَجْعَلُ بَيْنَهُمَا فِضَاءً قِيسَ شِبْرٍ ، وَلَا يَزِيدُهُ عَنِ ذَلِكَ وَلَا يَنْقُصُهُ فَيُخْرِجُهُ عَنِ حَدِّهِ ، ثُمَّ يَتْرِكُ بَعْدَ هَذَيْنِ السَّطْرَيْنِ فِضَاءً نَصَفَ الَّذِي بَيْنَهُمَا . ثُمَّ يَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ ، وَيَقْتَضِ الْمَعْنَى مَعْنَى مَعْنَى ، فَإِنْ كَانَ أَمْرًا أَمَرَ بِهِ الْإِمَامُ قَالَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْكَلَامِ : وَأَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَذَا . ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ فَصْلِ أَوْسَعٍ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ « فَاعْلَمْ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرِسْمِهِ وَأَعْمَلٍ عَلَيْهِ بِحَسَبِهِ » . وَيَقُولُ لِلخَطَّاطِينَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ : وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، وَيُفْرَدُ بِالسَّلَامِ مِنْ دُونِهَا .

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه ، ثم يطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحد بالتصدير إلا الإمام وولي عهده . وهذه المكتبة عامة للناس جميعا في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكتب من الدواوين ، ولا يخاطب أحد عن الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكتب العامة ، وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلان

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحال في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله نزار القاطمي إلى عامله بمصر يبشره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، مما أورده المسبحي في تاريخه :

من عبد الله ووليه نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، إلى حسين بن القاسم .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن

يصلّي على جدّه محمد نبيه ورسوله صلّى الله عليه ، وعلى الأئمة من عترته الأبرار ،

الطاهرين المطهرين وسلّم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الملك العظيم ، العليم الخليم ، ذي الطول الكريم ، والعمّ الجسيم ،

والعزّ المديد ، والمحال الشديد ، وليّ الحقّ ونصيره ، وماحق الباطل وسيره ، المتكفل

بالنصر والتحكين ، والتأييد والتحصين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفىين الدائمين

عن دينه ، والقائمين بحَقِّه ، والدالين على توحيدِه ؛ الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج مُججهم وظهورهم على أعدائه المشاقين له ، الضالين عن سبيله ، المُلحدين في آياته ، الجاحدين نعمه ، المنزَّل رِجْزُهُ ، وقوارع بأسه على من عصاه فحَادَه ، وصدَّ عنه فنادَه ، القاضى بالعواقب الحُسنَى والفوز والنعماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمره ، وفوض إليه حُكْمَهُ ؛ كُلُّ ذلك فضلاً منه وعدلاً ، وقضاءً فصلًا ؛ وهو الحَكَمُ العَدْلُ الذي لا يظلمُ النَّاسَ شيئاً وليكن النَّاسُ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

فبارك اللهُ الغالبُ على أمره الفردُ في مُلكه ؛ سبحانه وتعالى علُوًّا كبيراً . والحمد لله الذي آتبعَتْ عبْدَه المصطفى ، وأمينَه المرتضى ؛ من أكرم سِنخ ونبِعه ، وأظهر مِلته وشرعه في أفضل دَهرٍ وعَصْرٍ ؛ وأنزل عليه كتاباً من وحيه حكياً غير ذى عِوَجٍ قِيَمًا بديع النظام ، داخلًا في الأفهام ، خارجاً عن جميع الكلام ، ليس كسَجع الكُفَّانِ ، ولا كتجوير ذوى اللسن والبيان ؛ وقد تفرقت بالانم أهواؤهم ، وتوزعتهم آراؤهم ، فضَلَّتْ أحلامُهُم وَعَمِيَتْ أفهامُهُم وأستحوذ عليهم الشيطان ، فعبَدُوا الأصنام والأوثان ؛ جَهلاً بعبادة الرحمن ، فدعاهم إلى الاقرار بالهِمِّم ، وعرفهم وحدانية رَبِّهم وكان حريصاً على إرشادهم ، جاداً في الأجتهد ، هاجراً للذمَّة والمهاد ؛ صابراً على تكذيب المُشركين ، وتفنيد المُلحدين ؛ ينصَحُ لهم فيستكبرون ، ويهدِّبهم فيفضُلون ، ويحذِّرهم فيستهزئون ؛ حتَّى ظهر دينُ اللهِ فسبوا ، وطَمِسَ الكُفْرُ فأنمحق وعفا ؛ وعمت بركته ، وفُضِّلَت على الأممِ أمته ، وعلت على الملل مِلته ، صلى اللهُ عليه أفضل صلاة المصلين ، وزاده شرفاً في العالمين إلى يوم الدين .

والحمد لله الذى حبَّأ أمير المؤمنين وأنتخبه لخلافته ، وجعله صَفِيَّهُ من خلقه وأمينه على عبادِه وهادياً إلى سبيله ، قائماً بحقه ، مُقسِطاً في أرضه ؛ ذاباً عن دينه ، مُجيباً ما أماته أهل الكُفْر من أحكامه ؛ وأيده بنصره ، وأمدته بقوته ؛ وتكفل له بالنَّجْحِ

في مسعاه ، والظفر بمسعاه ، وتبيل طابته فيما أمه وأرتاه . وحكم بكت كل عدوله
 وخزيهم ، وإذلالهم وتحفيهم وحذلهم ، وإيهان كيديهم ، وضرب الدلة عليهم حيث
 كانوا وأين كانوا ؛ فلا ينفع ناعق منهم يطلال ، أو يسعي فسق وخبال ؛ أو يدفع
 إلى أفقراء على الله أو مروقي عن دينه أو إذهاب ما فرض الله عز وجل من طاعة
 إلا أصطلمة وأخره ، وأكبه لوجهه وأرداه ، وقضى عليه بالشقوة في دنياه ، وعذاب
 الآخرة في أخره .

والحمد لله الذي منح فأجل ، وأعطى فأجزل ؛ من نعمه السابعة ، وآلائه المتتابعة ؛
 التي لا يوازها شكر ، ولا يدركها شكر ، ولا يدركها شكر ، حمداً يوجب منه المزيد ، ويستدعي
 المِنَّة والتَّجديد ؛ وإليه يرغب أمير المؤمنين خاضعا ويسأله راغبا حُسن العون على
 ما بلغ رضوانه ، وأمرئى فضله وإحسانه . وتقدم أمير المؤمنين إليك بما هياه الله من
 وُصوله إلى مدينة الرملة على أهل صنع والطف كفاية ، وأتم أمن ، وأكل عز
 وأوطد حال ، وأحسن انتظام ، وأبسط يد ، وأظهر قدرة ، وأشمل هبة ؛ وبما أولى
 الله أمير المؤمنين في حله وظفنه ، وأرتحاله وتوآئه ؛ من نعمه العميمة ، ومواهبه
 الجسيمة ؛ ومنحه الخليله ، ومِنَّته الجزيله ؛ وأنه مما يستغرق الحمد والشكر ، ويفوت
 الإحصاء والنشر ، وذكر أمير المؤمنين أمر اللعين التركي وهربه من بين يديه ، وأنه لم
 يلو على شيء إلى أن بلغ طبرية للذي تداخله من الفرق ، وأستولى عليه من الفلق ؛
 ولما سكن قلبه من الرعب ، وحشاه من الرهب ؛ بقصد أمير المؤمنين إياه وإغذائه
 السير في طلبه ومواصلته الأسباب ، ومتابعته الأداب . ووصف أمير المؤمنين ما عليه
 عزمه في تبعه وأقتناه أثره ، والحلول بعقوته حيث قصده وحل ، لثقتيه بالله ربه ،
 وتوكله عليه ، وتفويضه إليه . ولم يزل جل وعز يؤي أمير المؤمنين - بعد نفوذ

(١) العقرة ما حول الدار والحلقة ، انظر الفاموس ، ووقع في الأصول بالفاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابه - من عزَّ يُؤيده ، وطمَّر يُؤكده ، ونَصْرُ يُوْطئه ، وآلايُ يُحَدِّدها ، ومواهبُ يتأبها ، وعدوُّ يُلْه ، ومناوِرُ يُلْه ، وشارِدُ يَصِرْفه إلى طاعته ، ومارقُ يُعيده إلى موالاته ؛ إلى أن تم له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه ، وتبياً له ما توارث شكره له جل وعز فيه وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعذار ، ومتاباً الإنذار ؛ ومحدراً له ما يعذر ، ومستدعيه إلى ما يُختار ويُؤثر ؛ ومتمنياً له مما ينشئ به مثله من العفو عنه ، وتعمد ما جرى منه ؛ والإقالة لعثرته ، والتجاوز عن هفوته ؛ والامتنان عليه بما رغب فيه من تقليده ناحية من نواحي الشام ، وإدراج الأرزاق عليه وعلى رجاله وأصحابه ؛ وإيثاره بالفضل الجليل ، واختصاصه بالطول الجزيل . فما نجح في الفاسق وعد ، ولا نجح فيه وعظ ، ولا وفق إلى قبول حظ ؛ ولا أصنى إلى قبول تذكرة ، ولا أناب إلى تيسره . وما زال جاداً في تهوكه ، متقادياً على تمهكه ؛ جارياً على ضلّاته ، سالكاً سبل عمّيته ؛ متردداً في غوايته ، متلذداً في جهائته ؛ مقتراً أن بأس الله لا يرهقه ، وسطوته لا تلحقه ، وربزه لا يحمقه ، وذنوبه لا تزهقه ، وأجرامه لا تؤيقه . وما زال اللعين في خلال ذلك يسطر أمال العرب ويرجئها ، ويرغبها ويمنيها ؛ بأقوال كاذبه ، وآمال خاشبه ؛ ومواعيد باطله ؛ حتى أصنى أكثرها إلى غروره ، وقبول إفكها وزوره ؛ وأجابته طائفة طاغية ، ووصلت إليه متابعيه ؛ فتوفر جمعه ، وكثر عنده وأشتت طمعه ، وقوى أمره ؛ وتمكن له باستدراج الله إياه وفضبه عليه أن يورط عُصْبته ومن آخذه يتيه وأستفزه معه جهله ؛ ويوردهم جميعاً ونفسه الرذلة مؤرداً لاصدر له ، ولا علل بعده ؛ فخرج من طبرية وحلّ بلسان ، محلّ الخري والموان ؛ فعندها أتته إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل ، الذي حصل فيه بعد رجيله من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين . فعند ما قرب أستجرأ الفاسق اللعين ، وأعتمد ما يعود بأطاعه ، أقام في الموضع أياماً ناظراً فيما يحتاج إليه ، متأبها

لما يريد ، وكان ذلك هو السبب الذي أطعمه . فبعد ما طمع فاده الحين
 الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه إلى موضع نكاله ،
 ومنهل وباله ؛ ورحل من يئسان رحيل من استعجلته إليه ، واستدعته الرزية ؛
 فخل بموضع يعرف بكفر سلام ، كافراً بحدود الإسلام ، منجراً على الله محارباً لنجل
 نبيه عليه السلام ؛ وأقام بها متلذداً في حيرته ، متردداً في سكرته ؛ ثم استجره شومه ،
 وقاده حينه ولومه ؛ إلى أن رحل فزل بكفر سباب البريد ، فأنابه أسمها بما حل به من
 السبي المييد والحزى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه المأثولة ، ونصب
 أعلامه المتداوله ، وأقام صفوفه المقلولة ؛ وأظهر آله الحرب إقداما ، و [أخفى]
 عن اللقاء إجماما .

فامر أمير المؤمنين بتعيين العساكر المنصورة والجيوش المظفرة وتعيينها على
 مراتبها ، وترتيبها على مواكبتها ، وتقدم إلى قوادها أن لا يمشوا إلا صفاً ،
 ولا يسيروا إلا زحفاً ، وعرفهم أنه سير بنفسه ، ويقصد اللعين بموكبه وجمهوره
 ومن معه من حاسة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ناي ولا يصرفه عن الاقتحام
 صارف ؛ فبدا من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
 أفئدتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضحه ، وشواهد الفتح لائح ؛
 وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات التفتح باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
 ما سيروا ؛ فعند ما دنوا من عدو الله أصابوه للبلاد معدا ، وفي المحاربة مجتدا ؛
 واستخاروا الله عز وجل وتدانوا للتلاق ، والأخذ بالنواصي والأعناق ؛ وقامت
 الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مذاق ؛ فاستطار شرارها ، وتاججت نارها ؛
 وأرتفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتم الأقران بالأقران ، وأشدت الضرب والطعان ؛

إلى أن مشى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موثبه؛ متوكلاً على الله، ماناً إليه بجمده
 محمد صلى الله عليه وسلم، متوسلاً بمتقدم وعده، وسالفاً بإنعامه عنده، وقصد اللعين
 غير متلوم عن مصادمته، ولا معرج عن ملاحمته؛ فقويت نفوس أوليائه وعبيده،
 ومن أشملت عليه عساكر المنصوره، وجيوشه المظفره بما تبينوه من إقدامه،
 وشاهدوه من اعتزامه؛ وحلوا على الفاسق وأحزابه؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب
 فترزلت أقدامهم، وأرعشت أيديهم وتحيبت أقدسهم، وولوا الدبر منهزمين، ومنحوا
 ظهورهم مولين؛ وألقوا ثلاث فرق: فرقة قتلت في المعركة، وصيرت في الملحمة؛
 فاحترت رؤوسهم، وفرقة أحست وقع السيف وإرهاق الخوف؛ فاستأمنت تحت
 الذلة والصغار، والغلبة والأقتدار، فبقيت عليهم الأرواح، وحقت منهم الدماء.
 وفرقة أسرت أسرا، وقيدت قيدياً؛ وهرب التريكي اللعين رئيس ضلالتهم، وعميد
 كفرهم؛ في شريذة من أصحابه، فظن أن ذلك من بأس الله ينجيه، ومن الأخذ
 بكلمه يوقيه، هيهات! كما قال الله عز وجل: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾:
 ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فاتبعه سرعان الخيل
 وخفاف الرجال؛ مع مفرج بن دغفل بن جراح، فأخذه قبضا وأتى به قودا أسيراً
 من غير عهد، وذليلاً من غير عقد؛ وأستولى أهل العساكر المنصوره، والجيوش
 المظفره؛ على مناخه وسواده، وما كان فيه من مال وأثاث وكراع وقناع^(١)؛ وقليل
 وكثير، وجليل وحقير؛ فآزوه وأسعوا به، وأكثروا من حمد الله، وأنصرفوا
 إلى معسكرهم سالمين، بالمغنم والظفر آمنين؛ لم يكلم منهم أحد، ولم يتقص لهم صدد؛
 وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس، ومن أسراهم
 ثمانمائة أسير، غير من أستؤمن وقت الإيقاع بهم، ولم يفلت من الفسقة إلا من هرب

(١) القناع معانيه كثيرة ومنها السلاح وهو المراد هنا .

بُحْشَاشَةً نَفْسَهُ مَعَ مَنْ لَأَمَ التُّرْكِيَّ اللَّعِينِ ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورِطُهُ فِي هَلَاكِهِ ، وَقَائِدُهُ إِلَى تَقَمَّاتِهِ ، وَسَائِقُهُ إِلَى مُرِيقَاتِهِ ؛ وَهُوَ كَاتِبُ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ الْحِمَارَةِ ، فَلَحِقَ بِطَبْرِيَّةٍ قُتِلَ هُوَ وَجُلٌّ مِنْ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسَهُ وَأُتِيَ بِهِ ؛ فَكَلَّتِ النِّعْمَةُ ، وَتَمَّتِ الْمَوْهَبَةُ ؛ وَتَجَدَّدَ حَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّصَلَ شُكْرُهُ ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَائِهِ ، وَكَرِيمِ حِبَائِهِ ، وَسَيِّئِ آيَاتِهِ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ ، وَأَخْتِصَاصِ اللَّهِ لِيَأْهُ وَأَنْتَاجِيهِ لَهُ ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى عَطَائِهِ الْخَيْرِيِّ ، وَحِبَائِهِ السُّبْحِيِّ ؛ وَمَا أَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَعَزِّ الدِّينِ ، وَقَعَّعَ الْمُشْرِكِينَ ؛ إِذْ كَانَ الْفَاسِقُ اللَّعِينُ ، التُّرْكِيَّ الْعَوِيَّ الْمَبِينِ ؛ ثَلَاثَةً مِنْ تَلِيهِمْ وَرُكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِمْ ، وَحَرْبًا مِنْ أَحْرَابِهِمْ ، وَوَقْتًا مِنْ أَوْثَانِهِمْ ، وَطَاعِيَةً مِنْ طَوَاعِيَتِهِمْ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِحَمِّ فِي بِلَدِ الْمُسْلِمِينَ يَدٌ تَصُدُّ عَنْهُمْ بِأَسْنٍ غَيْرِهِمْ ، وَلَا عَضُدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ مُبْتَغَاةٍ ؛ مِنْ إِعْزَازِ الْمِلَّةِ وَالِدِّينِ ، وَإِحْيَاءِ شَرِيْعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ؛ وَمَجَاهِدَةِ التُّرْكِ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَقَعَّعَ الظَّالِمِينَ وَالْقَاطِنِينَ وَالْمَسَارِقِينَ ؛ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِكَ ذَلِكَ ، وَتَلْخِيصِ الْكِتَابِ إِلَيْكَ ، لِنُتْقَفَ عَلَيْهِ وَتُنْذِيْعُهُ ، وَتَشَهَّرَهُ فِيمَا قَبْلَكَ ؛ وَتَحْمَدَ اللَّهُ عَلَى مَا مَنَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّصْرِ ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الظَّفَرِ . فَاعْلَمْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكُتِبَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ خَمْسَ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَزْمِ سَنَةِ سَبْعِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بمُخْطَبَة مَفْتَحَة بِالْحَمْدِ لِلَّهِ)

وعليه كان الحال في أوامر دولتهم . وعليه جرى في "مواد البيان" في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخة كتاب مما أورده في "مواد البيان" بشارة بفتح ، وهي :

الحمد لله مُدْبِلُ الْحَقِّ وَمُنِيرُهُ ، وَمُنْدِلُ الْبَاطِلِ وَمُوسِرُهُ ، مُؤَيِّدُ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَصْمُ وَعِدِهِ فِي الْإِظْهَارِ بِوَشِيكَ الْإِنْجَازِ ، أَسْمَدُ كُلِّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَقْصُ
كُلِّ شَرِّعٍ وَأَجْتِبَاهُ ، وَجَعَلَهُ نُورَهُ اللَّامِعِ ، وَظِلَّهُ الْمَسَاعِجِ ، وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاحَ الْمُنِيرَ ،
وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ، فَأَوْصَحَ مَنَاجِيَهُ ، وَبَيَّنَ مَدَارِجَهُ ، وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ،
وَسَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَ خَاصَّهُ وَعَاقِبَهُ ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ
بِعَصَمِ دِينِهِ ، وَشَمَّرَ فِي نَصْرِهِ مُجَاهِدًا مَن تَدْعُن سَبِيلَهُ ، وَعِنْدَ عَن دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَّدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَائِلِ الْهَامِ .

يحمده أمير المؤمنين أن جعله من ولاة أمره ، ووقفه لاتباع سنة رسوله واقْتِفَاءِ
أَثَرِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى تَمْكِينِ الدِّينِ ؛ وَتَوْهِيهِ الْمُشْرِكِينَ ، وَشِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَأَنْهَضَهُ
بِالْمُرَامَةِ عَنِ الْمَلَّةِ ، وَالْمُحَامَاةِ عَنِ الْحَوْزَةِ ؛ وَإِعْزَازِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَإِذْلَالِ حَرْبِ
الْكُفْرَانِ . وَبَسَّأَهُ الصَّلَاةَ عَلَى خَيْرِ نَبِيِّهِ الْمَحْتَبِيِّ ، وَصَفَّوْتَهُ الْمُنْتَصَى ، مَجْدٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَنْبِ

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه بعلامة التوقف ولعله وتم وعده الخ كما يفيد السمع .

(٢) قبائل الرأس أطيافه وفي الأصول "قبائل" بالنون وهو تصحيف بإبائه المعنى .

وكافح، وجاهد ونافح، وحمل الدمار، وغزا الكفار، صلى الله عليه وعلى أخيه وآبن
 عمه على بن أبي طالب سيفه القاطع، وبجته الدافع، وسببه الصارذ، وناصريه
 العاضد؛ فارس الوقائع، ومعموس (?). الجائع؛ مبيد الأقران، ومبئد الشجعان، وعلى
 الطهرة من عترته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجان. وإن أولى النعم بأن
 يُرقل في لباسها، ويتوصل بالشكر إلى لباثها؛ ويتهادى طيب خبرها، ويتفاوض
 بحسن أثرها؛ نعمة الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولي
 الباطل والإفك؛ والهجوم عليهم في عقر دارهم، وأجنتات أصلهم وهنم متارهم؛
 واستزالمهم من معاقلهم، وتثريبهم عن منازلهم؛ وتنميض نواظيرهم الشوس،
 والباسهم لباس البوس؛ لما في ذلك من ظهور التوحيد وعززه، وتعمود الإلحاد
 وعززه؛ وعلوامة المسامين، وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح حجة الحق ومجته،
 وقضوح برهانه وآيته.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد آنكفاً عن ديار الفلانيين والمشركين إلى دنت
 خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحراً، وشردهم سهلاً ووعراً، وجرعهم
 من عواقب كفرهم مرّاً، وفرق جماعتهم التي تطبق سهوب الفضاء خيلاً ورجلاً،
 وتضيق بها المهامة حزناً وسهلاً؛ ومزق كتائبهم التي تلتحق الوهاد بالنجاد، وتختطف
 الأبصار بيواريق الأعماد؛ وسبي الذراري والأطفال، وأسر البطاريق والأقبال؛ وأفتتح
 المعاقل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا
 وحصن كذا. ومحا منها رسوم الشرك وعفاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأنصاها.
 وعظم أولياء أمير المؤمنين ومنطوعة المسامين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الظنون؛
 وأنصّلوا وقد زادت بصائرهم نقاداً في الدين، وسراثرهم إخلاصاً في طاعة أمير المؤمنين؛
 بما أولاهم الله من النصر والإظفار، والإعزاز والإظهار؛ ووصح للمشركين بما أنزله عليهم

من الخذلان، وأنالهم إياه من الهوان، أنهم على مضلة من الفتن والعمى، ويُعيد من الرشد والهدى، فضرعوا إلى أمير المؤمنين في السلم والموادعة، وتعملوا بذلاً بذلوه تقديراً من الكفاح والمقارعة، فأجابهم إلى ذلك متوكلاً على الله تعالى، ومتمثلاً بقوله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .
وعاقد طاعتهم على كتاب هُدنة كتبه له، وأقره في يده، حجة مضمونة .

أشرك أمير المؤمنين ذلك لتأخذ من هذه النعمة بنصيب مثلك من الخالصين، وتعرف موقع ما تفضل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين، فتحسن ظنك، وتقر عينك، وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله، المعتد بطوله، وتتلو كتاب أمير المؤمنين، على كافة من قبلك من المسلمين، ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه، وإذلال عدوهم وتوحيته، فاعلم ذلك وأعمل به .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة، كالمكاتبة إلى الوزير ومن في معناه)

قال في "مواد اليان" بعد ذكر صورة المكاتبات العامة عنهم: وقد يخاطب الإمام وزيره في المكاتبة الخاصة بما يرفعه فيه عن خطاب المكاتبة العامة الديوانية، ويتصرف في ذلك، ويزاد وينقص على حسب لطافة محل الوزير ومزله من الفضل والجلالة . قال: وليس لهذه المكاتبة الخاصة حدود ينتمى إليها، ولا قوانين يعتمد عليها، وطريقها مستفيضة معلومة . وقد تقدم في المكاتبات الخاصة عن خلفاء بني العباس أن مكاتبة الوزير «أمتعني الله بك» في أدعية أخرى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أقف على شيء من المكاتبات الصادرة عنهم ، وإن ظفرتُ بشيء منها بعد ذلك ألحقته إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ السَّابِعُ

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ، أتباع المهدي بن تومرت المستمتر

بقاياهم الآن بتونس وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تُفتتحَ المكاتبَةُ بلفظ « من فلان إلى فلان »)

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويدعى له بما يناسبه « إلى فلان » ويدعى له بما يليق به ، ثم يؤتى بالسلام ، ثم يؤتى بالبعدية والتحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضية عن الصحابة ، ثم عن إمامهم المهدي ، ثم يؤتى على المقصود ، ويختتم بالسلام . والخطاب فيه بنون الجمع عن الخليفة وميم الجمع عن المكتوب إليه .

كما كتبت عن عبد المؤمن : خليفة المهدي إمامهم إلى الشيخ أبي عبد الله محمد
أبن سعد :

« من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وأمدته بمعاونته ، إلى الشيخ أبي عبد الله محمد
أبن سعد وفقه الله ، ويسره لما يرضاه ، سلاماً عليكم ورحمة الله وبركاته . »

أما بعدُ فالحمد لله الذي له الاقتدار والاختيار ، ومنه العون لأوليائه والإقذار ،
 وإليه يرجع الأمر كله فلا يمنع منه الاستبداد والاستئثار ، والصلاة على محمد نبيه
 الذي أبتعثت ببعته الأضواء والأنوار ، وعمرت بدعوته الأئمة والأغوار ، وخصم
 بحجته الكفر والكفار ، وعلى آله وصحبه الذين هم الكرام الأبرار ، والمهاجرين
 والأنصار ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، القائم بأمر الله حين غيرته
 الأغيار ، وتقدم الأمتعاظ له والأنتصار . وهذا كتابنا - كتب الله لكم نظراً بربكم
 المنجج ، ويبلغكم الأبهج فالأبهج ، وأنا كم الله من نعمة الإيمان ، وعصمة الأئمة له
 والإذعان ، ما تجدون به اليقين والثلج - من حضرة مرآة كاش حرسها الله تعالى ،
 ولا أستظهار إلا بقوته وحوله ، ولا أستكثر إلا من إحسانه وطوله .

ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمةً لخلقته ، ومطيبةً لرقبه وقرارةً لإقامة حقه ،
 وحمل حمله الدعاء إليه ، والدلالة به عليه ، والترغيب في عظيم ما عنده وتعيم مآلديه ،
 وجعل الإنذار والإعذار من فضوله المستوعبه ، وأحكامه المرتبه ، ومنتجاته المخلصة
 من الخطوب المهلكة والأحوال الممطبه - رأينا أن نخطبكم بكتابنا هذا أخذاً
 بأمر الله تعالى لرسوله في المضاء إلى سبيله ، والتحريض على اغتنام النجاء وتخصيله ،
 وإقامة الحجّة في تبليغ القول وتوصيله ، فأجيئوا - رفعكم الله - داعي الله تسعدوا ،
 وتسكوا بأمر المهديّ - رضي الله عنه - في اتباع سبيله تتدوا ، وأصروا أعنة
 العناية إلى النظر في المال ، والفكر في نواحي التغيير والزوال ، وتدروا جزى هذه
 الأمور وتصرف هذه الأحوال ، وأعلموا أنه لا عزة إلا بإعزاز الله تعالى فهو
 ذو العزة والجلال ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، فالذي يدار الغرور ، وسوق المحال ، وليس
 لكم في قبول النصيحة ، وأبتداء التوبة الصحيحة ، والعمل بثبوت الإيمان في هذه
 العاجلة القسيحة ، إلا ما تحبون في ذات الله تعالى من الأمانة والدعة ، والكرامة

المتسعة والمكابة المرفعة، والتنعم بنعيم الراحة المتصلة والنفس المنعته؛ فحنن لا تريد لكم ولسان من نرجو إنايته، ونستدعي قبوله وإجابته، إلا الصلاح الأعم، والنجاح الأتم؛ ونأملوا - سدّدكم الله - من كان بتلك الجزيرة - حرسها الله - من أعيانها، وزعماء شأنها؛ هل تخلّص منهم إلى ما بوّده، وفاز بما يدنّره ويعدّه، إلا من تمسك بهذه العروة الوثقى، وأستبق لنفسه من هذا الخير الأديم الأبقى، وتنعم بما لقي من هذا النعيم المقيم ويلقى . وأما من أخذ إلى الأرض وأتبع هواه، ورغب بنفسه عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه؛ فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء منقلبه، وخسارة مذهبه ومطلبه، وتقلّب منه حادث الانتقام أخسر ما تقلّب به؛ وحقّ عليكم - وفقكم الله ويُسركم لما يرضاه - أن تُحسِنوا الاختيار، وتصلّوا الأدكار والأخبار، وتبتدروا الابتدار؛ وما حقّ من أنقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل، وأزعم ما يناله من خيره المحوّر الحاصل؛ أن يناله منكم شاغلٌ يشغله عن مقصوده، ويحيط به ما يضرّفه عن محبوبه ومودوده؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين إعلانهم بكلمة التوحيد، وتلقّهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان منكم في عقب ذلك ما أعمدتموه في أمر أهل لورقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم، وبان إخلاصهم؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة تُحمد، فالخير خيرٌ ما يقصد، والنجاة فيما يترجّح عن الشر ويبيد؛ وإنا نرجو أن يُكفّم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى نظرٌ موقف، ومتاعٌ محقق، ويجذبكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذبٌ يسعد، وسائقٌ يرشد؛ والله يُنّ عليكم بما يُحسبكم، ويمكّن لكم في طاعته أسباب تأمليكم وترجيحكم، بمنّه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسة .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتَحِ المَكاتِبَ بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تقدم في الأسلوب قبله بعد البعدية ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحد خلفائهم إلى بعض نوابه ، وقد تقضى العهد على بعض المهادين من النصارى .

« أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء بالعهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليوث البأس وغيوث الجود ، والرضا عن الإمام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، الآتي بالنعمة الموجد ، في الزمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التهايم والتجود ، والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسعيد تيدل له النواصي ، ويهد الأقطار القواصي ؛ فكتيناه - كتبكم الله ممن إذا هم بأمر تدبر عواقبه ، وإذا عزم على ركوب غير الفئ معاطبه - من فلانة كلاًها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من أكساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسمارى ، ونعود بالله من شهوة تغلب عقلاً ، ونخوة تعقب هواناً ودلاً ، وقد أخطأتم في فعلكم الشنعاء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالعهد ، والوقوف مع العقد ، والثاني عصيان الأمر العزيز وفيه التنزيه بالمهيج ، وترك السعة للفرج ؛ والثالث أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم - قصمه الله - شرراً يستعمر ، وضرراً يقدم فيه المتنصر ، فليتم إذ تحلّيتم بالعصيان ، ورضيتم القندر المحرم في سائر الأديان ؛ تبتم للعدو إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوى متى زحمكم ؛ بل تدرعون له الفرار ، وتركونه في محلفيكم وما آخزوا ، وقد جرّتم مرات أنكم لا ترزؤنهم ذرة ، إلا رزؤوكم ألف بدره ؛ ولا تصيبونهم مره ، إلا أصابوكم ألف مره ؛ وإلى متى

تَهْوُونَ فَلَا تَتَّهَوُونَ ؟ وَحَتَّامٌ تَتَّهَوُونَ فَلَا تَتَّهَوُونَ ؟ فَإِذَا وَافَاكُمْ كِتَابُنَا هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فَادُّوا مِنْ أَسْرَتِكُمْ إِلَى مَأْمَنِهِ ، وَرُدُّوا مَا آتَيْتُمْ إِلَى مَسْرَحِهِ ، وَلَا تُنْسِكُوا مِنَ الْأَسَارَى بِسَعْرِهِ ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بَوْرِهِ ؛ وَمَنْ سَمِعْنَا عَنْهُ سَبْعًا وَصُولَ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّهُ تَعَدَّى هَذَا الرَّسْمَ ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ ، أَنْفَعْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبَ ، وَحَكَّمْنَا فِيهِ الْمَهْنَدَ الْقَاضِبَ ؛ فَلْتُسْرِعْ مِنْ نَوْمَةِ الْعَقْلَةِ إِفَّاغْتِكُمْ ، وَلَا تُعْزِضُوا مِنَ الشَّرِّ لِمَا تَعَجَّرُ عَنْهُ طَائِفَتُكُمْ ؛ وَنَحْنُ مُتَعَرِّفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنَّ أَوْ يَدَارَ ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يُصْدِرُ عَنْكُمْ مِنْ إِفْرَارٍ وَإِنْكَارٍ ؛ وَهُوَ يُرْسِدُكُمْ بِمَنَّةٍ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثار من ألقاب خلفائهم في المكاتبات الصادرة عنهم ، والمبالغة في مدحهم ، وإطرائهم على ما سياتي ذكره في الكلام على المكاتبات الواردة من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الطَّرْفُ الثَّامِنُ

(في الأجوبة ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يضيح الأجوبة في الابتداء ، وهو على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الجواب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

مثل أن يكتب « من عبدالله ووليه أبي فلان فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر الصدر على ما تقدم في الابتداءات ؛ ثم يقال : أما بعد ، وينساق منه إلى ذكر الكتاب الوارد وعرضه على الخليفة ، وما اقتضته آراء الخلافة فيه ، ويكفل

على نحو الابتداء . كما كتب عن المقتضى لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان خرج عن طاعته دخل فيها ، وأنحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبي عبدالله محمد الإمام المقتضى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بالقابه .

أما بعدُ - أطال الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أميرالمؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وبحري الأمور على إرادتك ؛ وبلوغ الأغراض من الوجهة التي توجهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ؛ بيمين ما يتيق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتعتقده من الإخلاص وتستشعره ؛ وأن ركن الدين محمداً ومن أنضم إلى جملته وأنظم في سلك موافقته لما ظفروا منك يندمام أطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، وأستجابوا الداعي إذ سمعوه ؛ وأذعنوا لطاعتك مسرعين ، وأنقادوا إلى متابعتك مهطعين ؛ على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للصالح عند وصولها ، والتوفر على تحزبي ما تقر به الخواطر مع حلولها ؛ والانفصال إلى من يفتد إلى الأبواب العزيرة مؤتسماً بقرب الدار ، ومستسعداً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة ببلوغ الأوطار ، ووقف عليه وعرف مضمونه ؛ وجدد ذلك لديه من الأبتهاج ، والأغبط الواضح المنهاج ، ما تقتضيه ثقته بجانبك وأعتقاده ، وتحويله على حصيل معتقدك وأعتاده ؛ وأعضاده من طاعتك بحيل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكونه من ولاتك إلى وزر لا ترزع المخاوف حرمه ؛ وواصل شكر الله تعالى على ما شهدت به هذه النعمة العميمة ، والموهبة الحسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها نحوك بمجهزه ، ووعوده - جلّت عظمته - بقبول أمثالها منجزه ؛ وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستنزه ، وتستكل الحظ من كل خير وتستجزله ؛ وتبلغ الأمل منك
 فيمن هو العدة للمئات ، والحامي لفرير الأتس من روائع الشتات ، ومن يقانه تكف
 عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المساز من عقل القطوب ؛ ويأبى الله
 العادل في حكمه وحكمته ، الرؤف بعباده وخليقته ؛ إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم
 الإمامية ، والإجراء على عوائد صنيعة الحفيه ، الكافلة بصلاح العباد والرعية ؛
 وقد أقيمت أسواق التهته بهذه البشرية ، وأفادت جدلاً نتاج وفوده ترقى ؛ لاسمياً
 مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تُدنى كل صلاح وتجلبه ، وتربل كل خلل أعب
 القلوب وتذهب . وإلى البارى جل اسمه الرغبة في اختصاصك من عناية بأحسن
 ماعهده وأجله ، وصلة آخر وقتك في نصح المساعي بأوله ؛ وأن لا يُجلى الدار
 العزيرة من إخلاصك في ولآنها ، ورغبك في تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تابعدك - آبتغى الله جزاءك فيها على عادة
 تكريمه ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطويته ؛ ومكانك الأثيل في شريف
 حضرته ، وأبتهاجه بنعمة الله عندك وخيرته ؛ فتأملها تأملاً يشا كل طاعتك الصافية
 من الشوائب والأفداء ، وتلقها بصدق الاعتقاد عليها وحسن الإصغاء ؛ تفز بالإصابة
 قدأحك ، ويُقرن بالتوفيق مقداك ومرأحك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
 ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب بعض كتاب الفاطميين عن الحافظ لدين الله : أحد خلفائهم إلى شمس
 الدولة أبي منصور محمد بن ظهير الدين بن نوري بن طفتكين بعباسك جواباً عن
 كتابه الوارد عنه على الخليفة ، ويذكر أنه حسن لفخر الملك رواج وروده على الخليفة
 بالديار المصرية ، ويذكر نصرته على الفرج بطراً بلس ، وقتله القومص ملكها .

«من عبداً لله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،

إلى الأمير فلان .

أما بعد ، فإنه عُرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يدفناه ووزيره ، وصفيه وظهره ، السيد الأجل الأفضل ، الذي بَدَل نفسه في نصرته الدين تُقَى ولياناً ، وأوضح الله للدولة الحافظية بوزارته سُجَّة وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم ناظراً ولم سلطاناً ، ووقفه في حُسن التدبير ، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ، وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النضرة والههجة ، ولم يخرج المادحون لها إذا اختلفوا عن التحقيق وصدق الههجة ، فقد ساوت سياسته بين البعيد والقريب ، وأخذ كل منهما بأجرل حظ وأوفر نصيب ، وسارت سيرته الفاضلة في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمع في طاعته بين القول والعمل ، وشقق عرضه من وصفك وشكرك ، والثناء عليك وإطابة ذكرك ، وأنهى ما أنت عليه من الولاء ، وشكر الآلاء ، بما يضاهاى ما ذكرته فيه مما علم عند تلاوته ، وأصغى إليه عند قراءته . وقد أستقر بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايخ ، وموقعك من الخالصه ، وكونك من ولاء الدولة على قضية كسبتك شرفاً تقيأت ظلاله ، وأفاضت عليك ملبساً بحررت أذباله ، وسمت بك إلى محل لا يهاهى من بلفه ولا يطاول من ناله ، وكنت في ذلك سالكا للمنهج القويم ، ومعتمدا ما أهل بيتك عليه في القديم ، لا حرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصّر عنه كل أُمّيته ، ويشهد لك بخالصه جمعت فيها بين عملٍ ونية ، والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "يرتعدى بنفسه إلى مفعول ثان فيقال كسبت زيدا مالا وعلمنا أى الله .

قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان غير إلا ابن الأعرابي فإنه يقول أكسبك بالألف .

أجرك على أعتصامك من طاعة أمير المؤمنين، بالحبل المتين، ويوزعك شكر ما منحك من الإستضاءة بنور الحق المبين .

فأما الأمير الأسفهلار نغر الملك رواج وبعثك له على الوصول إلى الباب، وحضك إياه على التعلق من الخدمة بمخضد الأسباب، فما كان الإذن له في ذلك إلا لأن كتابه وصل بلمتمسه، وعرض فيه نفسه وبذل المناجحة والخدمة، ويسأل سؤال من يعرف قدر العارفة بالإجابة إليه وموقع النعمة، فأجيب إلى ذلك إسعافاً له بمراده، وعملاً برأى الدولة فيمن يرغب إلى التحيز إليها من أقطاره وبلايه، وإلا فلا حاجة لها إليه ولا إلى غيره، لأن الله تعالى - وله الحمد - وفر حظها من الأولياء والأشياء، والأنصار والأتباع، والعاكر والجويش والأجناد والأمناد، والأهوان الأقباء الشداد، وعبيد الطاعة الذين يتبارون في النصيح ويتناقسون في الأجهاد والحرص، وسعة الأموال، وعمارة الأعمال، وجمع الرجال في العزائم بين الأفعال والأقوال، ولو وصل المذكور لكنت المنسنة للدولة عليه، والحاجة له في ذلك لا إليه، قال الله عز من قائل: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا مَكَّم بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

وأما توجهه إلى طرابلس وظفره بقومصها وقتله إياه مع من بها، وعظيم أمره فيها، فأنه تعالى يميز الإسلام وينشر لواءه، ويعلي متاره ويخذل أعداءه؛ وينصر عساكره وأجناده، ويبلغه في أحزاب الكفر والضلال مراده؛ وهو عز وجل يتمك من الولاء بما منحك، ويبيئك في دينك ودنياك أملك ومقترحك، فأعلم هذا وأعمل به؛ إن شاء الله تعالى» .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

كما كتبت عن المفتي إلى السلطان محمود بن محمد السلجوقي جواباً عن كتابه الوارد بإخباره بإجتماعه مع عمه سنجر، ونسخته :

أما بعد فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بدرك الأوطار ، وحصول المقاصد على الآثار ، وما أنهيته من الاجتماع بمرّ الدنيا والدين جمع الله في طاعته تملكاً ! ووصل بالألفة والتوَادُد حَبْلِكَا ! ومن إكرام الوفادة الذي أنت أهله ووليّه ، وحقيق أن يتبع وشيئه لَدَيْكَ وليّه ، والمواقفة على كل حال آذنت ببلوغ الأعراض وتيسرها ، ونجاز المساعي على أتم وفاق وتقرُّرها ، وانتظام الأمور على أجل معتاد وأكل مُرَاد ، وأحسن آساق وأطراد ، وأستقرار القواعد على الوصف الجامع أشنات الأتفاق ، الدال على صدق المحافظة بينكما وقرط الإشفاق ، محفوقاً بالسعادة التي لا تزال ما تُرك في الطاعة الإمامية تملك قيادها ، وتُقلدك على الإتصال بنجاحها ، فتهللت بهذا النبأ المبهج أسرة البشرى ، وأصبح الجدُل بكانه أفعم عرفاً وأذكا نشراً ، وقامت لأجله في عرّاص الدار العزيرة موايسم ، أضحت المسرة بها مقبرة النغور ضاحكة المباسم ، وجدير بمن كان له من الهيم الشريفة مدد واف ، ومنجد يدع في صدر كل خطب مؤاف ، أن تكنتفه الميامن والسعود ، ويصدق في كل مرمى يُحويه من النصح الموعود ، وتنقاد له المصاعب ذللاً ، ويعود بين يقينته كل عايف من الصلاح جديداً مُقبلاً ، ولا ينفك صنع الله جل اسمه لطيقاً ، ويربّاعه

(١) الولي على فيل المطر بعد المطرودة يخفف عن كراع أنظر السان ج ٢٠ مادة ول ي .

(٢) لطفه ويصادف النصح .

مُحَدِّقًا مُطِيفًا ، وَالتَّوْفِيقُ مُصَاحِبُهُ أَيْ حَلُّ وَتَوَيْ ، أَوْ تَحَى عِصَانَهُ إِلَى وَجْهِهِ وَلَوْى ؛
 وَاللهُ يَتَحَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بِالْقَضْدِ الَّذِي يُدْبُّ عَنْ دَوْلَتِهِ وَيَحَامِي ، وَيُنَاضِلُ دُونَهَا
 بِجُنُودِ الْإِخْلَاصِ وَيُرَامِي ؛ وَلَا يُجَالِكُ مِنْ رِعَايَتِهِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْتَقِرُّ فِيهَا إِلَيْكَ ،
 وَيَرْتَبُّ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاحِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى تُنْشِئَ لَكَ الْمَطَالِبَ مَعًا ، وَيَغْتُو الزَّمَانَ
 فِيهَا يَنْشَأُ مَتَبَعًا .

هذه مفاوضة أمير المؤمنين إليك ، أدام الله تأييدك ، أجزاك فيها على مألوف
 العادة ، ووجدت لك بها برود القهار والسعادة ، فاجر على وتيرتك في إتخاف حضرته
 بطيب أخبارك ، ومجاري الأمور في إيرادك وإصدارك ؛ تُهدِ إليها آبتها جأ وإفرا ،
 وآبئاساما بظُلِّ لثأمه عن حمد الله المسند بها سافرا ؛ إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن يكون الافتتاح في الجواب مصدرا بما فيه معنى وصول المكاتبة إلى الخليفة)
 فسد جرت عادة المتقدمين من الكُتَّاب في التعبير عن ذلك بلفظ «العرض على
 الخليفة» ويؤتى فيه على ما تضمنه الكتاب المجاب عنه ، ثم يُحْتَمَّ كما تُحْتَمَّ الْإِبْتِدَاءَاتُ .
 كما كتب العلاء بن موصلاً عن القائم بأمر الله إلى «أنسز» عند ورود كتابه
 على أبواب الخلافة يتضمَّن أنظامه في سلك الطاعة وغلته الأعداء ، وهو :
 عُرِّضَ بِحُضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
 بِمَا لَا تَزَالُ تُجِدُّ فِيهِ مَلَائِسَ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَجِيْدُ بِهِ مَرَارِئَ السَّعْدِ مُخَصَّفَةً
 فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرَحَالٍ ؛ مُنِيْبًا عَنْ تَوَفُّرِكَ عَلَى الْمَقَامَاتِ الَّتِي آتَقَمَّتْ بِهَا لِلْهُدَى مِنْ
 الضَّلَالِ ، وَاسْتَقَمَّتْ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صِلَاحٍ مِمَّنَّ الضَّلَالِ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاة لا تألو جهداً في التزام شروطها بادئاً عائداً ، ولا تخلو فيها من حُسن
أثر يكونُ لدعائم الصواب عامداً ، وثرى فيه قاصداً لأجتنابِ الخير عائداً . ووقف
عليه ووقف من ارتضى ما يتوالى من قرباتك التي لا تزال في إغذابٍ ورؤدها ساعياً .
ولما يُفضى إلى الأعشابِ مرعاها في طلبِ الحمدِ مرعياً ؛ وأنضى منك للخدمة بتلك
الأعمالِ حُساماً باتراً آجالَ بقايا الكُفْر هناك ، ماضياً في كل ما يُفضى بأنفساحِ مجالِ
آمالكِ في الدهرِ ومبارك ؛ وأعتد لك بما أمناه عنك رسولُ أمير المؤمنين العائدُ من
قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيها عملك ؛ وطلّغ به الرسولُ الذي تقدّمه
معه لقصدِ بابه ، والمُنابُ في تأكيدِ دواعي التُّجّع وتمهيدِ أسبابه ؛ وحلَّ كلُّ ذلك
لديه المحلَّ الذي ستجني ثمره كلما يطيبُ ويحلُّو ، ويسلمُ من كل الاستزادة ويحلُّو ،
ويعزُّ مهرُ الفوزِ به على غيرك ويقلُّو ؛ وتأثّل لك من الرتبة بحضرته ما يُدني لك كلَّ
مطلبٍ إلى مرادك آثلاً ، ويُدوي قلبَ كلِّ منحرفٍ عن وفائك مائل ؛ وصرتَ
من أعيانِ الخُلصاءِ الذين سَمَّيَ الهدى أفعالهم بالحمد ، وسَمَّيَ بالطاعة آمالهم
إلى توَقُّلِ هَضابِ المجد ؛ فما تمُّم بك الغيرُ إلا وتقطع دُونك أعناقها ، وترجع في جِلْبَابِ
الخبيةِ وحيضها إليك وإعناقها ؛ ولا تمتدَّ نحوك يدُ ضدِّ إلا ردها عنك جميل الآراءِ
الشريفةِ فيك وغلّها ، وأوجبَ نهلها عن مواردِ القصورِ وعلّها ؛ وكيف لا يكونُ ذاك
ولك في الطاعة كلُّ موقفٍ آغتندي بلبابِ الحمد ، وأعني باشتهاره بلوغُ المسدئِ
في وصفه والحدِّ ؛ فأحسن اللهُ توفيقك فيما أنت بإزائه من إحمادِ لهبِ الباطلِ بتلك
الشعابِ ، وإجهادِ النفسِ في إحمالِ المتاعبِ وإذلالِ الصعابِ ؛ وأمدتُ بالعونِ
على ما بدأتُ له من جب فيما يليك ، وطبَّ أدواءِ الفسادِ في نواحيك . ومع

(١) كذا في الأصول ولعله من خلال الاستزادة وفي المختار والقاموس "استزاده استقصره" .

(٢) يباشر في الأصول بهذا المقدار ولعله من جب أصول العناد الخ .

مأفوت به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان نَحَّجَّ به على أمثالك وضن ؛ فيجب أن تستدبمها ، وتحصن من النفل أدبمها ، بمزيد من الخدمة تنمز القرص بالإسراع إليه والبدار ، وتنتج أقوم الجند في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وتسمعك في كل مسعى ينشئ إليك عنان النساء معه ، وتنفق عورك في كل أمر يجمع لك مرأى الرضا عنك وتسمعه ؛ لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة شملك ، ويضحى به القياد فيما يصنف أملك أملاك ؛ وأن تُحمد السيرة في الرعايا الذين غدوا تحت كتفك ، وتجعل الاشتغال على مصالحهم مبريا عن فضل شغفك بالخير وكلفك ؛ فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن تُحجَّ من ضياع يتساقط عليها في حال ، وتُحجَّ من دز الإحسان برضايح لا يخطر القطم عنه ببال ؛ فلا تقفن عند غاية في إفاضة الفضل عليهم وإسباغ ظله ، وأعتادهم بتخفيف نفل الحيف عنهم أو إزالة كُله ؛ ليكونوا في أفياء الأمن راتمين ، ولحرق كل ملم يحسن ملاحظتك راقعين ؛ فالذي يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد بأعك كولا ، ولا يترك لك على الزمان اقتراحا ولا سولا ؛ يقتضى أن يتبع كل سابق إليك من الإحسان بلا حرج ، ويجمع جناب النعمى لديك عند دز كل شارح . وكذلك يرى أن يجدد لك من تشريفه المنور مطالع الفجر ، المنوه بالذكر في الدهر ؛ الذي لا تزال الهيم العالية تصبو إلى الفوز به وتميل ، وتقف عند حد الرجاء والتأمل ، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدريج من خلاله ما الشرف الأكبر في مطاويه ، وتمطى من صهوة العز فيه ما يتعد على النظراء إدراك مرآبه . ويجب أن نتلق مقدم ذلك عليك بما يُنبئ عن افتقار النعمة الغراء فيه ، واقار أهلة التوفيق عندك بما تقصد في المعنى وتنتجيه ؛ وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أُصير على يده من ضروب التشريفات ما يُقر

(١) في المصباح (الجملة بالضم الطريق والجمع جدد مثل غرفة وغرفة) .

فِيكَ عُيُونَ مَنْ يُوَدُّكَ ، وَيَقْرَءُ فِي مَعَانِيكَ كُلِّ سَعْدٍ يُورِي فِيهِ زَنْدُكَ ، فَاسْكُنْ إِلَى حَبَائِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهَلَّتْ لَهَا ، وَكُنْ بِحَيْثُ الظَّنُّ فِيكَ تُوَفَّرُ عَلَيْكَ أَقْسَامُ الْحَمْدِ كُلُّهَا ، وَتَتَّقَى بِمُتَرَادِفِ الآءِ يَنْضَمُّ لَدَيْكَ شَمْلُهَا ، وَيُنْقَلُ كُلُّ كَاهِلٍ حَمْلُهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(فِي الكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكْتَابَةٍ صَرِيحَةٍ فِي التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ النُّعَاسِيَّ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتُبِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانِ الْإِمَامِ الْفُلَانِيِّ إِلَى فَلَانٍ» أَتَّبَعَ ذَلِكَ بِأَنْ قَالَ : وَبِئْسَ أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَاتِبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَوَلِيَّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ فَسَّرَ أَبُو حَاجِبٍ النُّعَاسِيُّ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ" التَّصْدِيرَ بِأَنْ قَالَ : يَكْتُبُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ» بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ . وَيُقَالُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ .

وَذَكَرَ النُّعَاسِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُنْوَانِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْءِ وَسْ أَنَّهُ يُخْتَلَفُ مِنَ الْكُتُبِ عَنِ وِلَى الْعَهْدِ لَفْظَ الْإِمَامِ ، وَلَفْظَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وِلَى الْعَهْدِ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْتَابَةَ عَنِ وِلَى الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ ، وَأَنَّ لَفْظَ وِلَى الْعَهْدِ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكْتَابَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ نَفْسِهِ ، وَحِينَئِذٍ فَيَتَجَمَّعُ أَنْ تَكُونَ الْمَكْتَابَةُ عَنْهُ «مَنْ عَبْدَ اللَّهِ أَبِي فَلَانٍ فَلَانِ الْمُعْتَضِدِ بِاللَّهِ مِثْلًا وِلَى عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ : سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد : فإن كذا وكذا»
ويؤتى على المقصد إلى آخره . وعلى ذلك يدل كلام صاحب " ذخيرة الكتاب " .
فإنه قال بعد ذكر المكتبة عن الخليفة : وكذلك المكتبة عن ولي العهد . على أن
المكتبة عن ولي العهد قد بطلت في زماننا جملة .

الطرف العاشر

(من المكتبات عن الخلفاء المكتبات إلى أهل الكفر)

وكان الرُّومُ فيها أن يُكْتَبَ « من فلان إلى فلان » . ويقع التخلُّص فيها
إلى المقصود بـ «أما بعد» . ويختم الكتاب بلفظ «والسلام على من أتبع الهدى» .
فقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " أنه كان على الروم ملكة ،
وكانت تُلاطف الرشيد ولها ابنٌ صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر إليه فعات
وأفسد ، تخافت أمه على ملك الروم فتنته ، فخرج عليها تفقور ملك الروم فقتلها
وأسنولى على ملكها وكتب إلى الرشيد :

«أما بعد فإن هذه المرأة وضعتك موضع الشاه ، ووضعت نفسها موضع الرُّخ ،
وينبغي أن تعلم أنني أنا الشاه وأنت الرُّخ . فادِّ إلى ما كانت المرأة تُؤدِّي إليك » .
فلما قرأ الكتاب ، قال لكتابه أجيئوا عنه ، فكُتِّبوا ما لم يرتضه ؛ فكتب هو إليه :

«من عبدالله هارون أمير المؤمنين ، إلى تفقور كليب الروم . أما بعد فقد قهِمْتُ
كتابك ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه ، والسلام على من أتبع الهدى» .

ويقال : إنه كتب «الجواب ما تراه لا ما تسمعه ، وسيعلم الكافر لعمرك عقي
الدار» . ولا يخفى ما في ذلك من البلاغة مع الإيجاز .

وكما كتبت عن الحافظ لدين الله : أحد خلفاء الفاطميين بمصر إلى صاحب صِقلية^(١)
وما معها من ملوك الفرنج :

« من عبدالله ووليه عبدالمجيد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الملك بجزيرة صِقلية ، وأنكورية وأنطالية وقلورية وسترو وملف وما أنصاف
إلى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ! وأرشدته إلى العمل بطاعته في مصادره وموارده ؛
سلاماً على من أتبع الهدى ، وأمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو
ويسأله أن يصل على جدته محمدي خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله
الطاهرين ؛ الأئمة المهديين ؛ وسلم تسليماً .

أما بعد : فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ، فقص
ختامه وأجلى ، وقري مضمونه وتلى ؛ ووقعت الإصاغة إلى فصوله ، وحصلت
الإحاطة بجملة وتفصيله ؛ والإجابة تأتي على أجمعه ، ولا تحل بشيء من مستودعه ؛
أما ما أفتحتنه به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيمك القول فيما أولاك من
إحسانه وكرمه ؛ فإن مواهب الله تعالى ومنته التي جعل توأليها اختبار شكر العبد
وآمتحانه على أنه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور عليم ، وهو القائل فيمن أنى عليهم :
(أولئك الذين آمتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) لا يزال مضاعفها
ومرادفها ، ومتبعها سالفها آتفها ؛ وهو يوليها كلاً من عييده بقدر منزلته عنده ،
ويخص أصفياه بأوفى مما تمناه الآمل المبالغ ووده ؛ والله تبارك وتعالى يمنح
أمير المؤمنين ، وآباء الأئمة الراشدين ؛ ما غدت مستقدمات الحمد والشكر عند
لوازمه مستأنحه ، إذ كان أفردهم دون الخليفة بأن أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها

(١) في التعبير تساهل والفرص معلوم .

الآخره ، وأخصصهم من حباته بما لا يُحصيه عدد ، وحوّطهم من آلائه بما لا يقوم بشكره أحد .

وأما ما ذكرته من افتتاحك الجزيرة المعروفة بجزيرة لما شرحته من عدوان أهلها ، وعدوهم عن طرق الخيرات وسبلها ، وأجترائهم في الطغيان على أسباب لا يجوز التغافل عن مثلها ، واستعمالهم الظلم تمردا ، وتماديهم في النغي تهايبا في الباطل وغلوا ، يأسا من الجزاء لما استبطلوه ، فإن من كانت هذه حاله حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية ، وخلق أن يأخذه الله من مأمنيه أخذة راييه ، كما أنه من كان من أهل السلامه ، وسالكا سبيل الاستقامه ، ومقبلا على صلاح شأنه ، وغير متعد للواجب في سره وإعلانه ، يعين أن توفر من الرعايه سهمه ، وتُجزل من العنايه نصيبه وقسمه ، ويؤمن مما يلقفه وزنجيه ، ويقصد بما يسره ويتهجه ، ويصان عن أن يناله مكروه ، ويختج من أدى يلثم به ويعرّوه .

وأما شكرك لوزيرك الأمير تاييد الدولة وعصصدها عز الملك وفخّره نظام الرياسة ، أمير الأمراء ، فإن من تهذب بهذبك ، وتخلق بأخلاقك وتادب بتأديك ، لا ينكر منه إصابه المرأى ، ولا يستغرب عنده نصح المساعي ، وواجب عليه أن لا يجعل قلبه إلا متوى للنصائح ، وأن لا يزال ضميره بين غاي في المخالصة ورائح .

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيه ذا كراما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته ، وحفظه ورعايته ، وإعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي ، ففعل يحمل عنك صدره ، ويليق بك أن ينسب إليك ذكوه وخبره ، ويدل على علم أصحابك برأيك وإحكام معاقدته الموده ، ويعرب عن إيتارك إبرازها كلها تقادم عهدتها في ملابس بهجة مستجدته ، وهذا الفعل من

خلافتك الرضية غير مستبدع ، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعين
مقرّ وأكرم مستودع ، لأجرم أن أوامره نخرجت إلى مقدمي أساطيله المظفرة بما
يُحِينِكَ ثمة ما غرسته ، ويُعلي منار ثنائك الذي قورته على أقوى أصل وأُسْتَه ،
وقد تقدّت مراسيمه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المسامحة بما وجب للديوان
عما وصل برسمك على مراسيمك ، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزريك ، والرسولين
الواردين عن حق الورود إلى تغز الإسكندرية حماه الله تعالى ، ثم إلى مصر حرمها الله
وَحَقَّ الصدور عنهما ، وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

وأما شكرك على الأسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك ، ورسم
بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبُغْيَتِكَ ، فأوزعنا شعارهم أنهم عُقْفاء شفاعتك ،
وأرفقاء مِتْكَ ، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من بحيل الرأي وكريم النبي ،
ومن الشواهد بأنه يُوجب لك ما لا يُوجب لأحد من ملوك التُصْرانية .

وأما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره ، وإنهاؤك أن ذلك مما يهْمُكَ
أمره ، فقد شفّعك أمير المؤمنين بالإجابة إليه على ما أُلْف من كريم شجته ، وسير إليك
مع رسولك من تضمن الثبوت ذكر عدته ، وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله
إلى الدولة الفاطمية خلد الله ملكها شريداً طريداً ، قد نبّث به أوطانه ، وقدقته
دياره ، لا مال له ولا حال ، ولا عشيرة ولا رجال ، فقبلته أحسن قبول ، وبلغت به
في الإحسان ما يزيد على السؤل ، وعمرته من الإنعام ما يقصّر عن اقتراحه كل أمل ،
وجعلته فواضلها يقاب الطرف بين الخليل والخول ، وكانت أموره كل يوم في نمو
وزياده ، وأحواله تُوفى على البنية والإرادة ، إلى أن جرت نوبة اقتضى التندير
في وقتها أن عدقت به الوزارة ، ونبطت به السفاره ، فوسوس له خاطر ما زخرقه

البَطْر و زَيْنَه ، و صورَه الشيطانُ و حَسَنَه ، و أظهر ما ظهرت أماراتُه ، و وضحت أدلَّتُه
وعلاماتُه ، فاستدعى قَبيلَه و أسرته ، و جنَّسَه و عَشيرته ، ب مكاتبات منه سِرِّيَه ،
و خطوط عُثْر عليها بالأرمنيَه ، فكانوا يَصِلُون أوَّل أوَّل ، إلى أن اجتمع منهم عشرون
ألف رجل من فارس و راجل ، و من حملتهم أبنا أخيه و غيرها من أهله ، فدلَّوه
بالفرور ، و حملوه على ما قضى بالاستيحاء منهُ و الثُّور ، و قوَّوا عزيمَه فيما يؤدَّى
إلى اضطراب الأحوال و اختلال الأمور ، فامتعض العساكر المنصورة مما أساء به
سياسَتهم ، و أبوا الصبر على ما عُثِر به رستمهم و عاداتهم ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك
استعظم الحال فيه ، و تيقن أن التغافل عنه يَقْضِي بما يُعسر استداركُه و تلافِيَه ،
فكاتب وليَه و صفيَه الذي رُبِّي في شجر الخلافه ، و سماه استحقاقَه إلى أعلى درج
الإنافه ، و حصلت له الرياسة باكتسابه و انتسابه ، و غذا النظر في أمور الملكة
لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به ، السيد الأجلُّ الأفضل ، وهو يومئذ والى الأعمال
الغريبة ، و صدرت كُتب أمير المؤمنين تُشعره بهذا الأمر الصَّعب ، و تستكشف به
ما عرَا الدولة من هذا الخطب ، فاجاب دُعاه ، و لَبَّى نداءه ، و قام قيامَ مثله من
أجزل الله حفظَه من الإيمان ، و جعله جلَّ و عزَّ حَسَنَه هذا الزمان ، و اختصَّه بعناية
قويَه ، و أمده بموادِّ علويَه ، و أيَّده باعانة سماويَه ، تخرُج عن الاستطاعة البشريَه ،
بفتح الناس و قام خطيباً فيهم ، و باعنا لهم على ما رزقهم عند الله و يُنظِّمهم ، و موصَّحاً لهم
ما يحتمى على الدولة من الأمر المنكر ، فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم المحشر ، و غصت
النُجودُ و الأغوار ، و امتلأت السهول و الأوعار ، و ضاقت الأرض على سَمعتها
بالخلائق ، و ارتفعت في توجُّههم لطلب المذكور الأعنارُ و العوائق ، و لم يبق فضاءً
إلا وهو بهم شريق ، ولا أحدٌ إلا وهو مفرِّعٌ بقصدَه و على تأخر ذلك قَلْبِي . وكان
بهرامٌ و أصحابُه بالإضافة إليهم كالشامة في اللون البسيط ، و كالقطرة في البحر المحيط ،

وسأروا مع السيد الأجل الأفضلي نحوه مسارعين ، وعلى الأفضاض عليهم
متهافين ؛ فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولآذ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ،
ويطوي المراحل ؛ ويرى الشroud غثا ، ويعتد السلامة حلتا ؛ وأستقرت زيارة
أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضلي الذي لم تزل فيه راغبه ، وله خاطبه ؛
ونحو تولى إياها مطلعته ، وإلى نظره فيها مبادرة متسرعه ، ولم تنفك لزينة دستها
مستبطه ، وفي التلهف على تأثير ذلك مديدة مبدته ، فأحسن إلى الكافة قولا
وفعلا ، وعمل في حق الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شيئا ولا في الملوك العظماء
مثلا ؛ وغدا لليلة الحنيفة حجة وبرهانا ، وأولى الأولياء إعرزا وتكريما والأعداء
إذلالا وإهوانا ؛ وصان الخلافة عن نفاذ حيله ، وتعام غيله ؛ ومحادثة ماكر ، ومخالفة
غادر ؛ فلذلك أنضاه أمير المؤمنين حساما باترا ماضي الفرار ، وأجتباه هماما
في المصالح لا يطمم جفنه غير الفرار ؛ وأصطفاه خليلا وظهيرا لتساوي باطنه
وظاهره في الصفاء ، وأستخلصه لنفسه لمفآخره الجملة التي ليس بها من خفاء ،
وآنتظمت الأمور بكفآلته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات بوزارته عموم الشمس
بانوارها جميع الآفاق ؛ فسمعت بنظره الجدد ، وتظاهرت بركانه الميامن والسعود ؛
وأصبح غصن المعالي بيمينه مورقا ، وعلى الملة من يمن آرائه تمام من مس الحوادث
ورقى ، فآثاره توفي على ضياء الصباح ، وعزماؤه ترضى بمضآء المهتدة الصفآح ، ومآثره
تضوت شآو الثناء وغاية الإمتداح . فآله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ،
ويوزع شكره على سبوعها كافة البرية ؛ بكرمه وفضله ، ومته وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب ، وجدت العساكر المنصورة وراءه في الطلب ؛
وضافت عليه المسالك ، وثيقن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ؛ عاد لمكارم الدولة

وعواظِهَا ، وسأل أماناً على نفسه من متاليفها ؛ فشملتُه الرحمة ، وكتب له الأمان
فعاودته النعمة ؛ وأختلط برجال العساكر المنصورة ، وصار حظه بعد أن كان
مبخوساً من الحُظوظ الموقورة .

وأما اعتذار الكاتب عما وُجّه إليه بان من الكلام ما إذا نُقل من لُغية إلى لُغية
أخرى اضطرب مَبْنَاهُ فَأَخْتَلَّ معناه ، ولا سيما إن غُرِسَ فيه لفظٌ ليس في إحدى
اللغتين سواء ؛ فقد أبان فيما نُسب إليه السهو فيه عن وُضوح سببه ، وقد قِيلَ عنده
ولم تُفكَّ يده عن التمسك به .

وأما ما سَيرته إلى خزان أمير المؤمنين تُحفةً وهديةً ، وأبنت به عن همة بدواحي
المجد مِليته ؛ فإنه وصل وتسلم كلِّ صنف منه متولى الخزان المختصة به بعد عَرْضه
على التَّبت المعطوف كتابك عليه وموافقته ، وقد أُجِرَى رسولك في إكرامه وملاحظته
على أفضل ما يعتمدُ مع مثله بمنزلة مَنْ ورد من جهته ، وعلى قدر مَنْ وصل برسالته ؛
وقد سَير أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المقدمين بحضرته ؛ الأمير المؤمنين ،
المنصور ، المنتخب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، نجر الملك ، موالى الدولة وشجاعها ،
ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفر الحافظي رسولاً بهذه الإجابة ،
لما هو معروف من سَداده ، وموصوف من مستوفق قَصده ومستصوب اعتياده ،
وَألقى إليه ما بذكره وبشرحه ، وعول عليه فيما يُسأفه به ويوضحه ؛ وأصحبه من سجاياه
والطرافه ، ماتضمنته التبت الواصل على يده ، إبانته لِحُلُك عنده ، وموقفك منه ، ومكانك
لديه . وأمير المؤمنين متطلع إلى ورود كتابك متضمنةً من سائر أنبائك وطيب أخبارك
ما يسكنُ إلى معرفته ، ويثقُ بعلم حقيقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه الحال

في زماننا ، وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول

(في مكاتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

كانت أمراء سراياه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتتح المكاتبه إليه صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويبتنون بأنفسهم ، ويأتون بالتحميد والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ويتخلصون إلى المقصود بأما بعد أو غيرها ، ويختتمون بالسلام . وملوك الكفر يبدءون بأنفسهم ، وربما بدءوا باسمه صلى الله عليه وسلم . وكان المكتوب عنه منهم يعبر عن نفسه بلفظ الأفراد . مثل : أنا ، ولى ، وقلت ، و فعلت . وربما عبر بعض الملوك عن نفسه بنون الجمع . ثم إن كان المكتوب عنه مسلما ، خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنسوة مع كإف الخطاب وتاء المخاطب ، وإن كان كافرا ، خاطبه بالكاف والتاء المذكورتين ، وربما خاطبه باسمه . فإن كان المكتوب عنه مسلما ختم الكتاب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عُنْوَةٌ هذه الكُتُبُ، فيظهر أنها إن أُفْتُحَتْ باسمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُنَى بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُوَّتٌ كَذَلِكَ، فَيَكْتُبُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ «لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ «مَنْ فُلَانٌ» وَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ يَفْتَحُ الْمَكْتُوبَةَ بِاسْمِ نَفْسِهِ عُنُوَّتًا عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(في صورة مكاتبتهم إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

[وفيه أسلوبان :

الأسلوب الأول

(١) (أن تفتتح المكتبة باسم المكتوب إليه)

كما كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلام بني الحارث، بالكتاب الذي تقدمت إجابته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، وهو على ما ذكره ابن هشام في «السيرة» .

«محمد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله من خالد بن الوليد :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ أَنْ لَا أَقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ وَعَامَّتْهُمْ مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَكُتِبَ اللَّهُ وَسَنَةٌ نَبِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا .

(١) الزيادة ساقطة من الأصول وهي لازمة لانظام الكلام وانتساقه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي .

فانتهم . وإني قدمت إليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم كتاباً : يا بني الحارث أسلموا تساموا . فأسلموا ولم يقابلوا وأنا مقيم بين أظهرهم ، أمرهم بما أمر الله به ، وأنهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ! ” .



وكما كتب النجاشي ملك الحبشة إليه صلى الله عليه وسلم في جواب كتابه صلى الله عليه وسلم إليه .

ونسخته على ما ذكره ابن إسحاق :

” إلى محمد رسول الله ، من النجاشي أصحمة ،

سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الذي لا إله إلا هو ، الذي هداني

للإسلام .

أما بعد ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فما ذكرت من أمر عيسى نورب السماء والأرض إن عيسى عليه السلام ما يزيد على ما ذكرت تفروقاً ، إنه لكما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقدم ابن عمك وأصحابه (وفي رواية : وقد قربنا ابن عمك وأصحابه) وأشهد أنك رسول الله [صادقاً مصداقاً] ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين . وقد بعثت إليك بأبي ، وإن شئت

(١) في ” مفتاح الأفكار ” ص ٦٦ وبعثت فيهم كتاباً قالوا يا بني الحارث . والزيادة التي في آخر

أَتَيْكَ [بِنَفْسِي] ^(١) فَعَلْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .“



وَكَا كَتَبَ الْمُقَوِّسُ صَاحِبَ مِصْرَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَابَ كِتَابِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ مِنْهُ فِي رِوَايَةِ ذِكْرِهَا أَبُو عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَهُوَ :

”لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنْ الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقَبْطِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَاتَدُّعُو إِلَيْهِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بَقِيَ وَكَنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لِمَا مَكَانٌ فِي الْقَبْطِ عَظِيمٌ وَكِسْوَةٌ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .“

وَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ هَذَا . وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : أَنَّ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ :

بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنْ الْمُقَوِّسِ إِلَى مُحَمَّدٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ وَأَنْتَ تَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ رَسُولًا ، وَقَضَاكَ تَفْضِيلًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ قُرْآنًا مُبِينًا ، فَكَشَفْنَا عَنْ خَبْرِكَ فَوَجَدْنَاكَ أَقْرَبَ دَائِجٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَصْدَقَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالصِّدْقِ ، وَلَوْلَا أَنِّي مَلَكَتُ مُلْكًا عَظِيمًا ، لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِكَ ، لِعِلْمِي أَنَّكَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(١) الزيادة من رواية المواهب ج ٣ ص ٣٩٥ وروايته أتيتك . قال شارحه : في موضع المفعول

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكاتبة باسم المكتوب عنه)

كما كتب مسيامة الكذاب إليه صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي تقدمت إجابته
صلى الله عليه وسلم في المكاتبات الصادرة عنه ، وهو :

« من مسيامة رسول الله إلى محمد رسول الله .

أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، إن لنا نصف الأرض ولقرين نصف
الأرض ، ولكن قريناً قوم يعتدون . »

الجملة الثالثة

(في المكاتبات التي كتبت إليه قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته)

أما الكتاب التي كتبت إليه صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره ، فقد حكى "صاحب
الهناء الدائم بمولد أبي القاسم" أن تبعاً الأول حين مر بموضع المدينة النبوية ، على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام ، أخبره من معه من علماء أهل
الكتاب أن هذا الموضع مهاجر نبي يخرج في آخر الزمان ، فعمر هناك مدينة وأسكن
فيها جماعة من العلماء ، وكتب إليه كتاباً فيه :

« أما بعد ، يا محمد فإني آمنت بك وبربك ورب كل شيء ، وبكاتبه الذي ينزله
عليك وأنا على دينك وستك . آمنت بربك ورب كل شيء ، وبكل ما جاء من ربك
من شرائع الإسلام والإيمان . وإني قلت ذلك ، فإن أدركتكم فيها ونعمت ، وإن لم

أَذْرَكَ فَاشْفَعْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَنْسِنِي ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابِعْتُكَ قَبْلَ حَيْثُكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَكَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِثْلِكَ وَمِثْلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .

ونظم الكتاب . ونقش عليه « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ » .

وكتب عنوانه : « إلی محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ورسول رب العالمين صلی الله عليه ، من تُبِعَ الْأَوَّلَ جَمِيرًا ، أَمَانَةٌ اللَّهِ فِي يَدٍ مَنْ وَقَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى صَاحِبِهِ » .

ودفعه إلى رئيس العلماء الذين رتبهم بالمدينة ، فبقِيَ عنده وعند بيته يتداولونه واحداً بعد واحدٍ ، حتى هاجر النبي صلی الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلقبه الذي صار الكتابُ إليه يومئذٍ من نبي ذلك العالم في طريق المدينة ودفع إليه الكتابُ .



وأما الكتب التي نُكِّتَ إليه صلی الله عليه وسلم بعد وفاته ، فقد جرت عادةُ الأمة من الملوك وغيرهم بكتابة الرسائل إليه صلی الله عليه وسلم بعد وفاته بالسلام والتحية والتوسل والتشفع به إلى الله تعالى في المقاصد الدنيوية والأخروية ، وتسييرها إلى تربيته صلی الله عليه وسلم . وأكثرُ الناس معاضاةً لتلك أهل المغرب لبعد بلادهم ، وزُوج أقطارهم .

ومن أحسن ما رأيتُ في هذا المعنى ما كتب به ابن الخطيب وزيرُ ابن الأحمر بالأندلس ، وصاحب ديوان إنشائه عن سلطانهِ يوسف بن قُوج بن نصر :

إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحَمَى وَنَيْبِئْهُ ، * كَفَاتَنِي وَحَسْبِي أَنْ يَهْبُ نَيْبِيهِ !

(١) تقدم هذا الكتاب في ج ٤ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ من هذا المؤلف .

وَهَيْئَتِي أَتَى بِهِ مَتَكَبِّفٌ * قَزَمَزَمَهُ دَمْعِي، وَجَسَمِي حَطِيمَةٌ!
 بَعُودُ فُؤَادِي ذِكْرٌ مِنْ سَكَنِ الْعَضَى * فُقِعِعِدُهُ فَوْقَ الْغَضَى وَيُقِيمُهُ!
 وَلَمْ أَرْ شَيْئًا كَالنَّسِيمِ إِذَا سَرَى، * شَفَى سَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ!
 نَمَلٌ بِالنَّدْكَارِ نَفْسًا مَشُوقَةً * نُذِيرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَنُدِيمُهُ!
 وَمَا شَفَنِي بِالْعَوْرِ رَنْدٌ مَرْمُوحٌ، * وَلَا شَاقِي مِنْ وَحْشٍ وَبِحَرَةٍ رِيمُهُ،
 وَلَا سَمِرَتْ عَيْنِي لِبَرْقِ نَيْبَةٍ * مِنَ النِّغْرِ يَنْبُو مَوْهِنًا فَأَشِيمُهُ.
 بَرَأَنِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ عَمِدٍ * يَسُومُ فُؤَادِي بَرَحَهُ مَا تَسُومُهُ!
 أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبُعْدِ مَحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
 مَشُوقٌ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ * نَهْمٌ بِهِ نَحَتَ الظَّلَامِ هُمُومُهُ
 إِذَا مَا حَدِيثٌ عَنكَ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا، * نَحَّاهُ مِنَ الشُّوقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
 أَيَجْمُرُ بِالتَّجْوَى، وَأَنْتَ سَمِيعُهُ! * وَيَسْرُحُ مَا يَحْفَى، وَأَنْتَ عَلِيمُهُ!
 وَتَعْوِزُهُ الشُّقْيَا، وَأَنْتَ غِيَاثُهُ! * وَتُبَلِّغُهُ الْبَلَوَى، وَأَنْتَ رَحِيمُهُ!
 سُبُورِكَ نُورِ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْهُدَى * فَأَقْبَاهُ وَضَاحَةٌ وَنُجُومُهُ!
 بِكَ أَنْهَلُ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَابِكًا * فَأَنْوَاهُ مُتَفَقِّهٌ وَعُيُومُهُ!
 وَمِنْ قَوْقٍ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ أَقْدَى * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَأَتْهَا وَكَلِيمُهُ!
 لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَبِحَدِّ فِي الذِّكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمُهُ!
 يَجْعَلُ مَدَى عِلْيَاكَ عَنْ مَدَجٍ مَادِجٍ * فَمُوسِرُ دَرِّ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ!
 وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ وِرَاثَةٌ! * وَبِحَدِّكَ لَا يَنْسَى الدَّمَامَ كَرِيمُهُ،

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِينِكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَحْتَسِبُ انْتِقَالًا مُقِيمُهُ !
 وَكَانَ يُودِي أَنْتَ أَزُورَ مَبِوَأَ * بِكَ آتَخَرْتُ أَطْلَالَهُ وِرُسُومُهُ !
 وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ اعْتِرَابِهِ * وَيُعَوِّزُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ .
 وَعُدْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزَمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُدْرُ الْعَزْمِ عَمَّنْ يَلُومُهُ .
 عَدَّتْ بِنَاقِصِي الْغُرْبِ عَنْ تَرْكِ الْعِدَا ، * جَلَالِقَةُ الْغُرْبِ الْغَرِيبِ وَرُومُهُ ،
 أَجَاهِدُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يُعِينِي أَمْرُهَا مَنْ يَرُومُهُ !
 فَلَوْلَا أَعْنَاءُ مِنْكَ يَا مَلْجَأَ الْوَرَى ! * لَرَبِيعَ حِمَاهُ ، وَأَسْتَبِيحَ حَرِيمُهُ !
 فَلَا تَقْطَعِ الْحَبْلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَمَجْدُكَ مَوْفُورُ النَّوَالِ عَيْمُهُ !
 وَأَنْتَ لَنَا الْغَيْثُ الَّذِي تَسْتَدِيرُهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الظِّلُّ الَّذِي تَسْتَدِيمُهُ !
 وَلَمَّا نَأَتْ دَارِي وَأَعْوَزَ مَطْمَعِي * وَأَقْلَقَنِي شَوْقٌ تُشَبُّ بِجَجِيمِهِ ،
 بَعَثْتُ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مَعُولًا * عَلَيَّ مَجْدُكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خِيَمُهُ !
 [وَكَلَّتْ بِهَا هَمِّي وَصِدْقَ قَرِيبِي * فَسَاعَدَنِي هَاءُ الْوَرَى وَمِيمُهُ ^(١)]
 فَلَا تَسْنِي بِأَخْيَرِ مَنْ وَطِئَ الرَّيَّ * فَمِثْلُكَ لَا يُنْسِي لَدَيْهِ حَدِيمُهُ !
 عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَا نَدَّرَ شَارِقُ ، * وَمَا رَاقَ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ !

إلى رسولِ الحقِّ ، إلى كافةِ الخلقِ ، وعمَّامِ الرحمةِ الصادقِ البرِّقِ ، والخاصِّ في ميدانِ
 أصطفاءِ الرحمنِ قَصَبِ السُّبْقِ ، حاتمِ الأنبياءِ ، وإمامِ ملائكةِ السماءِ ، ومنْ وجبتْ له
 النبوةُ وآدمُ بين الطِّينِ والماءِ ، شفيعِ أربابِ الذُّنُوبِ ، وطبيبِ أدواءِ القُلُوبِ ،
 ووسيلةِ الخلقِ إلى علامِ النُّبُوبِ ، نبيِّ الهدى الَّذِي طَهَّرَ قَلْبَهُ ، وَغَفَّرَ ذَنْبَهُ ، وَحَمَّ بِهِ

(١) الزيادة من فتح العليب "ج ٤ ص ١٧ هـ" وكذا هو في ريمانة الكتاب

الرسالة ربّه ، وجرى في النفوس تجرى الانفاس حبه ، [الشّيع (١)] المشفع يوم العرض ،
المحمود في مَلَأِ السماء والأرض ؛ صاحب اللّواء المنشور يوم النّشور ، والمؤتمن على
سرّ الكتاب المسطور ، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور ؛ المؤيد بكفاية الله
وعِصمته ، الموقور حظه من عناية وحرمته ، القلّل الخفاق على أمته ؛ من لو حازت
الشمس بعض كماله ما عدت إشرافا ، أو كان للآباء رحمة قلبه ذابت نفوسهم
إشفاقا ؛ فائدة الكون ومعناه ، وسرّ الوجود الذي به الوجود سناه ، وصفيّ حضرة
القدس الذي لا ينأى قلبه إذا نامت عيناه ؛ البشير الذي سبق له البشري ، ورأى
من آيات ربّه الكبري ، ونزل فيه سبحانه الذي أسرى ؛ من الأنوار من غنصر نوره
مستمدّه ، والآثار تخلق وآثاره مستجدّه ؛ من طوى بساط الوحي لفقده ، وسد باب
الرسالة والنبوّة من بعده ، وأوتى جوامع الكلم فوفقت البلغاء حسرى دون حدّه ؛
الذي آتقل في الضرر الكريمة نوره ، وأضاءت لميلاده مصابيح الشام وقصوره ،
وظيفت الملائكة تحييه وفودها وتزوره ؛ وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء باسمائه
وصفاته ، وأخذ عهد الأنبياء به على من اتصلت بمعته منهم أيام حياته ؛ المفزع
الأميع يوم الفزع الأكبر ، والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر . ذى المعجزات
التي أثبتتها المشاهدة والحس ، وأقرها الجن والإنس ؛ من جماد يتكلم ، وجدع لفراقه
يتالم ، وقرله يتشقى ، وشجر يشهد أن ما جاء به هو الحق ؛ وشمس بدعائه عن مسيرها
تُحس ، وماء من بين أصابعه يتجس ؛ وغمام باستسقائه يصب ، وطوى بصق
في أجاجها فأصبح مأوها وهو العذب المشروب . المخصوص بمناقب الكمال وكِمال
المناقب ، المسنى بالخاشع العاقب ، ذى المجد البعيد المرأى والمراقب ؛ أكرم من

(١) الزيادة عن فتح العلي (ص ١٧٥ ، ج ٤) المطبع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٧٩ هـ .
وكذا حروف الريحانة .

(٢) في الفصح "الإيمان به" وكذا حروف ريحانة الكتاب .

رُفِعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُعْتَرِبِ، وَبَجَحَتْ لَدَيْهِ قُرْبَةُ الْبَعِيدِ وَالْمُقْتَرِبِ، سَيِّدِ
الرُّسُلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ، وَأَسْتُنْقِذِ
بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ، وَسَعِيدِ بَاتِبَاعِهِ الَّذِينَ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمَعَ بَرْقٌ، وَهَمَعَ وَدَقَّ، وَطَلَعَتْ شَمْسٌ، وَنَسَخَ الْيَوْمُ أَمْسًا.

من حقيقى شفاعته، وعبيد طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، والمستشفى
بذكره كلما تألم، المفتيح بالصلاة عليه كلما تكلم، الذى إن ذكرتمثل حلوته بين
أصحابه وآله، وإن هبَّ النسيم العاطر وجد فيه طيبَ خِلاله، وإن سمع الأذان
تذكر صوتَ بلاله. وإن ذكر القرءان استشعرَ ترددَ جبريلَ بين معاهده وحلاله،
[لا إلهَ إلَّا هو وموئلا قُربُه، ورهين طاعته وحبه] المتوسل به إلى رضا ربه،
«يوسف بن إسماعيل بن نصر».

كتبته [البك] يارسول الله والدمعُ ماح، وخيلُ الوجد ذاتُ جحاح، عن شوق
يزداد كلما نقص الصبر، وأنكسار لا يتأخ له إلا بدؤ مزارك الجبر، وكيف لا يعنى
مشوقك بالأمر، ويوطئ على كبده الجمر، وقد مطت الأيام بالقُدوم على ترائبك
المقدسة الفقد، ووعدت الآمال ودانت بإخلاف الوعد، وأنصرفت الرفاق والعين
بنور ضريحك ما آكتحت، والركائب إليك ما رحلت، والعزائم قالت وما فعلت،
والتواظر في تلك المشاهد الكريمة لم تسرح، وطيور الآمال عن وكور العجز لم تهرج،
فيا لها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد نيطت بها عليك
الأنام، وأشرقت بنورك منها النجود والتهايم، ونزل في مجراتها عليك الملك، وأنجلي
بضياء قرقانك فيها الحلك، مدارس الآيات والسور، ومطالع المعجزات السافرة

الْعُرْرَ ؛ حَيْثُ قُضِيَتِ الْفَرُوضُ وَحُتِمَتِ ، وَأَفْتَحَتِ سُورَةُ الْوَحْيِ وَحُتِمَتِ ؛
وَأَبْتَدَيْتِ الْمَلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ وَتَمَّتْ ، وَنُسِخَتِ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتِ . أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ هَادِيًا ، وَأَطْلَعَكَ لِتَخْلُقَ نُورًا بَادِيًا ؛ لَا يُطْفِئُ غُلَّتِي إِلَّا شَرِبُكَ ، وَلَا يُسَكِّنُ لَوْحَتِي
إِلَّا قُرْبُكَ ؛ فَمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضٍ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ
مَا فَرَضْتَ عَنِ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ؛ وَعَفَّرَ الْخَلْدَ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أَسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ
مَا بَيْنَ دَارَتِي بِعَتِكَ وَهَجْرَتِكَ !

وَأِنِّي لَمَّا عَاقَبْتَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاقِقُ وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَعَدَّتْنِي الْأَعْدَاءُ
فِيكَ عَنْ وَصْلِ سَبَبِي بِسَبَبِكَ ، وَأَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ بَحْرِ تِلَاطَمِ أَمْوَاجِهِ ، وَعَدُوٌّ تَتَكَافَأُ
أَفْوَاجُهُ ، وَيَجْجِبُ الشَّمْسَ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ تَعَجَّاجُهُ ؛ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَطَنُوا
عَلَى الصَّبْرِ نَفْسَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ بُوسَهُمْ ؛ وَرَفَعُوا إِلَى مُصَارَحَتِكَ
رَأْسَهُمْ ، وَأَسْتَعْدَبُوا فِي مَرَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرَضَاتِكَ بُوسَهُمْ ؛ يَطِيرُونَ مِنْ هَيْبَةٍ
إِلَى أُخْرَى ، وَيَتَلَفَتُونَ وَالْمَخَافُوفُ يَمْنَى وَيُسْرَى ، وَيَقَارِعُونَ - وَهَمَّ الْفِتْنَةُ الْقَلْبِيلَةُ -
جَمْعًا بِكَمُوعٍ قِصَرٍ وَكُسْرَى ؛ لَا يَبْلُغُونَ مِنْ عَدُوِّكَ كَالَّذَرِّ عِنْدَ انْتِشَارِهِ ، مِعْشَارَ مِعْشَارِهِ ؛
قَدْ بَاعُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُلْيَا ؛ فَيَالَهُ مِنْ
سِرْبِ مَرُوعٍ ، وَصَرِيحٍ إِلَّا عَنْكَ مَمْنُوعٍ ، وَدَعَاءٍ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ ؛ وَصِيبَةِ حُرْمِ
الْحَوَاصِلِ ، تَخْفِقُ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْنَعَةُ الْمَنَاصِلِ ؛ وَالصَّلِيبُ قَدْ تَمَطَّى وَمَدَّ ذِرَاعِيهِ ،
وَرَفَعَتِ الْأَطْمَاحُ بَضْبِعِيهِ ؛ وَقَدْ حُجِبَتْ بِالْقَتَامِ السَّمَاءُ ، وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُ الْحَدِيدِ
وَالْبَاسِ الشَّدِيدِ فَاتَّقَى الْمَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدَّمَاءُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَاصْغَفَتِ الْبَصَائِرُ
وَلَا سَأَتِ الظُّنُونُ ، وَمَا وَعِدَ بِهِ الشَّهَادَةُ تَعْتِقُهُ الْقُلُوبُ حَتَّى تَكَادَ تَرَاهُ الْعُيُونُ ،
إِلَى أَنْ تَلْقَاكَ غَدَاً إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ أَبْلَيْتَنَا السُّدْرَ ، وَأَرْعَمْنَا الْكُفْرَ ، وَأَعْمَلْنَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَسَبِيلِكَ الْيَضَّ وَالسُّمْرَ .

استنبت رقتي هذه لتطير إليك [من شوقى] بجناح خافق، وتسد من نيتى التى
تصحبها برفيق موافق، فتؤدى عن عبدك وتبلغ، وتعقر الخلد فى تربتك وتمرغ،
وتطيب برأى معاهدك الطاهرة وسويتك، وتقف وقوف الخشوع والخضوع نجاة أبوتك،
وتقول بلسان التلق، عند التشبث بأسبابك والتعلق، منكسرة الطرف، حذرا بهرجها
من عدم الصرف: ياغيث الأمة، وعمام الرحمة، ارحم غربتى وأقطاعى، وتعمد
بطولك قصر باعى، وقو على هيبتك حور طباعى، فكم جزت من بؤم مهول، وجبت
من حزون وسهول، وقابل بالقبول نياتى، وتغل بالرضا إجابتى. ومعلوم من كمال
تلك الشيم، وسجايأ تيك الديم، أن لا تحبب قصد من حط بفنائها، ولا ينظما
وارد أكب على إمانها.

اللهم يامن جمعته أول الأنبياء بالمعنى واتجرهم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير
آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشوره، وملكت أمته ما زوى له من زوايا البسيطة
المعموره، وجملتني من أمته المحبولة على حبه المفطوره، وشوقتي إلى معاهده المبروره،
ومشاهيده المزوره، ووكلت لسانى بالصلاة عليه، وقلتي بالحين إليه، ورغبتني
بالتماس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابى، ولا تحرمنى فى حبه أجزواى، وتداركنى
بشفاعته يوم أخذ كتابى.

هذه يارسول الله وسيلة من بعدت داره، وشط مزاره، ولم يجعل بيده اختياره،
فإن لم يكن للقبول أهلا فانت للإغضاء والسماح أهل، وإن كانت ألفاظها وعرة فحنابك
للقاصدين سهل، وإذا كان الحب يتوارث كما أخبرت، والأروق تدس حسب ما
إليه أشرت، فلي بانساي إلى (سعد) عميد أنصارك مزيه، ووسيلة أثيرة حفيه،
وإن لم يكن لى عمل ترتضيه فلي نيه، فلا تنسني ومن بهذه الجزيرة المفتحة بسيف

كلمتك ، على أيدى خيار أمتك ؛ وإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أفعالك ، نعوذُ بوجه ربك من إغفالك ؛ ونستنشق من ريح عنايتك نفعه ، ونرتقب من نور محيا قبولك لجه ؛ ندافع بها عدو طغي وبغى ، وبلغ من مضايقتنا ما آبتغي ؛ فواقف التخصيص قد أعييت من كتب وورخ ، والبحر قد أصممت من استصرخ ؛ والطاغية في العدوان مستبصر ، والعدو مخلق والولي مقصر . ويجاهك ندفع مالا نطيق ، وبعنايتك نعالج سقيم الدين فيميق ؛ فلا نفرِدنا ولا تُهملنا ، ونادِ ربك فينا : رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا ؛ وطوائف أمتك حيث كانوا عنايةً منك تكفيهم ، وربك يقول لك وقوله الحق : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ .

والصلاة والسلام عليك يا خير من طاف وسعى ، وأجاب داعياً إذا دعا ؛ وصلى الله على جميع أحرابك وآلك ، صلاة تليق بجلالك وتمحق لكالك ؛ وعلى صحبيك وصديقك ، وحبيبك ورفيقك : خليفتك في أمتك ، فأروك المستخلف بعده على جنتك ، وصهرك ذى النورين المخصوص برك ونحلتك ، وآبن عمك بيقك المسلول على حلتك ، بدر سمالك ووالد أهلتك ؛ والسلام الكريم عليك وعليهم [كثيرا بشيرا ^(١)] ورحمة الله وبركاته .

من حضرة جزيرة الأندلس غرناطة صانها الله ووقاها ، ودفع عنها بركتك كيد عداها .

(١) الزيادة عن "نفع الطيب" .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء السرايا، إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكاتبُ إليهم تُفتَحُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر بالسلام والتحميد على نحو ما تقدم في المكاتب عن الخلفاء . ويقع التخصُّص إلى المقصود بـ « أما بعد » وتارةً يقع الانتاحُ بـ « أما بعد » ويؤتى بالمقصود تلو ذلك ؛ ويعبر المكتوبُ عنه فيها عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، وتختتم بالسلام على أمير المؤمنين :

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات، وهي على أسلوبين كما تقدمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ المكاتبُ بلفظ « لفلان من فلان »)

وكان الرسم فيها أن يُكتب : « لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعدُ فإن كذا » .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جواب الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكاتب عن الخلفاء من الصحابة ، وهو : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلامٌ عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ ، فإنه أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه فاشيةً ما لي فشأني ، وأنه يعرفني قبلي

ذَلِكَ وَلَا مَالَ لِي، وَإِنِّي أَعْلَمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بِلَيْدِ السَّعْرُفِيَةِ رَخِيسٌ، وَأَنِّي أَعَالِجُ
 مِنَ الزَّرْعَةِ مَا يُعَالِجُهُ النَّاسُ، وَفِي رِزْقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً. وَوَاللَّهِ لَوِ رَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
 حَلَالًا مَا خُنْتُكَ، فَأَقْصِرْ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ، إِنْ
 رَجَعْنَا إِلَيْهَا عَشْنَا بِهَا! . وَلَعُمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَدُمُ مَعْشِبَةً وَلَا تَدُمُ لَهُ، فَإِنْ
 كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ؟

الأسلوب الثاني

(أن تفتتح المكتبة بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)

كما كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية - وهو على بعض أعماله - يستغفبه
 عن العمل .

أما بعد، فقد كبريتي ورق عظمي وأقرب أجلي وسفهي سفهاء قريش، فرأى
 أمير المؤمنين في عمله .

الطرف الثالث

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العيال، وأمراء السرايا أيضا
 إلى الخلفاء بنى أمية، وهي في ترتيبها على ما تقدم في المكاتبات إلى الخلفاء
 من الصحابة رضي الله عنهم . وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكتبة بلفظ «من فلان إلى فلان» على نحو ما تقدم في المكتبة

عندهم إلى الخلفاء من الصحابة مع زيادة الدعاء بطول البقاء)

كما كتب المجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان في جواب كتابه الوارد عليه
 منه، في توجيهه له بسبب تعرضه لأنس بن مالك رضي الله عنه على ما تقدم ذكره .

«لعبدالله عبدالمملك أمير المؤمنين» [أصلح الله] أمير المؤمنين وأبقاه، وسهل حظه
وحاطه ولا عدمناه؛ فقد وصلني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وجعلني من كل
مكروه فداء؛ يذكرك شئى وتويعنى بأبائى، وتعييرى بما كان قبل [نزول النعمة بي] ^(١)
من عند أمير المؤمنين أتم الله نعمته عليه، وإحسانه إليه. ويذكر أمير المؤمنين
استطالة منى على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحمق من أقال عثرتى، وعفا عن ذنبي
وأمهلتى ولم يُعجلنى عند هفوتى؛ للذى جُبل عليه من كريم طبائمه، وما قلده الله
من أمور عباده؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - فى تسكين روعتى، وإفراج
كربتى؛ فقد ملئت رعباً وقرقاً من سطواته، وحققت نجاته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله
العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات -
أحمق من صفح وعفا، وتمم وأيق؛ ولم يُسمت بي عدواً ميكياً، ولا حسوداً مضياً؛
ولم يُجرعنى غصصاً. والذى وصف أمير المؤمنين من صيغته إلى، وتوسيهلى بما أسند
إلى من عمله؛ وأوطانى من رقاب رعبته، فصادق فيه مجزئى عليه بالشكر، والتوسل
منى إليه بالولاية، والتقريب له بالكفاية؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين،
فإن رأى [أمير المؤمنين] - طوقنى الله بشكره، وأطانى على تادية حقه، وبلغنى إلى ما فيه
موافقة مرزواته، ومثل فى أجله - أن يأمر بالكتاب إلى من رضاه، وسلامة صدره،
ما يؤمننى به من سفك ديمى، ويرد ما شرد من نومي، ويطمئن به قلبي فعل، فقد ورد

(١) فى الأمل "سلام على أمير الخ" والنصح عن مفتاح الأفكار (ص ١٨٢) .

(٢) بياض بالاصول، والنصح عن مفتاح الأفكار . وفيه بعد لفظ أنس بن مالك ما نصه .

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراً على أمير المؤمنين وغرة بمرفة غيره وقهانه وسطواته على من خالف
سبيله وعهد إلى غير محبته ونزل عند خطته، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحمق الخ" .

(٣) الزيادة عن مفتاح الأفكار .

على أمر جليلٍ حَظَبِه ، عَظِيمِ أَمْرِهِ ، شَدِيدِ تَكْرِيهِ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يُسَخِّطَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ، وَأَنْ يُبَيِّنَهُ فِي حَزْمِهِ ، وَعِزِّهِ ، وَسِيَاسَتِهِ ، وَفِرَاسَتِهِ ، وَمَوَالِيهِ ، وَحَسْمِهِ ، وَعُمَالِهِ ، وَصَنَائِعِهِ ، مَا يَجِدُّ بِهِ حَسَنُ رَأْيِهِ ، إِنَّهُ وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالذَّابُّ عَنْ سُلْطَانِهِ ، وَالصَّانِعُ لَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَالسَّلَامُ .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلَفْظِ «أما بعد» وَيَتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى الْمَقْصُودِ)

كَمَا كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي خِلَافَتِهِ :
أَمَّا بَعْدُ ، لِعَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ . سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ
أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَمْرِي بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ
نَبِيِّهِ فِيمَا اسْتَطَعْتُ .

الطَّرْفُ الرَّابِعُ

(فِي الْمَكَاتِبِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْمُلُوكِ وَمَنْ فِي مَعَانِهِمْ إِلَى خُلَفَاءِ
بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَفِيهَا جَمَلَاتٌ)

الجملة الأولى

(فِي الْمَكَاتِبِ الْعَامَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَى الْخُلَفَاءِ ، وَلَهَا حَالَتَانِ)

الحالة الأولى

(مَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي آبْتِدَاءِ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَوْسَاطِهَا)

أَمَّا آبْتِدَاءُ دَوْلَتِهِمْ ، فَكَانَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي مَكَاتِبِ الْعَمَّالِ وَمَحْوَمِهِمْ إِلَى خُلَفَاءِ
بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَمَثِيلُهُ . إِلَّا أَنَّهُ زِيدَ فِيهِ فِي صُدُورِ الْمَكَاتِبِ سُؤَالُ الصَّلَاةِ

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب، وتكثيرة الخليفة من حين أحسنه الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكاتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وغلبتهم على الأمر ، فللكتاب فيه أسلوبيان :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكاتبه بلفظ « لفلان من فلان » وتصدر بالسلام والتحميد

وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويختص إلى المقصود بأما بعد)

والرسم فيه على ما ذكره قدامة في كتاب الخراج أن يكتب : « لعبد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونعمته - أمير المؤمنين ، سلام على أمير المؤمنين ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد ، أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وكرامته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وقضيه عنده وبجميل بلائه لآديه ، وبجزيل عطائه له » .

وزاد في « صناعة الكتاب » : في السلام « ورحمة الله وبركاته » . قال في « صناعة الكتاب » : ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكاتبه : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى الدعاء ترك فضاءً وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنأه وكرامته ، وألبسه عفوّه وعافيته وأمنه وسلامته : والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل: يُدعى للخليفة :

أما بعدُ، أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين، وأدام عزَّه وتأييده، وأتمَّ نعمته وسعادته وتوفيقه؛ وزاد في إحسانه إليه وموآبه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداءً » ويكون أولُ فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى الفصول بـ «أيده الله وأدام عزه» . ونحو هذا .

وإن شئتَ كتبت : أما بعدُ أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين، وأدام عزَّه وتأييده وكرامته، وأتمَّ نعمته عليه، وزادَ فيها عنده وحاطه وكفاه، وتولى له ما ولَّاه .

وإن شئتَ كتبت : أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين في العزِّ والسَّلامة، وأدام كرامته في السَّعادة والزيادة؛ وأتمَّ نعمته في السُّبُوح والغِبطة، وأصلحه وأصلح على يديه ونصره؛ وكان له في الأمور كلها ولياً وحافظاً .

وإن شئتَ كتبت : أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين في أعزِّ العزِّ، وأدوم الكرامة والسُّرور والغِبطة، وأتمَّ نعمته في علوِّ من الدرجة، وشرف من الفضيلة، ومُتَابِع من العائدة، ووهب له السَّلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذي كانت عليه قاعدةُ ملوك بني بويه فمن بعدهم إن كان الكتاب في معنى حدوثِ نعمةٍ من فتح ونحوه، أُنِيَ بعد ذلك بالتحميد مائةً مرةً واحدةً إلى ثلاث مرَّات . ويعبرُ المكتوبُ عنه عن نفسه بلفظ الإفراد، وعن الخليفة بأمر المؤمنين، ويختتمُّ الكتابُ بالإناء وما في معناه .

وهذه نسخةُ كتابٍ كتب به أبو إسحاق الصنابلي عن عزِّ الدولة بن بويه إلى المطبع لله عند فتحه الموصل، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وهي :

(١)
 لعبد الله الفضل [الإمام] المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته عن الدولة
 ابن مِعز الدولة مولى أمير المؤمنين . سلامٌ على أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمدُ
 إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

أما بعد . أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العز والناييد، والتوفيق والتسديد،
 والعلو والقُدرة، والظهور والنصرة . فالحمد لله العلي العظيم، الأزلي القديم، المتفرد
 بالكبرياء والملكوٓت، المتوحد بالعظمة والجبروت، الذي لا تحده الصفات،
 ولا تحوزه الجهات، ولا تحصره قرارة مكان، ولا يُغيّره مرور زمان، ولا تمتثلُه الميون
 بنواظرها، ولا تحقيه القلوب بحواظرها . فاطر السموات وما تُظَل، وخالق الأرض
 وما تُقَل، الذي دلّ بلطف صنّته، على جليل حكته، وبين بجلي برهانه، عن
 خفي وجدانه، وأستحقى بالقُدرة عن الأعوان، وأستعلى بالعزة عن الأقران . البعيد
 عن كل معاديل ومضاريع، الممتنع على كل مطاول ومقارع، الدائم الذي لا يزول
 ولا يتحول، العادل الذي لا يظلم ولا يتجور، الكريم الذي لا ييُضن ولا يتغفل، الخليم الذي
 لا يعجل ولا يتعجل، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مُخلصين له الدين، مُتَرَلِّ
 الرحمة على كلِّ ولي توكل عليه، وفوض إليه، وأتمر لأوامره، وأزدجر بزواجره،
 ومُحِل الثنمة بكلِّ علوصد عن سبيله وسننه، وصَدَف عن فرائضه وسُننه، وحاده
 في مكسب يده ومسعاة قدمه، وخائنة عينه وخافية صدره، وهو رافع رُعة النعم
 السائمة، في أشلاء النعم السابضة، وجاهل جهلها بشكر آلائها، ذاهل ذهولها عن
 طُرُق استبقائها، فلا يلبث أن يُزغ سرايلها صاغرا، ويتعزى منها حاسرا، ويعمل

الله كَيْدَهُ فِي تَضْلِيلِ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَيْبِلِ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَلَا يَهْدِي سَبِيلَ الْخَاسِرِينَ .

والحمد لله الذي أصطفى للنبوة أحقَّ عباده بحمل أعبائها ، وأرْتدأ ردايها ؛ «مجداً»
صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، وعظّم خطره وكرمه ؛ فصَدَعَ بالرسالة ، وبالبح في الدلالة ؛
ودعاً إلى الهداية ، ونجى من الفَوَايه ؛ ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم ، إلى
طاعة الرحمن الرحيم ؛ وألقاهم بجبال خالقهم ورازقهم ، وعصية نبيهم وميتمهم ؛
بعد احتمال الأَكْذِيبِ والأَبَاطِيلِ ، وأسْتَشْمَارِ الْمُحَالَاتِ والأَضَالِيلِ ؛ والتَهْوِكِ
في الاعتقادات الذائنة عن النعم ، الساتمة إلى العذاب الأليم ؛ فصلّى الله عليه
من ناطقٍ بالحق ، ومُتَقِدٍ للحق ؛ وناصحٍ للرب ، ومؤدِّ للقرض ؛ صلاة زاكية نامية ؛
رائحة غادية ؛ تزيد على اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الأعوام والأدوار .

والحمد لله الذي آتجب أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] من ذلك السُّنْخِ الشريف ،
والعُصْرُ الْمُتَيْفِ ؛ والعِثْرَةَ الثابتِ أصلها ، المتمدّ ظلها ، الطيب جناها ؛ المنوع حماها ؛
وحازله موازيت آباءه الطاهيرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وأختصه من بينهم
بتناول أمد الخلافة واستخفاف حبلها في يده ؛ ووقفه لإصابة القرض من كل
مرمى يرميه ، ومقصد يتنجيه ؛ وهو - جل ثناؤه - الحقيق بإتمام ذلك عليه ،
والزيادة فيه لديه . وأحمده سبحانه حمداً أبْتَدِئَهُ ثم أعْبَدَهُ ؛ وأكْرَرَهُ وأَسْتَرِيدُهُ ؛
على أن أهل ركن الدولة أبا علي ، وعصمة الدولة أبا شجاع مولى أمير المؤمنين ، وأهلتي
للأثرة عنده التي بذنا فيها الأَكْفَاءُ ، وفننا فيها القُرْأَاءُ ؛ وتقطعت دونها أنفاس
المُتَأَنِّسِينَ ، وتضرمت عليها أحشاء الخاسدين . وأن أولادني في كل مغزى في خدمة

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى أنحوه، ونأى أرابه، وشعث أئمه، وعدو أرغمه، وزائع أقومه، أفضل ما أولاه عباده السليمة عيوبهم، النقية جيوبهم، المأمونة ضمائرهم، المشحوذة بصائرهم، من تمكين يده، وتثبيت قدمه، ونصرة رايه، وإعلاء كلمته، وتقريب بنية، وإنالة أمنيته، وكذلك يكون من إلى [ولاء] أمير المؤمنين أعترأوه، وبشعاره أعتارزه، وعن زانده قدحُه، وفي طاعته كدحُه، والله ولي [بإدامة] ماخولنيه من هذه المنقبه، وسوغنيه من هذه المؤهيه، وأن يتوجه أمير المؤمنين في جميع خدمه الذائبين عن حوزته، المستميين إلى دعوته، بمن الطائر، وسعادة الطالع، وتجاح المطلب، وإدراك الأرب، وفي أعدائه الغامطين لعنمه، النافضين مواثيق بيئته، بإضرع الخد، وإنعاس الخد، وإخفاق الأمل، وإحباط العمل، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ينكر قديما من "فضل الله" بن ناصر الدولة أحوالا حقيقا مثلها بالإنكار، مستحقا من ارتكبا الإعراض، وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضره، وتمثل حججه وتلقيها، وتأليف معاذيره وتلقيها، مذهبي الذي أعم به كل من جرى تجراه من ناشئ في دولته، ومُتشد بنعمته، ومنسب إلى ولايته، ومُشتهر بصنيعه، وأقدر أن أستصلحه لأمر المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرُشاد، ومناجج السداد، وهو يريني أن قد قيل وأرعوى، وأبصر وأهدى، حتى رغبت إلى أمير المؤمنين فيما شفعي متفضلا فيه، من تقليده أعمال أبيه، والقناعة منه في الضمان بمسور بذله، وإيتاره به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلما بلغ هذه الحال، أَلَطَّ بِالْمَالِ، وَخَاسَ بِالْعَهْدِ، وَطَرَّقَ لِقَسَخِ الْعَقْدِ؛ وَأَجْرَى إِلَى-أُمُورِ كَرِهْتَهَا، وَتَفَدَّ الصَّبْرَ مِنِّي عَلَيْهَا؛ وَخَفَّتْ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا وَالْمَسَاحَةِ فِيهَا، فَيَطَّلِعَ اللَّهُ مِنِّي عَلَى إِضَاعَةِ الْإِحْتِيَاظِ فِي أَمْرِ قَلْدُنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زِيَامَهُ، وَصَنَعِي دَرَكَهُ، وَإِرْخَاءِ لَبِي رَجُلٍ قَبِيلٍ فِي الْأَعْتَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي، وَتَعَوَّلِ فِي أَخْذِهِ بِمَا يَلْزَمُهُ عَلَى نَفْسِي وَأَسْتَيْفَانِي... فَتَنَازَلْتُهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوِّحًا، ثُمَّ بِأَشْبَاجِهِ مُفَضِّصًا مُصَرِّحًا.

وَرَسَمْتُ لِعَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاسِحِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِيبَهُ بِوَبُؤْسَاتِهِ وَسُورَاتِهِ فِي حَالٍ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشُورَةِ وَالرَّقِيقِ فِي أُخْرَى، وَيَتَقَلَّلَ مَعَهُ بَيْنَ الْخُشُونَةِ الَّتِي يَقْفُو فِيهَا أُتْرَى، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُحِبَّهُ مِنِّي، تَقْدِيرًا لِأَنْتَانَاهُ، وَزَوَالِ أَلْتَوَانِيهِ؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى رَسْمِهِ فِي النَّاتِي لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى يَسْمَحَ؛ وَلَمْ يَدْبِعِ التَّنَاهِي فِي وَعْظِهِ، وَالتَّمَادِي فِي نُصْحِهِ وَتَعْرِيفِهِ سُوًا عَاقِبَةِ الْجَبَّاحِ، وَمَغْبَةِ الْإِخْرَاجِ؛ وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأَمْوَالِ وَشَرًّا، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ وَعَمَّهَا؛ إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْإِنْتِظَارِ، إِلَى حَدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ؛ فَاسْتَأْنَفْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ؛ وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَعِنْدِي أَنَّهُ يُغْنِينِي عَنِ الْإِتْمَامِ، وَيَتَلَقَّانِي بِالْإِعْتَابِ وَيَنْقَادُ إِلَى الْمُرَادِ، وَيَتَجَبَّبُ طَرَّقَ الْعِنَادِ.

فَإِنْ عَرَفَ خَبَرَ مَسِيرِي، وَجَدْتِي فِيهِ وَتَسْمِيرِي؛ بِرِزِّ بُرُوزِ الْخَالَفِ الْمَكَاشِفِ، وَتَجَزُّدِ تَجَرُّدِ الْمَوَاقِفِ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا، أَزْدَادَ مِنِّي رُجْبًا؛ وَإِذَا دَلَّفْتُ إِلَيْهِ ذُرَاعًا، نَكَّصَ عَنِّي بَاعًا.

وتوافقت إلى حضرتي وجوه القبائل من عقيل وشيبان وغيرها في الجمع الكثيرين من صعايليكهما ، والمدد الكثير من صناديدهما ؛ داخلين في الطاعة ، متصرفين في عوارض الخدمة .

فلما شارفت الحديثة ، أنتفضت عزائم صبره ، وتفوضت دعائم أمره ؛ وبطلت أمانيه ووساوسه ، وأضمحلت خواطره وهوأجسه ؛ وأضطرب عليه من نقايه وغلمايه من كان بهم يعتمد ، وعليهم يعتمد ، وبدعوا بخذلانه والأخذ لنفوسهم ، ومفارقته والطلب بحظوظهم ؛ وحصل منهم بحضرتي إلى هذه الغاية زهاء مئمة رجل نوى خيل مختارة ، وأسايحة شايكة ؛ فصادقوا عندي ما أملموا من فائض الإحسان ، وغامر الأمتنان ؛ وذكروا عن وراءهم من نظرائهم التزى إلى الانجذاب ، والحرص على الاستئان ؛ وأنهم يردون ولا يتأخرون ، ويأديرون ولا يتلومون .

ولما رأى ذلك ، لم يملك نفسه أن مضى هاربا على طريق سنجار ، منكشفا عن هذه الديار ؛ فانما من تلك الآمال الخائبة ، والظنون الكاذبة ؛ بسلامة حشاشية هي رهينة غيبا ، وصرعة غيبا .

وكان أنهما بعد أن فعل الفعل السخيف ، وكادتا الكيد الضعيف ؛ بأن أغرق سنن الموصل وعروبها ، وأحرق جسرها وأستدم^(١) إلى أهلها ؛ وتزود منهم اللعن المطيف به أين يم ، الكائن معه حيث حيم .

ودخلتها يومى هذا - أيد الله أمير المؤمنين - دخول الفاسم الظافر ، المستعلي الظاهر ؛ فسكنت نفوس سكانها ، وشرحت صدور قطنها ؛ وأعلنتهم ما أمرنى

(١) نوع من السفن الرواكد كان في دجلة ولكنه عبر عنها في القاموس بالعربات . أى فواحدا عربية بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يذم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزه] وأعلى الله أمره - من تأئيس وحشتم ، ونظم
ألقبهم ، وضم نسرهم ، ولم شعثهم ؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعلقتهم ،
وصنوف متصرفاتهم ومعانيهم ؛ فكثرت منهم النشاء والدعاء ؛ والله سامع ما رفعوا ،
ومجيب ما سألوا .

وأجلت حال هذا الجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبج هزيمة ، وأذل
هزيمة ، وأسوأ رأي ، وأنكر اختيار ؛ لأنه لم يلتقي لقاء البايخ بالطاعة ، المعتذر
من سالف التفريط والإضاعة ؛ ولا لقاء المصدق لدعواه في الاستقلال بالمقارعة ،
المحقق لزمته في الثبات للدافعه ؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبر التقي ، ولا الفاجر
الغوي ، بل جمع بين تقيصة شفاقه وغدره ، وقضيحة جبنه وخوره ؛ متنكبا للصالح ،
عادلا عن الصواب ؛ قد ذهب عنه الرشد ، وضربت بينه وبينه الأسداد ، وأنزله
الله منزلة مثله ممن أساء حفظ الوديعه ، وجوار الصنيعه ؛ وأستوجب تزعمها منه
وتحويلهما عنه .

وتأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب ، وتصفحته على التقلب ؛
فإذا هو الرجل الذي أطاع أبوه فيه هوى^(١) أنه ، وعصى دواعي رأيه وحزمه ؛ وقدمه
من ولده على من هو أنس رُشدا ، وأكبر سنا ، وأثبت جأشا ، وأجرأ جنانا ، وأشجع
قلبا ، وأوسع صدرا ؛ وأجدر بمحايل النجابه ، وشماثل اللبابه .

فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة ، وأمكنته مناهز الغزاة والفرصه ، وثب
عليه وثبة السرحان ، في ثلثة الضان ؛ وجزاه جزاء أم عامر لمجيرها ، إذ فرته بأنبياسها
وأظافيرها ؛ واجتمع [هو] وأخوه من الأمم ، المرتضيع معه ليلان الإنم ؛ المكتنى

(١) هي فاطمة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة . من هامش مختارات الصابي المطبوعة .

أبا البركات - وليس باب لها ، ولا حريّ بشيء منها - على أن تَنَزَّرَا عنه وَعَقَاهُ ،
 وَقَبَّضَا عليه وَأَوْتَقَاهُ ، وَأَقْرَأَهُ من قَلْعَيْهِمَا بِمِثِّ نَفَرِ الْعَتَاهِ ، وَتَعَاقَبَ الْجُنَّاهُ ، ثم أَتَبَعَا^(١)
 ذلك باستحلالِ دمه ، وإفاضة مُهْجَتِهِ ، غيرَ رَاعِيَيْنِ فِيهِ حَقِّ الْأَبْوَةِ ، وَلَا حَالِيَيْنِ عَلَيْهِ
 حُقُوقِ الْبُؤَةِ ، وَلَا مَتَدَمِّعِيْنَ من الإقدامِ على مِثْلِهِ من تَقَدَّمَتْ عندَ سُلْطَانِهِ قَدْمُهُ ،
 وَتَوَكَّدَتْ أَوَاصِرُهُ وَعِصْمُهُ ، وَلَا رَاحِمِيْنَ لَهُ من ضَعْفِ شَيْخُوخَتِهِ ، وَذَهَلِ كِبَرَتُهُ ،
 وَلَا مُضْغِيْبِيْنَ إِلَى وَصِيَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا ، الَّتِي نَصَّهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَكَرَّرَهَا فِي آيِهِ وَبَيَّنَّاهُ
 إِذْ يَقُولُ : ﴿ أَشْكُرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ ، وَإِذْ يَقُولُ : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا
 إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ
 وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
 كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۝ .

فَبَأَى وَجْهَ يَلْقَى اللَّهَ فَاتَيْلُ وَالِدِ حَدِيدٍ قَدْ أَمِرَ أَنْ لَا يَنْهَرَهُ ؟ وَبَأَى لِسَانَ يَنْطَلِقُ
 يَوْمَ يُسْأَلُ عَمَّا اسْتَجَارَهُ فِيهِ وَقَعَلَهُ ؟ وَنَالَهُ ! لَوْ أَنَّ بِمَكَانِهِ عُدُوًّا لَهَا قَدْ فَارَضَهُمَا
 الدُّحُولُ ، وَفَارَعَهُمَا عَنِ النَّفُوسِ ، لَصَبَحَ بِهِمَا أَنْ يَلُومَا ذَلِكَ اللُّؤْمَ عِنْدَ الظُّفْرِ بِهِ ،
 وَأَنْ يَرْبِكَا تِلْكَ الْخَطَّةَ الشَّنْعَاءَ فِي الْأَخْذِ بِنَاصِيَتَيْهِ ، وَلَمْ يَرْضَ « فَضَّلَ اللَّهُ » بِمَا
 أَنَاهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَسْتَوْفَى حُدُودَ قَطْعِ الرَّحْمِ ، بَانَ تَتَبَعَ أَكْبَارَ إِخْوَتِهِ السَّالِكِينَ خِلَافَ

(١) فِي سِتَّةِ سِتِّ وَنَحْسِيْنِ وَثَلَاثَةِ قَبِضِ أَبُو تَغْلِبِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ بْنِ حُدَّانَ عَلَى أَبِيهِ وَجِيسِهِ فِي قَلْعَةٍ
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْيَا وَسَاءَتِ أَخْلَاقُهُ وَضِيقَ عَلَى أَوْلَادِهِ وَخَالِقِهِمْ فِي أَمْوَالِهِمْ فَضَجَرُوا مِنْهُ
 وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ مَا خَالَقَهُمْ فِيهِ أَنَّهُ عَدَدَ وَفَاةَ مِزْرِ الدَّوْلَةِ وَوَلَايَةَ ابْنِهِ بِخِيَارِ عَزَمُوا عَلَى قَصْدِ الْعِرَاقِ فَتَعَمَّهُمْ قَاتِلًا
 أَنَّ مِزْرَ الدَّوْلَةِ قَدْ خَلَفَ لِوَلَدِهِ مِنَ الْمَسْأَلِ مَا يُمْكِنُ مَعَهُ مِنَ الظُّهُورِ وَقَاصِرُوا حَتَّى يَنْفَرُوا مَالَهُ فَوَثِبَ عَلَيْهِ أَبُو تَغْلِبِ
 وَوَضَعَهُ فِي مِحْبَسٍ فَفَضَبَ بَعْضَ إِخْوَتِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُمْ . وَكَانَ نَاصِرُ الدَّوْلَةِ يَسْتَنْصِرُ بِإِيْنِهِ
 حُدَّانَ عَلَى أَبِي تَغْلِبِ وَأَبِي بَرَكَاتٍ فَغَلَّاهُ إِلَى قَلْعَةِ كَوَاشِي وَتَوَفَّى فِي الْأَعْتَقَالِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سِتَّةَ ثَمَانٍ وَنَحْسِيْنِ
 وَثَلَاثَةَ إِهْ مِنْ هَامِشِ الْخِتَارَاتِ الْمَطْبُوعَةِ .

سَبِيلَهُ ، الْمُتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا كَتَبَ ، وَوَجِيمِ مَا أَحْتَقَبُ ؛ لِمَا غَضِبُوا
لَأَيُّهُمْ ، وَأَمْتَعَضُوا مِنَ الْمَسْتَحَلِّ فِيهِ وَفِيهِمْ : فَقَبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حَيْلَةً
وَغِيْلَةً ، وَغَدْرًا وَمَكِيدَةً ؛ وَنَابَذَ مُحَمَّدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُنَابَذَةً خَارِئَةً لَهُ فِيهَا ، بِأَنَّ
أَصَارَهُ مِنْ فِتْنَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَرِيزِ ، وَالْحُرُزِ الْحَرِيرِيِّ ؛ وَأَنَّ أُجْرِيَّ اللَّهَ عَلَى
يَدِهِ الْحَرْبَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْيَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا نَحْسَهُ ،
وَأَتَلَفَ نَفْسَهُ ؛ وَصَرَعه بِمُتَّقِفِهِ وَبَغِيهِ ، وَقَتَّعه بِعَارِهِ وَخِرِيهِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَعَطَّبُ ؛
وَلَا يَتَرَعُ وَلَا يَفْلُحُ وَلَا يَزْدِحِرُ ؛ إِصْرَارًا عَلَى الْجَرَائِرِ الَّتِي اللَّهُ عَمَّا حَسِبِيهِ ، وَبِهَا طَلِيْبُهُ ؛
وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالْجَزَاءِ الْمَحْقُوقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمَسْئُوقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَطْبًا ، وَأَوْعَرُ مَسَلَكًا وَلِجَابًا ، أَنَّ
مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عُمِدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ، وَالضَّمَانِ الْمُخَفَّفِ
مَبْلَغُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُودِ عَفْوُهُ مِنْهُ ؛ أَنْ يَتَنَاهَى فِي صَبْطِ الثَّفُورِ وَجِهَادِ الرُّومِ وَحِفْظِ
الْأَطْرَافِ ، وَرَمِّ الْأَكْفَافِ ؛ فَمَا وَفَى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْأَسْتِنَارِ
بِالْأَمْوَالِ وَأَقْتِطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَامِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَالضَّنَّ بِهَا ذُوبَ الْإِحْرَاجِ
فِي وَجُوْهِهَا ، وَالْوَضْعَ لَهَا فِي حُقُوقِهَا ؛ وَأَنَّ تَرَائِخِي فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَأَطْرَحَ
الْفِكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ؛ حَتَّى هَمَّ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَرَ الْآثَارِ ؛ وَنَكَى الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى الْعَيْونَ ؛
وَصَدَعَ الْأَجَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ؛ فَمَا كَانَ عَنْدَهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ
اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ بَلْ صَدَفَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لِأَهْيَا ، وَعَدَلَ عَنْ كِتَابِهِ سَاهِيًا ؛ وَأَسْتَفْسَخَهُ ذَلِكَ الْبَيْعَ وَالْعَقْدَ ، وَتَجَوَّزَهُ
الْوَعْدَ لَا الْوَعْدَ ، وَلَا طَلْفَ طَاغِيَةِ الرُّومِ وَهَادَاهُ ، وَمَارَهُ وَأَعْطَاهُ ؛ وَصَانَعَهُ بِمَالِ

المسلمين الذي يلزمه - إن سلم دينه وصح يقينه - أن يتفقه في مرابطهم ، ويدب به عن حریمهم ؛ لا أن يعكسه عن جهته ، ويلفته عن وجهته ؛ بالنقل إلى عدوهم ، وإذخال الوهن بذلك عليهم . وقاد إليه من الخيل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، ونجدة للطاغية على السلطان ؛ وكان فيما أتحفه به الخمر التي حظر الله عليه أن يشربها ويتسقىها ، وتعبده بأن يحتبها ويحتويها ؛ وصلبان ذهب صاغها له وتقرب بها إليه تقرباً قد باعده الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ؛ حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكافئته ، ولوجهه بلاطفته ، فبصد الذي أمره الله به في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأما نقله ما نقل من الخيل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم ، فنقيض قوله عز وجل ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوا اللَّهَ وَعَدُوهُمْ ﴾ .
وأما إهداؤه الخمر والصلبان ، بخلاف عليه تبارك اسمه ، إذ يقول : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذُوا الْمَيْسِرَ وَالْأَنْصَابَ وَالْأَزْلَامَ رِجْسًا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْزِبُوهُمْ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ .

كل ذلك عناداً لرب العالمين ، وطمساً لأعلام الدين ؛ وصناً بما يحايي عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المشر من الآثام ، المقتطع من قىء الإسلام ؛ وقد فعل الآن بي وبالعساكر التي معي ومن نضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبه - إن كان مؤمناً ، وأنصاره وحزبه - إن كان مؤمناً ؛ من توعير المسالك وتغريق العرُوب ، وتضييق الأقوات ، وأستهلاك الأزواد ؛ ليوصل إلينا الضر ، ويحقق بنا الجهد ؛ فعلى العدو المبين ، المخالف في الدين ؛ فهل يجتمع

[في أحد من المساوي - أيد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع ^(١) في هذا التأد العائد ،
والشاذ الشارد ؟ ، وهل يُطَمَع من مثله في حق بَقِيصِه ، أو فَرَض يُوَدِّعُه ، أو عهد
يرعاه ، أو ذِمَام يَحْفَظُه ؛ وهو لله عاص ، وإمامه مخالف ، ولوالديه قاتل ،
ولرحمه قاطع ؟ كَلَّا والله ! بل هو الحقيق بأن تُثْبِتَ إليه الأَعْنَه ، وتُشْرَعَ نحوه الأَسْنَه ،
وتُصَبِّب له الأَرصَاد ، وتُشْعَذ له السُّيُوف الحِدَاد ؛ ليقطع الله بها دياره ، ويحِبِّب
غاريبه ، ويَصْرَعه مَصْرَع الأَثِيم المَأْيَم ، المستحق للعذاب الأليم ؛ أو يُنْفِئَ إلى الحق ،
إفَاءة الداخل فيه بعد خروجه ، العائد إليه بعد مُرُوقه ، النائب المُتَّيِب ، النازع
المستقبل ، فيكون حُكْمُه شبيهاً بحكم الراجع عن الرَّذة ، المحمول على ظاهر الشريعة ؛
والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ووقف بنا على السبيل المُتَّجِبَة لنا ، والمَقْاصِد
المُقْضِيَة إلى رِضاه ، البعيدة من سَطاه .

والحمد لله الذي أعز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواء القهر ؛ وجعل أولياءه
العالمين الظاهرين ، وأعداءه السافلين الهابطين ؛ وهنأه الله هذا الفتح ولا أخلاه من
أشكاله له تقفوه وتتبعه ، وأمثال تتلوه وتشتقه ؛ واصلها فيها إلى ما وصل فيه إليه من
حيازته مهياً ؛ لم يُسْفِك فيه دم ، ولم يُنْهَك محرم ، ولم يُنَلَّ جهْد ، ولم يمسس نَصَب .
أنهيت إلى أمير المؤمنين ذلك ، ليُضَيَّف صنع الله له فيه ، إلى السالف من عوارفه
عنده وأبائيه ، وليجَدَّ من شكره جَلِّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ،
مقتضياً للعون والتأييد ؛ إن شاء الله تعالى .

[وكتب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ^(٢)

(١) الزيادة عن مختارات رسائل الصابي المطبوعة (ج ١ ، ص ٩١) وهي لازمة لانظام الكلام .

(٢) الزيادة من مختارات رسائل الصابي .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بلفظ « كتابي لل خليفة والحال على كذا وكذا » ويدعى للخليفة

بطول البقاء في أثناء ذلك ، ويعبر الملك المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الأفراد مع التصدير بالعبودية ، ويخاطب الخليفة

بأمر المؤمنين ويحتم بالدعاء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البغا عن السلطان أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني حمدان بحلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطائع أو المطيع بالكنية والخلع مأمورته :

« كتابي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وعبد أمير المؤمنين مستديم بشكر الله تعالى مدد النعم المتظاهرة عليه ، والمنج المناصرة لديه ، بحميد رأيه أدام الله علوه وتقديمه - معترف بما طوقته به السعادة من عوارف تشريفه ، متمسك من الطاعة بما أحله كنف إحسانه ، متوصل بالطرف إلى الاستراحة من طوله وأمتانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتاب أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مشتملاً على فوائد الإرشاد

والتوقيف ، مقترناً بخصائص التكرمة والتشريف ، فاقتديت من أوامره - أعلاها

الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكت في شكر ما أعمدني من إشاره أوصح سبيل ،

وبرزت لسائر من أختارني - أيده الله - لسياسة من الخاصة والعامة في الحلال

الحالية نيات تشريفه وإكرامه ، متدرعاً توبى هديه وسكيتيه ، ومخالاً منهم ما بين كنفى

دفاعه ومعوته ، ومتقلداً عصبه الذي هز النصر غراره ، وأطلق المضاء سفاره ،

وعالياً على عُنُقِ الزمان، بامتطاء ما حَبَّأني به من الحِلال، مستترقِ النية بالرغبة إليه،
ومستخديمِ النطق بالثناء عليه، ومقتضياً أثر أسلافِي في خدمته وخدمة آبائه المؤمنين،
من الخلفاء الراشدين، صلواتُ الله عليهم أجمعين، وأقتفاء مذهبهم في اللب عن فتنَةِ
الخلافة والمُرَامة دُونَ المِلَّة، والاجتهاد في طاعة الأئمة .

فالحمد لله الذي جعل صنائع أمير المؤمنين مستقرةً عند مَنْ يرتبطها بعلائقِ الشكر،
ويحرسها بالتوقُّر على ما أفاد الإجماعَ وجميلَ الذِّكر، وأدامَ علو أمير المؤمنين! وأيدنا
بِعزِّ دولته، وبَسَطَ بالتمكين قُدْرته، وحرس من الغير سلطانه، وقرنَ بنفاذ الأُمر يده
ولسانه، ولا أخلاه من ولي ينشيه ويضعه، وشكَّور يُعليه ويرفعه، وعزمٌ يحمِّد أثره
ويرتضيه، ورأيٌ بالتوفيق يُبرمه ويُخصِّيه . ووفقني من القيام بحقوقِ خدمته،
والتسكُّ بفرائض طاعته، والمعرفة بمواقع أصطناعه وتمنُّضه، والأعتداد بمنح إنعامه
وتطوُّله، لما يستريضي من أياديه والآله، ويحرسُ على مكاني من جميل آرائه،
إنه جواد كريم .

وقد آذنتُ مَنْ بعد وقربَ رفيع أمير المؤمنين - أدام الله بسطته - ذِكْرِي عن
تعريفِ الاسمِ بنباهة الكُنية، وإصدار ذلك إلى الأسماع من شريفِ عبارته،
والإذن فيه لسائر مَنْ يذكُرني بحضرتِه، زاد الله في جلالها . وتقدمتْ بإثبات ذلك
على عُنواناتِ الكُتبِ أمثالاً لأمره، وأخذنا بإذنه، ووقوفاً عند رسمه، عارفاً قدرَ
النعمة والمؤهبة فيه . وأعتددتُ بما أعلنه أمير المؤمنين من نيابة فلان عبده
وما توخَّاه من محمود السَّفارة، وحسَّن الوساطة، ووجدتُ ما يعنيني وإياه من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أقرب الأنساب، وأؤكد الأسباب، في تأكيد
الألفة، وتثبيت قواعد الطاعة، والله يحرسُ أمير المؤمنين في كافة رعيته، وخاصة
أوليائه وصنائع دولته، من اختلاف الآراء، وتشدُّب الأهواء، ويُعينني من النهوض

بمفترضات أياديه ، وواجبات ما يُسئديه إلى وُيوليه ؛ [على] ما قَرَّب منه وإليه ، وأزَلَّف عنده ولَدَيْهِ ؛ بمنه ومِشِيئته ، وحوْلُه وقُوَّتُه .



الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى حُفَاءِ بنى العباس ما كان عليه الأمرُ في آخر دولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فتارة يَمْتَنِحُ بالدعاء للديوان العزيز ، وتارة بالدعاء لما يعود عليه ، وتارة بالصلاة ، وتارة بالسلام . وربما أفتُتحت المكتابةُ بآية من القرآن الكريم مناسبة للحال .

قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه "التعريف" : والصدْرُ نحو العبد أو المملوك أو الخادم يُقَبَّلُ الأَرْضَ ، أو العتباتِ ، أو مواطِنَ المواقفِ أو غير ذلك . ويخاطب الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ، والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ، وبأمر المؤمنين مجزدة عن سيدنا ومولانا ، ومرة غير مجزدة مع مراعاة المناسبه والتسديد والمقاربه . ويختم الكتاب تارة بالدعاء ، وتارة بطالع أو أنهى أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء .

قال : وأخْتَلِفَ فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاح الدين ابن أيوب «الخادم» وكتب بنوه والعدل أخوه «المملوك» وكتب الكامل بن العادل «العبد» وجرى على هذا ابنه الصالح . وكتب الناصر بن العزيز «أقل المالك» وكتب الناصر داود «أقل العبيد» ؛ وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب «الخادم المطواع» وتبعه على ذلك ابنه جلال الدين ، وكانت أم جلال الدين تكتب «الأمة الداعية» . هذا على ستم أنوف الحوارزية وعلو شأنهم .

وعنوان هذه المكاتبات على اختلافها « الديوان العزيز ، العالى ، المولوى ،
السيدى ، النبوى ، الإمامى ، الفلافى (بلقب الخلافة) أدام الله أيامه ، أو خلد
الله أيامه ، أو أدام الله سلطانه » على مناسبة ما فى صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء للديوان العزيز)

قال فى "التعريف" : والمراد بالديوان ديوان الإنشاء ، لأن المكاتبات عنه
صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضعان عن مخاطبة
الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط
الظل وما أشبه ذلك . مثل : أدام الله أيام الديوان العزيز ، أو أدام الله سلطان
الديوان العزيز ، أو خلد الله أيام الديوان العزيز ، أو خلد الله سلطان الديوان العزيز ،
وأدام الله ظل الديوان العزيز ، وخلد الله ظل الديوان العزيز ، وبسط الله ظل الديوان
العزيز ، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان «صلاح الدين يوسف
ابن أيوب» صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ،
بفتح القدس وما معه ، واقتلاع ذلك من أيدي القرعج وإعادته إلى ما كان عليه
من الإسلام ، وهى :

« أدام الله أيام الديوان العزيز النبوى الناصرى ، ولا زال مظفر الحد بكل
جاحد ، [غنى] التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المساعى على آفتنا ، مطلقات

(١) يياض فى الاصول والتصحيح من رسائل القاضى الفاضل الفنوغرافية .

الحامد، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يئتي إلا بشكر واحد، [ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غوي وریش راشد^(١)] ولا زالت غيوت فضله [إلى الأولياء^(١)] أنواء إلى المراج وأنواراً إلى المساجد، وبُعوث رُعبه إلى الأعداء خيالاً إلى المراقب وخيالاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجرى تجرى التبشير بصبح هذه الخدمة، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة، فإنها بحر الأقسام فيه سجع طويل، ولطف الحق للشكر فيه عيب تقيل، وبشرى الخواطر في شرحها مآرب، وبشرى للأسرار في إظهارها مسارب، والله في إعادة شكره رضا، وللنعمة الزاهية به دوام لا يقال معه هذا مضي. وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها، وأستبنت عقائد أهله على بصائرها، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط، وكان الدين غربياً فهو الآن في وطنه، والقور معروضا فقد بذلت الأنفس في ثمنه، وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا، [وجاء أمر الله وأتوف أهل الشرك راعمه^(١)] فأذبلت السيوف إلى الآجال وهي نائمة، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين، وأستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين، وأسترد المسلمون ثرانا كان عنهم أيها، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيقاً على النأي طارقاً، وأستقرت على الأعلى أقدامهم، وخفقت على الأقصى أعلامهم، وتلاقت على الصخرة قبلهم، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما شفى بالماء ظلهم .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥ .

ولما قَدِمَ الدينُ عليها عرف منها سُويْدَاءَ قلبه ، وهنَّا كَفَرُهَا المَجْرُ الأَسْوَدُ بِتَّ
عِصْمَتِهَا من الكافر بَحْرِهِ ، وكان الخادم لا يَسْعَى سَعْيَهُ إلا هذه العُظْمَى ، ولا يُقَابِسِي
تلك البُؤْسِي إلا رجاءَ هذه النُعمَى ؛ ولا يَنَاجِرُ من أَسْتَمَطَلَه في حَرْبه ، ولا يُعَاتِبُ بأطراف
القنَا من تَمَادَى في عُنْبِهِ ؛ إلا لَتَكُونَ الكَلِمَةُ مجموعَه ، والدعوةُ إلى سامعها مَرْفُوعَه ؛
فكون كلمةُ الله هي العُلْيَا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعَرَضِ الأَدْنَى من الدنيا ؛
وكانت الألسنةُ ربما سَلَفَنَه فَانصَحَ قُلُوبَهَا بالاحتقار ، وكانت الخواطرُ ربما غَلَّتْ
عليه مَرَاجِلُهَا فأطفأها بالاحتمال والأصطبار ، ومنَّ طلبَ خطيئاً خاطراً ، ومنَّ رامَ
صَفْقَةَ رابحةٍ تجاسرَ ، ومنَّ سَمَّا لأنَّ يُجَلِّي عَمْرَةَ غامرَ ؛ وإلا فإنَّ القُعودَ يُلبِن تحت نُيوب
الأعداء المَعَاجِمَ فَمَعْضُهَا ، ويُضَعِفُ في أيديها مَهْرَ القواثمِ فَتَقْضُهَا ؛ هذا إلى
كون القُعود لا يَبْقِي فِرْضَ الله في الجهاد ، ولا يُرْعَى به حقُّ الله في العباد ؛ ولا يُوفَى
به واجبُ التقليد الذي تَطَوَّقَه الخادمُ من أئمةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ وبه كانوا يَعدُّون ،
وخلفاءُ الله كانوا في مثل هذا اليوم لله يَسْأَلُونَ ؛ لِاجْرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَهُمْ وَسِرِّرَهُمْ
خَلْفَهُم الأَطْهَرُ ، وَجَلَّهَمُ الأَكْبَرُ ؛ وَهَيَّبَهُم الشَّرِيفُ ، وَطَلَعَتَهُم المُنِيفَةُ ، وَعُلْوَانُ صَحِيفَةُ
فَضْلِهِمْ لا عَدِيمَ سوادِ العِلْمِ وبياضِ الصَّحِيفَةِ ؛ فَاغْبَاؤُنَا حَضَرَ ، [ولا غَضُوا] ^(١) لَمَّا
نَظَرُوا ، بل وصلتهم الأجرُ لما كان به موصولاً ، وشاطرته العملُ لما كان عنه مقبولاً
ومنه مقبولاً ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِم إلى المضاجع ما أطمأنتَ به جُنُوبُهَا [وإلى الصفائحِ
مَاعَبَقَتْ به جُوبُهَا] ^(٢) وفاز منها بِدُكْرٍ لا يَزَالُ اللَّيْلُ به سَمِيرًا ، والنهارُ به بَصِيرًا ؛ والشرقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بل إنَّ أَيْدِي نُورًا من ذاته هَتَفَ به الغَرْبُ بأنَّ وَاوَهُ ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ
لَا تُكِنُّهُ أَسْجَاقُ السُّدُفِ ، وذكر لَأَنْوَارِيهِ أَوْراقُ الصُّحُفِ .

(١) الزيادة من رسائل الفاضل القونوغرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية نمرة ٢٢٩٤ أدب من ٣٥ .

وهي لازمة كما لا يخفى .

وكتاب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا، وطارت فرقه فرقا، وقل سيفه فصار عصا، وصدعت حصاهه وكان الأكر عددا وحصا، فكلت حملاته وكانت قدرة الله تُصرف فيه العنان بالعيان، عقوبة من الله ليس لصاحب يديها يدان؛ وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه، وغضت عينه وكانت عيون السيف دونها كسيفه؛ ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكرى من الجفون، وجذعت أنوف رماحه وطالما كانت شاحنة بالثني أو راعفة بالذون؛ وأضحيت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث، والرّب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث؛ فبيوت الشرك مهذومه، وثيوب الكفر مهتومه؛ وطوائفه الحامية، بجمعة على تسليم البلاد الحامية، ونجعاته المتوافيه، مُدعنة ببذل المطامع الوافيه؛ لا يرون في ماء الحديد لهم عُصره، ولا في فناء الأفيّة لهم نُصره؛ وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وبذل الله مكان السيئة الحسنه، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشامة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمدّه الله بمداركته، وأنجده بملابكته؛ فكسرهم كسرة ما بعدها جبر، وصرعهم صرعة لا يعيش معها بمشيئة الله كُفر؛ وأسر منهم من أسرت به السلاسل، وقتل منهم من فتكت به المناصل؛ وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار، وعن أنصاف محبل فانه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكار، فنبأوا بنار من السلاح ونالوه أيضا بشار]؛ فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين، وتم أنجم رماح تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين؛ وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم إلى أجل فاختلسه، وفقرت تلك القوس فاها فإذا فوها قدنهنس القرن

على بُعد المسافة فاقترسه ؛ وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ؛ وكان الكفر مفقودا ، والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار نار جهنم وقودا ؛ وأسر الملك وبيده أوثق وثاقه ، وآكد وصله بالدين وعلائقه ؛ وهو صليب الصلوات ، وقائد أهل الجبروت ؛ وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دعاتهم ينسط لهم بأعه ، ويحترضهم وكان مد اليدين في هذه الدفعة ودأعه ؛ لا جرم أنهم تهافت على نارهم فرأشهم ، وتجمع في ظل ظلامه خشاشهم ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصاب قتال وأصدقه ، ويرونه ميثاقا يتنون عليه أشد عقيد وأوثقه ، ويعُدونه سورا تحفر حوافر الخليل خندقه .

وفي هذا اليوم أسرت سرآتهم ، وذهبت دعاتهم ؛ ولم يبق معروف إلا القومص وكان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال ، ويوم اللذلان بالاحتبال ؛ فنجاً ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح وجناح السيف ، ثم أخذه الله بعد أيام بيده ، وأهلكه لموعده ؛ فكان لعنتهم فذلك ؛ وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نسر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا ، البيضاء صبغا ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، الغالبة هي [وعزائم أوليائها] المستضاء بانوارها إذا فصح عينها البشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر ؛ فافتتح بلد كذا وكذا وهدنه أمصار ومدن ، وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع وقدن ؛ وكل هذه ذوات معاقل ومعاقير ، وبحار وجزائر ، وجوامع ومناير ، وجويع وعساكر ؛ يتجاوزها الخادم بعد أن يُحَرِّزها ، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ؛ ويحصد منها كفرا ويزرع إيماناً ، ويحط من منائر جوامعها صلبانا ويرفع أذاناً ؛ ويبدل المنابع

منابر الكائنس مساجد، ويؤى بعد أهل الصلثان أهل القرءان للذَّب عن دين الله
مقاعِد، ويُقر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصرُ منه ومن عسكره بجمار
وتجور، وأن ظفير بكل سور ما كان يُخاف زلزاله وزياله إلى يوم النُفخ في الصور،
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعها
كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله مانعُهم، وأن كنيستها إلى الله شافعُهم؛
فلمَّا نازها الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تالفت وتالبت
على الموت فتزلت برصته، وهان عليها موردُ السيف وأن تموت بقصته؛ فزاول البلدة
من جانب فإذا أودية عميقة، وبلج وعمرة غريفة، وسور قد انعطف عطف السوار،
وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى كان للطامع
عليها معرج، ولخيل فيها متولج؛ فنزل عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وصربت
خيمته بحيث يسأله السلاح بأطرافه، ويزاحمه السور بأكفاه؛ وقابلها ثم قاتلها،
وتزلها ثم نازها؛ وبرز إليها ثم بارزها، وحاجرهما ثم ناجرها؛ فضمها ضمة أرتقب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجذع عن عتق الصُفح؛
فراسلوه ببئذ قطيعة إلى مده، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لتجدته؛ فعرفهم
في سخن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات
الحُصون عينيها وحبائما، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تُقارِقها سهامها ولا يُفارِق
سهامها نصالها؛ فصاحت السور بأكفاه فإذا سبمها في شأيا شرفاتها سواك،
وقدم النصرُ تسرا من المنجنيق يُخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء؛
فشح مرادع أبراجها، وأسمع صوت عيجها، ورفع منار تجاحها، فأحلى السور من
السيارة، والحرب من النظارة؛ فأمكن الثقاب، أن يُسفر لحرب الثقاب، وأن يُعيد

الحجر إلى سيرته من التراب؛ فتقدم إلى الصخر فوضع سرده ، بأنياب معوله ، وحل عقده ، بضربه الأخرق الدال على لطافة أئدله ، وأسمع الصخرة الشريفة حنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لعقبه ؛ وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها مؤثقا فلن تبرح الأرض ؛ وفتح في السور باب سد من نجاتهم أبوابا ، وأخذ ثقب في حجره قال عنده الكافر : يَا لَيْتِي كُنْتُ تُرَابًا ؛ حينئذ ينس الكفار من أصحاب الدور ، كما ينس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور .

وفي الحال نرح طاغية كُفْرهم وزمام أمرهم ابن بارزان ساغلا أن يؤخذ البلد بالسلم لبالعنوه ، وبالآمان لبالسطوه ؛ وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه دُل الملكة بعد عز الملكة ، وطرح جبينه في التراب وكان حيناً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليه طرف أمل طامح ؛ وقال : ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألواف وقد تعاهد القرنج على أنهم إن هُجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ؛ بُدئ بهم فَعَجَلُوا ، وُئِي بِنِساءِ القَرَنجِ وأطفالهم فقتلوا ، ثم استعنتوا بعد ذلك فلم يُقتل خصم إلا بعد أن يتصيف ، ولم يُسَل سيف من يده إلا بعد أن تنقطع أو يتصيف ؛ وأشار الأمراء بالأخذ بالميسور ، من البلد المأسور ؛ فإنه إن أُخذ حرباً فلا بد أن تقتحم الرجال الأتجاد ، وتبذل أنفسها في آخر أمرٍ قد نيل من أوله المراد . وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما أعقل الفتكات ، واعتاق الحركات ، فقيل منهم المبدول عن يدهم صاغرون ، وأنصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلام خطة كان عهدُه بها دمنة سگان ، فغدهما الكفر إلى أن صارت روضة جنان ؛ لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق

وَأَمْخَطَهُمْ، فَإِنَّهُمْ - حَذَّطَهُمُ اللَّهُ - حَمَّوْهَا بِالْأَسْلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنَوْهَا بِالْعَمَدِ وَالصَّفَاحِ ^(١)]
 وَأَوْدَعُوا الْكِنَانَسَ بِهَا وَبَيوتَ الدِّيْوِيَةِ وَالْإِسْتَبَارِيَةِ مِنْهَا كُلَّ غَرْبِيَّةٍ مِنَ الرُّخَامِ الَّذِي
 يَطْرِدُ مَأْوَهُ، وَلَا يُطْرَدُ لِأَلَاؤِهِ، قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَتَفَنَّنَ فِي تَوْشِيحِهِ،
 إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَسَآرَى
 إِلَى مَقَاعِدَ [لِلرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بِيَاضِ التَّرْخِيمِ رَفْرَاقٌ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ
 اللَّغْنِيَّةِ أَوْرَاقٌ] ^(٢).

وَأَوْزَعَ الْخِلَادِمُ بَرْدَ الْأَقْصَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ مِنْ يَوْفِهِ
 وَرَدَّهُ الْمَوْرُودِ، وَأَقِيَمَتِ الْخُطْبَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتِ السَّمَوَاتُ
 يَنْتَفِطِرْنَ لِلسُّجُومِ لَا لِلْجُحُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَنْثَرِنُ لِلطَّرْبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتِ إِلَى اللَّهِ
 كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَائِقُهَا مَسْهُودَةً، وَظَهَرَتِ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمُ بِالنَّجَاسَاتِ
 مَكْدُودَةً، وَأَقِيَمَتِ النِّجْسُ وَكَانَ التَّثْلِيثُ يُقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرُ وَكَانَ
 سِحْرُ الْكُفْرِ يُعْقِدُهَا] ^(٣) وَجُهِرَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمُنْتَهَى، فُرُحِبَ بِهِ
 تَرْحِيبَ مَنْ بَرَّ بِرَّ، وَخَفَقَ عِلْمَاهُ فِي حِفَافِهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُورُوا لَطَارَ بِجَنَاحِهِ .

وَكِتَابُ الْخِلَادِمِ وَهُوَ مُجَدَّدٌ فِي اسْتِفْتَاكِ بَقِيَّةِ الثُّغُورِ، وَاسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِجَمَادِي
 الْحَرْبِ مِنَ الصُّدُورِ، فَإِنَّ قُوَى الْعَسَاكِرِ قَدْ اسْتَنْفَدَتْ مَوَارِدُهَا، وَأَيَّامُ الشِّتَاءِ
 قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدُهَا، وَبِالْبِلَادِ الْمَأْخُودَةِ الْمَشَارُ إِلَيْهَا قَدْ جَاسَتِ الْعَسَاكِرُ خِلَالَهَا،
 وَهَبَّتْ ذَخَائِرَهَا وَأَكَلَتْ غِلَافَهَا . فَهِيَ بِلَادٌ تَزُودُ وَلَا تُسْتَرْفَدُ، وَتُجْمُّ وَلَا تُسْتَفْقَدُ،
 وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجْهَزُ الْأَسَاطِيلُ لِيَجْرَهَا، وَتَقَامُ الْمَرَابِطُ لِيَرْبَهَا، وَيُدَّابُّ
 فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَاتِ مَعَاقِلِهَا، وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فِيهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

(١) الزيادة من نسخة الرسائل الفوتوغرافية .

مَحْتَمَلَةٌ ، وَأَطْلَعُ الْقَرْنَجِ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدَاهِبُهَا غَيْرُ مَرَجِيَّةٍ وَلَا مُعْتَرِلَةٍ ، فَلَنْ يَدْعُوا دَعْوَةَ
يَرْجُو الخَلاَمَ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ ، وَلَنْ تَزُولَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَطْوَاقِ الْبِلَادِ حَتَّى تُقَطَّعَ .

وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى
المشاهدة تتلخص . فلذلك تفقدنا لسانا شارحا ، ومبشرا صادحا ، ينشر الخبر على
سياقته ، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بالدعاء لغير الديوان بما فيه تعظيم الخليفة)

كما كتب القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

أَسْعَدَ اللَّهُ عِظَمَاءَ الْأَمْلَاقِ بِالِاتِّسَابِ إِلَى الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهَا ، وَخَلَّدَ مُلْكَ الدِّيْوَانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ مَا دَامَتِ الْأَفْلاكُ قَائِمَةً ،
وَالنَّجُومُ نَاجِحَةً ، وَقَعَّعَ بِنِعْمَتِهَا غُلَّ الْأَمَالِ الْحَامِيَّةِ ، وَقَسَّرَ بِمَكَارِمِهَا حُلْمَ الْأَمَانِيِّ
الْحَالِهِ ، وَرَفَّقَ بِتَسْخِيرَاتِهَا الْمُعْصُومَةَ فَتَوَقَّ النَّوْبَ الْمُتَعَاظِمَةَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِي
أَوْلِيائِهَا مَعْجَزَاتٍ نَصَرَهَا ، وَصَرَفَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَيْنَ الْمُرْضِيِّينَ لِقَدَرِهَا وَأَمْرِهَا ،
وَأَوْدَعَ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمُودَعِهَا وَمُسْتَقَرِّهَا .

المملوك - وإن كان قد ينسب الله له مذ أطلق عذبة لسانه خدمة الدولة العباسية ،
فتفصح في وسيع ماثرها ، وتغير من بديع جواهرها ، وامتنح من نعيم زواجرها .
فإنه لا يعتذر عن الحصر الذي اعتراه في وصف المنعم عليه به من الخطاب الشريف ،

الذى لولا أن عصمة الموالاة تُثبَّتْ فُوَادَهُ الخَافِقِ ، وَتَسَدُّ نَسَانَهُ النَاطِقِ ، لَمَا تَعَاظَى
وَصَفَّ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كِتَابِهِ المَرْقُومِ ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ سَحَابِهِ المَرْكُومِ ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَشْفَى
عَنِ الأَمَلِ نَاكِصًا وَهُوَ كَسِيرٌ ، وَيَتَقَلَّبُ دُونَهُ البَصْرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ، إِلَّا أَنْ الإِنْعَامَ
الشَّرِيفَ يَبْدَأُ الأَوْلِيَاءَ بِمَالِهِمْ وَكَلَّهْمَ إِلَى أَمَانَتِهِمْ لَتَبَيَّنَتْ أَنْ تَعَاظَى حَظِيئَتَهُ ، وَلَوْ قُوَّضَهُ
إِلَى رَاحَتِهِمْ لَنَكَلَّتْ عَنْ أَنْ تَتَرَفَّى نَيْبَتُهُ ، وَلَا تَغْرُو لِسَحَابِ أَنْ يُصَالِحَ قَطْرُهُ العُرَى ،
وَالفَجْرِ أَنْ يُشْرِقَ نَوْرُهُ عَلَى عَيْنِ الكَرَى وَالسَّرَى .

فالحمد لله الذى قرَّبَ على المملوك منال الآمال ، وثبت حِصَاةَ فُوَادِهِ لِمَا لَانْتَسِفَلُ
بِحِلْمِهِ صُمُّ الجِبَالِ . وَيَسْتَنْبِئُ عَنْ جَهْرِ الشُّكْرِ بَسْرَ الأَدْعِيَةِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا هُضِي بِهِ
إِلَى المَحَارِبِ وَإِنْ لَمْ يَقْصُرْ عَمَّا يَقْصُهُ فِي الأَنْدِيَةِ ، وَيُطَالِعُ بِأَنْ مَمْلُوكِ الخِدْمَةِ
وَأَبْنِ مَمْلُوكِهَا أَخَذَ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ ، وَتَمَرَّ لخدمَةِ أَشْرَفِ خِلافةٍ لِأشْرَفِ نُبوَةٍ ، وَتَلَقَّاهُ تَلَقَّى
أبيه الأَوَّلِ الكَلِمَاتِ ، وَرَأَى إِطْلَاعَ اللهِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا فِي صَخيرِهِ مِنْ طَاعَتِهِ
إِحْدَى المَعِيزَاتِ وَالكِرَامَاتِ ، وَسَمِعَ المَشَافَهَةَ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهَا بِفَهْمِهِ
سَامِيًا طَرَفُهُ مُتَطَلِّعًا .

ولقد أشبه هذا الكتابُ الكريمُ بيعةً أُخِذَتْ عَلَيْهِ ، مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ أَخْذًا بِكَلْمَا يَدِيهِ .
والمملوكُ يَرْجُو بَلَّ يَحْتَقِقُ أَنْ هَذَا العَبْدَ المَشَارَإِلِيهِ سَيُوفِي عَلَى سَابِقِهِ مِنْ عَيْدِ الدَوْلَةِ
العَبَاسِيَةِ فِي الزَّمَانِ ، وَيَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللهِ أَسْبَقَ مِنْهُمْ بِالإِحْسَانِ .

وقد صدرتْ خِدْمَتَانِ مِنْ جِهَتِهِ وَبَعْدَهُمَا تَصَدَّرَ الخِدْمَ ، وَلَا بِالْوَجْهِدَا فِي الخِدْمَتَيْنِ
مِبَاشِرًا بِيَدِهِ السَيْفِ وَمُسْتَدْبِيًا عَنْهَا العِلْمِ ، وَلَهُ نُصْرَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الوَلَاءِ وَهُوَ غَنِيٌّ بِهَا
عَنِ النَصِيرِ ، وَسِرِّيَّةٌ بَادِيَةٌ فِي الإِطَاعَةِ هُوَ إِلَيْهَا أَسْكَنُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ مُشِيرٍ . يَعُودُ
المَمْلُوكُ إِلَى مَا لَا يَزَالُ يَفْتَتِحُ بِهِ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ ، وَيَخْتِمُ بِهَا الخَطَمَاتِ المَعْرُوضَةَ :

من الدعاء الصالح الذي [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أوحى ذوى العقائد السليمة إليه :
 لأنه مُزَكَّ لأعمالهم ، بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يدعون لمن يدعون به يوم يُدعى
 كلُّ أناس بامامهم ، فيقول : - جمع الله لأمر المؤمنين طاعة خلقه ! ، وأذل رقاب
 الباطل سيف حقه ! ، وجعل الله ما هو قبضته في الأخرى قبضة أمير المؤمنين
 في الأولى ! من الأرض التي هي موطوءة كالسماوات العلى ، وأدام نعمة على
 هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته ، وتجل
 لمن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، ورد بسؤوفه التي لا تُرد ما الإسلام مطوّل
 به من ظلامته ، وأقام به مناهج الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرتة على الدين كله ،
 حتى يلقي الله وما حلف في الدنيا كافراً ، ولا ضميراً إلا بالتوحيد عامراً ، ولا بلداً
 إلا وقد بات الإسلام به أهلاً وقد أصبح منه الكفر داثراً ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ بآية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضي الفاضل ، عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
 إلى الخليفة المستضيء ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد النبوة والنصرة عليها :
 ﴿ وَاقْدُ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ نَعْمِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ :
 ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ : ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ﴾ . وصلاة يتبعها
 تسليم ، وكأس يمزجها تسليم . وذكر من الله سبحانه في الملأ الأعلى ورحمة الله وبركاته
 معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستضيء بالله » المستضاء بأنواره ،
 المستضاف بداره ، الداعي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى للخلق كما يرعى

النسيم النسيم، العام فضله، التام عدله، المطروق مؤرد فئانه، المصدوق في مؤرد
شانه، المحقوق من كل ولي بولائه، ابن السادة العز، والقادة الزهر، والذادة الخمس،
والشادة للفق على الأسم، سفاة الكوثر وزمزم والسحاب، وولادة المومم والموقف
والكتاب، والموصول الأنساب [يوم] إذا نُفِخ في الصور فلا أنساب، والصابرون
على حساب أنفسهم فهم الذين يُؤْتَوْنَ أجْرهم بغير حساب .

مملوك العتبات الشريفة وعندها، ومن أشتمل على خاطره ولأؤها وودها، وكانت
المشاهدة لأنوار العلية التي يودها، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها، ويسابق
بطاعته إلى جنية وصفها الله تعالى بقوله (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا) : يلم وجه ترابها، ويرى
على بُعد دارها الأنوار التي ترى بها، ويقف لديها وقوف الخاضع، ويضع أقال
الآنم عن ظهره منها بأشرف المواضع للواضع، ويحييت إليها إخبار الطامخ الطامخ،
ويرجو فضلها رجاء الطامخ الطامخ . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين المهابة التي
تحول بين المرء وقلبه، والجلالة التي هو في تعظيمها على نور من ربه، لكان خاطره
في قبضة الملعع أسيرا، ولا تقلب إليه البصر خاسئا حسيرا، ولكن قلبه قد تشجع،
أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إن الله قد رفع ملة الإسلام على الملل، وكفل نصرها وكفى ما كفل، وحى ملكها
وحمل، وجعل لها الأرض في أيدي الخاليفين ودائع، ومكن يده من أعناقهم فهي
إما تعقد الأغلال أو تصوغ الصنائع، والحق بها قائم العمود، والسيف الكفاية
لازم العمود، والبشائر تمسك المصباح وتخلق الدجى، والحليل على طول ما تشتمل
الوفا تقبل الوجى، والأيام زاهره، والآيات باهره، وعزة أولياتها قاهره، وذلة
أعدائها ظاهره، وعنايات الله لديها متواليبة متظاهره . إذا تقرب أسمها يوما عن

مِنْهُ أَعْبَدَ إِلَى وَطْئِهِ عَدَا ، وَإِذَا أَوْقَدَتْ نَارُ فِتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِدَتْ فِي طَاعَتِهَا نَارُ هُدًى .

وقد كان النبيلُ قَدَمَا قَرَّتْ عَنِ الْفُرَاتِ أَبْنَاؤُهُ ، وَتَحَصَّنَتْ عُلَلُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْهُ فَلَمْ يَتَغَلَّغَلْ إِلَيْهَا مَأْوُهُ ، وَكَادَتْ السَّمَاءُ لِأُتَيْعِنَهُ بِمَطَرِهَا ، وَالْأَرْضُ لِأُتُوشِيَهُ بِزَهْرِهَا ، وَالْأَعْنَاقُ قَدْ تَهَاصَرَتْ دُونَ الرَّاجِينَ بِدُومِ مَعْصِيَتِهَا ^(١) ، وَالْقُلُوبُ قَدْ لَادَتْ بِأَسْتَارِ الْجِدَارِ مَعْصِيَتِهَا ، وَالْأَوْثَانُ مَتْصُوبَةٌ ، وَالْآيَاتُ مَغْصُوبَةٌ ، وَالتَّيْجَانُ بِغَيْرِ أَكْفَانِهَا مِنَ الْهَامَاتِ مَعْصُوبَةٌ ، وَالَّذِينَ أَدْيَانَا ، وَالْمَذْكُورُونَ بِالْآيَاتِ يَخْرُونَ عَلَيْهَا ضَمًّا وَمُعْتِمَانًا ، وَالْعَادِلُونَ بِاللَّهِ قَدْ وَطَّنُوا السِّنَّةَ وَصَرَّحُوا عَقَائِدَ ، وَالْمُعْتَدُونَ قَدْ أَصْلَحُوا فِعَالًا وَصَلُّوا مَقَاصِدَ ، وَكَرَاسِيٌّ خِلَافَةَ اللَّهِ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهَا أَجْسَادٌ كَانَتْ تَقَعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ ، وَمَنَارٌ كَلِمَاتِ اللَّهِ قَدْ كَادَتْ كَيْدُهُمْ بِأَتَى بُيَانِهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ ، وَبَحَرَتْ عَلَى بِنُوءِ النُّبُوءَةِ أَشَدُّ نُبُوءِهِ ، وَقَصَّرَتْ الْإَيْدِيَّ فَلَاحِدٌ سَوَاطِيفُهَا وَوَلَا حِدَّ سَطْوَتِهَا ، ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبٌ ^(٢) (فَهِيَ كَالْجَمْرَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) وَغَرَّتْ الْأَيَّامُ وَمَا وَعَدَتْ ، وَأُورِدَتْ الْمُهْمُومُ وَمَا أَصْدَرَتْ ، وَطَفِيَتْ طُوفَانُ الطُّغْيَانِ وَوَلَاعِصِمُ ، وَسَمَاءُ بِنَاءِ الْبُهْتَانِ وَوَلَاهَادِمُ ، وَضَاقَتْ الصُّدُورُ ، وَرَحَلَتْ بَغْلِيلُهَا إِلَى الْقُبُورِ ، وَطَنَّ أَنْ طَى دَوْلَتَهُمْ مَعْدُوقٌ بِالنُّشُورِ ، حَتَّى إِذَا جَلَّاهَا اللَّهُ لَوْقِيَتِهَا ، وَأَنْجَزَ جَمُوعَ الضَّلَالِ إِلَى مِعَادِ شَتَائِهَا ، وَأَرَاهِمُ آيَةَ مَعْدَلَتِهَا ^(٣) (وَمَا أُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ كَارِهُونَ) : (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

كانت نعمة من الله يُمنُّها على المملوك أن أتتجه من بين أهل أرضه ، وأتتجه لإقامة مآمات الباطل من فرضه ، ويُسره لما يسره من نُصرة الحق وأهله ، وبُسره

(١) كذا في الاصول بهذا الهمز ولم نعر على هذه الرسالة في الرسائل .

بما بشره من لواء النصر ومد من ظله ، وألهمه الهمة التي أقترع منها بكرا ، ومنحه
 الثصرة فما استطاع العدو ضرفا ولا نصرا . مكثه من صياصيمهم فقلها ، ومن دمائهم
 فقلها ، ومن سيوفهم فقلها ، ومن أقدامهم فاسترلها ، ومن منابر دعواتهم فعبج تداعيا ،
 ومن أنفيس أعدائهم فاكثر تناعيا ، وأبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مصابحهم ،
 ويسر الذين كُتب لهم العفو إلى متابعهم ، وترخرزات الملك من تبعها ، وفصح
 على يده ولسانيه ما زورته من أنسابها ، وحاسبها فأظهر ريف حسابها ، ونقلها من
 ظهور أسرتها إلى بطون ثراها ، وعمد إلى أهل دعوتها الذين بسقوا بسوق النخل
 فأعلام على جذوعها ، وحملت قلوبهم فوف الحقد فأخرجها من أحكام طلوعها ، فهل
 ترى لهم من باقية ، أو تسمع لهم من لاغية ، أو تجد إليهم من صاحبه ، فأصبحوا
 لا ترى إلا مساكينهم أو مساكينهم ، وحصدوا حصد الحشيش ثم لا تخاف سيوفهم
 ولا سكاكينهم ، وأسترلوا من عقاب اللوح ، ومجنوا في الهمة من طول مداومة عقاب
 الروح ، ثم تداركوا إلى الدرك ، وأشركوا في الشرك ، وأفقرت منهم عراض ، وزهدت
 فيهم خواص ، وعلم أنب ليس لله غالب ، وأن ليس بقوته طالب ، وأن الملك لله
 وحده ، وأن الويل لمن تجاوز أمره وحده .

وكان المملوك ممن عطل من أوثانهم ، وأبطل من أديانهم ، فائرا بخسنة ينظر إلى
 حسنات خليل الله صلى الله عليه وسلم في كيد الأصنام وتكسيروها ، وتضليله عابديها
 وتكفيرها . وعمد المملوك إلى المحاضر بجمعها ، وإلى المنابر قرقعها ، والجمعة فاطاع
 من شرعها ، وأسماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصلها باسمه وما قطعها ،
 وعمومته رضوان الله عليهم فتلاها له وآتبعها ، وأشاد باسم أمير المؤمنين لتكون
 الصلاة جامع ، والذكرى شاملة والإمامة للجماعة شارعة ، والهداية للصلالة صارعة ،
 فعادت للآة أعياد ، وأخضرت للنبر أعواد ، وأنجز للآمة ميعاد .

وبعد ذلك تماشدت أولياء الذاهبين وتآذت، وتَسَاعَتْ نحو مستقر المملوك وتماذت
 ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم
 فلما تراءت الفئتان تكص على عقيبهِ وقال إني بري منكم﴾ وكانوا حمية حامية
 من بنى حاتم كالجراد أرجلا ، إلا أن الله أصلاها بيناينه ، وكلماء مدا إلا أن الله
 أغرقها بطوفانه ، وكانتمل لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليانه ، مع من انضم
 اليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذله ، وطرده
 عن مواقف الكرام وبجبال الخزي أحله ، ومن أرمي كانوا يفرعون إلى نصره
 نصرانته ، ويعتمدون منه على ابن معموديته ، ومن عاتى أجابهم لفرط عمه وتفريط
 عاميته ، فلما العيون سوادهم الأعظم ، ووراءهم بأس الله الذي لا يرد عن أجرم ،
 فامطرتهم السيوف مطرا كانوا غناء لسيله الجوارف ، وعصفت بهم الأعتة عصفا
 كانوا هباء هوجه العواصف ، ﴿فظلت أعتاقهم لها خاضعين﴾ وعوتبت الأنفس
 والأروس ﴿فقالنا أتدنا طائعين﴾ . وظلت فحاف بنى حاتم تحت غربان الفلا غربانا ،
 وشوهدت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا ، وصفت موارد السلطان
 من القذى ، وطفئ ذلك الفحم فلا يجذ النفاق بعده ما تتعلق به الحدى ، وبلغت
 الغابات في كشف كل أذى ، لا بضرب بموعده يقال فيه إذا .

وكتب المملوك ، واسم أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين التقدين ، وسمع
 نفضله من قم المنبرين بالبدن ، ومد كل منبريدا بل يدن ، فحين سمع الناس قالوا
 حقا ما قاله ذو البدن ، وصارت تلك الأسماء دبر الأذان ووراء الظهور ، وحصلت
 الحجة العباسية سرا من أسرار القلوب إذا حصل ما فى الصدور ، والخلائق مبايعة
 متابعة واقية بعهد متوافية ، داخلون فى الحق أفواجا ، سالكون منه شرعة
 ومنهاجا .

والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين إماماً خلفه ، ووارثاً لأرضه ولم يدرُ فوق الأرض
منازعاً لحقه ، ولا مناهباً لأرضه ، وأرتجع له الحق الذي كان ناداً ، وردَّ عليه الأمر
الذي لم يكن له غيرُ الله راداً ، وبلغ كلُّ مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وأذا ، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صاداً ، والإسلام قد استدار ككشائه ،
والزمان قد استدار كهيئته ، والحق قد قرَّ في نصَّابه ، والأمر قد قرَّ عن صوابه .
فقد وفي الله القرار له بضمانه ، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه صلى الله عليه وسلم
وأصفى من لسانه .

فالحمد لله الذي صدقه وعده ، وأورثه الأرض وحده ، وجدَّ علاه وأعلى جده ،
وأسعد نجه وأنجم سعده ، ووعده نُجْمه وأنجح وعده ، وأورده وصفه وأصفى ورده .
المملوك ينتظر الأمثلة ليمتثلها ، والأمانة ليحمّلها ، والتقليدات المطاعة ليتلوها ،
والتشريفات الشريفة ليجلوها ، والسواد ليحلب الحلك عن ضمائر المبطلين ، والسيف
الحالي لحكمه في رقاب المعطلين ، والآراء الشريفة فصل برهانها ، وفضل سلطانها ،
وأمرها الذي لا يخرج حين يخرج عن عزِّ الملة وتوطيد بُنيانها ، وعزمها الذي يرفع
حين يرفع ظلمة أذنانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يتبدأ الكتاب بالصلاة)

كما كتب القاضي الفاضل ، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"
إلى الخليفة ببغداد ، في البشري بفتح بليد من بلاد التوبة أيضا ، وانتهزام ملكها
بساكره .

صلوات الله التي أعدها لأوليائه وذريته ، وتحياته التي قدف بسببها شياطين أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دعا بها كل موحد فاجاب ، وانقشع بها عمائم التم وظلام الظلم فانجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى المؤمنين في ترديده حصر ولا لكن - على مولانا عاقد أئوية الإيمان ، وصاحب دور الزمان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ، الذي زلزلت إمامته قدم الباطل ، وحلت خلافته ترائب الدهر العاطل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من كل غير ماطل ، وأمضت ضرب كل عزم لفق مفلول وأطلعت غارب نجم كل هدى آفل ، وشفعت يقظات استغفاره إلى غافر ذنب كل غافل ، وعلى آبائه الغاية والمفرغ ، والملاذ في وقت الفرغ ، والقائمين بمحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكمين بعذل الله إذ عديم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام الموروثية من الوحي إذا تجر الأقباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، تحران الحكم ، وحفاظها ، ومعاني التعم ، وألفاظها ، وأعلام العلوم المنشورة إلى يوم القيامة ، وكالبي الشروح المنتشرة من كلا سيد الإمام ، ومن لا ينفذ بهم عمل إلا إذا تحيد بمواليتهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح الساري بدلالاتهم .

المملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومتازله ، ومرابع التجد ومعاقله ، ومجالس الجود ، ومحال السجود ، ومختلف أنباء الرحمة المنزل ، ومرسى أطواد البسيطة المترزله ، ومفترق مباسم الإمامه ، ومجز مساحب الكرامه ، ومكان جنوح أجنحة الملائك ، ومشتجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ، ويتبعهم ملوك الأرض مستسلمين ، ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت لكم دينكم - ويتعقد على الولاية فاما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يؤنكم ، ويتاجها

(١) كذا في الأصول مضبياً عليه وفي الضوء "المنتشرة بيد الامامة"

بلسان جلى الإخلاص الصادق عقيدته ، وأنتسب الولاء السابق عقيلته ، وأرهف
 الإيمان الناصع مضاربه ، وقسح المتقصد الناصح مذاهبه ، فأعرب عن خاطر لم يحظر فيه
 لغير الولاء خطر ، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره . ويخبر
 أنه ما وهن عما أوجبه الآؤه ولا وهى ، ولا أنتهى عزمه عن أن يقف حيث أظلت
 سدره المنهى ، ووضعت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزيل عنه في شرف
 المشول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست همته بما
 دون نظرها قائمه . وكان توجه منصوراً بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ، وبمسكر
 إقباله ، قبل عسكر قتاله ، وبينصال سلطانة ، قبل ينصال أجفانه ؛ لأجرم أن كاتب
 الرعب سارت أمام الكائب ، وقواضب الحذر تخضت في جفونها عيون القواضب .
 وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمه ، وتداعوا بلسان النعمه ، وتصرفوا
 بيد الخدمه ، وصالوا بسيف العزمه ؛ متواخية نيأتهم في الإقدام ، متألفة طويأتهم
 في طاعة الإمام ؛ كالبنيان المرصوص انتظاما ، وكالغاب المشجر أعلاما ؛ وكالنهار
 المانع حديدا وهابا ، وكالليل الشامل محجا محجا ؛ وكانهر المتدايع أصحبا ، وكالمشط
 المطرد أصطحبا ؛ والأرض رجل برجلهم لما ترفعه الحوافر من غيومها ، والسماء نزل
 زولهم لما تضمه الدوايل من نجومها ؛ فما أنتشرت رياضها المزهره ، وغياضها
 المشجره ؛ إلا دلت على أن السحاب الذى سقاهم كريم ، والإنعام الذى عمرهم عظيم ،
 والدنيا التي وسعهم من عزمهم تظعن وتقيم .

ولما علم المدون أن الخطب المظنون قد صرح خطابه ، والأمل المخدوع قد صفر
 وطابه ؛ راسل ورأى سل السيوف بغمده ، وما نكر وما نكر لعلمه أن الخلف يعمده ،
 وأندفع هاربا هائبا ، وخضع كائنا كاذبا ؛ فضئى المملوك قُدما ، وحمله ظلمه وقد خاب
 من حمل ظلما ؛ وأجابه بأنه إن وطئ الساط برجله وإلا وطئه برأسه ، وإن قدم

على الملوك بامله وإلا أقدمه بيأسه، وإنت لم يظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحد بسكرة الموت من كأسه، فلم يخرج من مزاوغة تحتها مغاوره، ومكاسرة وراءها مكاسره، فاستخار الله في طلبه، وأتته فيه فرصة شغل قلبه بريبه، ولم يغره ما أملى له في البلاد من تقلبه، وسار ولم يزل مفتوحا، وتقدم أول العسكر محسدا، وإذا الدار قد رحل أهلها منها فبانوا، وطمعوا عن ساحتها فكأنهم ما كانوا، ولم يبق إلا مواقد نيران رحلت قلوبهم بضرامها، وأتاني دهم أعجلت المهابة مارد سبهم عن طعامها، وغربان بين كأنها في الديار ما قطع من رءوس بني حامها، وعوافي طير كانت تنظر من أشلائهم فطر صيامها، وعادت الرسل المتفذة لأقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم، ذاكرة أنهم ليسوا الليل حدادا على النعمة التي خلعت، وغسلوا بماء الصبح أطباع نفس كانت قد تطلعت، وأنهم طلعوا الأوعار أوعالا والعقاب عقبانا، وكانوا لمهايط الأودية سيولا ولأعلى الشجر قضباناً - فرأى الملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله، والعزم منهم قد نال أمه، والفتك بهم قد عمل منصله، وأن سيوف عساكر أمير المؤمنين مزهة أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال، وأن تلقى إلا وجوه أنظارها من الرجال، وأن المذكورين تمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده، ورمل أطاره العاصف الذي يستحفه ويقوده - وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم عاربه، والكلمة بانخفاضهم غالية طالبه، ويؤد الله على أعدائه عاربه، وأنفس المخاذيل في وثاق مهابة العالية عاربه - فرأى الملوك أن يرتب بعده الأمير فلانا ليبدل الأمانات، لسوق أهل البلاد ومزارعها، ويفصل المحاكات، بين متابعي السلطنة ومطواعيها، ويفسح مجال الإحسان لعاودي المواطنين ومراجعيها، فيعمر من البلاد ما قد سقر، ويشعر بالأمن من لا شعر، فإن مقام الملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطلقها،

(١) هو بالقاء من قولهم صحفت الريح السحاب إذا ذهب به والغاف في الأصول تصحيف .

وترد حربة البحر عن موقمها ، مما يضرب بالغلل ويئسفها ، ويحجف بالرعايا ويئسفها .

فالحمد لله الذي جعل النصر لائذا بأعطاف آعترامه ، وأنامل الرغب السائر إلى الأعداء محرمة عذبات أعلامه ، والعساكر المناضلة بسلاح ولانته ، تُغني بأسمائها عن مرهقاتها ، والكاتب المقاتلة بشعار علامته ، تقرأ كُتُب النصر من محامتها .

الأسلوب الخامس

(أن يتبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان "صلاح الدين" أيضا ، يعتذر له عن تأخر الكتب ، ويذكر له خبر صاحب قسطنطينية وصاحب صقلية من ملوك النصرانية من الروم والفرنج :

سلام الله الأطيب ، وبركاته التي يستدرها الحضر والتب ، وزكواته التي ترفع أولياءه إلى الدرج ، ونعمه التي لم تجعل على أهل طاعته في الدين من حرج - على مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ، ومسدد أهل الحق ، ولايس الشعار الأظهر سوادا ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصمه بها بدءا ومعادا ، ومولى الأمة الذي تشابه يوم نذاه وبأسه إن ركض جوداً أو جوادا ، وواحد الدهر الذي لا ينقش ، وإليه القلوب تُثني ، ولا يقبل الله جمعا لا يكون لولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ، ولا استقبال قبلة من لا تكون محبته في قلبه تُقيم وأسمه في عمله إلى الله يسير ، مولانا أمير المؤمنين ، وعلى آبائه المائى الأرض عدلا ، الملاء أهلا وقضلا ، والضارين قيصلا والقائلين قيصلا ، ومن تقول الجنة لأهلها بهم أهلا ، المخصوصين بالعناية الإلهية ،

الحاكمين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورةٌ وعن مصيبتهم منيةٌ ، والمشرِّف في الأسارى على
أسرة الشرف فكم ملأتِ البهائم مناظرهم البهية .

المملوك — يتخدّم الحرم الشريف باحترامه ، والفناء الكريم بإعظامه ، والبساط المقبل
بطول استلامه ، والستر الذي أسبله الله على العباد بتحيته وسلامه ، ويُنهى أنه آخرُ
التخدّم عن أن ينظم الأوقات المتجدّده ، ويقتضب الحالات المتجرّده ، والرُّسل عن
أن تتوارد دراكا ، وتتوالى وشاكا ، والإنهاءات عن أن تثبت بالمقامات الشريفة
النبويه ، ومجالس العرض عليه ، ما انتهت إليه الأقدار ، وما أفضى إليه من كثير
الصنّاج وقليل الأعدار ، فإن أدب الأمل عن المطالعة كالصوم لا يقصّ ختامه ،
ولا يحلّ نظامه ، إلا بعيدَ يطّلع هلاله مبشّرا ، ويبتئ خبره في الآفاق معطّرا ، فلو أن
متكلّفا أظفر قبل مواعده ، وورد المائة قبل مؤرده ، لكان مُفسدا لعقده ، ناكثا لعتهده .

كذلك المملوك أمسك حين كانت الأخبارُ يجانبه مشتبّه ، والحقائقُ لديه غير
متوجّهه ، فإن طاعني الكفرِ بقسطنطينية وصقلية كانا قد أوقدا للحرب نارا ، ورفعا
لها أوزارا ، واتخذّا لها أسطولا جارا وعسكرا جارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ،
وكتبا إلى الفرنج بعد انهزامهم بالنجدة والنصره ، ونصمنا لهم الخروج والكفره ، ويصفان
ما استعدّا به بما لا يعبر عنه إلا بالكثرة ، واستطارت الشناعة وتداولتها الألسن ،
وخرجت من الأفواه حتى لقد كادت تدخل فيما رآته العين ، وورد إلى المملوك رسولٌ
من طاعية القسطنطينية وهو أقدم ملوك النصرانية قديما ، وأكثهم مالا متمسكاً ،
فعرض عليه مواعدة يكون بها عسكرو مودعا ، ويكون له بها مفرعا ، له ولصاحب
صقلية الذي زعم أنه أصلٌ للشريكون الشرمة مفرعا ، فلم ين ولم يجب إلى السلم ،
ولم يزعه أن عسكرو خذله الله مبارئ في البر وفي التيم ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تفتح المكتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وذلك يختص بالفتوح وغيره مما حدث فيه نعمة ، وربما بدت بآية من كتاب الله ، كما كتب العهد الأصقهاى عن السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " إلى الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس :

(ولقد كتبتنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) .
الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما أشتمل على شبهها كرام الصحائف ، ولم يجادل عن مثلها في المواقف ؛ في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوا ورواحا ؛ ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سيرة تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتحمي بالحقيقة حى الحقائق ، وأنجزها الحق وقدف به على الباطل الزاهق ، وملكها هوادى المغارب ومرايمى المشارق ؛ ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابح ، وسيوفها للبلاد مفتح ، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذى نصر سلطان الديوان العزيز وأيده ، وأطفر جنده الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدد جنده ؛ وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهو الأمر الذى ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، وتوطين الدين بقوله : (ولقد مننا عليك مرة أخرى) : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والأخرى هذه التي عنت فيها من رقت الكآبه ؛ فهو قد أصبح حرا فالزمان كهيشه أستدار ؛ والحق بمهجنه قد أستنار ؛ والكفر قد ردا ما كان عنده من

المُستعار ، وُغِـلَ ثوبُ الليلِ بِمَاجِرِ الفَجْرِ من أنهارِ النهارِ ؛ وأتى اللهُ بِنِـيَانِ الكُفْرِ من القَوَاعِدِ ، وشفى غليلَ صُدُورِ المؤمنينِ بِرَقْرَاقِ ماءِ المَوْرِدَاتِ البَوَارِدِ . أنزل ملائكةً لم تَظْهَرِ للعيونِ اللَّاحِظِـه ، ولم تُخَفِّ عن القُلُوبِ الحَافِظِـه ؛ عَزَّتْ سِـمَاءُ الإسلامِ بِمَسْـوَمِـهَـا ، وترادفَ نَصْرُه بِمُردِّهَـا ، وأخذتِ القرىَ وهى ظالمةٌ قَرَى مُرْفِـيَـهَـا كَأَن لم تُؤوِّفِـهَـا ؛ فَمَ أقدَمَ بِهَـا حَيَـوْمَ ، ورَكَضَ فاتبعه سَحَابٌ عَجَاجٌ مَرَكُومٌ ، وضربَ فإذا ضربه كَآبُ حِرَاجِ مَرَقُومٍ ؛ وإلا فإنَّ الحروبَ إنما عُقدتِ سِجَالًا ، وإنما جمعتِ رِجَالًا ، وإنما دَعَتْ خِيفًا وَتِقَالًا ؛ فإِذَا سِـبُوفٌ تَقَاتِلُ سِـيُوفًا ، أوزُحُوفٌ تَقَاتِلُ زُحُوفًا ؛ فيكونُ حُدُّ الحَديدِ بِيَدِ مُدْكَرًا وبِيَدِ مَوْثَنًا ، وَيَكُونُ السِّيفُ فِي اليَدِ المَوْحِدَةِ يُعْنِي بِالضَّرْبَةِ المَوْحِدَةِ وَفِي اليَدِ المَثَلَّةِ لا يُعْنِي بِالضَّرْبِ مَثَلًا ؛ وذلكَ أَنه في فِتْنَتَيْنِ اتَّفَقَا ، وَعَدُوَّتَيْنِ لغيرِ مودَّةٍ ائْتَفَقَا . وَإِن هَذِهِ النُّصْرَةُ إِن زُويتِ عَن مَلَائِكَةِ اللهِ مُجِدَّتْ كِرامَتُهُمْ ، وَإِن زُويتِ عَن البَشَرِ قَد عُرفتِ قَبْلَها مَقاماتُهُمْ ؛ فإِذَا كانَ سِيفٌ يَتَّقِظُ من جَفْنِه قَبْلَ أَن يَنْبَهَ الصَّرِيحُ ، وإِذَا كانَ ضَرْبُ بَطِيرِ الهَامِ قَبْلَ ضَرْبِ رِياهِ النَّاطِرِ وَيَسْمَعُه المُصَيِّحُ ، فَمَ قَرِيَةٌ كَأَنَّها هِجْرَةُ المَوْتِ وَبِها التَّارِيحُ ، وَكَمَ طَعْنَةُ تَنْجِزِها هِضابُ الحَديدِ وَهَـا سَمَّارِيحُ .

والحمد لله الذي أعاد الإسلامَ جديداً نوره ، بعد أن كان جديداً حبله ، مُبِيضًا نَصْرُه ، مُحَضَّرًا نَصْلُه ، مَتَسِّعًا قَضْلُه ، مَجْتَمِعًا شَمْلُه . وَالخَلَامُ بِشَرْحِ من نَبِيِ هَذَا الفَتْحِ العَظِيمِ ، وَالنَّصِيرِ الكَرِيمِ ؛ ما يَشْرَحُ صُدُورَ المُؤْمِنِينَ ، وَيَمْنَعُ الحُبُورَ لكَافَّةِ المَسْلَمِينَ ؛ وَيُكْرِرُ البُشْرَى بِما أَمَرَ اللهُ بِهِ - من يَوْمِ الخَمِيسِ الثالثِ والعَشرِينَ من ربيعِ الأخرِ

(١) أى مقطوعاً قال الشاعر -

أبى حبي لسبى أن يبدا * وأسى حبلها خلقاً جديداً

فأ فى الأصل والضوء من الحاء المهمله امسال من الناصح -

إلى يوم الخميس منسحقه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسومًا سخرها الله على الكفار (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية) ورأيها إلى الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية ؛ فيوم الخميس الأول فُتحت طبريةُ وفاض رى النصر من بحيرتها ، وقصت على جسرِها القَرَجُ فَقَصَّت نَحْبَهَا بِحَيْرِهَا ؛ وفي يوم الجمعة والسبت كسر القَرَجُ الكسرة التي ملحم بعدها قائمه ، وأخذ الله أصداءه بأيدي أوليائه أخذ القري وهو ظالمه . وفي يوم الخميس منسحق الشهر فُتحت عكا بالأمان ، ورفعت بها أعلام الإيمان ؛ وهي أم البلاد ، وأخت إرم ذات الجِراد ؛ وقد أصبحت كأن لم تكن بالكفر وكان لم تنفقر من الإسلام .

وقد أصدر هذه المطالمة وصليب الصليب مأسور ، وقلب ملك الكفر الأسير جيشه المكسور مكسور ؛ والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه الإسلام ، قد صار حديداً مسلياً يفرق خطوات الكفر عن الأقدام ؛ وأنصار الصليب وبكاره ، وكل من المعمودية محمدته والدير داره ؛ قد أحاطت به يد القبضة ، وأخذ رهنا فلا تقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ؛ وطبرية قد رُفعت أعلام الإسلام عليها ، ونكصت من عكا ملة الكفر على عقبيها ، وعمرت إلى أن شهدت يوم الإسلام وهو خير يومها ؛ بل ليس من أيام الكفر يوم فيه خير ، وقد غُسل عن بلاد الإسلام بدماء الشرك ما كان يتخللها فلا ضرر ولا ضير ؛ وقد صارت البيع مساجدهم بها من آمن بالله واليوم الآخرة وصارت المناخر مواقف لخطباء المنابر ، وأهترت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطالما ارتفعت لمواقف الكافر ؛ والبأس الإمامي الناصري قد أمضى مشكاته على يد الخادم حتى بالدني في الكائس ، وإن عز أول الإسلام بمحمد تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا اليوم من تاج فارس .

فأما القتلى والأسارى فإنها تزيد على ثلاثين ألفا .

وأما قرُسان الديوية والاستبارية فقد أمضى الله حُكْمَهُ فِيهِمْ وَقَطَعَ بِهِمْ سَيْوْفَ نَارِ الْجَحِيمِ ، وَوَصَلَ الرَّاحِلَ مِنْهُمْ إِلَى الشَّقَاءِ الْمُقِيمِ ؛ وَفَتَكَ بِأَفْرَسِ الْكُفَّارِ ، وَمَشَيْدِ النَّارِ ، مَنْ يَدُهُ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَتْ يَدُ الْكَلِمِ ؛ وَأَفْتَرَّتِ النَّصْرَةَ عَنْ تَفَرُّعِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي يَسِّرُ فَتْحَهَا ، وَتَسَامَتَهَا الْمَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْأَمَانِ وَعَرَفَتْ فِي هَذِهِ الصَّفَقَةِ رِيحَهَا .
وَأَمَّا طَبْرِيَّةٌ فَافْتَرَّتْهَا يَدُ الْحَرْبِ فَانْهَرَتْ الْحَرْبُ بِجُرْحِهَا .

فَالْحَدُّ اللَّهُ حَمْدًا لَا تُضْرَبُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ ، وَلَا تُزَكَّى بِأَزْكَى مِنْهُ الْعُقُودُ ؛ وَكَأَنَّهُ بِالْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَدْ دَنَا الْأَقْصَى مِنْ أَقْصَاءِ ، وَبَلَغَ اللَّهُ فِيهِ الْأَمَلَ الَّذِي عِلْمُ أَنْ يُحْصِيَهُ وَأَحَاطَ بِأَجَلِهِ وَأَقْصَاءِ ؛ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَأَجَلُ الْمَدْوُذَةِ هَذِهِ الْكِتَابُ الْجَامِعُ ، وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَوَابٌ ، وَثَوَابٌ مَنْ هَدَى لَطَاعَتَهُ جَنَاتٌ نَعِيمَةٍ الْوَاسِعَةِ ؛ وَاللَّهُ الْمَشْكُورُ عَلَى مَا وَهَبَ ، وَالْمَسْئُولُ فِي إِدَامَةِ مَا اسْتَقْبَلَ مِنْ جَدِّ الْإِسْلَامِ وَهَبَ .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البُشْرَى نِيَابَةً عَنِ الْخَادِمِ ، وَوَصَفَ مَا سَرَّهُ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنَ الْعَزَائِمِ . وَالْبِلَادُ وَالْمَعَاوِلُ الَّتِي فَتَحَتْ هِيَ : « طَبْرِيَّةٌ ، عَمَّا ، النَّاصِرَةَ ، صَفُورِيَّةٌ ، قَيْسَارِيَّةٌ ، نَابُلُسُ ، حَيْفَا ، مَعْلِيَا ، الْقَزْلَةَ ، الطُّورَ ، الشَّقِيفَ ، وَقِلَاعٌ بَيْنَ هَذِهِ كَثِيرَةٌ . وَالْوَالِدُ الْمُظْفَرُ تَقَى الدِّينَ بِصُورٍ وَحِصْنَ بَيْنَيْنِ . وَالْأَخُ الْعَادِلُ سَيْفُ الدِّينِ نَصَرَهُ اللَّهُ قَدْ أَوْفَتْ (٩) بِالْوَصُولِ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ فَيَنْزِلُ فِي طَرِيقِهِ عَلَى غَزَّةٍ وَعَسْفَلَانَ ، وَيَجْهَزُ مَرَاكِبَ الْأَسْطُولِ الْمَنْصُورِ وَيُكَثِّرُ عَدَدَهَا ، وَيَسِيرُ بِهَا إِلَى تَفَرُّعِكَ بِالْمَحْرُوسِ وَيَسْتَحْنَهَا بِالرِّجَالِ وَيُوقِرُ سِلَاحَهَا وَعُدَدَهَا ؛ وَالتَّهْوُضُ إِلَى الْقُدْسِ فَهَذَا أَوْ أَنْ فَتَحَهُ وَلَقَدْ دَامَ عَلَيْهِ لَيْلُ الضَّلَالِ ، وَقَدْ آَنَّ أَنْ يَسْتَفْرِغَ فِيهِ الْمُدَى مَشْكُورَ الْإِحْسَانِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الخاصة ، إلى خلفاء بني العباس)

قال أبو جعفر النعمان : وقد يكتبُ الإمامُ بغير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تُنشأ الكتبُ بها من الدواوين . كما كتب القاسمُ بن عبد الله إلى المكتفي مهنيًا له بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، وأسألُ الله أن يعظمَ بركةَ هذا الأمرِ على أمير المؤمنين وعلى الأمةِ كافةً .

قال : والمستعملُ في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين ! وأعزّه وأيده ، وأتمَّ نعمته عليه ، وأدام كرامتهُ له .

ثم قال : وربما استُحضنتُ مكتبة المرءوس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب .

كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزّيه :

أما بعدُ فإنَّ أحقَّ من عَرَفَ حقَّ الله عليه فيما أخذ منه ، مَنْ عَظُمَ حقُّ الله عليه فيما

أبقاه له ، وأعلمُ أنَّ أبحر الصابرين فيما يُصابون أعظمُ من النعمة عليهم فيما يُعاقون فيه .

الطرف الخامس

(في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "مواد البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضلُ

صلواتِ الله وبركاته ، وأشرفُ رضوانه وتحياته ، على مولانا وسيدنا الإمام الفلاني

أمير المؤمنين ، وعلى آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين . إن كان له أبناء . فإن لم

يكن له أبناء قيل مكان الأكرمين : المنتظرين . ثم يقال بعد فضاء واسع : كتب عبد الموقف النبوي خلد الله ملكه ، من مقر خدمته بناحية كذا ، وأموراً ما عُدق به ورد إلى نظره منتظمة بسعادة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جده - والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً . ثم يقال : العبد يُنبئ كذا وكذا ينص الأغراض التي يُنبئ الكتاب على إنهاؤها وشرح حالها . قال : فإن كان الكتاب مبدئياً على المطلعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد فضاء يسير : "أنهى العبد ذلك ليستقر علمه بالموقف الأشرف" إن شاء الله تعالى . وإن كانت مبدئياً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : "ولولانا أمير المؤمنين صلى الله عليه الرؤى العالی في ذلك" إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرصه ، وهو :

صلوات الله الرأيه ، وتحياته الذكيّة الدأيه ، وسلامه الذي يتزل على الروح بالروح ، ويؤذن من رضا الله بأشرف موهوب وأكرم ممنوح ؛ وبركاته التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تُتقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المغنى عن المنتظر ، وحجة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ؛ وخليفة الله الذي زلت بمدحه مرتلات السور ، قبل مراتب السير ، وبعثه الله بالثور الذي لا يمكن الكافر من إطفائه ؛ وبرهان الله الذي لا يطمع الجاحد في إخفائه ؛ ونائب النبوة ووارثها ، ومحيي القلوب وباعثها ، ومفيض أسرار الأنوار وناقثها ؛ سيدنا ومولانا الإمام الفلاني : ولا زالت الأقدار له جوداً وجوداً ، والحديدان يسوقان إليه من أيامهما ولياها إماماً وعبيداً ؛ وعلى آبائه الذين سبقت لهم من ربهم الحسنى ، ورغبوا عن عرض هذا الأدنى ؛ ولا تسهم ولا تسهم على الحيان ، ولا ييم للثقلين أن ينفثوا ما لم يكونوا منهم

بِسُلْطَانٍ - وَعَلَى أبنائه وجوه الهدى البارزة من الأئمة ، وَأَيْدِي النَّدَى وَالْإِعْنَةَ وَالْأَيْسَةَ .

كتب عبد الموقف النبوي خلد الله ملكه من مقر خدمته بالمكان الفلاني ، وأمور ما عُدق به ورد إلى نظره على أتم حال وأكمله ، وأحسن نظام وأجمله ؛ بسعادة مولانا أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى جنده وآبائه الطاهرين . العبد يهني أنه لو أخذ في شكر المنن التي تُرقيه في كل يوم لهضاب بعيدة المرتقى ، وتورده بجمات قريبة المستقى ، وتوجب على لسانه أن يبذل جهد من استرسل وعلى قلبه أن يبذل جهد من أتقى ؛ لقصُر به الوصف ، وأعياء من ورق الجنة الخصف ؛ وكيف يُعاري من يده ديمة الله بقلبه ، أو كيف يتزح بحر الجود الذي يمدّه سبعة أبحر نعمه ، ولما ورد عليه التشریف بالسؤال الذي أحياه بنسيم روحه ، ونفخ فيه من روحه ؛ فوقع له ساجدا ، وثاب إلى السجود عائدا ؛ وبذل مع ضراعه الأتبال جاهدا ، وأخلص قرص الولاء معتقدا ورفع لواء الحمد عاقدا ؛ وكشف عنه الضر ، وأطلعت على وجهه النعم الغز ، وتكافأت الأنداد في محل عيشه فخل الحلو ومر المر ؛ وآتته من الدعوات إلى ما آتته به المرض ، وتقلل منه الجوهر الذي عُزل به العرض ، وصاح بمهجته السهام التي نعد بها العرض ؛ وكاد يشاهده مرتفعا به الضنى والألم ، وفعلت أنواره في ظلمته ما لا تفعل الأنوار في الظلم ، ولم يرد قبله حلو الأكل والآثر ، مأمون الموارد والمصادر ، مضمون الشفاء في الباطن والظاهر ، عادت القلوب على الأجسام بفضله ، وسطت العافية على الأستقام بفضله بل بفضله ؛ والله سبحانه يملك أعناق البلاد ، كما أجرى على يديه أرزاق العباد ، إن شاء الله تعالى . وكتب في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم

إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكاتبه إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء ، مع الإطناب في الإطراء في شأن الخليفة ومدحه والثناء عليه والدعاء له ، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين منعتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك ؛ والتعبير عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من ناء المتكلم ونحوها . كما كتب أبو المطرف بن المشني من إنشائه عن المنصور إلى هشام ابن الحكم يخبره بجران الصلح بينه وبين الموفق ، بعد ما كان بينهما من عدوة :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وأبن الأئمة الراشدين ؛ عزيزاً سلطاناً ، مُبيرا زمانه ؛ ساميةً أعلامه ، ماضيةً أحكامه ؛ ظاهرًا على من ناواه ، قاهرًا لمن عاداه ؛ كما يحبُّ - أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى على أحسن ما يكونُ عليه .

العبدُ الخالص ، والمولى المتخصّص ؛ الذي حسن مضمّره ، وأستوى سِرّه وجَهْره ؛ ولاح أستبصاره وجِدّه ، وتناهى سعيه وجُهدّه ؛ في مضمار الجرى إلى الطاعة ، وبذل إذعائه وأتقياده ، وأستعبد إمكانه وإجهاده ؛ فيما يقى بمكمن الإمامة المهدية ، والخلافة المرضية ، ويُسُدُّ مبانى المملكة المصدقة لتبشير النبي والبركة ؛ والله سبحانه وليّ العون والتأييد ، والملىّ بالتوفيق والتسديد ، لأرب غيرهِ .

وبعد - أبق الله أمير المؤمنين - فإن كتابي إليه سلف مُعرباً عن النزغة التي كانت بيني وبين الموفق مملوكه ، وقد بما نزع الشيطان بين المرء وصديقه ، والأخ وشقيقه ؛ وضرب ساعياً بالتشتيت والتشغيب ، والتبعيد والتقريب ؛ بين الأب الحاني الشفيق ،

والأبن البر الرفيق ؛ ثم يعود دُور البصائر والنهي ، وأولو الأحلام والمجما ؛ إلى ما هو
للشعنا أذهب ، وبالتجمال أولى وأوجب . وكتابي هذا وقد نسخ الله بيننا آية
الافتراق ، بالاتصال والاتفاق ؛ ومحاسنة التباين والخلاف ، وبدو التألف والإنصاف ؛
وعادت النفوس إلى صفائها ، وأنطوت على وفائها ؛ وحيث ناز الفتنة ، وامتد رواق
الهدنة ؛ وثبتت الأسباب الراسخة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة
القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ؛ والمعروف من الامتراج في كل الأحوال والتشابك
وجلاء الشك باليقين ، وقرت بالانتظام العيون ، وصرنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين
مولانا وسيدنا رضيي ليان ، وشريكي عنان ، وألقيت تأسر ، وخلق تظافر ؛ فنحن
عن قوس واحدة في بُصرتها نرمي ، ومن وراثتها ندودُ جاهدين ونحى ؛ قد فتنا الحياذ
في السبق إلى الطاعة ، وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايعة ؛ فما فتنا نسعى
في تمهدها ونذهب ، ولا ننفك نكح لها وننصب ؛ والله الكفيل بانجادنا بعزته
وقدرته ، وحولته وقوته ؛ لا إله إلا هو .

وإن الذي عقده الله تعالى لنا ، وحسبه من دواعي القطيعة عتبا ؛ ما أطرد وثأني ،
وسنح وتبياً إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا أعزّه الله ، ويمن نقيته ،
فمن تمسك بعروته وعاد بعصمته ، فقد فاز قدسه ، وتبجح في ظلم الأمور صبحه ؛
وأستدل بأوضح الدليل ، وعرض بالرأي الأصيل ؛ وأستنار بأضواء سراج ، وسلك
على أفضد منهاج ؛ ولم يزال الرشاد آراءه ، وصاحب السداد أحماء . والله تقديس اسمه
لا يزال يعزتنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويُسبح به آمالنا ، بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أراحه ؛ لم أجد في فسحة
ولا غنى ولا سعة ؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولاي وسيدي من ذلك على الخلية ؛

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضت إلى حضرته العالية ذا الوزارين عبد الرحمن بن مطروح
رسول وعبيد وخصتي مملوكه ليئبي إليه الحال على حقيقتها، ويوفيتها بكائتها؛
وأقرن به رسول الموفق، متحملاً مثل ما تحمله رسولي، ومتقلداً كالذي تقلده؛
ولأمير المؤمنين مولاي وسيدى الفضل العميم في الإصغاء إليهما، والوعى عنهما،
والسماح منهما جميع ما يوردانه ويوصحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطول
بالمراجعة فيه، بما يستوجب ويقتضيه، وأصلاً لعزيمته وأيديه؛ إن شاء الله تعالى.

الطرف السابع

(في المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس
وما معها من سائر بلاد أفريقيا، وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملك آخر)

والرسم فيه أن تفتح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون
الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمر المؤمنين. كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن:
أحد خلفائهم في سنة خمس وثمانين وخمسة، يستجيبه على الروم الفرج القاصدين
بلاد الشام والديار المصرية، وهو:

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين ؛
أبواب الميادين ، وأسباب المحاسن ، وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
من نصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كلّ رأى عليه الهوى رائئ ؛ ومكّن له
في هذه البسيطة بسطه ، وزاده بالعلم غيظه ؛ حتى يكون للأنياء بالعلم وللأرض
بالعزم وإرتاناً ، وحتى يُسَيّد بجاديت قديما من مجده الذي لا يزال بآص الحديث حادثا .

كان من أوائل عَزْمنا وفوايح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفتحاً دولة سيدنا ،
وأن نتيمن بمكاتبها ، ونقرّين بمخاطبتها ؛ ونهض إليها أمائل الأصحاب ، ونستسقي
معرفة آستسقاء السحاب ؛ وننتجعها بالخواطر ونجعل الكتب رسُلها ، وأيدي الرسل
سُلها ؛ وميسك طرفاً من جبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالمة طرفة ، وتمسح
عرة سبقي وارثها ووارث نورها سلفه ؛ وتجادب أعداء الله من الجانين ، لاسما
بعد أن ثبنا عنه نياتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمينية من ضلالة
أغضت عيون الأيام على قذآها ، وأنامت عيون الأنام بالعة بفظتها بكرآها ؛ ونياية
ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه ، ويزعج ببناء ضلاله
تأسيسه ؛ وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروجه أبهم آدم من الجنة ،
وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنة ، وما كانت لنا بذلك قوة
بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنة .

ولما حطت لدين الكفر تيجان ، وحطمت لذويه صُلبان ؛ وأخرس الناقوس
الأذان ؛ ونسخ الإنجيل القراء ؛ وفككت الصخرة من أسرها ، وحف ما كان على
قلب الحجر الأسود بخفة ما كان على ظهرها ؛ وذلك أن يد الكفر غطتها وعمرتها .
فنه الحد أن أحرمت الصخرة بذلك البُيان المُحيط ، وطهرها ما طر من دم

الكُفْر وما كان يُطَهِّرها البحر المحيط ؛ فهناك غلب الشرك وأقلب صاغرا ،
 واستجاش كافر من أهله كافرا ؛ واستغضب أنصاره النافره ، واستصرخ نصرانته
 المتناصره ؛ وتظاهرنا علينا وإن الله مولانا ، وطاروا إلينا زرافات ووحدانا ؛ فلم يبق
 طاعية من طواغيبهم ، ولا أنفية من أنافيرهم ؛ إلا ألجم وأسرج ، وأجلب وأرجم ، وأخرج
 وأخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ، وبعده وبعده ؛ وبذات صدره وبذات يده ،
 وبكائيه برآ ، وبمراكبه بحرا ؛ وبالأقوات للخيال والرجال ، والأسلحة والجنح لليمين
 والشمال ؛ وبالنقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع ، وأتلاف وصنفيهما في التفرع ؛
 وأنهض أبطال الباطل ، من فارس وراجل ؛ ورايح ونايل ، وحاف وناعل ،
 ومواقف ومقاتل ؛ كل خرج منطوعا ، وأهبط مسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن
 يستدعى ؛ وسعى إلى حتفها قبل أن يستسعى ؛ حتى ظننا [أن] في البحر طريقا يسا ،
 وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا ؛ قلنا : كيف ترك ، وقد علم أنه يدرك ؛
 وزادت هذه الحشود المتوافيه ، وتجاقت عنها الهمم المتجافيه ؛ وكثرت إلى أن خرجت
 من سجن حضرها ، ومستقر كفرها ، وبقية نعرها - وهو صور - فنازلت نعر عكا
 في أسطول ملك بحره ، وجمع سلك بره - فهضنا إليه ، ونزلنا عليهم وعليه ؛ فضرب
 معنا مصاف قتل في فرسانه ، وجدلت شجمانه ، وحذلت صلبانه ؛ وسأوى الضرب
 بين حاسر القوم ودارعهم ، وبرز الذين كُتِبَ عليهم القتل إلى مصاحمهم ؛ فهناك
 لأدوا بالخنادق يحفرونها ، وإلى السناثر ينصبونها ؛ وأخذوا إلى الأرض متقاتلين ،
 وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين ، وظاهروا بين الخنادق ، وراوحوا بين المجانيق ؛
 وكلما يمين القتل من عددهم مائة أوصلها البحر ممن يصل وراءه بألف ، وكلما قلوا
 في أعيننا في زحف ، قد كثروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دربة عساكرنا في البحر

(١) لعل هذا هو جواب الشرط أول الفقرة .

كُدْرَتِهَا فِي الْبَرِّ، لَعَجَلُ اللَّهِ مِنْهُمْ الْإِتِّصَافَ وَأَسْتَقْلَّ وَاحِدُنَا بِالْعَشْرَةِ وَمَا تَنَا بِالْأَلْفِ ؛
 وَفَدَّ أَشْهَرُ خُرُوجِ مَلُوكِ الْكُفَّارِ فِي الْجَمْعِ الْجَمِّ ، وَالْعَدَدُ الدُّهُمُ ، كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصَبِ يُوفِضُونَ ،
 وَعَلَى نَارٍ يُعْرَضُونَ ؛ وَوَصُولُهُمْ عَلَى جِهَةِ الْقِسْطَنِطِينِيَّةِ - بِإِسْرَائِيلَ فَتَجَهَّأَ - عَلَى عَزْمِ الْإِتِّتَامِ
 إِلَى الشَّامِ فِي مُنْسَلَخِ الشِّتَاءِ وَمَسْتَهْلِ الصَّيْفِ ، وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَمْ تَسْتَقْبِلْ ،
 وَإِلَى حَرِيمِهِمْ تَنَقَّلَ ؛ فَلَا يُؤْمِنُ عَلَى ثَنُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَطَرَّقَ الْعَدُوُّ إِلَيْهِمْ وَإِلَيْهَا ،
 وَيَفْرُغُ لَهَا وَيَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا ؛ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . وَإِذَا قُيِّمَتِ الْقُوَّةُ عَلَى تَلْقَى
 الْقَادِمِ وَتَوَقَّى الْمُقِيمِ ، فُرُبَّمَا أَضْرَبَ الْإِسْلَامُ انْقِسَامَهَا ، وَتَلَمَّهَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ انْتِلَامُهَا .

وَمَا تَخَصَّ النَّظْرُ زُبْدَهُ ، وَأَعْطَى الرَّأْيَ حَقِيقَةَ مَا عِنْدَهُ ؛ لَمْ تَرَلِمُ كَاثِرَةُ الْبَحْرِ إِلَّا
 بَحْرًا مِنْ أَسَاطِيلِهِ الْمَنْصُورَةِ فَإِنَّ عَدَدَهَا وَافٍ ، وَسَطَرُهَا كَافٍ ؛ وَبِمَكْنَهُ - أَدَامَ اللَّهُ
 تَمَكِينَهُ - أَنْ يَسُدَّ الشَّامَ مِنْهُ بَعْدَ كَيْفِيفٍ ، وَحَدَّ رَيْبِيفٍ ، وَيَمَهَّدَ إِلَى وَالِيهِ أَنْ يُقِيمَ
 إِلَى أَنْ يَرْتَبِعَ وَيَصِيفَ ؛ وَبِمَكْنَهُ أَنْ يَكْفُفَ شَطْرًا لِأَسْطُولِ طَاغِيَةِ صِقْلِيَّةٍ لِيَحْضُرَ
 جَنَاحُ قُلُوعِهِ أَنْ تَطِيرَ ، وَيَعْقِلَ عُبَابَ بَحْرِهِ أَنْ يُغَيِّرَ ، وَيَعْتَقِلَهُ فِي جَزِيرَتِهِ ، وَيَجْرِي
 إِلَيْهِ قَبْلَ جَرِيرَتِهِ ؛ فَيَنْهَبُ سَيْدَنَا وَعَقْبَهُ بِشَرَفٍ ذِكْرٌ لَا تُرَدُّ بِهِ الْحَمَامُ عَلَى عَقِبِهَا ،
 وَيُقِيمُ عَلَى الْكُفْرِ قِيَامَةً يُطْلِعُ بِهَا شَمْسَ النَّصْرِ مِنْ مَغْرِبِهَا ؛ فَإِذَا تَقَدَّ طَرِيقُهُ وَعَلِمَ
 النَّاسُ بِمُؤَيَّدِهِ ، أَوْرَدُوا وَأَصْدَرُوا فِي مَوْرِدِهِ ؛ وَشَخَّصَ الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ : هَذَا يَنْظُرُ
 بُشْرَى الْبِدَارِ ، وَهَذَا يَسْتَظِلُّ لِمَنْ تَكُونُ عُقْبَى الدَّارِ ؛ وَخَافَ وَطَاءَ مَنْ يَصِلُ
 مِنْ رِجَالِ الْمَاءِ مَنْ وَصَلَ مِنْ رِجَالِ النَّارِ . وَلَوْ بَزَقَتْ عَلَيْهِمْ بَارِقَةٌ غَرِيبِيَّةٌ لِأَغْرَفَهُمْ
 طُوفَانُهَا ، وَلَوْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ جَارِيَةٌ بِحَرِيَّةٍ لَنَعَقَتْ فِيهِمُ بِالشِّتَاءِ غَيْرَ بَأْتِنَا .

وَمَا رَأَيْنَا أَهْلًا لِهَذِهِ الْعَزْمَةِ إِلَّا حَضْرَةَ سَيْدِنَا أَدَامَ اللَّهُ صِدْقَ حُبِّهِ الْخَيْرِ فِيهِ ،
 إِذْ كَانَ مَتَحَهُ عَادَةً فِي الرِّضَى بِهِ وَقُدْرَةَ عَلَى الْإِجَابَةِ ، وَرَغْبَةَ فِي الْإِنَابَةِ ؛ وَوَلَايَةَ لِأَمْرِ

(١) كَذَا فِي الْأَسْوَالِ وَلَمْ نَبْرُ عَلَيْهَا فِي رِسَالَتِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ .

المسلمين ، ورياسةً للدنيا والدين ، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ؛
وَعْضَبًا لله ولدينه ، وبَدَلًا لِمَدُخُورِهِ فِي الذَّنْبِ عَنْهُ دُونَ مَا عَوَدَهُ ؛ وَالآنَ نَقَدَ خَلَا
الإسلام بِلَائِكَتِهِ ، لِمَا خَلَا الكُفْرُ بِشِيَاطِينِهِ ؛ وَمَا أَجَلَتِ السُّوَابِقُ إِلَّا لِإِطْلَاقِهَا ،
وَلَا أَثَلَتِ الذُّخَاثِرُ إِلَّا لِإِنْفَاقِهَا ؛ وَقَدْ اسْتَشْرَفَ الْمَسَامُونَ طُلُوعَهَا مِنْ جِهَتِهِ الْمَحْرُوسَةِ
جَارًا مِنَ الْأَسَاطِيلِ تَغْنِيهِ الْبِحَارُ ، وَلِيَالِيٍّ مِنَ الْمَرَكَبِ تَرَكَبُ مِنَ الْبَحْرِ النَّهَارِ ؛
وَإِذَا خَفَقَتْ قُلُوبُهَا خَفَقَتْ لِلْقِلَاعِ قُلُوبُ ، وَإِذَا تَجَافَتْ جُنُوبُهَا عَنِ الْمَوْجِ تَجَافَتْ
مِنَ الْمَلَاعِينِ جُنُوبُ ؛ فَهِيَ بَيْنَ تَغْرِ كُفْرٍ تَعْتَقِلُهُ وَتَحْصُرُهُ ، وَبَيْنَ تَغْرِ إِسْلَامٍ تُفْرَجُ
عَنْهُ وَتَنْصُرُهُ ، يَكُونُ بِهَا مَصَائِبُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ (٩) وَتَقَالُ قَلَانُدُ الْمُشْرِكِينَ لِقُرْبَانِ بَحْرِهِ
طَرَانِدُ ، وَبِمَضَى سَيْفِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَيُعَلِّمُ مَعَهُ أَنَّ سَيْفَ اللَّهِ خَالِدٌ ؛
أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَا يَزِيدُ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا مِنْ عِزِّهَا ، فِيمَا مَدَّ عَلِيَّهَا مِنْ ظِلِّهَا ،
وَبِمَا يُسَكِّنُهُ مِنْ حِرْزِهَا ، فِيمَا يَبْسُطُ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِهَا مِنْ بَأْسِهَا وَيُنَزِّلُ بِهِمْ مِنْ
رِجْزِهَا ، وَبِمَا يَجْرِدُهُ مِنْ سِيوفِهَا الَّتِي تَقَطِّعُ فِي الْكُفْرِ قَبْلَ سَلِّهَا وَهَزْأِهَا .

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا ، وهو الداعي المُسْمِعُ ، وَالْمَبْلَغُ الْمُقْنِعُ ،
وَالْمَجْمَعُ الْمُسْتَجْمَعُ ؛ عَلِمْنَاهُ أَمْرًا بِسْرًا ، وَبِوَأَنَاهِ الصِّدْرِ فَكَانَ وَجْهًا ، وَأَوْدَعْنَاهُ السَّرَّ
فَكَانَ صِدْرًا .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتبة صادرة عن بعض الأئمة)

والرسم فيه أن تُسَمَّعَ الْمَكْتَبَةُ بِالِدَعَاءِ بِطُولِ الْبَقَاءِ ، مِثْلَ أَنْ يَكْتُبَ أَحَدُ أَتْبَاعِهِ
إِلَيْهِ ؛ وَيَعْبُرُ الْمَكْتُوبُ عَنْهُ عَنِ نَفْسِهِ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَعَنِ الْخَلِيفَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
كَمَا كَتَبَ أَبُو الْيَمِينِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ دَوْلَتِهِمْ إِلَى بَعْضِ خُلَفَائِهِمْ جَوَابَ كِتَابٍ وَرَدَ
بِالْكَشْفِ عَنْ عَامِلِ تَغْرِ شَقُورَةَ .

« أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وناصر الدين والدنيا بفضلہ العميم ؛ ولا يرحت مصالح العباد بباله الكريم جائلةً مائله ، وسيرته الحميدة لدانيم وقاصيمهم شامله كافيه ، ولا زال لله في أرضه بالقسط قائما ، وعلى ما ينفع الناس محافظا دائما .

كتبته - أيد الله أمره ! صدر جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعد امتثال ما حثه ، والانتهاه إلى ما وجب الانتهاه عنده ، من أمر نغر شقورة حرسه الله !

على ما أنص من مناقله ، وأعرض مراتبه ومنازله ؛ وذلك أن كتابه العزيز وافاني على يد رجل من أهلها فيه فصول رفعا ، وأحاديث سطرها وجمعها ؛ وأندرج الكتاب المرفوع بذلك طيه ، لينظر إليه من ادعى عليهم رفعه ، ويستبين حقيقته أو وضعه ؛ وبإبطاء هذا الرفع سبقته الأبناء ، وأستقرت عند جمعها الأفاضل والأئمة ؛ فأجتمعا إلى عاملهم فلان وفقه الله ، وحضرهم حاكم الجهة أبقاد الله ؛ وتبعوا تلك الوجوه بالرد لها ، والإنكار على القائم بها ؛ وعقد وافى كل عقد منها عقدا يناقضه ، وأستظهروا بشهادات تافيه وتعارضه ؛ وأندرجت العقود ، ثابتة في كتاب الحاكم على السبيل المعهود في إثبات العقود ؛ فثبتت عندي لثبوتها عنده ، وخاطبوني مع ذلك متبرين من هذا الرفع ، واضعين له في عقله ودينه بأحط المواضع ؛ وصرخوا بأرتضائهم بسيرة عاملهم وأغباطهم بحايته وسداد نظره ، وعلى تيقه ذلك وصل هذا الرفع بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قدمت ذكره ؛ فاستأنفت النظر ، وأعدت العمل ، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم ؛ وأردفت الكتاب المرفوع ليقفوا على نصه ، وينظروا إلى شخصه ؛ فراجعوني أنه لا مزيد عندهم على ما قدموه ، ولا خلاف فيما نقلوه وأحكوه ، وأحالوا على ما ثبت به العقود ، وهي من الناس المقاطع والحُدود ؛ فأقتضى النظر إعلام أمير المؤمنين وناصر الدين أعلى الله أمره ، حسب ما حثه ، بما وقعت عليه الحال ، ليرتفع الإشكال ،

ولا يتعلق بهذه الحلية البال ؛ وقد أدرجت إلى حضرته السامية الكتب المذكورة
تعرض عليها، وتستقر الحلية منها لديها؛ إن شاء الله .

وأندرجت العقود إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله، والله يشكر لأمر المؤمنين
وناصر الدين تحريه وأجهاده، وتوفيقه وسداده ؛ ويوالي من والاه، ويكيد
من عاداه. ولو كانت الحال بسقورة على ما صوره هذا الراجح لما أنطوت عنى أسرارها،
ولا [خفيت على] على البعد أخبارها؛ وسنوف إلى فلانة^(١) بين، وهو مقترح متدين،
وعضده على ما هو بسبيله في ذلك الثغر متعين ؛ والله يسر الجميع إلى ما يقضى
حقوق النعمة، ويقيم فروض الخدمة؛ بعونه وقدرته ! .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بألقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالصدر معبرا عن المكتوب
عنه بالعيد . ومخاطبا للخليفة بيمين الجمع للتعظيم ، ويختم الكتاب
بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد
خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة
المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلالهم ، وقياً ظلالمهم ، وبوا
وؤود السعود ووجود الظهور والصعود مواطنهم المقدسة وحلالهم .

(١) كذا في الأصول وعليه علامة توقف ولعله وتعطف والى فلانة الخ والمراد برأيه مما نسب إليه .

عبدكم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناسحة في خدمتهم ،
المتسبب إلى الرزقى عندهم بالتزام طاعتهم ، والأعتصام بعصبتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقامِ الأعلى ، والنبيُّ الذي أُسس بنيانُه على تقوى من الله ورضوان
وأحتوى على الفضائل وأستولى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنَّاه لطاقمكم
قُطْب ، ولسانُه بشكر نعمتكم رُطْب ؛ فبتلك رجاءُ الفوز ، وبها ابتغاءُ نيلِ الآمال
والخوْز ؛ وكيف لا يطاوعه الجنان ، وشكر اللسان مسيِّمة لإدرار الإحسان ؛ وللمقام
الأسنى عوارِف ، لا يتقلَّص ظلُّها الوارف ، وقطراتُ بالرحمة مسطَّراتٌ يمدِّرار بحباها
الواكف ؛ وقد كانت للعبدِ سهام ، فاضت عليه بها من النعمة رِهام ؛ ثم حَزَّر الماءُ
باسترجاعها الآن ، وسقى العبدُ بانتزاعها كأسَ الحُزْن مَلات ؛ ووردت لك بهذه
الجهة أقطع المواساة ، وأمتناع الألسن بالمكابدة لشطف العيش والمُقاساة ؛
والى المقامِ الأعلىِ الأسنى نَفَرع حين نَفَرع ، ونَهَب حين تَرَجو ونَهَب ، ونلجا
فلا تَوَخَّر طلباتنا ولا تُرجا ، وخدمةُ العبد هذه تتوبُّ عنه في تقبيل ذلك المقامِ الأسنى ،
والتعرض لما عهد لديه من نفعات الرضى ، والتصرُّع في إدرار ما حَزَّر من تلك
المنَّة ، وغِيض من قِيض تلك النعمى ؛ ويُنهى من رغبته في بركة تلك الأدعيه ،
التي هى تحيرات كالأوعيه ؛ ما يرجوه بشفاعة تأكُّد الأمتنان ، ومجرَّد عوارِف الرأفة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى يُبى المقامِ الأعلى والنصر له مظاهر ، والخير لديه مظاهر ،
والسعد لوليِّه ناصر ، واعدوه قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا ربَّ غيره ، ولا خير
إلا خيرُه ؛ والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم ، يستأذنه في وفاة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مُناضياً لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والإحسان بما يجلو نوره مراكم الإنظام ؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي يعقوب ابن ساداتنا الخلفاء الراشدين ؛ وصل الله لها إسعاد القدر ، وإيجاد النصر والظفر ؛ ولا زال مقامها الأعلى ساجي النظر ، مبارك الورد والصدر ؛ ويفيض منه الجود ، فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأة أيامها العز ، ورفق إنعامها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدها وابن عبدها فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، تخص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته . وبعد فكتب العبد - كتب الله لتمام الأعلى فتوحا بجمع الأمصار ، وسعوداً يقضي بقل السمر الطوال والبيض الفصار - من بلنسية ، وبركاته تظهر ظهور النهار ، ويفيض على البلاد والمباد فيض الأنهار ، فالتلق من وارد في سلسلها المعين ، وراج للذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ، والله يبي عز الإسلام ببقائه ، ويعيننا على أمثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بئنه .

(١)
وقد تفرّقه من المقام الكريم - أدام الله علّوه ، وكبّت عدوه ؛ أمر بالسك -
وظال ماله في البلاد الأرغونية من زعامة في شأوها برز ، ولغائيتها أحرز ؛ وكان
قد كفّل صاحب أرغون في الزمان المتقدم كفالة دار أمرها عليه ، وألّف زمامها
إليه ؛ وتفرد منها بعبء وحمله ، وخطة بلغ منها أملة ؛ ثم إنه حطّ من رُتبته ،
وتأكدت المبالغة في نكته ؛ لقضية عرضت له مع أهل أرغون ، فلفظته تلك
الجنّات ، وأزعجه أمر لم يمكنه عليه الثبات ؛ ورأى أن يلجأ بجاله إلى المقام الباهر
الأتوار ، العزيز الحوار ؛ فواصل هذا الموضع قبل مقدّم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي ترض لطلبه ؛ فأذن له في مقصده ، وأنصرف عن التأهب
للحركة من بلده ؛ ثم لما وصل العبد هذه الجهة وقَرغ هو من شأنه أقبل متوجّهاً إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضله العميم ؛ والظاهر من حنقه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطيعة بينه وبينهم ؛ أنه إن صادف وقت فنة
معهم ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العالی أيده الله فينتهي من نكايتهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مُفضية به إلى ذك الشار ؛ وكثير من زعماء أرغون
ورجالها أقاربهُ وفُرسانه ، وكلّهم في حبله حاطب ، ولإنجاده متى أمكنه حاطب ؛
وللقام الكريم أعلى الرأي فيه أبقاه الله شافياً للعلل ؛ وكافياً طوارق الخطب الجلل ،
مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف الملل ، وهو سبحانه يُديم سعادة جدّه ، ويخصّه
من البقاء الذي يسرّ أهل الإيمان ويضعف بهجة الزمان بأطوله وأمدّه ،
والسلام .

(١) كذا في الأصول بالاممال وعليه علامة التوقف ، ولم يند إليه .

الأسلوب الثالث

(أن تُفتَحِ المكتبةُ بأوصافِ الخلافةِ والثناءِ عليها، والخطابُ فيه بأمرِ المؤمنين
وعن المکتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكتبات البديعة المُسْفِرة عن صُبحِ البلاغة .

ونسختُها بعد البسطة على ما كتب به آبن الخطيب عن سلطانه آبن الأحمر
صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ
بالأندلس . والأستفتاح :

الخلافةُ التي ارتفعت عن عقائد فضلها الأصيلِ القواعدِ الخِلافِ ، واستقلت مَباني
نجرها الشائع وعِزَّها الذائع على ما أسسه الأسلاف ، ووجب لحقها الحازم وقَرَضها
اللازم الاعتراف ، ووسعت الآملين لها الجوانبُ الرحبية والأخفاف ، فامتزجت بعلاتها
المُنيفة ، وولَّاتها الشريف ، كما أمتزج الماء والسلاف ، وتناؤنا على مجدها الكريم ،
وفضلها العميم ، كما تآرجت الرياضُ الأفواف [لما زارها القمامُ الوكاف^(١)] ودعاؤنا بطول
بقائها ، واتصالِ علامتها ، يسعُوه إلى قرع أبواب السموات العُلا الاستشراق ؛
وحِرضنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضيلها العميمة ، لانهضه الحدود ولا تُدركه
الأوصاف ؛ وإن عُدَّ في التقصير ، عن نبيل ذلك المرام الكبير ، الحق والإنصاف . خلافةُ
وجهة تعظيمنا إذا توجهت الوجوه ، ومن نُؤثره إذا همنا ما نرجوه ، ونُقديه ونُبديه
إذا استمنح المحبوب وأستدفع المكروه ؛ السلطان [الخليفة^(١)] الجليل ، الكبير ، الشهير ،
الامام ، الهام ، الأعلى ، الأوحده ، الأصمده ، الأسعده ، الأسمى ، الأعدل ، الأفضل ،
الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأرضي ، الأحفل ، الأكل ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من كتاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤

أبن الخليفة الإمام البطل الهمام، عين الأعيان، وواحد الزمان، الكبير، الشهير،
الظاهر، الظاهر، الأوحى، الأعلى، الحبيب، الأصيل، الأسمى، العادل،
الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، الماجد، الكامل، الأرضي، المقدس، أمير المؤمنين
أبي يحيى أبي بكر، أبن السلطان الكبير، الحليل، الرفيع، الماجد، الظاهر، الطاهر،
المعظم، الموقر، الأسمى، المقدس، المرحوم أبي زكريا، أبن الخليفة الإمام، المجاهد الهمام
[الكبير الشهير، الخطير، بطل الميدان، مفضّر الزمان، الطاهر الظاهر، الأسمى المقدس
الأرضي أمير المؤمنين أبي إسحاق أبن الخليفة] الهمام الامام ذى الشهرة الجاهة، والمفاخر^(١)
الواضحة، علم الأعلام، نورا السيوف والأقلام، المعظم، المنجد، المقدس، الأرضي،
أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبي عبد الله بن أبي زكريا أبن عبد الواحد بن أبي حفص
أبقاه الله، ومقامه مقام إبراهيم رزقا وأمانا، لا ينحصر جلب الثمرات إليه وقتا ولا يعين
زمانا، وكان على من يتخطف الناس من حوله مؤيدا بالله معانا. معظم قدره العالى
على الأقدار، ومقابل داعى حقه بالأبستدار، المنثني على معاليه المخلدة الآثار،
فى أصبونة النظام والنثار، ثناء الروضة المعطار على الأمطار، الداعى إلى الله بطول
بقائه فى عصمة منسيلة الأستار، وعزّة ثابتة المرّكز مستقيمة المدار، وأن يختم له
بعد بلوغ غايات الأجال ونهايات الأعمار، بالزلفى وعقبي الدار.

سلام كريم كما حلت نسيات الإنحار، أحاديث الأزهار، وروى ثغور الأفاحي
والبهار، عن مسلسلات الأنهار، وتجلّى على منصّة الأشتهار، وجه عروس النهار،
[ينحصر خلافتكم الكريمة النّجار]^(١) العزيرة الجار، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى أحنى حكته البالغة عن أذهان البشر، فصجزت عن قياسها،
وجعل الأرواح كما ورد فى الخبر، أجنادا مجنّدة تحن إلى أجناسها. مُنجد هذه

(١) الزيادة من "ربحانة النّجّار".

الملكة ، من أوليائه الحلة ، من روض الآمال بعد شماسها ، وييسر الأعراض قبل
آتماسها ، ويعنى بتجديد المودات في ذاته وأبتغاء مرضاته على حين إخلاق لباسها ،
الملك الحق واصل الأسباب بحوله بعد أنتكاث أمراسها ، ومغني النفوس بطوله
بعد إفلاسها - حمدا يدر أخلاف النعم بعد إنساسها ، ويثبتر رم الآمال من أرماسها ،
ويقدس النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاسها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله سراج الهداية ونيراسها ، عند
آقنائه الأنوار وآقتباسها ، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها ، ومصطفى الله من
بين ناسها ، وسيد الرسل الكرام ما بين شيئا وإلباسها ، الآتي مهينا على آثارها
في حين قترتها ، ومن بعد نظرتها وأستناسها ، مرغم الضراغم في أخياسها ، بعد آقترارها
وآقتراسها ، ومعقر أجرام الأصنام ومضميت أجراسها .

والرضا عن آله وأصحابه وعترته وأحزابه حمة شرعته البيضاء وحراسها ، وملقح
غراسها ، ليوث الوغى عند آحتدام مراسها ، ورهبان الرجاء نكفل بنباجة السمع
العليم ، في وحشة الليل البهيم ، بإيناسها ، وتفاوح نواسم الأصحار عند الاستغفار
يطيب أنفاسها .

والدعاء لخلافتكم العلية المستنصرية بالسعادة التي تشتمع أیدی العزة القساء من
أكواسها ، ولا زالت العصمة الإلهية كفيلا باحترامها وآحتراسها ، وأنباء الفتوح ،
المؤيدة بالملائكة والروح ، ربحان جلاسها ، وآيات المفارقة التي ترك الأول للآخر ،
مكتبة الأسطار بأطراسها ، ومبادئ الوجود تجالا لجياد جودها وباسها ، والعز
والعدل منسوين لفسطاطها وقسطاسها ، وصفيحة النصر العزيز تفيض كفيها
المؤيدة بالله على رياسها ، عند آهتياج أضدادها وشرة إنكاسها ، لآتهاب البلاد
وآتماسها ، وهبوب رياح رياحها وتمرد مرداسها .

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتاب نصره أمدادا تُدعِنُ أعناقُ الأنام ،
 لطاعة ملككم المنصورِ الأعلام ، عند إحساسها ، وآناكم من آيات العنايات آية
 تُضرب الصخرة الصماء من عصاها بعصاها فتبادر بانجاسها - من حراء غمرناطة -
 حرسها الله - وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام
 لولائها وأعراسها ، وطواعين الطعان ، في عقد الدين المعان ، تجدد عهدنا
 بعام عمواسها .

والحمد لله خدأ يعيد شوارِدَ النعم ، ويستدر مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من
 أنتكاب الجُدود وأنتكاسها ، ولَى الآمال ومكاسها . وخلافكم هي المثابة التي
 يزهى الوجود بحماس مجدها زهو الرياض يوردها وآسها ، وتُستمد أضواء الفضائل من
 مقباسها ، وتزوي رُوءاة الإفادة والإجادة غريب الوجدادة عن فتحها كها وعماسها ،
 وإلى هذا أعلى الله معارج قدركم وقد فعل ، وأنطق بحجج نقركم من احتفى وأنتعل ؛
 فإنه وصلنا كتابكم الذي حَسِبناه على صنائع الله لنا تيممة لاتقع بعدها عين ، وجعلناه
 على حلال مواهبه فلا دة لا يُحتاج معها زين ، ودعوانه من جيب الكتابة آية بيضاء الكتابة
 لم يبق معها شك ولا مئين ، وقرأنا منه وثيقة ود هضم فيها عن غريم الزمان دين ؛
 ورأينا منه إنشاء ، خدَم البراع بين يديه وشاء ، وأخترع بهيمان عقده مشاء ، وسئل
 عن معانيه الاختراع فقال : إنا أنشأناهن إنشاء ؛ فأهلاً به من عربى أنى يصف
 السامح وألبانه ، ويبين فيحسُن الإبانة أذى الأمانة ، وسئل عن حيه فأنتمى إلى كئانه ؛
 وأفصح وهو لا ينيس ، وتهللت قسماته وليل حبره يعيس ؛ وكان خاتمه المقفل على
 صوانه ، المُتحف بياكر الورد في غير أوانه ، رَعَف من مسك عُنوانه . والله من قلم

دَبَّحَ نَلَكَ الْحَلَّالِ ، وَتَقَعَ مِحْجَاجَ الدَّوَاةِ الْمُسْتَمْتِنَةِ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ الْغُلَّالِ ؛ فَلَقَدْ تَخَارَقَ
 فِي الْجُودِ ، مُقْتَسِدِيًا بِالْخِلَافَةِ الَّتِي خَلَّدَ نَحْرَهَا فِي الْوُجُودِ ؛ بِغَادِ بَسْرِ الْبَيَانَ وَلُبَابِهِ ،
 وَتَمَحَّحَ فِي سَبِيلِ الْكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَبَمَحَّحَ لِفَرْطِ بَشَاشَتِهِ وَفَهَامَتِهِ ، بِمَدِّ شَهَادَةِ
 السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَهَشَى مِنَ التَّرْحِيبِ فِي الطَّرْسِ الرَّحِيبِ عَلَى أُمَّ هَامَتِهِ .

وَأُكْرِمَ بِهِ مِنْ حَكِيمٍ أَفْصَحَ بِمَلْفُوزِ الْإِكْسِيرِ ، فِي الْفَلْظِ الْيَسِيرِ ، وَشَرَحَ بِلِسَانِ
 الْخَبِيرِ ، سِرَّ صِنَاعَةِ التَّنْدِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَدِمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ أَشْتِجَارِ
 الْجِلَادِ ، فَاتَّرَتْهُ بِالطَّارِفِ مِنْ سِحْرِهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ عَثَرَ بِالْمَعْفَى ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةَ الْمَطْلُوقَةَ ؛
 بِدَفِينَةِ دَارِ ، أَوْ كَتَرَتْ نَحْتِ جِدَارِ ، أَوْ ظَفِرَ لِبَانِ الْحَنَابَا ، قَبْلَ أَنْ تَقْطَعَ بِهِ عَنْ أَمَانِيَّتِهِ
 الْمَنَابَا ، بِبِدْيَعَةٍ ، أَوْ خَلَّفَ بِحَرِيرِ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنَازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدَيْعِهِ ؛ أَوْ أَشْهَمَهُ
 أَبْنُ أَبِي سَرْحٍ ، فِي نَسَبِ اللَّفْتَحِ وَسَرْحٍ ؛ أَوْ حَسَمَ لَهُ رَوْحُ بْنُ حَاتِمٍ بِيُلُوعِ الْمَطْلَبِ ،
 أَوْ غَلَبَ الْحَلُوظَ بِمُخْدَمَةِ آلِ الْأَغْلَبِ ؛ أَوْ خَصَّصَهُ زِيَادَةُ اللَّهِ بِعَزِيدِ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْعَةَ
 فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي يَزِيدٍ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِثْنَجٍ ، فِي مُنَاصَحَةِ بَنِي صِنْهَاجٍ ، وَفَضَّحَ بِتَغْلِيدِ
 أَمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجٍ .

وَأَعْجَبَ بِهِ ! وَقَدْ عَزُرَ زَمَنُهُ مِثْنَى الْبَيَانِ بِثَالِثِ ، بِغَلَبِ سِحْرِ الْأَسْمَاعِ ، وَأَسْتَرْقَاقِ الطَّبَاعِ
 بَيْنَ مَتَانِي الْإِبْدَاعِ وَمَتَالِثِ . كَيْفَ أَقْدَرَ عَلَى هَذَا الْمُجِيدِ ، وَنَاصِحِ مَعَ الثَّلَاثِ مَقَامِ
 التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَفْزِرُ اللَّهَ وَلِيَّ الْعَوْنِ ، عَلَى الصَّمْتِ وَالصَّوْنِ ، فَالْقَلَمِ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ
 الْكَوْنِ ، وَالْمُتَّصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أَوْلَى الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجِسْمِ وَصُفْرَةِ
 اللَّوْنِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كَرَامَةٌ فَارُوقِيَّةٌ ، وَأَنَارَةٌ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةٍ وَبِقِيَّةٍ ؛ سَفَرَ وَجْهَهَا
 فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طُولِ الْإِرْتِقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابٍ ، عَنْ كَرِيمِ
 جَنَابٍ ؛ وَإِصَابَةُ السُّنَمِ لِسِوَاهُ مَحْسُوبَةٌ ، وَإِلَى الرَّامِي الَّذِي سَنَدَهُ مَنَسُوبَةٌ ، وَلَا تُشْكِرُ

على الغمام بارقه ، ولا على المتحققين بمقام التوحيد كرامةً خارقه ، فإشاهه الفضل من غرائب برّ وجد ، ومحارِبِ خُلُقِ كريم رُكِعِ الشُّكْرِ فيها وسجّد . حديقه بيان استنارت نواسيم الإبداع من مهبطها ، واستزارت عمائم الطّباع من مصبها ، فأتت أكلها مرتين بإذن ربّها ؛ لا ، بل كتيبة عزّ طاعتت بقنا الألفات سطورها ، فلا يرومها النقد ولا يطورها ، وزعت عن قسيّ الذنوات خطوطها ، وأصطفت من بياض الطرس وسواد النفس بلىً تحوطها .

فأكأس المدير ، على الندير ، بين الخورق والسدير ، تقامرُ بندَ الحباب ، عقولَ ذوي الأسباب ، وتغرّق كسرى في العباب ، وتهدى وهي الشمطاء نشاط الشباب ؛ وقد أسرج ابن سريج وألجم ، وأفصح الغريص بعد ما ججم ، وأعرب السائى الاتجم ، ووقع معبد بالفضيب ، وشرعت في حساب العقد بنان الكف الخضيب ؛ وكان الأنايل فوق مئالت العود ومثانيه ، وعند إغراء التقييل بنانيه ؛ وإجابة صدئ الغناء بين مغانيه ؛ المرأود تُسرع في الوثى ، أو العناكب تُسرع في المنى ؛ وما الخبر نبيل الرغائب ، أو قديم الحبيب الغائب ؛ لا بل إشارة البشير ، بكم المشير على العشير . بأجلب للسرور ، من زائره الملقى بالبرور ؛ وأدعى للعبور ، من سفيره المبهج للسفور ؛ فلم ترملة من كتيبة كتاب تُعجب الجرد [عرج] في الأرسان ، وتشفوف مجالى ظهورها إلى عرائس الفرسان ؛ وتهزّ معاطف الأرتياح ، من صريلها الصراح ، بالنغرات الحسان ، إذا وجدت الصريح نازعت أثناء الأعتد ، وكاثرت بأسنة آذانها مشرعة الأيسنة ، فإن أدعى الظلم أشكالها فهو ظالم ، أو نازعها الظبي هواديبها وأكفاتها فهو هاذا أو حالم ، وإن سُئل عن عُيوب الغرر والأوضاح ، قال مشيراً إلى وجوهها الصباح ، جلدة بين العين والأنف سالم ؛ من كلّ عبّل الشوى ،

مُسَابِقٍ لِلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، سَامِي الثَّلِيلِ ، عَرِيضٍ مَا نَحْتِ الثَّلِيلِ ، مَمْسُوحَةٍ أَعْطَافَهُ
يَمْتَدِيلِ النَّسِيمِ البَلِيلِ : مِنْ أَحْمَرَ كَالْمَدَامِ ، تُجَلَّى عَلَى النَّدَامِ عَقِبَ النَّدَامِ ، أُتْحَفَ
لُونُهُ بِالْوَرْدِ ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ ، وَحِيَّ أَفْقَ حِيَاهِ بِكَوْكَبِ السَّعْدِ ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
إِلَى عَدِّ مَحَاسِنِهِ فَأَعْيَتْ عَلَى الْعَدِّ ، بِحَرِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدِّ ، وَرِيحٌ تَبَارَى الرِّيْحَ عِنْدَ
السَّدِّ ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ ، حَكَمَ لَهُ مَدِيرُ فَلَكِ الْكَفَلِ بِاعْتِدَالِ فَضْلِ الْقَدِّ ، وَمِيزَهُ قَدْرُهُ
الْمُيَزُّ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ ، بِقَصَبِ السَّبَاقِ ، عِنْدَ اعْتِبَارِ الْحَدِّ ، وَوَلَدَ مَخْطُطَ عُرَّتِهِ أَشْكَالَ
الْجَمَالِ ، عَلَى الْكَلِّ ، بَيْنَ الْبِيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَنَقَاءِ الْحَدِّ ، وَحَفِظَ رِوَايَةَ الْخَالِقِ الْوَجِيهِ
[عَنْ حَدِّهِ الْوَجِيهِ] ^(١) وَلَا تُنْكَرُ الرِّوَايَةُ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْحَدِّ - وَأَشْفَرُ أَبِي الْخَالِقِ وَالْوَجِيهِ الطَّلُقُ
أَنْ يَحْفَرُ كَأَمَّا صَبِحَ مِنَ الْعَسْجِدِ ، وَطُرْفَ الْبَدْرِ وَأَنْعَلَ بِالزَّبْرِجَدِ ، وَوَسِمَ فِي الْحَدِيثِ
بِسِمَةِ الْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ ، وَأَخْتَصَّ بِقَلْبِ الْخِصَامِ ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَعْرَكَةِ ، وَأَفْرَدَ بِمُضَاعَفِ
السَّمَامِ [الْمَنْكَسِرَةِ عَلَى الْهَامِ] فِي الْفَرَائِضِ الْمَشْتَرَكَةِ ، وَأَنْصَفَ فَلَكَ كَقَلْبِهِ بِحَرَكَتِي
الْإِرَادَةِ وَالطَّبْعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ ، أَصْفَى إِلَى السَّمَاءِ بِأَذْنِ الْمُتَلَهِّمِ ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
الصَّهِيلِ ، عِنْدَ التَّبَاسِ مَعَانِي الْهَمْزِ وَالتَّسْهِيلِ ، بَيَانِ الْمُبْهَمِ ، وَفُتِنَتِ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
جِسْمِهِ ، وَبُحَيْنِ نَجْمِهِ بِحُبِّ الدِّينَارِ وَالدَّرْهِمِ ، فَإِنْ انْقَضَ فَرَجَمَ أَوْ رِيحٌ لَهَا هِمٌّ ،
وَإِنْ أَعْتَرَضَ فَشَفَقَ لِاحٍ بِهِ لِلنَّجْمِ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَ قَيْدَ الْأَوَايِدِ الْحَزْهَ ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنِ
وَاطْلُقَ الْفُرَّهَ ، وَسُئِلَ مَنْ أَنْتَ فِي قَوَادِ الْكُتَّابِ ، وَأَوْلَى الْأَخْبَارِ الْعَجَابِ ،
فَقَالَ أَنَا الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ ، رَجَسَ هَذِهِ الْأَلْوَانَ ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ ،
تَحِيًّا بِهِ وَجْهَ الْحَرْبِ الْعَوَانَ ، أَغَارَ بِخُفْوَةِ الصَّائِلِ ، عَلَى مَعْصَرَاتِ الْأَصَائِلِ فَارْتَدَاهَا ،
وَعَمَدَ إِلَى خُبُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَمْسِ ، فَالْحَمَّ مِنْهَا حُلَّتَهُ وَأَسْدَاهَا ،
وَأَسْتَعْنَتَ عَلَيْهِ مَلِكُ الْمُحَاسِنِ فَأَعْدَاهَا ، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ اللَّيْلِ عُرَّتَهُ

(١) الزيادة من الريحانة .

وَذَبْلُهُ ، وَكَوْكَبٌ يُطْلَعُهُ مِنَ الْقَتَامِ لَيْلُهُ ، فَيَحْسُدُهُ فَرَقَدَ الْأَثَقُ وَسَهْلُهُ - وَأَشْهَبَ
تَغَشَّى مِنْ لَوْنِهِ مُضَاضُهُ ، وَسَرَبَلٌ مِنْهُ لَأَمَةٌ قَضَاضُهُ ، قَدْ أَحْتَفَلَ زَيْنُهُ ، لَمَّا رُفِعَ
بِالنَّبَالِ بَلْبِنُهُ ، فَهُوَ الْأَشْتَمَطُ ، الَّذِي حَقُّهُ لَا يُعْطَطُ ، وَالذَّرَاعُ الْمُسَارِعُ ، وَالْأَعْزَلُ
الدَّارِعُ ، وَرَاقِي الْحِضَابِ الْفَارِعُ ، وَمَكْتُوبُ الْكُتَيْبَةِ الْبَارِعُ ، وَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ مُرْبَاضِ
سَالِكٍ ، وَعَجْتِدُ عَلَى غَايَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مَهَالِكُ ، وَأَشْهَبُ يَرْوِي مِنَ الْخَلِيفَةِ ،
ذِي الشِّيمِ الْمُنِيفَةِ ، عَنِ الْمَالِكِ - وَجُبَّارِي كَلَّمَا سَابِقُ وَبَارِي ، أَسْتَعَارَ جَنَاحَ الْحُبَّارِي ؛
فَإِذَا أَتَمَّحِلْتَ هَذِهِ الْحِسْبَةَ ، قِيلَ مِنْ هُنَا جَاعَتِ النَّسَبَةُ ، طَرَدَ النَّعِيرُ ، لَمَّا عَظُمَ
أَمْرُهُ وَأَمِرُ ، فَنَسَخَ وَجُودَهُ بَعْدِيهِ ، وَأَبْتَرَهُ الْقُرُوءَةَ ثُمَّ لَطَخَهُ بِدَمِهِ ، وَكَأَنَّ مَضَاعِفَ
الْوَرْدُتِ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقِهِ ، أَوْ الْفَلَكِ ، لَمَّا ذَهَبَ الْخَلَكُ ، مُزِجَ فِيهِ بِيَاضَ صُنْبَعِهِ بِحَمْرَةِ
شَفَقِهِ - وَقِرْطَاسِي حَقُّهُ لَا يَجْهَلُ ، حَتَّى مَاتَرَقَى الْعَيْنَ فِيهِ تَشْبَهُلُ ، إِنْ نُزِعَ عَنْهُ جُلُّهُ ،
فَهُوَ نَجْمٌ كَلَّهُ ، أَنْفَرَدَ بِمَادَّةِ الْأَلْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ تَشُوبَهَا يَدُ الْأَكْوَانِ ، وَتَمَزَّجَهَا أَقْلَامُ
الْمَلَوَانِ ، يَتَقَدَّمُ مِنْهُ الْكُتَيْبَةُ الْمُقْبِلَةُ لَوَاءً نَاصِعُ ، أَوْ أَيْضُ مِمَاصِعُ ، لَيْسَ وَقَارَ
الْمَشِيبِ ، فِي رَيْمَانَ الْعُمَرِ الْقَشِيبِ ، وَأَنْصَتَتْ الْأَذَانُ مِنْ صَهْلِهِ الْمُطِيلِ الْمُطِيبِ ،
لَمَّا آرَدَتِي بِالْبِيَاضِ إِلَى نَعْمَةِ الْخَطِيبِ ، وَإِنْ تَعَتَّبَ مِنْهُ لِلتَّأخِيرِ الْمُتَعَتَّبِ ،
قَلْنَا الْوَأُولَا لُتْرَبُ ، مَا بَيْنَ بَحْلِ وَحُرِّهِ ، وَبِهِرْمَانَةِ وَدُرِّهِ ، وَإِنَّهُ مِنْ أَبْتَسَامِ عُرِّهِ ،
وَوُضُوحِ يُمَيْنِ فِي طُرِّهِ ، وَبِهِجَةِ لَمَعِينِ وَقُرِّهِ ، وَإِنْ وَلِيَ النَّاسَ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ ،
وَخَصَّوْا الْحَدِيثَ بِفَرِي الْأَدِيمِ ، وَأَوْجِبَ الْمُتَعَتَّبِ ، وَإِنْ أَبِي الْمَنْصِبِ ، مَرْتَبَةَ
التَّقْدِيمِ ، وَطَمَحَ إِلَى رُتْبَةِ الْخَدُومِ طَرَفَ الْخَدِيمِ ، وَقُرْنَ الْمَثْرَى بِالْعَدِيمِ ، وَبِحَسِّ
فِي سُوقِ الْحَسَدِ الْبِكْلِ ، وَدَجَى اللَّيْلِ ، وَظَهَرَ فِي فَلَكَ الْإِنْصَافِ الْمَيْلِ ، لَمَّا تَدَوَّرَتْ
الْحَيْسِلُ ، بِغِيءِ الْوَجِيهِ وَالْخَطَّارِ ، وَالذَّنَائِدِ وَذِي الْخَيْسَارِ ، وَدَاحِيسِ وَالسُّكْبِ ،
وَالْأَيْجَرِ وَزَادَ الرُّكْبِ ، وَالْجُحُوحِ وَالْبِحْمُومِ ، وَالْكُكَيْتِ وَمَكْتُومِ ، وَالْأَعْوَجِ وَحُلُوانِ ،

ولاحق والغضبان ، وِعقُورُ (؟) والرَّعْقَران ، والمجبر ، والمغاب ، والأغرُّ والغراب ،
 وسُعلةُ والعقاب ، والقِيَّاض واليَعُوب [والمُذْهَب واليعسوب ، والصموت
 والقطيب ، وهيدب والصيب وأهلوب ^(١)] وهَدَّاج ، والحُرُونُ ونَجْرَاج ، وجَلُوى ،
 والجنَّاح والأخوى ، ومُجَّاج والعصا ، والنعام ، والباقاء والحامة ، وسَكَّابِ والجرَّاده ،
 وحوصاءُ ، والعرَّاده . فكم بين الشاهد والغائب ، والفروض والرغائب ؛ وقرُق ما بين
 الأثر والعيان ، غيٌّ عن البيان ؛ وشتان بين الصريح والمُشْتَبِه ، والله الفاضل في مثلها
 « حُدَّ ما تراه ودَعَّ شَيْئًا سَمِعْتَ به » والناسخ يَخْتَلِفُ به الحكم ، وشَرُّ الدوابِّ عند
 التفضيل بين هذه الدوابِّ الصَّمُّ البُكْم ؛ إلا ما ركبهُ نبي ، أو كان له يوم الافتخار برهان
 خبي ؛ ومُفَضَّل ما سَمِعَ على ما رأى غيٌّ ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفتُ
 لأقضيت حبَّ القلوب علفًا ، وأوردت ماءَ الشَّيْبَةِ نطفًا ؛ وأتخذت لها من عُدر
 الخدود المِلاجِ عُدرَ موشيه ، وعُلَّتُ بصَفيرِ الحانِ القبانِ كلَّ عشيهِ ؛ وأتعلتُ
 بالأهْلَةِ ، وعُطيتُ بالرياضِ بَدَلِ الأجلَةِ .

للى الرقيق ، الخليق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مشوى الرعية روفة الفتيان
 رعاته ويُهْدِي عَقْبُها من سَبَجِه أشكالًا تشهد للخطر سبحةً بإحكام مخترعاته ،
 وقفتُ ناظرَ الاستحسان لا يريم ، لما بهره منظرُها الكريم ، وتعاملَ العظيم وتضائلَ
 الرِّيم ، وأحرس مقولهُ اللسان وهو يملكات البيان الحفيظُ العليم ، وناب لسانُ الحال ،
 عن لسانِ المقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطبُ المقامَ الذي أطلعتُ أزهارها غمامُ
 جوده [وأقضتُ اختبارها بركة وجوده ، ^(١)] : لو علمنا أيها الملك الأصيل ،
 الذي تَكْرَمُ منه الإجمال والتفصيل ؛ أن الشاء يوازِيها لِكُنَّا لك بِجَنِّك ،

أو الشكر يُعادِلها ويُعْزِزها لتعرضنا بالوشل إلى نيل نبتك ، أو قلنا : هي التي أشار إليها مستصريح سلفك المستنصر بقوله : أدرك بحبيلك ، حين شَرِقَ بدفعه الشرق ، وأنهمز الجمع وأستولى الفرق وآتسع فيه والحكم لله الخرق ؛ ورأى أن مقام التوحيد بالمظاهرة على التثليث ، وحزبه الخبيث ، هو الأولى والأحق .
والآن قد أغنى الله بتلك النيّة ، عن إنبجاد الطّوال الرّدنيّيه ، وبالدهاء من تلك المتأبّة الدينية إلى ربّ البنيّة ، عن الأمداد السّنيّه ، والأجواد تخوض بحر الماء إلى بحر المنيّه ، وعن الجرد العربية في مقاود الليوث الأبيّه . وجدد برسم هذه الهنديّه ، مراسم اليهود الوديّه ، والذمّ الموحدية ، لتكون علامة على الأصل ، ومكذّبة لدعوى الوقف والفصل ، وإشعارا بالألفة التي لا تزال ألفتها ألف الوصل ، ولائها حراماً على النّصل .

وحضر بين يدينا رسولكم فلان فقرّر من فضلكم ، ما لا ينكره من عرف علو مقداركم ، وأصالة داركم ، وفلك إبداركم ، وقطب مداركم ، وأجنباه عنه بجهد ما تكافؤ لتقع من حناه المهتصر ، بالمقتضب المختصر ، ولا تقابل طول طول بالقيصر ، لولا طرود الحصر .

وقد كان بين الأسلاف - رحمة الله عليهم ورضوانه - ودأبرمت من أجل الله معاقده ، ووئرت الخلوص ، الجسلي النصوص ، مضاجعه الفازة ومرآقده ، وتعاهد بالجيل توجب لفقده فاقده ، أبا الله إلا أن يكون لكم الفضل في تجديده ، والعطف بتوكيده ، فنحن الآن لا ندرى أي مكارمكم نذكر ، أو أي فواضلكم نشرح أو نشكر ، أمفاتحكم التي هي عندنا في الحقيقة قنح ، أم هديتكم وفي وصفها للأفلام سبّح ، ولعدو الإسلام بحكمة حكمتها كعب ، إمعان كل الشكر لمن يوقى جزاء الأعمال

البرّه، ولا يَحْسُ مثقالَ الذّرةِ ولا أدنى [من] مثقالِ الذّره، ذى الرحمة الثّره، والألطف
المتصلة المستمزه ، لا إله إلا هو .

وان تَسْوَمَ إلى الأحوال الراهنه ، وأسباب الكُفْر الواهية بقدره الله الواهته ؛
فنحن نُطَرِّقُكُمْ بِطَرَفِهَا ، وَنُظَلِّعُكُمْ عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ بِطَرَفِهَا ؛ وهو أَنَا لَمَّا أَعَادَ اللهُ
من التَّحْيِصِ ، إلى مَثَابَةِ التَّخْصِصِ ، من بعد المَرَامِ العويص ؛ كَلَّمْنَا بِتَوْفِيقِ اللهِ
بَصَرَ البَصِيرِ ، وَوَقَفْنَا عَلَى سَبِيلِهِ مَسَاعِيَ الحَيَاةِ القَصِيرِ ؛ وَرَأَيْنَا كَمَا نُقَلُّ إِلَيْنَا ، وَكُرِّرُ
عَلَى مَنْ قَبْلُنَا وَعَلَيْنَا ؛ أَنَّ الدُّنْيَا - وَإِنَّ عَزَّ النُّرُورُ ، وَأَنَامَ عَلَى سُرْرِ النُّفْلَةِ السُّرُورِ ؛
فَلَمْ يَنْفَعِ الخُطُورَ عَلَى أَجْدَاثِ الأَحْبَابِ وَالمُرُورِ - جَسْرُ بَعْثِهَا ، وَمَتَاعٌ لَا يُبْطِطُ مِنْ حُبِّ
بِهِ وَلَا يُجْبِرُ ، إِنَّمَا هُوَ خَبْرٌ يُجْبِرُ ، وَأَنَّ الحَسْرَةَ بِمَقْدَارِهَا عَلَى تَرْكِهَا تَجْبِرُ ؛ وَأَنَّ الأَعْمَارَ
أَحْلَامَ ، وَأَنَّ النَّاسَ نِيَامَ ؛ وَرُبَّمَا رَحَلَ الرَّاحِلَ عَنِ الخَانِ ، وَقَدْ جَلَّه بِالْأَذَى
وَالدَّخَانِ ؛ أَوْ تَرَكَ بِهِ طِينًا ، وَشَاءَ يَهْوِمُ بَعْدَهُ لِآتَى خَطِيئًا ؛ فَجَعَلْنَا العَدْلَ فِي الأُمُورِ
مِلَاكًا ، وَالتَّقَدُّرَ لِلتُّغُورِ مِسْوَاكًا ؛ وَصَحِّحَ المِهَادَ ، حَدِيثَ الجِهَادِ ، وَأَحْكَمَهُ مَنَاطَ
الْجِهَادِ ، وَقَوْلَهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ مِنْ مُجْحَجِ الأَسْتِشَادِ ،
وَبَادِرْنَا مِنَ الحُصُونِ المُضَاعَةِ وَجَنَحِ التَّقِيَّةِ دَامِسَ ، وَسَا كُنْهَا بِأَنْسَ ، وَالْأَعْصَمُ
فِي شَعْفَاتِهَا مِنَ العِصْمَةِ يَا نَسَ ؛ فَزِينًا بِيضِ الشَّرْفَاتِ ، شَايَاهَا ، وَأَفْعَمْنَا بِالعَدْبِ
الرُّمَاتِ ، رَكَايَاهَا ؛ وَعَشِينَا بِالصَّفْحِ المُضَاعَفِ أَيْوَابَهَا ، وَأَحْتَسَبْنَا عِنْدَ مَوْقِي الأَجُورِ
ثَوَابَهَا ، وَبِيضْنَا بِنَاصِعِ الدِّكْلِسِ أَيْوَابَهَا ؛ فَهِيَ اليَوْمِ تُوهِمُ حِسَّ العِيَانِ ، أَنَّهَا قِطْعٌ
مِنْ بِيضِ العَنَانِ ، تَكَادُ تَأَوَّلُ قُرُصَ البَدْرِ بِالبَنَانِ ، مُتَكَفِّلَةٌ لِلؤْمَنِ مِنْ فَرَعِ الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ بِالأَمَانِ ؛ وَأَقْرَضْنَا اللهُ قَرْضًا ، وَأَوْسَعْنَا مَدُونَةَ الجَيْشِ عَرْضًا ، وَفَرَضْنَا
إِنْصَافَهُ مَعَ الأَهْلَةِ فَرْضًا ؛ وَاسْتَنْدْنَا مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ العَنَى الحَمِيدِ إِلَى ظِلِّ لُؤَاءِ ،

وَسَدْنَا إِلَى الطَّاعِغَةِ عَهْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ ؛ وَقَلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ وَكُلُّ جَبَّارٍ لِعِزِّكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِعُ ، فَأَنْصُ عَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ]^(١) وَآكُتَبْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِحُطُوظِ رِضَاكَ الظَّافِرِينَ ، وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَتَحَرَّكْنَا أَوْلَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتَحْنَا مُصْحَفَ الْبَرَكَاتِ ؛ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَأَقْتَصَارِ عَلَى مَا بَحْضَرْتَنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُظْفَرَةِ وَالْجُنُودِ ؛ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَازِي الْمِطَّلِ ، وَرَكَابِ الْعُدُوِّ الضَّالِّ الْمِضِلِّ ، وَمُهْدِي نَفَثَاتِ الصَّلْبِ ؛ عَلَى آمْتِنَاعِهِ وَآرْتِفَاعِهِ ، وَمُؤَيَّقَاتِهِ ؛ وَمَا بَدَّلَ الْعُدُوِّ فِيهِ مِنْ أَسْتَعْدَادِهِ ، وَتَوَفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَادِهِ ، وَأَنْتِخَابِ أَنْجَادِهِ ؛ فَصَلَّيْنَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخْنَا عَلَيْهِ الشُّهَدَاءَ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ؛ وَتَلَقْنَا بِالْخَوَارِجِ الْعَزِيزَةِ سَهَامَةَ الْمَسْمُومَةِ ، وَجَلَامِدَةَ الْمَلُومَةِ ، وَأَحْجَارَهُ ؛ حَتَّى فَرَعْنَا بِجَوْلٍ مَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنْبَعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَضْرَارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَارَهُ ؛ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ شَحَّنَاهُ بِرَابِطَةِ وَحَامِيهِ ، وَأَزْوَادِ نَامِيهِ ؛ وَعَمَلْنَا بِبَيْدِنَا فِي رَمِّ مَائِلَمِ الْقِتَالِ ، وَبَقَرْنَا مِنْ بَطُونِ مَسَالِحِهِ الرِّجَالَ ، وَأَقْتَدَيْنَا بِنَهْيِنَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخَنْدَقِ لَمَّا حَمَى ذَلِكَ الْمَجَالَ ، وَوَقَعَ الْأَرْتِجَازُ الْمُنْقَوَّلُ خَبْرَهُ وَالْأَرْتِجَاحُ ، وَمَا كَانَ لِيَقْرَ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَهَدُّ كَيْتِ الْجَوَارِ ، وَتَدَاعَى الدَّعْرَةُ وَتَسَاوَى الشَّرَارُ .

وَكَأَ أَعْرَبِنَا الْجِهَةَ الْغَرِيبَةَ مِنَ الْمَسْلَمِينَ بِمَدِينَةِ بَرْغَةِ الَّتِي سَدَّتْ بَيْنَ الْقَاعَتَيْنِ : مَالْفَةَ وَرُنْدَةَ الطَّرِيقِ ، وَالْبَسْتَ ذُلَّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، وَمَنْعَتَهُمَا أَنْ يُسَيِّفَا الرَّبِيقَ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، لَطِيفِ الْمَنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَعَةِ

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب".

هدى الحَمَامُ ، فَبَسَّرَ اللهُ فَتَحَهَا ، وَعَجَّلَ مَتَحَهَا ، بَعْدَ حَرْبٍ أُنْبَتَتْ فِيهَا النُّجُورُ ، وَتَزَيَّنَتْ الجُورُ ، وَتَبِعَ هَذِهِ الأُمُّ بَنَاتُ شَمِيرِهِ ، وَبُقِعَ لِلزَّرْعِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشَفِي النَّعْرُ مِنْ بُوْسِهِ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ عُبُوسِهِ .

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة الجزيرة على بُعد المدى ، وتعلقها على بلاد العدا ، وأقتحام هول الفلا وغول الرءاء مدينة بنتها حصن فأوسعت الدار ، وأغلب الشوار ، وراعت الاستنكار ، وبسطت الاعتار ، رَجَّحَ إلينا قَصْدَهَا على البعد ، والطريق الجعد ، ما أسفت به المسلمين ، من استئصال طائفة من أسراهم مرؤا بها آمنين ، وبطائرها المشوم متيمين ؛ قد أنهكهم الاعتقال ، والقُبود الثقال ، وأضرعهم الإسار ، وجلبهم الإنكسار ؛ بقتلهم في مصرع واحد ، وتركهم عبرة للرائي والمشاهد ؛ وأهدوا بوقعتهم إلى الإسلام نُكَلَّ الواحد ، ويرة الماسجد ؛ فكسناها كيسا ، وبقأناها بياهمام من لا يضل ولا يئسى ؛ فصبحتها الخليل ، ثم تلاحق الرجل كاجن الليل ، وحلق بها الويل ؛ فأصبح منها الدمار ، وأخذها الدمار ، ومحقت من مصانعها البيض الأهلهة وخسفت الأعمار ، وشفيت من دماء أهلها الضلوع الحيرار ، وسلطت على هياكلها النار ، وأستولى على الآلاف العديدة من سنيها الإسار ، وأنتهى إلى إشبيلية التكلل المغار ، بغلل وجوه من بها من كبار النصرانية الضخار ، وأستولت الأيدي على ما لا يسعه الوصف ولا تقفه الأوقار .

وعدنا والأرض تموج سنيا ، لم تترك بعفرين شنبلا ولا بوبرة طيبيا ؛ والعقائل حمرى ، والعيون تبهرها الصنع الأسرى ، وصبح الأسرى قد حمد من بعد بعد الممرى ، فسبحان الذى أسرى . [ولسان الحمية يُنادى ، فى تلك الكائن المختبة والنوادى ، بالآثار الأسمى] .

ولم يكن إلا أن نُفِلت الأُنفال ، ووُصِمَتْ بالأرضاخ الأَغفال ، وتميزت الهَوادى والأكفال ، وكان إلى غزو مدينة جِيانَ الأَحْتفال ، فُذِنَا إليها الجُرْدُ تُلَاعِبَ الظَّلَالِ نَشَاطًا ، والأبْطالَ تَفْتِيحَ الأَخْطارِ رِضًا بِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَغْنِيَا طًا ، والمِهْنَةَ الزُّرْقَ تَسْبِقُ إِلَى الرِقَابِ أَسْتَلَالًا وَاحْتِرَاطًا ، والرُّدْيِيَّةَ السُّمْرَ تَسْرَطُ حَيَاةَ النُّفُوسِ أَسْتِرَاطًا ، وَأَزْحَنَا الْعِلْلَ عَمَّنْ أَرَادَ جِهَادًا مُنْجِيَا عُبَارُهُ مِنْ دُخَانِ جَهَنَّمَ وَرِبَاطًا ، وَنَادَيْنَا الْجِهَادَ الْجِهَادَ ، يَا أُمَّةَ الْجِهَادِ ، رَايَةَ النَّبِيِّ الْهَادِ ، الْجَنَّةَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ الْحِدَادِ ، فَهَرَّ النَّدَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلِّ عَامِرٍ وَعَاوِمِرٍ ، وَأُتْمَرَ الْجَمُّ مِنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ إِلَى أَمْرِ أَمْرٍ ، وَأَتَى النَّاسَ مِنَ التُّجُوجِ الْعَمِيقَةِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ، وَكَاتَرَتِ الرَّايَاتُ أَزْهَارَ الْبِطَاحِ تَوْنًا وَعَدَا ، وَسَدَّتِ الْحُسُودَ مَسَالِكَ الطَّرِيقِ الْعَرِيضَةِ سَدًّا ، وَمَدَّ بِحَرْهَا الزَّاحِرُ مَدًّا ، فَلَا يَجِدُ لَهَا النَّاطِرُ وَلَا الْمُنَاطِرُ حَدًّا .

وهذه المدينة هي الأُمُّ الْوَلُودُ ، وَالْجَنَّةُ الَّتِي فِي النَّارِ لَسْكَانَهَا مِنَ الْكُفَّارِ الْخُلُودُ ؛ وَكِرْمِيَّةُ الْمَلِكِ وَمَجْنِبَتُهُ الْوَسْطَى مِنَ الْمَمَالِكِ بَاتَتْ بِالْمَزَايَا الْعَدِيدَةِ وَتَجَمَّعَتْ ، وَعِنْدَ الْوِزَانِ بَعِيرُهَا مِنْ أُمَمَاتِ الْبُلْدَانِ رَجَحَتْ ، غَابُ الْأَسُودُ ، وَجَحَرَ الْحَيَاتُ السُّودُ ؛ وَمُنْصَبُ التَّمَاثِيلِ الْمَهَائِلُ ، وَمَمْلَقُ النُّوَاقِيسِ الصَّائِلُ .

وَأَدَيْنَا إِلَيْهَا الْمَرَاحِلَ ، وَعَيْنًا لَتُجَارِ الْمَحَلَاتِ الْمَسْتَقْلَاتِ مِنْهَا السَّاحِلُ ؛ وَلِأَنَّ كُنْبَنَا جَوَارِهَا ، وَكِدْنَا نَأْمَحُ نَارَهَا ، تَحْرُكًا وَوِشَاحُ الْأَفْقِ الْمَرْقُومِ ، بَزْهَرِ النَّجُومِ ، قَدْ دَارَ دَائِرُهُ ؛ وَاللَّيْلُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ، عَلَى سَرَحِهِ الْمُسْتَبَاحِ ، قَدْ شَابَتْ غَدَائِرُهُ ، وَالنَّسْرُ يُرْفِقُ بِالْيَمِينِ طَائِرُهُ ، وَالسَّمَاءُ الرَّاحِ يَنَارُ تَغْرِ الْإِسْلَامِ نَائِرُهُ ، وَالنِّعَامُ رَاعِدَةٌ فَرَائِصُ الْجَبَسِ ، مِنْ خَوْفِ الْأَسَدِ ؛ وَالْقَوْسُ يُرْسِلُ سَهْمَ السَّعَادَةِ ، بَوَّرَ الْعَادَةَ ، إِلَى أَهْدَافِ النَّعْمِ الْمَعَادَةِ ؛ وَالْجَلُوزَاءُ عَابِرَةٌ نَهْرِ الْمَجْرَى ، وَالزُّهْرَةُ تَغَارُ مِنَ الشَّعْرَى الْعَبُورِ بِالضَّرَةِ ؛

وعُطَارِدُ يُسَدِّي فِي حَيْلِ الْحُرُوبِ عَلَى الْبَلَدِ الْمَحْرُوبِ وَيُلْجِمُ ، وَيُنَظِرُ عَلَى أَشْكَالِهَا
الْمُهَنْدِسِيَّةِ فَيُفِيحُ ، وَالْأَحْمَرُ يَبْهَرُ ، وَالْعَلَمُ الْأَبْيَضُ يَهْرَى وَيَنْهَرُ ، وَالْمَشْتَرَى يُسَدِّي فِي فَضْلِ
الْجِهَادِ وَيُمِيدُ ، وَيُرَاجِمُ فِي الْخَلْفَاتِ عَلَى مَالِ السَّعَادَةِ مِنَ الصَّفَاتِ وَيَزِيدُ ، وَزُجَلُ
عَلَى الطَّالِعِ مَزْجَلُ ، وَعَنْ الْعَاشِرِ مَرْتَجَلُ ، وَفِي زَلْقِ السُّقُوطِ وَحَلِ ، وَالْبَدْرُ
يُطَارِحُ شَجَرَ الْمَنْجَنِقِ ، كَيْفَ يَهْوِي إِلَى النَّبِقِ ، وَمَطْلَعُ الشَّمْسِ يَرْقُبُ ، وَجِدَارُ
الْأَفْقِ يَكَادُ بِالْعَيْونِ عَنْهَا يَنْقُبُ .

وَمَا فَتَنَّا سِرَّ الصَّبَاحِ ، وَأَهْتَرَّتْ أَعْطَافُ الرَّاياتِ لِنَحِيَّاتِ مَبَشِّرَاتِ الرِّيَّاحِ ، أَطْلَقْنَا
عَلَيْهَا إِطْلَالَكَ الْأَسْوَدَ عَلَى الْفِرَاسِ ، وَالْفُحُولِ عَلَى الْعِرَائِسِ ، فَنَظَرْنَا مَنظَرًا يَرُوعُ بِأَسَا
وَمَنَعَهُ ، وَيَرُوقُ وَضَعًا وَصَنَعَهُ ، تَلَقَّعْتَ مَعَاقِلَهُ الشَّمَّ لِلسَّحَابِ يَرُودُ ، وَوَرَدَتْ مِنْ
عَدِيرِ الْمُزْنِ فِي بُرُودِ ، وَأَسْرَعَتْ لِاخْتِنَافِ أَزْهَارِ النُّجُومِ وَالذَّرَاعِ بَيْنَ النِّطَاقِ مَعَاصِمُ
رُودِ ، وَبَلَدًا يُسَمِّي الْمَسَاحِجَ وَالذَّرَاعِ ، وَيَنْتَظِمُ الْحَمَانِي وَالْأَجَارِجَ ، فَغَلْنَا : اللَّهُمَّ نَفْلَهُ أَيْدِي
عِبَادِكَ ، وَأَرِنَا فِيهِ آيَةً مِنْ آيَاتِ جِهَادِكَ ، فَغَلْنَا بِسَاحَتِهَا الْعَرَبِيَّةَ الْمُتُونِ ، تُزَوَّلُ
الغَيْثُ الْمُتُونِ ، وَتَيْمَنَّا مِنْ فَخْصِهَا الْأَفْيَحِ بِسُورَةِ التِّينِ وَالزُّرِّتُونِ ، مَتْرَبَةٌ مِنْ أَمَانِ
الرَّحْمَنِ لِلْبَلَدِ الْمُتُونِ ، وَأَعْلَمْنَا النَّاسَ بِحِجَّةِ نُفُوسِهِمُ النَّفِيسَةِ ، وَتَحِيَّةِ شِجَاعَتِهِمُ الْبَيْتِيسَةِ ،
عَنْ أَنْ سُبُوئِي لِلْقِتَالِ الْمَقَاعِدِ ، وَنُدْبِي بِإِسْمَاعِ شَهْرِ النُّفَيْرِ مِنْهُمْ الْأَبَاعِدِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَلْقَى
الْخُدِيمُ بِالْمَخْدُومِ ، وَيَرْكَعُ الْمَنْجَنِقُ رُكْعَتِي الْقُدُومِ ، فَدَفَعُوا مِنْ أَصْحَابِهِمُ مِنَ الْفِرْسَانِ ،
وَسَبَقَ إِلَى حَوْمَةِ الْمِيدَانِ ، حَتَّى أُبْجَرُوهُمْ فِي الْبَلَدِ ، وَسَلَبُوهُمْ لِبَاسَ الْجِلْدِ ، فِي مَوْقِفِ
يُنْهَلُ الْوَالِدُ عَنِ الْوَلَدِ ، صَارَتِ السَّهَامُ فِيهِ عَمَامًا ، وَطَارَتِ كَأَسْرَابِ الْحَمَامِ تُهْدِي
حَمَامًا ، وَأَضْحَتِ الْقَنَا قِصْدًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ سِهَابًا رَصْدًا ، وَمَاجَ بَحْرُ الْقِتَامِ بِأَمْوَاجِ
النُّصُولِ ، وَأَخَذَ الْأَرْضَ الرَّجْفَانُ لِرُزَالِ الصِّيَاحِ الْمَوْصُولِ ، فَلَا تَرَى إِلَّا شَهِيدًا

تُظَلِّلُ مَصْرَعَهُ الحُورَ ، وَصَرِيحًا تَقْدِيفَ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجَ تِلْكَ البُحُورِ ، وَتَوَاشِبَ
 تَبَائِي بِهَا الوُجُوهَ الوَاجِبَةَ عِنْدَ اللهِ وَالتُّحُورَ ، فَالمَقْضَبُ ، فَوَدُّهُ يَحْضَبُ ، وَالأَسْمَرُ ،
 غُصْنُهُ بِسْتَمْرٍ ، وَالمِغْفَرُ ، حِمَاهُ يَحْفَرُ ، وَظُهُورُ القَيْسِيِّ تُفْصَمُ ، وَعِصَمَ الجُنْدِ الكَوَافِرِ
 تُفْصَمُ ، وَوَرَقَ اللَّيْلِ ، فِي المُنْقَلَبِ ، يَسْقُطُ ، وَالبُرْتُ تَكْتَبُ وَالسُّمْرُ تَنْقُطُ ، فَاقْتِحِمِ
 الرِّبْضَ الأَعْظَمَ لِحِينِهِ ، وَأَظْهَرَ اللهُ لِعِيُونَ المُبْصِرِينَ وَالمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةَ دِينِهِ ،
 وَتَبْرًا الشَّيْطَانُ مِنْ حَدِيثِهِ ، وَنُهْبَ الكُفَّارِ وَخُدِلُوا ، وَبِكُلِّ مَرَضٍ جُدُّلُوا ، ثُمَّ دُخِلَ
 البَلَدُ بَعْدَهُ غِلَابًا ، وَجُلُّ قَتْلًا وَاسْتِلَابًا ، فَلَا تَسْلُ ، إِلا الظُّبَى وَالأَسْلُ ، عَنِ قِيَامِ
 سَاعَتِهِ ، وَهَوَلِ يَوْمِهَا وَشَنَاعَتِهِ ، وَتَخْرِيْبِ المَبَائِتِ وَالمَعَانِي ، وَغِيَا الأَيْدِي مِنْ خَرَائِنِ
 تِلْكَ المَعَانِي ، وَنَقَلَ الوُجُودَ الأَوَّلِ إِلَى الوُجُودِ الثَّانِي ، وَتَخَارَقَ السَّيْفُ بِخِفاءِ بَغِيرِ
 المَعْتَادِ ، وَنَهَلَتْ القَنَا الرُّدْبِيَّةُ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَادَتْ تُورِقُ كالأَغْصَانِ المَقْتَرَسَةِ وَالأَوْتَادِ ،
 وَهَمَّتْ أَفْلَاكُ القَيْسِيِّ وَتَمَّتْ ، وَأَرْتَتْ حَتَّى بَحَّتْ ، وَفَسَدَتْ مَوَادُّهَا فَسَحَّتْ
 بِمَا أَحَلَّتْ ، وَسَدَّتْ المَسَالِكَ جُنَّتُ القَتْلُ فَمَنَعَتْ العَايِرَ ، وَاسْتَأْصَلَ اللهُ مِنْ عَدُوِّهِ
 الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَّائِرَ ، وَأَزَلَّفَ الشَّهِيدَ وَأَحْيَبَ المَصَابِرَ ، وَسَقَتْ رُسُلُ الفَتْحِ الَّذِي
 لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ العَايِرِ ، تَهْتَلُ البُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ المَحَابِرِ ، إِلَى آذَانِ المَنَابِرِ .

أَقْنَاهَا أَيَّامًا تَمُغَّرُ الأَشْجَارَ ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيْبِ الوِجَارَ ، وَلسَانُ الإِنْتِقَامِ ،
 مِنْ عِبْدَةِ الأَصْنَامِ ، يُنَادِي بِالنَّارَاتِ الإِسْكَنَدْرِيَّةِ تَسْقِيًا مِنَ القُبَّارِ ، وَرَعِيًا لِحَقِّ
 الجِصَارِ ، وَقَفَلْنَا وَأَجْنِمَةُ الرِّايَاتِ ، بِرِيَاحِ العِنَايَاتِ ، خَافِقَهُ ، وَأَوْفَاقِ التَّوْفِيقِ ،
 النَّاشِئَةُ مِنْ حُطُوطِ الطَّرِيقِ ، مُوَافِقَهُ ، وَأَسْوَاقِ العِزِّ باللهِ نَافِقَهُ ، وَحَمَلَاءِ الرِّفْقِ
 مُصَاحِبَةَ - وَالمُحَمَّدُ اللهُ - مُرَاقِقَهُ ، وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الجِبَالِ ، عَنِ أَعْنَاقِ الشُّهْبِ
 السَّبَالِ ، وَرُفِعَتْ عَلَى الأَكْفَالِ ، رُدْفَاءُ كَرَامِ الأَنْفَالِ ، وَقُلِقْتُ مِنَ النِّوَاقِيسِ أَجْرَامِ

الجبال بالهندام والأحتيال؛ وهلك بمهلك هذه الأمم بنات كُنَّ يرضعن نديها الحوافل
ويستورن حججها الكافل؛ تَمِيلُ التخريبُ أسوارها، وتَجَلَّتْ النارُ بوارها .

ثم تحركا بعدها حركة الفتح، وأرسلنا دلاء الإدلال قبل المنح، فبشرت بالمنح؛
وقصدنا مدينة أبدة وهي نانية الجناحين، وكبرى الأختين، ومساهمة جيان
في حين الحين؛ مدينة أخذت عرض الفضاء الأخرق، وتمشت فيه أرباضها تمشي
الكتابة الجاسحة في المهرق؛ المشتمة على المتاجر والمكاسب، والوضع المتناسب،
والفالج المعنى ريعه عمل الحاسب، وكوارة الدبر اللاسب، المتعددة اليعاسب؛
فأناخ العفاء بروعها العاصره، ودارت كئوس عقار الخوف، بينان السيوف،
على متديريها المعاقرة، وصبحتها طلائع الفاقرة، وأغرثت بطون أسوارها عوج
المعاول الباقرة؛ ودخلت مدينتها عنوة السيف، في أسرع من خطرة الطيف،
ولا تسأل عن الكيف؛ فلم يبلغ العفاء من مدينة حافله، وعقيلة في حلل المحاسن
رافله؛ ما بلغ من هذه البائسة التي سجدت لآلهة النيران أراجها، ونضائل بالرغام
معرأجها؛ وضفت على أعطافها ملائس الخذلان، وأقفر من تكائسها كئوس
الغزلاف .

ثم نأهينا لغزواتم القرى الكافرة، وخرائن المزائن الوافرة، وربة الشهرة السافرة؛
[والأبناء المسافرة] قُرْطَبَةٌ وما أدراك ما هي، ذات الأرجاء الحالية الكاسية، والأطواد
الرائحة الراسية، والمباني المباهية والزهراء الزاهية، والمحاسن غير المتناهيه؛ حيث هالة
بدر السماء، قد استدارت من السور المشيد البناء؛ ونهر الحجر من نهرها الفياض،
السلول حسامه من محمود الفياض؛ قد لصق بها جارا، وفلك الثولاب المعتدل

الانقلاب قد استقام مَدَارًا، وَرَجَعَ الْحَيَيْنَ أَشْدِقًا إِلَى الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ وَأَذْكَرًا،
 حَيْثُ الطَّوْدُ كَالنَّجَاحِ، يزدان بُلْبَعِينَ الْعَدْبِ الْمُجَاحِ، فَيُزْرِي بِتَاجِ كَسْرِي وَدَارًا، حَيْثُ
 قِسِي الْجُسُورِ الْمَدِيرَةِ، كَأَنَّهَا عُوجُ الْمَطَى الْغَرِيرَةِ، تَعْبُرُ النَّهْرَ قَطَارًا، حَيْثُ أَنَارُ الْعَامِرِيَّةِ
 الْمَجَاهِدِ، تَعْبُقُ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَاهِدِ، شَدَى مَنَعَارًا، حَيْثُ كَرَامَتُ السُّحَابِ، تَزُورُ عَرَائِسَ
 الرِّيَاضِ الْخَبَابِ، فَتَحْمِلُ لَهَا مِنَ الدَّرَنِيَّاتِ، حَيْثُ شَمُولُ الشَّمَالِ تُدَارِعِي الْأَنْوَاحَ،
 بِالْعُدُوِّ وَالرُّوَاخِ، فَتَرَى النُّصُونَ سُكَارِي وَمَاهِي بُسْكَارِي، حَيْثُ أَيْدِي الْأَفْتِنَاخِ،
 تَفْتَضُّ مِنْ شَفَاقِ الْبِطَاحِ، أَبْكَارًا، حَيْثُ تُغَوَّرُ الْأَفَاحِ الْبِاسِمِ، تَقْبَلُهَا بِالسَّحَرِ
 زُؤَارِ النَّوَاسِمِ، فَتَخْفِقُ قُلُوبُ النُّجُومِ الْغِيَارِي، حَيْثُ الْمَصْلَى الْعَتِيقُ قَدْ رَحِبَ بِجَمَالَا
 وَمَطَالِ مَنَارَا، وَأَزْرِي بِلَاطِ الْوَلِيدِ أَحْتِقَارَا، حَيْثُ الظُّهُورُ الْمُنَارَةُ بِسِلَاحِ الْفَلَاحِ
 تُجَبُّ عَنْ مِثْلِ أَسْمِيَةِ الْمَهَارَا، وَالْبَطُونُ كَأَنَّهَا لَتَدْمِيتُ الْغَنَائِمَ بَطُونُ الْعَدَارِي، وَالْأَدْوَاخُ
 الْعَالِيَةِ تَحْتَرِقُ أَعْلَامُهَا الْمَعَادِيَةَ بِالْحَدَاوِلِ الْخَبَارَا، فَسَئِئَتْ مِنْ جَوْ صَقِيلِ،
 وَمُعْرَسَ لِحُسْنِ وَمَقِيلِ، وَمَالِكِ الْعَقْلِ وَعَقِيلِ. وَنَحَائِلُ تَمَّ فِيهَا لِلْبَلَابِلِ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ،
 وَخَفِيفِ يَحَاوِبُ بِتَقِيلِ. وَسَنَابِلُ تَحْكِي مِنْ فَوْقِ سُوقِهَا، وَقُضْبُ بُسُوقِهَا، الْهَمَزَاتِ
 فَوْقَ الْأَلِنَاتِ، وَالْعَصَافِيرُ الْبَدِيعَةُ الصِّفَاتِ، فَوْقَ الْقُضْبِ الْمُؤْتَفَاتِ، تَمِيلُ بِهُبُوبِ
 الصَّبَا وَالْجُنُوبِ، مَائِلَةٌ الْجُيُوبُ بِدَرِّ الْجُبُوبِ. وَبِطَاجِ لَا تُعْرِفُ عَيْنَ الْحَمَلِ، فَتَطْلُبُهُ
 بِالذَّحْلِ، وَلَا تَصْرِفُ فِي خَدْمَةِ بَيْضِ قِبَابِ الْأَزْهَارِ، عِنْدَ أَفْتِنَاخِ السُّوسَنِ وَالْبَهَارِ،
 غَيْرَ الْعَبْدَانِ مِنَ سُودَانِ النَّحْلِ، وَبِحَرِّ الْفَلَاحَةِ الَّتِي لَا يُدْرِكُ سَاحِلُهُ، وَلَا يَبْلُغُ
 الطَّيَّةَ الْبَعِيدَةَ رَاحِلُهُ، إِلَى الْوَادِي، وَسَمَرِ النَّوَادِي، وَقَرَارِ دُمُوعِ النَّوَادِي، الْمُنْتَجَسِرِ
 عَلَى تَحْطِيطِهِ، عِنْدَ تَمَطُّيهِ، الْجَسْرِ الْعَادِي، وَالْوَطَنِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ عَمْرٍو وَلَا زَيْدِ،

والفرا الذي في جوفه كل صيد؛ أقل كرسية خلافة الإسلام، وأغاز بالرصافة والجحر
 دار السلام، وما عسى أن تطيب في وصفه السنة الأعلام، أو تُعبر به عن ذلك الكمال
 فنون الكلام .

فأعلمنا إليها السرى والسير ، وقدنا إليها الخيل وقد عقد الله بنواصيا الخير .

ولما وقفنا بظاهرها المنيته المعجيب ، وأصطفنا بخارجها المنيته المنجيب ؛
 والقلوب تلمس الإعانة من منعم مجزل ، وتستزول مدد الملائكة من منجد مترل ،
 والركائب واقفة من حلقنا بعزل ، تتناشد في معاهد الإسلام : فقفا نيك من ذكري
 حبيب ومترل - برزمن حاميتها الحمامية ، ووقود السار الحمامية ، وبقية السيف
 الوافرة على الحصاد النامية ، قطع الغائم الهامية ، وأمواج البحور الطامية ، واستجنت
 بظلال أبطال المجال أعداد الرجال الناشبة والرامية ، وتصدى للترال ، من صناديدها
 الضهيب السبال ، أمثال الهضاب الراسية ، تجمها جنن السواج الكاسية ، وقواميسها
 المفادية للصلبان يوم بوسها بقوسها المواسية ، وخنازيرها التي عدتها عن قبول
 صحيح الله ورسوله ستور الظلم الغاشية ، ومخجور القلوب القاسية ؛ فكان بين الفريقين
 أمام جسرها الذي فرق البحر ، وحلي بلجينه ولائ زينه منها النخر؛ حرب لم تيسج
 الأزمان على منوالها ، ولا أنت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها ؛ من قاسها بالفجار
 أفك وبقرة ، أو مثلها ببحر الهباء تحرف وهجر ، ومن شبهها بحرب داخيس والغبراء
 فما عرف الخبر ، فليسأل من حرب وخبر ؛ ومن نظرها بيوم شعب جيله ، فهو
 دونه ؛ أو عادتها ببطن عاقل ، فغير عاقل ؛ أو أحتج بيوم ذي قار ، فهو إلى المعرفة
 ذو افتقار ؛ أو ناضل بيوم الكديد ، فسهمه [غير السديد] ، إنما كان مقاما غير معتاد ،

ومرعى نفوس لم يف بوصفه لسان مُرتاد، وزلزأل جبال أوتاد، ومثلّف مدخّور
لسلطان الشيطان وعتاد، أعلم فيه البطل المباسل، وتورد الأبيض الباتر وتاود الأسمر العاسل،
ودوم الجلمد المتكاسل، وأنبتت من حذب الحنية إلى هذف الرمية الناشر الناسل،
وزويت لمرسلات السهام المراسل، ثم أفضى أمر الرماح إلى التشاجر والأرتباك،
ونشبت الأسننة في الدرّوع نشب السمك في الشباك، ثم اختلط المرعى بالهمل،
وعزّل الرذيني عن العمل، وعادت السيوف من فوق المقارق تيجانا، بعد أن شقت
عُدّ السوايح خُلجانا، وأتحّدت جداول الدرّوع فصارت بحرا، وكان التعانق فلا ترى
إلا تحرا يلازم تحرا، عناق وداع، وموقف شمل ذى أنصداع، وإجابة مناد إلى
فراق الأبد وداع، وأستكنفت مآل الصبر الأنفس الشفاه، وهبت بريح النصر
الطلائع المبشرة الهفاه، ثم آمد السيل ذلك العباب، وصقل الاستبصار الألباب،
وأستخلص العزم صفوة الثباب، وقال لسان النصر: أدخلوا عليهم الباب، فأصبحت
طوائف الكفّار، حصائد مناجل الشفار، ففارقهم قد رضيت حرمانها بالاعقار،
ورءوسهم مخطوطة في غير معالم الاستغفار، وعلت الرايات من فوق تلك الأبراج
المستطرفة والأسوار، ورُفرف على المدينة جناح البوار، لولا الانتهاء إلى الحد والمقدار،
والوقوف عند اختلاف سِر المقدار .

ثم عبرنا نهرها ، وشدّنا بأيدي الله قهرها ، وضيقنا حصرها ، وأقنأ بها أياما
نحوم عقبات البؤود على فريستها حياما ، وترى الأرواح بيوارها ، وتسلط النيران
على أقطارها ، فلولا عائق المطر ، لحصلنا من فتح ذلك الوطن على الوطر ، فرأينا
أن تروضها بالأجنات والإتيساف ، ونوالى على زروعها ورُبوعها كرات رياح
الإعتساف ، حتى يتبأ للإسلام لؤلؤ طعمتها ، ويتبأ بفضل الله إرث نعبتها ،

ثم كانت عن مؤقفها الإفاضة من بعد نحر النحور ، وقَدَفَ جمار الدمار على العدو
الهدحور ، وتدافعت خلفنا السابقات المستقلات تدافع أمواج البحور .

وبعد أن اتخنا على جناتها المصحرة ، وكرومها المنتجرة ، إلحاح الغريم ، وعوضناها
المنظر الكرية من المنظر الكريم ، وطاف عليها طائف من ربنا فأصبحت كالصريم ،
وأغربتنا حلاق النار بحم الجحيم ، وراكنا في أجواف أجوائها غمامم الدخان ، تذكّر
طيبة البان ، بيوم الغيم ، وأرسلنا رياح الغارات لا تدر من شيء أنت عليه إلا جعلته
كالريم ، وأستقبلنا الوادي يهول مدا ، ويروع سيفه الصقيل حدا ، فبسر الله من
بعد الإعواز ، وأطلقت على القرصة [بتلك القرصة] أيدي الأتهاز ، وسألنا من ساءله
أسد بن الفرات فاقى إرجمان الجواز فعم الأكتساح والاستباح جميع الأحواز ، فأدبل
المصون ، وأتمهت القرى وهدمت الحصون ، واجتثت الأصول وحطمت العصور ،
ولم ترفع عنها إلى اليوم غارة تصالحها باليوس ، وتطلع عليها شررها الضاحكة باليوم
العبوس ، فهي الآن تجرى السوابق وتجزم العوالي ، على التوالي ، والحمرات تتجدد
في أطلالها البوالي ، وكان بها قد صرعت ، وإلى الدعوة المحمدية قد أسرعت بقدرية
من لو أنزل القرآن على الجبال لحشمت من خشية الله وتصدعت ، وعزرة من أذعن
الجبارة لعزّه وحنعت ، وعدنا والبؤد لا يعرف ألف شرها ، والوجوه المجاهدة
لا يخاطب القطيب بشرها ، والأيدى بالعروة الوثقى معتلقة ، والألسن بشكرنم الله
مُتطليقة ، والسيوف في مضاجع الثمود قلقة ، وسرايل الدرود خلفة ، والحياد من
رذها إلى المرابط والأواري ردّ العواري حنقه ، وبعبرات الغيظ المكطوم غننقه ،
تنظر إلينا نظر العاتب ، وتعود من ميادين المراح والأختيال تحت حلال السلاح عود

الصَّيَّانَ إِلَى الْمَكْتَابِ ، وَالطَّبْلُ بِلِسَانِ الزَّهَادِ ، وَالزَّمُّ إِلَى مُنَادِي الْعُودِ الْحَمِيدِ
مُبَادِرٍ ، وَوَجُودُ نَوْعِ الرَّمَاحِ ، مِنْ بَدَنِكَ الْكِفَاحِ ، نَادِرٌ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتَبُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّيِّئِ النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَهْلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْحَلَّاءِ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٌ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عِنْدَ أَخِيهِ الشَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمَوَاقِي مُصَادِرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى تَيْسِيرِ الصَّعَابِ
وَتَخْوِيلِ الْمَتَنِ الرَّغَابِ قَادِرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَمَا أَجْمَلُ لَنَا صُنْعَهُ الْخَفِيِّ ! وَأَكْرَمُ بِنَا لُطْفَهُ
الْخَفِيِّ ! اللَّهُمَّ لِأَخِيهِ ثَنَاءٌ عَلَيْكَ ، وَلَا تَلْجَأُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَقْتَمِسُ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَأَعِذْ عَلَيْنَا عَوَائِدَ نَصْرِكَ يَا مُبْدِيَّ يَا مُعِيدَ ، وَأَعِنَّا مِنْ وَسَائِلِ
شُرُوكِ عَلَى مَا نَتَنَا بِهَ الْمَزِيدِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتِكُمُ الْمِيمُونَةَ مِنْهُ لَدُنِّيَا حَقَّقُ فَتَحَ بَعِيدَ صَيْتِهِ ، مَشْرُوبٌ لَيْتَهُ ، وَتَفَرَّ
مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ الْعَوَاتِمِ مَيْتَهُ ، عَجِبْنَا مِنْ نَأْيِ أَمَلِهِ الشَّارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةَ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارَى لَا طَفَقْنَا بِجَمَلَةٍ مِنَ الْمُحْصُونَ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ غَضِبَتْ ، وَالْمَائِثِلُ فِيهَا يَبُوتُ اللَّهُ قَدْ نَضِبَتْ ، أَدَاهَا اللَّهُ بِمَاجَوْلَتِنَا الطَّيِّبِ مِنْ
الْحَلِيثِ ، وَالتَّوْحِيدِ مِنَ التَّثْلِيثِ ، وَعَادَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِّ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْحَبَائِبِ ، يَسْأَلُ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَيَسْمَعُ دُمُوعَ الرَّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ، وَهِيَ لِلرُّومِ حُطَّةٌ
خَسِيفٌ قَلَّمَا أَرْتَكُبُوهَا فِيمَا تَعْلَمُ مِنَ الْمُهْودِ ، وَنَادِرَةٌ مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ ، وَاللَّهُ عَلَيْنَا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفُ الْجُودِ ! ، وَجَعَلْنَا فِي مَحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرُّكْعِ السُّجُودِ ! .

عَرَفْنَاكُمْ بِجَمَلَاتِ أُمُورٍ تَحْتَهَا تَفْسِيرٌ ، وَمِنْهُنَّ مِنْ اللَّهِ وَتَيْسِيرٌ ، إِذْ أَسْتَيْفَأُ الْجَزَائِمَاتِ
عَسِيرٌ ، لَتَشْرِكُمْ بِمَلَأَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَتَسُوجُ بِعِزِّ الْمَلَأَةِ الْخَلِيفَةِ جَبِينَكُمْ ، وَتُخْطَبُ بَعْدَهُ
دَعَاكُمْ وَتَأْمِينَكُمْ ، فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بَطْنُ الْغَيْبِ سِلَاحُ مَاضٍ ، وَكَفَيْلٌ بِالْمَوَاقِبِ
الْمَسْئُولَةِ مِنَ الْمُتَمِيمِ الْوَهَّابِ مِيفَاضٍ ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى مَا سَاهَمَ فِي بَرٍّ ، وَعَامِلٌ اللَّهُ بِمُخْلُوصِ

سِرِّ ؛ وأين يذهب الفضل عن بَيْتِكُمْ ، وهو صفة حَيْكَمٍ وَثْرَاتٍ مَبِينَةٍ ؛ وَلَكُمْ مَزِينَةٌ
الْقَدِيمُ ، وَرَسُوخُ الْقَدَمِ ، وَالخِلَافَةُ مَقْرُهَا إِيْوَانِكُمْ ، وَأَصْحَابُ الْإِمَامِ مَالِكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
مَسْتَقْرُّهَا قَبْرُؤَانِكُمْ ، وَهَجِيرُ الْمَسَارِدِ كَرَامَتِكُمْ ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْلَامُ أَعْلَامِكُمْ ؛ وَالْوَفَائِعُ
الشَّهِيرَةُ فِي الْكُفْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى أَيَّامِكُمْ ، وَالصَّعَابَةُ الْكِرَامُ فَتَحَةُ أَوْطَانِكُمْ ، وَسُلَالَةُ
الْفَارُوقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَائِحُ سُلْطَانِكُمْ ، وَنَحْنُ نَسْتَكْتَرُ مِنْ بَرَكَةِ خِطَابِكُمْ ، وَوَصَلَةُ
جَنَابِكُمْ ، وَلَوْلَا الْأَعْذَارُ لَوَالَيْنَا بِالْمُتَزِيدَاتِ تَعْرِيفَ أَبِيوَابِكُمْ .

وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَوَلَّى عَنَا مِنْ شُكْرِكُمُ الْمَحْتَمِ ، مَا قَصَّرَ الْمَكْتُوبُ مِنْهُ عَنِ الْمَكْتُومِ ؛
وَيُقِيمِكُمْ لِإِقَامَةِ الرُّسُومِ ، وَيُجِلُّ عَجَبَتِكُمْ مِنْ التَّلَوُّبِ مَحَلِّ الْأَرْوَاحِ مِنَ الْجُسُومِ ؛
وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَصِلُ سَمْعَتِكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَيُوَالِي نِعْمَهُ عِنْدَكُمْ .

وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ ، الطَّيِّبُ الْبُرِّ الْعَمِيمِ ؛ يَخْصِمُكُمْ كَثِيرًا أَنْبِرًا ، مَا أَطْلَعَ الصَّبِيحُ وَجْهَهَا
مُنِيرًا ، بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ النَّسِيمُ سَفِيرًا ، وَكَانَ الْوَمِيضُ الْبِاسِمِ ، لِأَكْوَاسِ الْغَنَائِمِ ،
عَلَى أَزْهَارِ الْكَاتِمِ مُدِيرًا ؛ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطرف الثامن

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الْأَمْرَاءِ مِنَ الْعَالِ وَأَمْرَاءِ السَّرَايَا)

فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ إِلَى مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ)

وَكَانَ الْغَالِبُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمُ الْاِفْتَاتِحَ بِأَمَّا بَعْدَ وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ
الْوَحْدَةِ ، وَخِطَابَ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِالْكَافِ .

كَمَا كَتَبَ الْمُجْتَاهِدُ بْنُ يُوسُفَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُقَيْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَائِبٌ عَنِ الْمُجْتَاهِدِ
عَلَى بَعْضِ الْأَعْمَالِ وَالْحُرُوبِ .

أما بعدُ ، فإنك تترأخى عن الحرب حتى تأتيتك رُسلى ويرجعون بعدرك ، وذلك أنك تُمسك حتى تبرأ الجراح وتُنسى القتلى ويجم الناس ، ولو كنت تلقاهم بذلك الحدة لكان الداء قد حُسم ، والقرن قد قُصم ، ولعمري ما أنت والقوم سَوَاء ، لأن من ورائك رجالا ، وأمامك أموالا ؛ وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يدركك الوجيف بالديب ، ولا الظفر بالتعذير .

وكما كتب المهلب إلى الحجاج مجيباً له عن ذلك .

أما بعدُ ، فإنى لم أعطِ رُسلك على قول الحق أجراً ، ولم أحتج فيهم مع المشاهدة إلى تلقين . فذكرت أنى أجم القوم ، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال المغلوب . وذكرت أن فى الحمام تُنسى القتلى وتبرأ الجراح ، وهيهات أن يُنسى ما بيننا وبينهم ، يابى ذلك قتل من لم يخن ، وفروح لم تفرق ، ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملؤا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني فالداء بإذن الله محسوم ، وإن أعجبتني لم أطعك ولم أعص وجعت وجهى إلى بابك ، وأنا أعود بالله من سخطه ومقت الناس .

الطرف التاسع

(فى المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى معانهم ، إلى الملوك ومن فى معانهم ، على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكاتبه عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يفتح الكتاب بلفظ « كتابنا إليك فى يوم كذا ، ومن مكان كذا ، والأمر على كذا وكذا » ويذكر الحال التى عليها المكتوب عنه حينئذ وألقى عليها

الخليفة إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة ، أو التي عليها الملك إن كان من أتباع الملك ونحو ذلك ؛ ويكون التمييز في هذه المكاتب عن المكتوب عنه بنون الجمع ، وانخراط المكتوب إليه بالكاف . ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة : سيدي ومولاي ، ولا سيدنا ولا مولانا . وبذلك يكتب عن الملوك ومن في معناهم من سائر الرؤساء إلى المرءوسين .

ثم هو على مرتبتين :

المرتبة الأولى - أن يرأى جانب المكتوب إليه في الرقعة بعض المراجعة . كما كتب أبو إسحاق الصابي عن خصام الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، إلى الصاحب كافي الكفأة إسماعيل بن عباد وزير الدولة ، في الشفاعة في شخص من بعض الزامه :

كاتبنا - أدام الله تأييد الصاحب الجليل كافي الكفأة - وإن وثقتنا من المسؤولين بالإيجاب والإجابة ، ومن المأمورين بالامتثال والطاعة ؛ فإننا نخص بكاتبنا الصادرة عنا في المآرب العارضة لنا ، من خصت من كلا الفريقين نهضة إليها ، وظهرت منابرتة عليها ؛ وإذا أنتهينا إليه - أدام الله عزه - في ذلك عهدنا مع ما قدم الله عندنا من رتبته في الطبقة الأولى ، وميزنا مع ما وفر الله علينا من طاعته عن الطبقة الأخرى ؛ وأئسنا منه عادة مشكورة في أتباع محبوبنا ، والإسعاف بمطلوبنا ؛ ليسلس لنا إلى مخاطبته قياد يتفاحس عن سواه ، وتنبسط منا في مكاتبته أنامل نتجدد عن لايجري مجراه ، ولا سيما إذا كان ذلك في مكرمة بطيب ثأوها ، ومنقبة ينادي ثأوها ؛ والله يمدد ويمدنا فيه من طيب السجايا ، وصالح العطايا ؛ بما هو الوليُّ به ، والحقيق بالشكر عليه .

وكتابتنا هذا - أدام الله عزَّه الصاحب الجليل كافي الكفاة - مبنى على إذكاره بحق لنا رعيته ، وذيما من أجله أوجبناه ؛ وذلك أسد لإحكامه وألزم لإيجابه ، وأوكد لأسبابه ؛ وقد عرّف مكان أبي منصور بزداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، ووقفه في جهتنا ، وتوفّر حفظه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله لدينا ، التي أوجبت له ذلك علينا ، أنا لا نزال عدّه عليه ، من الاعتداد باحسان الصاحب الجليل كافي الكفاة إليه ، وإلى أبيه من قبله ، والاعتراف بأنه أيدّه الله أبو عذرة صنعّه ، والسابق إلى الجذب بضبعه ؛ ولئن كان أقر له من ذلك معروف لأشكر ، ودخل من الثناء عليه في إجماع لا يُحرق ؛ فقد بين عن نفسه أنه ممن يُطبق حمل المئن ، ويحسن مصاحبة النعم ؛ ويستحق أن تُقرّ عنده أسلافها ، وتُدّر عليه أخلاقها ؛ إذ لم يُهله الرُوع فيها عن التعيد من اضطرابها وأنصرافها ، ولم يُلْهه التوسّط لها عن حياطة أطرافها وأكفافها ؛ ومن لنا اليوم بالشكور الذي لا يَمِط ، والذُّكور الذي لا ينسى ؟ والعلم بما يلزمه ، والقسوم بما يحقُّ عليه . وأعانتنا حال قريين له يقال لها الفرکان بن حرزاد ، ورستم بن يزد ؛ وأنها تصرفان بعض الخدمة تصرفا تزيلا فيه عن نهج السداد ، وستن الرّشاد ؛ وأقتضى ذلك أن طلبا بالتقويم والتهذيب ، ووجبا مضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضت لها فيه مدّة طويلة في مثلها ما صلح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لها ، ومرادنا له فيها ، شفاعة الصاحب الجليل كافي الكفاة إلى مولانا الأمير السيد شاهنشاه نجر الدولة في أن يسعها العفو ، ويدركها العطف ؛ إما باستخدام يتطوّران به المئن ، ويأذن لها بانصراف إلى الوطن ؛ وقد أسنظهرنا بكتاب كتبناه في أمرها : هذا الكتاب يشتمل عليه ، حتى إذا وجب أن يجعله الصاحب الجليل كافي الكفاة ذريعة إلى

(١) كذا في الأصول ولعله أنه لا يزال بعد ما عليه من الاعتداد الخ .

الغرض ، ومطيةً إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تديرة . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُسَاكِلُ عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوثق في الجواب أن يكون متضمناً لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن صمصام الدولة المقدم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضاً
في حالة أخرى ، بسبب رد إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نحر الدولة

كأبنا والسلامة لدينا راهنه ، وعادةً الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحب الجليل كافي الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزل لمالكاً أئبياً
تقام بها أسواق المكارم ، وتحمى بها سنن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظ
لجمال ذلك علينا ، والضارب بسهمه فيه معنا ؛ فالحمد لله على أن قرآن الحظوظ التي
حوّلنا ، والمنازل التي تولّنا ، بالخلافتي الخليفة بها ، الداعية إلى استقرارها ، والطرائق
المطرقة إلى قبّاتها واستمرارها ، وأن زان أيامنا هذه الحاضر ، بأثار الصاحب
كافي الكفاة أدام الله عزه فيها الناضر ؛ ومساغيه الرشيدة ، وأفعاليه المستقيمة ؛
وأحاديثه الجميلة ؛ وإياه نسأل أن يُجِرِّبَنَا وَكُلَّ ناصح على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنحنا بقدرته .

وإذا كان مولانا الأمير السيد شاهنشاه نحر الدولة ، وفلك الأئمة ؛ بالمحل الذي
أهله الله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأقتراض الإفضال على أصحابه ؛
وكان الصاحب الجليل بالحال التي هو بها من القيام بما حل به ^(١) المناب فيه عنه ،

(١) في الاصل « من القيام بكل له والمناب الخ » وهو تخليط من الناصح .

فقد وجب أن تكون الرعاية للذوي الحرّمات مستحكمة الأسباب ، ثابتة الأطناب ، واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ، ولا سيما فيمن تعلّق منّا بالعبادة ، وأخذ من ذمامنا بالوثيقة ، و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أيده الله جامع لآلآت ، التي يستحقُّ بها اجتماع العناية ، سالفًا صالحًا في الخدمة ، وسابقة متمكّنة في الجملة ، وأشتمالًا على كلّ ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرعايات . وذكّر أنه كانت له بنواحي الجبل تسويغاتٌ ومعايشٌ أنعم بها مولانا الأمير السيد نجر الدولة عليه في حاله بعد حال ، وشرفه بها في مقام بعد مقام ، منها كذا وكذا ، وإذا جُمع الجميع كان قليلًا في جنب ما يفيضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نجر الدولة ، وفلك الأمة على خدمته : من جليل عوارفه الجارية علي يد صاحب الجليل كافي الكفاة أدام الله تأييده ، والواصله إلى مستحقّها بلطيف توصله ، وجميل معتقده . وكان موقعه جليلًا عند أبي جعفر محمد بن مسعود أيده الله في جنب ما يصلح من شأنه ، ويقيم من جاهه ، ويرب من معاشه ، ويقيم من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتابًا بجملا قصرناه على الرغبة إليه ، في ردّ هذه المعاش عليه ، وعوّلنا على صاحب الجليل في إخراج أمره العالی بذلك له ، وإحكام المناشير والوثائق بجمعه ، والتقدم بمكاتبة العمال والولاية بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقايا ، على الأكره والمزارعين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأكيد الكتب بغاية ما تؤكّد به أمثالها ، ويبلغ به أبو جعفر تحابّه كلّها . فإن رأى صاحب الجليل أن يأتي في ذلك كلّ ما يبيده ويعدّه ويرعاه ويحفظه . جاريا على المألوف من مثابرتّه على ما عاد علينا وعليه معنا بطيب الذكر والبشر ، وثناء اليوم والغد ، فقد أنفدنا بهذا الكتاب ركائب لنا دلالة على خصوص متضمّنه في تعلقه بالأهتام منّا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكاتب من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بِلِغْظٍ : كِتَابِي وَالْأَمْرُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ، وَيُؤْتَى
بِالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ فِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِلِغْظِ الْإِفْرَادِ دُونَ الْجَمْعِ ، وَهَذَا يَفْتَحُ
شَأْنَ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، فَيَعْبُرُ عَنْهُ بِمَوْلَايَ وَسَيِّدِي ، وَمَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .
ثم هو على مراتب ^(١) :

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه ملكاً أيضاً)

فيخاطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع الدعاء بما يناسبه : من طول البقاء
ونحوه ؛ ثم تارة يقع التعرض فيها بذكر الطلب ورفق الحال التي هو عليها ، وتارة لا يقع
التعرض إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ، بن معز الدولة ،
أبن بويه ، إلى عضد الدولة بن بويه في طلب الصلح ، وقد جرى بينهما اختلاف .

كتابي - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضد الدولة - من العسكر
بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص
بالعز والتمكين ؛ يجرى على أفضل ما عود الله خلفاءه في أرضه ، وأجابه في رعاية خلقه ؛
من التكفل لهم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإنافه ؛ وأنا مستظل بكف
طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ؛ شاكر لله على بلائه ، مثن عليه بالائه ؛ راعب

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن التقسيم سهو فان المقسم هو الكتابة من ملك إلى ملك وهو
عن المرتبة الأولى فامل .

إليه أن يعصني في مولانا الملك الحليل المنصور. وفي نفسي من كل مكروه
ومستهجن، ووقوفتي وإياه لكل مستحب ومستحسن، وإيذنا من المقام على
الفرقة، والزوال عن سنن الألفه، وهو المحمود رب العالمين .

والحقوق بين مولانا الملك وبينى فيما قررته منا اللغمة، وأكثته المصمه، وأثنته
الأسلاف، ونشأت عليه الأخلاف، حقيقة بأن لا تسرع إليها دواعي التقص،
ولا تتمكن منها ملمات النسخ، ولا ييم للشيطان عليها ما يحاوله بقرته، وتوصل إليه
بكيده، وأن تتراح العوارض عنها، وتضمحل دون التأثير فيها، وأن نتقد جميعا
أن بتقارضا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفض جناحه لأخيه، ويقص من حماه في مقاربة ذويه، إذ كان ذلك حاميا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا، وأبلغ رضا، وأسوأ مقبة، وأنكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله، والصحيح من تمييزه وتدبره،
أن دولتنا حرسها الله - مبنية على أسس الترافد والتعاضد، موضوعة على قاعدة التوازر
والنظائر، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الإرتلاف رتاجا بين
الأعداء وبيننا، ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها، ولو حدث التنافر
في أيام رياسة أضعفنا منه، وأوهينا عقده، وأحدثنا سنا، وأقلنا حنكة، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أخصفنا رأيا، وأسدنا تدبيرا، وأوفانا
حاما، وأكلنا حرما . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارض
أحتقرناها حتى امتلأ الإنامن قطرها، وأستقينا منها على العظيمة التي لا تواء بعدها،
وما أعود على نفس بلوم في ابتداء فيج ابتدائه، ولا بمركب شنيع ركبته ولا حتى
أطرحته، ولا أستصلاج تركته، ولا أدفع مع ذلك أنى قابلت لما تضاعف بالأقل

الأيسر، وجازيت لما تَرَدَفَ بالأذون الأثرر؛ إلا أنى ما آثرت كثيره ولا قليله، ولا آخرت دقيقه ولا جليله؛ لكنه لم يَصْلُح في السيرة - وقد أشفينا على التراخف للحرب، والتدائف للطعن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق، وإقامة الرسوم، فيرائى الأولياء الذين بهم تُنْحَى البيضة، وتُحاط الخوزه؛ متناقص الفعلين، متناقى المذهبين؛ وكنت في ذلك الفعل الذميم، والرأى الذى ليس بمستقيم؛ مقتدياً لا مبتدياً، ومُتبعاً لا مبتدعاً. ولو وقف بنى مولانا الملك الجليل قبل أواخر الحفَاء، وعطف معى إلى أول شرائع الصفاء؛ لكانت عريكتى عليه آئين، وطريقته إلى ارتباط طاعتى وولائى أقصد؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به من مجانبتى ومغالطى، وبثّ الحبائل لى ودسّ المكاييد إلى، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأولياء فى عسكرى الذين هم أولياؤه، إن أنصف وعدل، ونصحواؤه، إن أحسن وأجمل.

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الفالط عليه، والباعث لهذه الأسباب إليه، أن يسوسنى سياسة الحكيم، ويستخلصنى استخلاص الكريم؛ إذ كُنَّا لم تقدمه معشر أهل البيت علينا، ونوّله أزيمة أمورنا؛ إلا لباسو جروحنا، ويحجر كسورنا؛ ويتعهد مسيئنا، ويستميلنا فرنا؛ فاما أن يُحاول منا استباحة الحريم، وإركاب المركب العظيم؛ فكيف يجوز أن تدوم على هذا طاعة، أو تُصلح عليه جماعه؛ أو يُفضى عليه مُغض، أو يُصَفح عنه صالح؟. وكان من أشدّ هذه الحقوة وأفظمها، وأفساها وأغلظها؛ أن عاد رسولى من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه، وما أعرف له أيده الله فى ذلك عذراً يأسطه، ولا سلك منه السبيل التى تشبهه؛ وبالله جهد القسم ومتهاهها، وأجلّها وأوقاها؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وسرت إلى هذا الموضع، واعتقادنا لا يجاوز حفظ الحدود والأطراف، وحياطة النهايات

والأكناف ؛ والأغلب علينا أن مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معنى المعاتبة اللطيفة ، والمخاطبة الجملية ؛ والاستدعاء متى لما يسوغ له أن يطلبه ولى أن أبذله ، من تعفية السالف ، وإصلاح المستأنف ، وتوفية الحق في رتبة لا أضن بها عليه ، ولا أستكثر التزول عنها له ؛ وتقرير أصل بيننا يكون أيد الله به معقلا لى وموتلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - لى أن بدأ الأصحاب بالغيث في هذه البلاد ؛ وألحوا عليها بالفارات ، وأعتمدوها بالنكيات ؛ وكان هذا كالأشاش الذى يؤذن بالانسكاب ، والوميض الذى يؤيد بالأضطرار - وأوجب قبل المفاصلة عليه والشروع فى مثله فى حق مولانا الملك الجليل ، الذى لا أدع أن أحفظ منه مادعائى لى إضاعته ، وأتمسك بما أضطرت لى مفارقتة ؛ أن أقدم أمام الالتقاء على الحرب التى هى سجال كما يعلم ، إبلاغ نفسى عندها وإعطاء المقادة منها ؛ داعياً لى طاعة الخالق والإمام ، وصلة القم والأرحام ، وحسن الدماء والمهج ، وتسكين الدهماء والرفج ، وتقى العنان عن الموزد الذى لا يدري وأرده كيف يصدر عنه ، ولا يشق بالسلامة منه ؛ وتعريف ما يريد منى لأتبعه ما لم يكن تالماً لى ، وعائدا بالوهن على ؛ والله الشاهد على شهادة قد علم إخلاصى فيها ، وسماحة ضميرى بها ؛ وأنى أكره أن أنال منه ، كما أكره أن ينال منى ؛ وأنا لم من أن أظهر عليه ، كما أنا لم أن يظهر على ، وأحب أن يرجع عنى وأرجع عنه ؛ وقد التقت قلوبنا ، وألّف على الجليل شملنا ؛ وطرفت أعين الأعدى عنا ، وأتخست مطامعهم فىنا ؛ فإن فعل ذلك فحقيق به الفضل ، وهو لعمرو الله له أهل ؛ ولا عدل له فى أن لا يفعل ، وقد وسع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه عما يلتمسه الصمّولك ، ويخطره السبروت ؛ وجعله فى جانب الغنى والثروة ، والحزم والحيلة ؛ وإن أبى فكفى هذا حجة عند الله الذى تستترل منه المعونة وعند الناس الذين تتمس منهم العصبية ؛ وقد أنفذت به إسفندار بن خسرويه وإبراهيم

أبن كالى ، وهما يَتَمَتَّانِ وَأَمِينَايَ ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُسَاقِفَاهَا عَنِّي بِمِثْلِ مَتَضَعْنَهُ وَتَجَوَّاهُ ،
 وَانْتَهَ يُعِيدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مِنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوْلَى الْأَمْرَيْنِ وَالْيَقِيمَا بِدِينِهِ
 وَمُرُوءَتِهِ ، وَهُوَ لَوْ مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَحْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَمِّي
 بِالْتَدْيِيرِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أن تكون المكتوبة عن دُونِ الْمَلِكِ لِيَسْهَلُ)

ورسمهم فيه أن يُتَبَدَّأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدَّعَاءِ لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
 وَيَخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكِتَابِ بِالسَّيِّدِ
 وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَيَعْبُرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ :

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُوحُوزِهِ فَيُرْوِزُ بِنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى
 أبن عمه شريف الدولة يذكر له حاله مع أخيه صمصام الدولة .

كِتَابِي - أَطَالُ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرِيفِ الدَّوْلَةِ ، وَرَزِينِ الْمِلَّةِ ،
 وَالسَّلَامَةَ لِي شَامِلَةً بِمَا مَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِنْ ظِلِّهِ الظَّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسِينِ الْجَمِيلِ ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَى مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا أَسْتَقْتِي بِهِ
 عَنْ تَطْوِيلِ الْمَفْصَلِ ، وَأُكْتَفِي بِهِ عَنْ إِجْمَالِ الْمُجْمَلِ ، وَذَلِكَ أَنْ أَسْفَارَ بِنِ كَرْدُوبِهِ
 وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بِنِ بَرْسَفِ الْكَافِرِينَ لِنِعْمَاءِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ الْمَلِكِ السَّيِّدِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ أَيْنَا
 رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، الْغَامِطِينَ لِمَا تَطَاهَرَ عَلِيهِمَا مِنْ إِحْسَانِنَا وَإِفْضَالِنَا ، هَجْمًا عَلَيْنَا
 بِحُدُوعَةِ تَطَافُرًا عَلِيهَا ، وَشُبُهَةِ جَدْبَانِي إِلَيْهَا ، وَأَبْرَمًا كَذِبًا مِنْ الْقَوْلِ لَمْ أَظُنَّهَا يُقَدِّمَانِ

على مثله ، ولا يتفوهان بإطلاقه ؛ فأصبحت إليهما إصغاء الوائق بهما لا المنخدع لهما ؛ فلما أنزلاني على حكمهما ، وأوتقاني بحيث لا أستطيع مخالفتها ؛ ظهرت الحيلة ، ووصحت النيلة ؛ وفاتني الاختبار ، وغلبني المقدار ؛ فخرى ما كانت عاقبته خذلان الله أيأهسا ، وإزاله بأسه وبقمته عليهما ؛ وخلاصي بسلامة الصدر ، وانضاح الفدر ، من حبالهما المنصوبه ، وأشراكهما المبثونه . ولما حصلت في كنف الملك السيد صمصام الدولة أفالي العثره ، وقيل مني المغذره ؛ وأحلى من دراه وجهه بحيث لم أعدم عاده ، ولا أنقطعت عني مائه ؛ وكانت الحال توجب مقامي فيها إلى أن تتفى آثار الفتنة التي أثارها ذانكا الخبيثان الهانيان .

ثم ورد فلان في الرسالة ، وتمم الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأخرجت عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاحتجار إلى البروز ؛ وأنزلت من الدار الممورة في جانب يصل إلى منه سبب وصوله على العموم دون الخصوص ، وعاملني الملك السيد صمصام الدولة بما يليق بفضله متبعا في ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛ وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة في أمرى ، وجدد عندي من الإنعام والتوسعة والإينار والتكرمة آخرا ماشع تلك الشفقة أولا ؛ ولقيني فلان دعوات ، وشافهني مرآت ؛ وتمحل عني إلى مولانا الملك موالاني الشكر كثيرا ، وأعتدأدا طويلا عرضا ؛ ودعاء الله يسع مرفوعه ، ويوجب مسؤوعه ؛ بمسه وقدرته ؛ وحوله وقوته .

والآن فإذا قد جمع الله الكلمه ، ووكد الألفة وحرس النعمه ؛ وحصن الدولة وأخرج عنها من كان يسب الفتنة ، ويُسدى وينير في القرقة ؛ فإني وائق بالله جل وعز وبما ترقى الحال إليه في غاية محبوبي ، ونهاية مطلوبى ؛ وأقاصى ماتيلعته

أُمْنِيَّتِي ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَقْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَنَلِّهِ الْمَشِيئَةَ ، وَمِنْهُ الْمَعُونَةُ ؛
 فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدُ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى سُكُونِي ، وَيَطْمَئِنُّ إِلَى طَمَأْنِينَتِي ،
 وَيُجْرِي إِلَى غَايَةِ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجْمَلَ ؛ لِيَشْمَلَنَا بِإِنْعَامِهِ ؛
 وَيَتَظَاهَرَ عَلَيْنَا بِأَمْتَانَتِهِ ؛ وَأَسْتَوْفِي بِقِيَّةِ حَقِّي مِنْ ثَمَرَةِ فَلَكَ وَعَائِدَتِهِ ، وَجَدْوَاهِ
 وَفَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكَلِمَاتِهِ ، وَتَاهِيلِي بِجَلِيلِ خِطَابِهِ ؛ وَتَصْرِيفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
 وَنَهْيِهِ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تم الجزء السادس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السابع

وأزله الطرف العاشر

(في المكاتبات الصادرة عن ملوك الديار المصرية)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

”استدراك لمافات“

نُبه في صفحة (٥٤) من الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى هذا على بعض كلمات مطبوسة بالخبر لم نهند إليها عند طبع ذلك الجزء . أما وقد نُثر الآن في بعض المكتبات الألفية على أصل ذلك الجزء فزوى تكبلا للقائمة إثبات المطبوس هنا لصلحه الفارئ في مواضعه إن أراد . وتسيلا لمعرفة مواضع البياض من أزل نظرة قد نقلت الصفحة بتمامها رجلا ما كان سافلا لطمسه بين قوسين هكذا () . وهي :

يجهز يريدى بطلب هذه الأفلام من ولاة الوجه القبلى ، ويؤتى بها فتحفظ عند كاتب السر ويبرئ منها ما يحتاج إليه (في كتابة السلطان و) بوضع في دواته بقدر الحاجة . قال في ”منهاج الإصابة“ : ولا بد فيه (من ثلاثة شقوق أو أكثر) بقدر ما يحتاج إليه في حج القلم الحبر في القرطاس .

وأعلم أن للكاتب فيه طريقتين — إحداهما طريقة الثلث ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (التقوير — و) الثانية طريقة المحقق ، فتجرى الحال فيه على الميل إلى (البسط دون التقوير وسيأتي إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعد إن شاء الله تعالى) .

وقد ذكر السمرمى في أرجوزته اختصاص قلم الطومار بأمور : أحدها أن مستداراته كلها تكون بوجه القلم ، والمدات بسنه ، والتعاريق بوجهه متفلا فيما على العين — الثاني أن الميم منه تكون مفتوحة مدورة (والفاء والقاف فيه (أوساطها محددة وجنباؤها) مدورة — الثالث (أن يكون البياض بين الأحرف كمثلته بين السطور) — الرابع أن يكون (الفضل من جانبي القرطاس متساويا في المقدار — الخامس أن لا يكون) فيه صاد مدورة (ولا) كاف مشكولة .

وذكر المولى زين الدين شعبان الآتارى في ألفيته (أنه يدخل) فيه الترويس في الألف ، والباء ، والجيم ، والدال (والراء ، والطاء ، والكاف المجموعة) واللام والتون في الأفراد والتركيب عند الابتداء وأنه (لا يجوز فيه) الطمس في شيء من عقده كالصاد ، والطاء ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة بحال ، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل .

فهرس

الجزء السادس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- المهيع الثانى — في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان
 ٥ وهي نوعان
- النوع الأول — الألقاب الإسلامية؛ وهي صنفان
- الصنف الأول — المذكورة؛ وهي ضربان
- الضرب الأول — الألقاب المفردة المنحصرة في اصطلاح الكتاب باسم
 الألقاب
- » الثاني — المركبة المعبر عنها في اصطلاح الكتاب بالنعوت ... ٣٥
- الصنف الثاني — (ركب خطأ الضرب الثاني) من الألقاب المفردة المؤنثة
 » — (لعل الصواب التعر الثاني كما به عليه) من الألقاب المفترعة
 على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل
 الكفر وهي على ضربين ... ٧٨
- الضرب الأول — الألقاب المذكورة؛ وهي نطان
- النمذ الأول — المفردة
- » الثاني — الألقاب المركبة ٨٣
- الضرب الثاني — من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة ٩٥
- الجملة السابعة — في تفاوت الألقاب في المراتب؛ وهي قسمان ... ٩٧
- القسم الأول — مايقع التفاوت فيه في الصعود والهبوط؛ وهو نوعان
 النوع الأول — « « « بحسب القلة والكثرة ... ٩٧
- » الثاني — مايقع فيه التفاوت في العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه
 جوهر اللفظ أو ما وقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان ٩٨

- صفحة
- الصفى الأول - الألقاب المفردة؛ وهى على أربعة أنماط ٩٨
- النمط الأول - التوايح ٩٨
- » الثانى - ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياه النسب
وتجزده منها ٩٩
- » الثالث - ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة غير ياه النسب ... ١٠١
- » الرابع - » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
أقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ١٠١
- الصفى الثانى - الألقاب المركبة؛ وهى على ضربين ١٠٣
- الضرب الأول - ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب؛ وله اعتباران ١٠٣
- الاعتبار الأول - أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأفلام
وغيرهم؛ وهو على ثلاثة أنماط (سواه أدبية) ... ١٠٣
- النمط الأول - ما يضاف إلى الإسلام ١٠٣
- » الثانى - » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ١٠٥
- » الثالث - » إلى الملوك والسلطين ١٠٦
- » الرابع - » لأمير المؤمنين ١٠٨
- الاعتبار الثانى - أن يختص الترتيب فى الألقاب بنوع من المكتوب
له؛ وهو أربعة أنماط ١٠٩
- النمط الأول - ما يختص بأرباب السيوف ١٠٩
- » الثانى - » بالوزراء ومن فى معناهم ١١١
- » الثالث - » بالقضاة والعلماء ١١١
- » الرابع - » بالصلحاء ١١٢

صفحة

- القسم الثاني - مما تفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه
 بالتقديم والتأخير؛ وهو نوعان ١١٥
- النوع الأول - الألقاب المفردة؛ وهي على ستة أعماط ١١٥
- النمط الأول - « التي تلي الألقاب الأصول ١١٥
- » الثاني - ما يلي العالي أو السامي من الألقاب ١١٦
- » الثالث - ما يلي لقب الوظيفة ١١٧
- » الرابع - ما يقع قبل لقب التعريف ١١٧
- » الخامس - « فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ١١٨
- » السادس - ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب
 المفردة ١١٨
- النوع الثاني - مما تفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
 الألقاب المركبة؛ وهي على ثلاثة أعماط ١١٩
- النمط الأول - ما يلي لقب التعريف ١١٩
- » الثاني - ما يقع في آخر الألقاب المركبة ١١٩
- » الثالث - ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ١٢٠
- الجملة الثامنة - في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب
 التعريف الخاص به ١٢٠
- » التاسعة - في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
 على قدر طبقاتها؛ وهي قسمان ١٢١

صفحة	
١٢١	القسم الأول - الألقاب الإسلامية
	الضرب الأول - « المتعلقة بالخلافة وما يلتحق بها ، وهي
١٢٢	ثلاثة أنواع
١٢٢	النوع الأول - ألقاب الخلفاء
١٢٣	« الثاني - « ولاية العهد بالخلافة
١٢٣	« الثالث - « إمام الزيدية باليمن
١٢٣	الضرب الثاني - الألقاب المملوكية ، وهي نوعان
١٢٣	النوع الأول - « التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية
	« الثاني - « التي يكتب بها عن السلطان لغيره من الملوك ،
١٢٥	وهي على ثلاثة أصناف
١٢٥	الصف الأول - ألقاب ولاية العهد بالسلطنة
١٢٥	« الثاني - « الملوك المستقلين بصغار البلدان
	« الثالث - « المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب
١٢٦	السلطانية ، وهي نمطان
١٢٦	انتمد الأول - ما يصدر بالألقاب المذكورة
١٢٩	« الثاني - « المؤنثة
	الضرب الثالث - من الألقاب الإسلامية ، الألقاب العاتمة لسائر
١٣٠	الطوائف ، وهي ثمانية أنواع
١٣٠	النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف من أهل الملكة وغيرهم
١٤٦	« الثاني - من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية

صفحة	
١٥٤	النوع الثالث - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية
١٦١	« الرابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح
١٦٥	« الخامس - ألقاب التجار الخواجية
١٦٨	« السادس - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية كرياضة الطب
١٧٠	« السابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية
١٧١	« الثامن - « « « النساء
١٧٣	القسم الثاني - « المرتبة « أهل الكفرة؛ وهي على ثلاثة أضرب
١٧٣	الضرب الأول - ألقاب وتديتهم؛ وهي نوعان
١٧٣	النوع الأول - « بطارقة النصارى
١٧٤	« الثانى - « رؤساء اليهود
١٧٤	الضرب الثانى - ألقاب ملوكهم وتخص بالنصارى؛ وهي نمطان
١٧٤	النمط الأول - الألقاب المذكورة
١٧٩	« الثانى - « المؤنثة
١٨٠	الضرب الثالث - ألقاب نواب ملوكهم وكخالصتهم؛ وهي على نوعين
١٨٠	النوع الأول - « النواب
١٨٠	« الثانى - « الكخالصة

صفحة

- الجملة العاشرة — في ذكر ألقاب تقع على أشياء متفرقة قد جرت
 في عرف الكتاب؛ وهي على ضربين ١٨٣
- الضرب الأول — فيما يجرى من ذلك مجرى التفاؤل، ويختلف باختلاف
 الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع ١٨٣
- » الثاني — ما يجرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا ١٨٦
- الباب الثاني — من المقالة الثالثة في مقادير قطع الورق وما يناسب
 كل مقدار منها من الأعلام؛ وفيه فصلان ١٨٩
- الفصل الأول — في مقادير قطع الورق؛ وفيه طرفان ١٨٩
- الطرف الأول — « » « في الزمن القديم ١٨٩
- » الثاني — في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا
 (زمن المؤلف)؛ وفيه ثلاث جهل ١٩٠
- الجملة الأولى — في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
 السلطانية بالديار المصرية ١٩٠
- » الثانية — في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء
 بالممالك الشامية ١٩٢
- » الثالثة — في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتبات
 أعيان الدولة ١٩٣
- الفصل الثاني — من الباب الثاني من المقالة الثالثة في بيان ما يناسب
 كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
 من الأعلام الخ؛ وفيه طرفان ١٩٤

صفحة

- الطرف الأول — فيما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ١٩٤
- » الثاني — في مقادير البياض الواقع في أول الدرج وحاشيته وبُعد ما بين السطور في الكتابة ١٩٥
- الباب الثالث — من المقالة الثالثة في بيان المستندات وكتابة الملخصات وكيفية التعيين؛ وفيه فصلان ١٩٧
- الفصل الأول — في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص وما يجري مجراها؛ وهو على ضربين ١٩٧
- الضرب الأول — السلطانيات؛ وهي صنفان ١٩٧
- الصنف الأول — ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ١٩٧
- » الثاني — ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ١٩٩
- الضرب الثاني — ما يتعلق بالكتب في المظالم، والنظر فيه من وجهين ٢٠٢
- الوجه الأول — فيما يتعلق بالقصص ٢٠٢
- » الثاني — فيما يتعلق بالنظر في المظالم وما يكتب على القصص؛ وهو ستة أنواع ٢٠٤
- النوع الأول — ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام ٢٠٦
- » الثاني — ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ٢٠٦
- » الثالث — ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواعظ ٢٠٧
- » الرابع — ما يرفع منها للنائب الكافل إذا كان ثم نائب ٢٠٨
- » الخامس — ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان في الدولة أتابك عسكر وهو الأمير الكبير ٢٠٨
- » السادس — ما يرفع منها للدوادار ٢٠٩

صفحة

الفصل الثاني - في التعيين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على

الرقاع والقصاص ٢١٠

الطرف الثاني - في كتابة الملخصات والإجابة عنها ٢١٢

الباب الرابع - من المقالة الثالثة في الفواتح والخواتم واللواحق ؛

وفيه فصلان ٢١٧

الفصل الأول - في الفواتح ؛ وفيه ستة أطراف ٢١٧

الطرف الأول - في البسملة ٢١٧

» الثاني - في الحمدلة ٢٢٤

» الثالث - في التشهد في الخطب ٢٢٦

» الرابع - في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم

وعلى آله وصحبه في أوائل الكتب ٢٢٧

» الخامس - في السلام في أول الكتب ٢٢٩

» السادس - في أما بعد ٢٣١

الفصل الثاني - في الخواتم واللواحق ؛ وفيه سبعة أطراف ٢٣٢

الطرف الأول - في الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى ... ٢٣٢

» الثاني - في التساريخ ٢٣٤

» الثالث - في المستندات ٢٦٢

» الرابع - في الحمدلة في آخر الكتاب ٢٦٥

» الخامس - في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب

وما يلحق بذلك ٢٦٧

صفحة	
٢٦٩	الطرف السادس - في الحسبة في آخر الكتاب
٢٧١	» السابع - في اللواحق

المقالة الرابعة

٢٧٤	في المكتبات ؛ وفيها بيان
٢٧٤	الباب الأول - في أمور كلية في المكتبات ؛ وفيه فصلان
٢٧٤	الفصل الأول - في مقدمات المكتبات ؛ وفيه ثلاثة أطراف
٢٧٤	الطرف الأول - في أصول يعتمدها الكتاب في المكتبات
٣١٥	» الثاني - في بيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز
٣٢٣	» الثالث - في أمور تختص بالأجوبة
	الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول
٣٢٧	المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ؛ وفيه طرفان
٣٢٧	الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها
٣٤٥	» الثاني - في ذكر لواحق المكتبات ولوازمها
	الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكتبات الدائرة
	بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل
	زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (نسب المؤلف) ؛
٣٦٥	وفيه ستة فصول
	الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛
٣٦٥	وفيه ثلاثة أطراف
	الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل
٣٦٥	على سبيل الإجمال

صفحة

الطرف الثاني - في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧

» الثالث - « « « « الكفر للدعاية

إلى الإسلام ... ٣٧٦

الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في الكتب الصادرة

عن الخلفاء : هي على قسمين ... ٣٨٣

القسم الأول - المكتابات إلى أهل الإسلام ؛ وفيه تسعة [عشرة]

أطراف ... ٣٨٣

الطرف الأول - في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة

رضى الله عنهم ... ٣٨٣

» الثاني - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية ... ٣٨٩

» الثالث - « « « « بني العباس ببغداد ،

وولاية العهد بالخلافة ؛ وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢

الجملة الأولى - في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال

» الثانية - في الكتب العامة ... ٣٩٥

» الثالثة - في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥

الطرف الرابع - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار

المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١

» الخامسة - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٤٣٢

» السادسة - في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٤٤٣

- صفحة
- الطرف السابع - في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحدين ... ٤٤٣
- » الثامن - في الأجوبة ... ٤٤٧
- » التاسع - في الكتب الصادرة عن ولاة العهد بالخلافة ... ٤٥٦
- » العاشر - من المكاتبات عن الخلفاء : المكاتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧
- الفصل الثالث - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكاتبات
- الصادرة عن الملوك ومن في معناهم مما الجارى عليه
- الحال؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤
- القسم الأول - المكاتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام؛
- وفيه أطراف ... ٤٦٤
- الطرف الأول - في مكاتبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤
- » الثاني - في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء
- السرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧
- » الثالث - في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمراء
- السرايا أيضا إلى خلفاء بني أمية ... ٤٧٨
- » الرابع - في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم
- إلى خلفاء بني العباس ... ٤٨٠
- » الخامس - في المكاتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار
- المصرية ... ٥٢١
- » السادس - في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معناهم
- إلى خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٥٢٤
- » السابع - في المكاتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب ٥٢٦

صفحة

الطرف الثامن - في المكتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء

السرايا في صدر الإسلام إلى من في معنهم ... ٥٥٨

« التاسع - في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنهم

إلى الملوك ومن في معنهم على ما كان عليه مصطلح

أهل المشرق ... ٥٥٩



(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى)

